



جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم الاجتمـــاع

العذرية والثقافة

دراســـة فى أنثروبولـــوجيـا الجســـد

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه فى الآداب

إعـداد
مها محمد محمد حسين
مـدرس مســاعد بقســم الاجتمــاع
كلية الآداب – جامعة القاهرة

إشراف

أ.د. فاروق محمد العادلى
أستاذ الأنثروبولوجيا والاجتماع
بكلية الآداب جامعة القاهرة

أ.د. نبيل صبحى حنا
أستاذ الأنثروبولوجيا والاجتماع
بكلية الآداب جامعة القاهرة

٢٠٠٦

الإجازة

أجازت لجنة المناقشة هذه الرسالة للحصول على درجة الدكتوراه في الآداب
~~بتقدير~~ / بمرتبة الشرف الثانية بتاريخ ٢٠/١٢/٢٠٠٦م
بعد استيفاء جميع المتطلبات

اللجنـــــــــــة

الاسم	الدرجة العلمية	التوقيع
(١) فاروق محمد العادلي	أستاذ	[توقيع]
(٢) علياء شكري	أستاذ	[توقيع]
(٣) علي محمد المكاوي	أستاذ	[توقيع]
(٤) /	/	/

إهـــــــداء

إلى روح أستاذي الفاضل

الأستاذ الدكتور: نبيل صبحي حنا

رحمه الله

أهدي إليه ثمرة غرسه

الشكر والتقدير

الشكر والتقدير

أرجو أن أكون قد وفقت في إجراء هذه الدراسة، واستفدت من علم وخبرة وملاحظات أساتذتي، وخاصة **الأستاذ الدكتور: فاروق العادلي** الذي لم يبخل بعلمه وجهده وعنايته بي، بل وصبره معي طوال فترة الدراسة، وتقبله لكافة أشكال الظروف الاجتماعية التي مررت بها، وكانت سبباً في تأخر هذه الدراسة. فلسيادته عظيم الشكر والإمتنان على أستاذيته وكرمه وسعة صدره؛ وهذا ليس بغريب عليه مع طلابه، فقد شملتني رعايته منذ بدايات مرحلة الماجستير، ويكفي الجهد والمشقة التي عاناها في توجيهي نحو تصحيح ما بالدراسة من أخطاء، وإكمال ما بها من نقص، وإتمام مالم يتم منها. جزاه الله عني وعن جميع تلاميذه حسن الخير والثواب.

كما أقدم عميق شكري للأستاذة الفاضلة، والأم الروحية للباحثين والباحثات، لأستاذتي **الأستاذة الدكتورة: علياء شكري** علي مواقفها النبيلة لكل تلاميذها، والداعمة دائماً لهم، وتفضلها بقبول المناقشة رغم كثرة مشاغلها العلمية والتي لم تمنعها من مواصلة عطائها وتوجيهاتها وإرشاداتها بل وتشجيعها لي، فلسيادتها مني كل الشكر والعرفان.

كما أُقدم جزيل الشكر لأستاذي **الأستاذ الدكتور: علي المكاوي** رئيس قسم الاجتماع على مساندته الدائمة لي، فلم يبخل يوماً بالمعلومة العلمية، أو النصيحة الأخوية، كما أنه تفضل بقبول مناقشة هذه الرسالة علي الرغم من كثرة أعبائه وضيق وقته، فلسيادته عظيم الشكر والإحترام.

كما أن هناك شكراً واجباً لمشرف غائب، **المرحوم الأستاذ الدكتور: نبيل صبحي حنا**، أستاذي ومعلمي وصديقي ، ومثلي الأعلى، كم كنت أتمنى أن يكون بيننا ليرى ثمرة غرسه الأنثروبولوجي ، والذي بدأه برعايته الإنسانية لي، واهتمامه العلمي بي منذ السنوات الأولى لمرحلة الليسانس، وحتى السنوات الأولي من مرحلة الدكتوراه، فلسيادته كل آيات الإمتنان والعرفان بجميله، رحمه الله.

كما أتوجه بالشكر لكل **أساتذتي وزملائي** بقسم الاجتماع بكلية الآداب جامعة القاهرة على مواقفهم الإيجابية الداعمة لي دائماً، ومساندتهم وعطائهم المستمر إنسانياً وإدارياً.

وأتوجه بالشكر، كل الشكر لإستاذي، **الأستاذ الدكتور: أحمد زايد** عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة على كل ما فعله من أجلي، فلولا جهوده الإدارية والإنسانية المُضنية؛ والتي كانت على أصعدة شتى ماستطاع هذا العمل أن يصل لموقف المناقشة.

أما أستاذي ومعلمي **الأستاذ الدكتور: محمد الجوهري** العالم والمفكر الجليل ، فلم أجد من الكلمات ماأستطيع التعبير بها عن عميق شكري وإمتناني وإحترامي لسيادته ، لأستاذيته وأبوته الروحية، وعطائه المتواصل من الجهد والإرشاد والنصح، ومواقفه الكريمة تجاهي. وأرجو من الله أن أكون عند حسن ظن سيادته العلمي بي.

كما أشكر **زملائي وأصدقائي** ،وأخص منهم **دكتور: سعيد المصري**، المدرس بقسم الاجتماع على حسن تعاونه معي وجهوده الدائمة والمثابرة، و**الأستاذ: عبد الرحمن الشرقاوي** المدرس المساعد بقسم اللغة العربية بالكلية ، و**الأستاذ كرم عباس** المدرس المساعد بقسم الفلسفة بالكلية علي مواقفهما النبيلة معي، ومساندتهما العلمية والانسانية لي في أحرج لحظات الدراسة والعمل. أما **الأستاذة: رشا محمد إبراهيم** المعيدة بقسم المكتبات والوثائق والمعلومات، والصديقة الغالية، فلم تَكفِها كل حروف الأبجدية في صياغة دواوين شكر وإعتراف بالجميل ، فهي حقاً نِعم الأخت والصديقة والزميلة، وهذا الشكر ليس لها بمفردها فحسب، وإنما موّجّه أيضاً لكافة أفراد أسرتها الكريمة؛ تلك الأسرة التي ضمتني إليها في أقسى مواقف حياتي وأضعف لحظاتها، وأعتبرتني فرداً أصيلاً من أفرادها، فكانوا لي نِعم الأهل والأسرة، فقد وفروا لي كل أساليب الحماية والأمان، فأوجه عظيم شكري لهم جميعاً.

وأخص بالشكر **الأستاذ الدكتور: محمد إبراهيم علي**، أستاذ ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب جامعة عين شمس، على كل ماقدم لي من أياد بيضاء، فكان نعم الأب ونعم السند والمعين، فلسيادته مني كل الشكر والإعتراف بالجميل.

أما **أختي الغالية منى** فلها مني كل الحب والامتنان، وأشكرها علي مساندتها المستمرة لي، ووقوفها الدائم بجانبي، وتحملها معي كافة مواقف الحياة الصعبة والقاسية.جزاها الله كل الخير وأثابها عن مقدرتها وتحملها.

وأخيراً أتقدم بالشكر والحمد لله الواحد الأحد أولاً وأخيراً، فهو نعم المولى ونعم النصير.

المحتويـــــات

الموضوع	الصفحة

الفصل السادس

الختان كآلية من آليات ضبط الجسد

لفصل السابع

ثقافة العذرية في المجتمع المصرى

الفصل الثامن

العذرية بين المحافظة والفقد

التنشئة وأساليب المواجهة

مقدمة

تندرج قضية العذرية تحت نطاق قضايا الجسد التى شـغلت العديـد مـن البـاحثين والمفكرين الذين تعددت مداخلهم فى تناول مصطلح الجسد ما بين العلوم الطبيعية، والعلـوم الإنسانية، ووفقاً لمنطلق الدراسة وزاوية التناول، نجد كماً هائلاً من الدراسات التى تناولـت دراسة الجسد سـواء مـن المنظـور البيولـوجى أو الاجتمـاعى أو الفلسـفي، وكـذلك الأنثروبولوجى.

وعلى الرغم من ذلك فقد نادى البعض بضرورة وضع الجسد فـى بـؤرة الاهتمـام السيوسيولوجى؛ كى تتأسس نظرية شاملة فى علم الاجتماع.. "سوسيولوجيا أصيلة للجسد".

وتحتل العذرية كقيمة اجتماعية فى الثقافة المصرية منزلة عالية ذات دلالات معياريـة تمثل قوة إلزامية على الأفراد من خلال ارتباطها بقيم أخرى مدعمـة لهـا مثـل الشـرف والفضيلة والعفة والالتزام والحياء والخجل...الخ. وعلى الرغم من أن العذرية فى معناهـا البيولوجى تعنى الحفاظ على غشاء البكارة الا انه فى ثنايا هذه الدراسة فإننا نجـد تجـاوزا لهذا المعني، حيث نميز بين العذرية البيولوجية والعذرية السلوكية والتى تتبدى فى الأفعال والتصرفات حيال المواقف المختلفة، بل ونجد أيضا تداخلا بين العذرية بالمعنى البيولـوجى والمعنى السلوكى من خلال الاتجاه نحو التأكيد على أن الفتاة العذراء بيولوجيا تظهـر لهـا بعض السلوكيات والصفات التى تختلف بها عن الفتاة غير العذراء.

وعلى الرغم من أن مفهوم العذرية يمثل قيمة اجتماعية تتأثر وتتفاعل مع القيم الأخرى السائدة فى المجتمع، إلا أن التركيز الأساسى فى الدراسة كان تناول مفهوم العذرية باعتباره أحد المفاهيم الثقافية التى تتشكل وفقاً للمحددات والتحديات الاجتماعية محلياً وعالمياً، فمفهوم العذرية تأثر– مثله فى ذلك مثل المفاهيم الثقافية الاخري– بما يشهده العالم من حراك ثقافى كما يتمثل فى ثقافة الانترنت أو العولمة أو الحركات النسوية أو حقوق الإنسان أو غيرهـا من التحديات التى تلعب دوراً –بشكل أو بآخر– فى تراجع مفهوم العذرية كقيمـة لصـالح تشكله كمفهوم ثقافى ينزع نحو القناعات الفردية والذاتية.

وفى المقابل تناولت الدراسة محددات العذرية التى تدعم دورها الإلزامى والقهرى على الأنثى، فعلى سبيل المثال ركزت الدراسة على التنشئة الاجتماعية ليس باعتبارها محددا من محددات مفهوم العذرية فحسب، بل باعتبارها أحد مدلولاته أيضا، فالعذرية بالنسـبة للفتـاة وعائلتها تعد وفقا للمفاهيم والقيم الاجتماعية السائدة هى الدليل القطعى على صحة أجـواء

التنشئة الاجتماعية والدينية التى تعيش فيها الفتاة، بل تشير أيضا إلى قوة الفتاة وتأكيد ذاتيتها من خلال الحفاظ على عذريتها وهو الأمر الذى بات مغايراً إلى حد كبير وفقـاً لتحـديات الثقافة الحديثة.

وتسعى هذه الدراسة إلى البحث فى العذرية كأحد مباحث أنثروبولوجيا الجسد، مـع تحول الاهتمام الكلاسيكى بالجسد إلى التحليل البنائى للظواهر المرتبطة به فـى ارتباطهـا بالعلاقات الاجتماعية والبناء الاجتماعي، أو الاتجاه الرمزى الذى يبحـث فـى العلامـات والرموز التى تكمن وراء حركات الجسد، خاصة عندما يصبح الجسد قناة من قنوات التفاعل الاجتماعي، خلال المواقف الحياتية اليومية.

وتتمثل أهمية الدراسة فى أنها تتعرض بالتناول لموضوع يمس قيمة هامة فى المجتمع على الرغم من أنه يعتبر من الموضوعات التى لم تدرس بشكل مستقل بل درست من خلال علاقاتها بمفاهيم أخرى مثل الزواج أو دورة الحياة، كما أنها تلقى الضوء على العديد مـن القيم والمتغيرات وثيقة الصلة بالعذرية مثل الزواج، التنشئة الاجتماعية، الختـان، الشـرف والعفة.

كما أوضحت إحدى الدراسات عن الخيانة الزوجية ضـمن نتائجهـا وجـود متصـل انحرافى بين انحراف الفتاة قبل الزواج وخيانتها بعد الزواج (تحقق ذلـك بنسـبة ٩٠%)، فكانت العلاقات الانحرافية قبل الزواج تسهل عليهن الخيانة بعد الزواج حيث يعتبـر ذلـك امتداداً سلوكياً؛ فإذا كان الحال كذلك – وهو جد خطير – فنحن فى حاجة ماسة لفهـم هـذه السلوكيات ومحاولة الكشف عن أسبابها ودوافعها، وهو ما حاولت الدراسة جاهدة الكشـف عنه.

ويزيد من أهمية الدراسة أنها تعاملت مع مفهوم العذرية فى ضوء التحديات الثقافية العالمية؛ فربطت بين العولمة والعذرية أو بين الحداثة والعذرية أو غيرهما مـن المفـاهيم الثقافية المعاصرة والتى لها تأثير على مفهوم وثقافة العذرية وهو ما يمثل جانباً من جوانب الجدة فى الدراسة.

كما عملت الدراسة على تمييز وتوضيح المفاهيم التى تقوم عليها، ومن أهمها التمييـز بين العذرية البيولوجية والعذرية السلوكية، ومدى إعلاء المجتمع من قيمة العذرية البيولوجية فى مقابل العذرية السلوكية.

على الرغم من أن الجانب الميدانى قد شغل الإهتمام الأكبر من الدراسة؛ إلا أنها أولت اهتماماً كبيراً للإطار النظرى المتمثل فى تحديد الأطر والاتجاهات والمداخل المختلفة التـى

تناولت العذرية، فأشارت الدراسة إلى إمكانية تناول العذرية من خلال موضوعات دراسة الثقافة و الجسد والاتجاه الفينومينولوجى أو من خلال الاتجاه القيمي، وأشارت إلى أن الاهتمام بموضوع العذرية شديد الصلة بالتراث الاجتماعى الذى تمحور حول مفهوم الجسد.

وبطبيعة الحال كان موضوع الدراسة مثيراً لكثير من الصعوبات التى واجهتها الباحثة، ويمكن تصنيف هذه الصعوبات كالأتي:

١- صعوبات خاصة بحداثة الموضوع وحساسيته.

ترجع هذه الصعوبة إلى مدى حداثة دراسة موضوع العذرية، فى المجتمع المصري، وخاصة مع ندرة الأطر النظرية السابقة الخاصة بنفس موضوع الدراسة، كذلك تمثل العذرية (التابو) أو الشئ المقدس الذى يجب عدم الاقتراب منه. كما ترجع حساسية الموضوع إلى أنه ينتمى إلى العلاقات الجنسية والجهاز التناسلى وهو ما يرفض معظم الأشخاص الحديث عنه.

٢- صعوبات خاصة بالعينة :

لما كانت الباحثة قد وضعت شروطاً يجب توافرها فى دراسة الحالة التي سيتم اختيارها، ولما كان معظم هذه الشروط يدخل فى علاقات مع متغيرات أخري، فكان على الباحثة العثور على حالات منتقاة تتفق وتلك الشروط مما استنفد وقتاً وجهداً كبيرين.

لم تقتصر الصعوبات الخاصة بالعينة على شروط اختيارها فحسب، إنما امتدت إلى صعوبة الحصول على البيانات والمعلومات من المبحوثات بعد اختيارهن؛ حيث تراجعت بعض الحالات بعد فترة من الوقت نظراً لحساسية الموضوع وضرورة التطرق لحياتهن الخاصة، وتحديداً فيما يخص الختان والعلاقات الجسدية داخل أو خارج نطاق الزواج.

كما تعرضت الباحثة لعديد من حالات الرفض من قبل المبحوثات وهذا ناتج عن الموروث الثقافى لتابو الجنس والعلاقات الجسدية وما يرتبط بها. كما مثّل اختيارحالات الدراسة وتنقيتها لانتقاء الأصلح منها صعوبة كبيرة؛ حيث انفقت وقتاً كبيراً من ناحية وجهداً مبذولاً من ناحية أخري، حيث كان فى جزء منه جهداً ضائعاً وان كان متعمداً من قبل الباحثة حين تم تصفية حالات الدراسة من ٩٥ حالة إلى ٣١ حالة بعد اجراء عدة مقابلات معهن ولكن ما يشفع لذلك هو تطابق الحالات مع الشروط التى تم وضعها مسبقاً. وكما استلزم مدة من الزمن حتى تتمكن الباحثة من اكتساب ثقة المبحوثات وهو الأمر الذى اتاح لها استيفاء أكبر قدر من المعلومات بأكبر قدر من المصداقية.

وتتكون الدراسة الراهنة من مقدمة وثمانية فصول وخاتمة:

يتناول **الفصل الأول** عرضاً مفصلاً للإطار النظرى للدراسة، ويشمل ذلك مشكلة الدراسة وتساؤلاتها، والإسهامات النظرية فى دراسة الثقافة والعذرية، واتجاهات دراسة الجسد، وتناول الجسد من جانب الاتجاه الفينومينولوجى واتجاه دراسة القيم.

يسعى **الفصل الثانى** إلى مناقشة الجدل المطروح حول العذرية فى الدراسات السابقة لتعميق رؤيتنا للعذرية من ناحية، وللختان من ناحية أخرى فى محاولة تقديم رؤية نقدية لهذه الدراسات، حيث يضم هذا الفصل قسمين، يتناول الأول منها دراسات العذرية فى التراث العربى والغربى ، ويعرض الثانى إلى دراسات الختان فى سياقات ثقافية مختلفة.

ويتناول **الفصل الثالث** الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية، والتى تتمثل فى منهجى دراسة الحالة والمنهج الأنثروبولجى من خلال أدواتهما المختلفة مثل دليل العمل الميداني، والمقابلة والملاحظة، والإخباريين، كما يضم التسجيل الصوتى والاستكتاب الشخصي، ثم يعرض لأهم شروط اختيار حالات الدراسة والتى تتمثل فى متغير التعليم والحالة العملية والحالة الاجتماعية والحجاب ونوعيته والختان والعلاقات الجسدية مع الجنس الآخر. ثم يعرض للخصائص الاجتماعية والثقافية لحالات الدراسة، وأخيرا فترة العمل الميدانى التى تمثلت فى مرحلتي: الدراسة الاستطلاعية – الدراسة المتعمقة

كما يبحث **الفصل الرابع** فى التنشئة الاجتماعية والتمييز النوعى (الجندر)، حيث يتناول أساليب التنشئة ومؤسساتها الاجتماعية المختلفة، كالأسرة، والمدرسة، وجماعات الرفاق، ووسائل الإعلام، والوسائط التعددية الثقافية المختلفة، ثم يعرض للتميز النوعى فى علاقته بالتنشئة الاجتماعية والذى ينبثق عنه مفهوما الذكورة والأنوثة من خلال توضيح أسباب وأسس التميز النوعي. كما يعرض لهذا التميز النوعى وفقاً لطبيعة بعض المجتمعات المختلفة، سواء الغربية أو الشرقية، ثم يتناول التميز النوعى لدى البدو، والذى يتبدى بوضوح فى قيم الإنجاب لديهم.

كما يتناول **الفصل الخامس** ختان الإناث كقضية بحثية، فيعرض المعنى والمصطلح، والمفهوم اللغوى والفقهي، ثم يقلب صفحات التاريخ ليقدم رؤية تاريخية لهذه القضية، ويعرض لقضية ختان الإناث فى الأديان السماوية (اليهودية والمسيحية والإسلام)، كما يشير إلى الاهتمام العالمى بقضية الختان، وأخيراً يقدم الرأى الطبى فى عمليات ختان الإناث.

ويعرض **الفصل السادس** للختان كآلية من آليات ضبط الجسد الأنثوى من خلال التعرف عن الختان فى المعتقد الشعبي، والتصورات الشعبية حول الفتيات المختتنات من

واقع حالات الدراسة ، ثم يحاول الوقوف على الأسباب الظاهرة والكامنة لممارسة الختان، ومنها ننتقل إلى عرض الختان كممارسة إجرائية، ثم يوضح العواقب والأضرار الناتجة عن إجراء الختان، ويناقش قضية محورية حول علاقة الختان بالعفة، وأخيرا يستشرف رؤية مستقبلية لقضية ختان الإناث فى المجتمع المصري

ويتناول **الفصل السابع** ثقافة العذرية فى المجتمع المصري، فيعرض لخطاب العذرية من خلال الوقوف على المعني، والألفاظ والعبارات الدالة والأمثال والأغانى الشعبية فى سياق استراتيجية العذرية، كما يوضح المفاهيم الدالة لقيمة الشرف، كما تناول الفصل تجليات العذرية من خلال المظاهر الدالة فى الإتصاف ببعض السمات الأخلاقية وفى الحديث وأسلوبه وموضوعاته، وما يتبدى فى الزى والزينة وأيضا فى الإيماءات والحركات الجسدية.

ويستكمل نفس الموضوع فى **الفصل الثامن**، والخاص بالتنشئة على العذرية من خلال الكشف عن المعلومات المتاحة عن قيمة العذرية ومصادرها، وعما تم توجيهه للفتيات من نصائح وتوجيهات أخلاقية وسلوكية بهدف الحفاظ على العذرية، ثم يعرض لممارسات الحفاظ على العذرية، وما يقابلها من منع ممارسات تحسباً لفقدها. فيتناول لبعض التفصيلات الثقافية سواء فى المنع أو التحفيز، والتجاوزات السلوكية الواقعية والتى تقع فيها الفتيات خلف الأبواب المغلقة. فيعرض لما يمكن أن يصيب العذرية السلوكية والقيمة للفتيات من انتهاك وتجاوزات غير مادية الأثر، ثم يقدم حالات فقد العذرية البيولوجية، وما يتم من أساليب للمواجهة وكحلول سواء ثقافية أو طبية، فيتناول البكارة المصطنعة وعمليات إعادة غشاء البكارة، والإجهاض، والموقف الطبى والقانونى والواقعى حيال ذلك، والتحايلات الثقافية لمواجهة الفقد، والتى عادة ما يتم اللجوء إليها فى موقف إثبات العذرية والشرف.

وتنتهى الرسالة بخاتمة تضم أهم نتائج الدراسة الميدانية، والتى صنفت وفقاً لعلاقتها بقضيتى العذرية والختان، مع قائمة بالمراجع العربية والأجنبية.

الفصل الأول

الإطار النظري للدراسة

الفصل الأول

الإطار النظرى للدراسة

مقدمة

أولا : مشكلة البحث والتساؤلات

ثانيا :الإسهامات النظرية فى دراسة الثقافة والعذرية

١- اتجاهات دراسة الجسد

أ- الثقافة والجسد

ب- الجسد والحركة النسوية

ج- هوية الجسد في سياق العولمة

د- الجسد وما بعد الحداثة

٢- الاتجاه الفينومينولوجي

٣- اتجاه دراسة القيم

الفصل الأول

الإطار النظري للدراسة

مقدمة

يعتبر الجسم الإنساني أحد الموضوعات البحثية الهامة لعديد من الدراسات الاجتماعية، والتي اهتمت بدراسته نظراً لدوره كوسيط في التفاعل بين البشر، وأيضاً كتجسيد للحياة البشرية ولتأثيرات الطبيعة، حيث يحكي لنا تاريخ البشرية علي مر العصور قصة علاقة الإنسان بالطبيعة، فتوضح لنا الدراسات المقارنة لثقافات الشعوب المختلفة وأبنيتها الاجتماعية أن صدى هذه العلاقات – بين الإنسان والطبيعة – يتضح بجلاء في التراث الثقافي ومن خلال البناء الاجتماعي لكل مجتمع.

ولما كان الجسم الإنساني بجانبه الفيزيقي والفكري هو أداة إدراك العالم الطبيعي بفضل ما يتمتع به الجسم من خصائص وقدرات وملكات؛ ولما كان العقل الإنساني هو المخزن الحقيقي الذي يضم كل المعارف المتعلقة بالعالم الطبيعي، فإن الجسم الإنساني الذي يحوي هذا العقل هو أيضاً كيان طبيعي يدركه الإنسان بطرق متعددة. كما صاغ الإنسان حوله العديد من التصورات والاتجاهات، الأمر الذي أدي إلي وجود العديد من نماذج السلوك والتفاعلات التي تتم من أجل هذا الجسد الإنساني، إما للتعبير عنه، أو لضبطه، أو قمعه... الخ ذلك حيث يحوي التراث الثقافي للمجتمعات العديد من الممارسات والمعتقدات التي تتعلق بهذا الشأن.

وتسعى هذه الدراسة للكشف عن ثقافة العذرية وقيّمها، من خلال المعنى الاجتماعي للجسد ولأعضائه وحركاته وإيماءاته خاصة جسد المرأة، كما تحاول كشف العلاقة بين هذا الجسد الأنثوى والواقع الاجتماعي الثقافي المعاش، من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التى تمارس ضغوطاً على هذا الجسد بغرض تقييده وتكبيله، وبفرض بعض آليات ثقافية لضبطه، مستخدمة ما يؤيد فكرها وثقافتها من الخطاب الدينى والطبى الرسمى، رافضة ما يعارضها منه.

كما تحاول الكشف عن أن حضور الجسد الخارجي وشكله وضبطه، إنما يعتبر في كثير من الأحيان أهم بكثير من الضبط الداخلى له. فى محاولة الوصول إلى وجود فصل شعبي بين السلوك والتصرف والاتجاهات والأفكار (العذرية السلوكية)، وبين العذرية البيولوجية، حيث لم يعد شرطاً اتساقهما معاً في اتجاه الحفاظ على العذرية أو عدمه، وإنما في بعض الأحيان تكشف المواقف الاجتماعية عن وجود علاقة غير تلازمية، وأن وجود

إحداهما ليس شرطاً مطلقاً لوجود الأخرى.

و على ضوء ذلك يعرض هذا الفصل لمشكلة البحث وتساؤلاتها، وكذلك الإسهامات النظرية والمنهجية في دراسة دورالثقافة فى تشكيل العذرية والتى ساعدت فى رصد موضوع الدراسة ميدانياً وتحليل المادة وتفسيرها.

أولا :مشكلة البحث والتساؤلات

إن القضية الأساسية في مجال الإسهامات والدراسات التي يزخر بها التراث بشأن الجسد، أن الجسد الإنساني يخضع لعمليات تنشئة اجتماعية ورقابة وضبط تجعل الإنسان يقوم بتضبيط جسده وحركاته وتعبيراته وفقاً لمعايير التنشئة التي تلقاها والتى غالباً ما تتفق وثقافة مجتمعه أو أسرته؛ فلقد أكدت الدراسات أن هذا الجسد ليس مجرد كيان بيولوجي عضوي، لكنه بناء يحمل معرفة اجتماعية وثقافية تمكنه من أن يتحرك وأن يتفاعل وفقاً للأطر الثقافية والقواعد الاجتماعية المتعارف عليها في مجتمع من المجتمعات. ولم يكن للجسد أن يكون كذلك لولا خضوعه لعمليات الرقابة والضبط بل والقمع التى تفرضها عليه قواعد تنشئته لتجعله يتصرف ويتحرك ويستخدم جسده ليتطابق مع معارفه ومعايير ثقافته.

وعليه تتناول الدراسة بالبحث إشكالية التحكم في النظام الجسدي "Bodily order" وضبطه من خلال فكرة أن تمثيل الجسد وحضوره الخارجي، وطريقة تواجده في المكان، والمحافظة علي تقاليده الثقافية أصبح أهم من الضبط الداخلي للجسد، حيث تتم معالجة ذلك في ضوء ثقافة المجتمع وتباين فئاته عبر الشرائح الاجتماعية الاقتصادية الثقافية المختلفة، يتضح ذلك من خلال شكل العلاقة بين الجسد والمعرفة وشكل أو نمط مراقبة الأجساد. حيث يفرض الخطاب المعرفى – المتمثل في الخطاب الديني والطبي – إرادته على الجسد ويحدد أساليب ضبطه وحركته وتصرفاته بل وردود أفعاله والتحكم فيه؛ فيصبح الجسد بشكل عام وبعض موضوعاته أو أعضائه بشكل خاص ليست ملكاً للأفراد أنفسهم بل ربما تكون ملكاً لغيرهم – سواء من الأفراد أو ملكاً للمجتمع وثقافته – حيث تحوى ثقافة المجتمعات العربية عامة والمجتمع المصرى خاصة آليات وميكانيزمات توجه لضبط الجسد الأنثوى والسيطرة على رغباته الطبيعية، متمثلة في ممارسة بعض العادات والتقاليد الثقافية الطبية الشعبية، والتى تتبدى إحدى صورها في إجراء "عملية الختان" للإناث كإحدى آليات ضبط الجسد، وواحدة من صور المحافظة على عذرية الأنثى؛ كما يتضح ذلك أيضاً من خلال إستراتيجية العذرية ذاتها، وثقافتها والمراحل التى تمر بها الفتاة الصغيرة والإجراءات التى تتخذ لها – أو ضدها – منذ صغرها إلى أن تصبح إمرأة ناضجة، وأثر ذلك في خلق تصورات محددة

لديها عن رؤيتها لذاتها، وتحديد علاقتها بالرجل قبل الزواج وبعده في أحيان أخرى. فملكية المجتمع للجسد تتضح في تشكل مجموعة من التصورات المقيدة لحركة جسدها، وصياغة بعض المعانى المرتبطة ببعض القيم الثقافية والبيولوجية من خلال ثقافة العذرية، مثل قيم الشرف، والعفاف، والفضيلة، والخطيئة، والبكارة ..إلخ. في مقابل هذه الضوابط يقوم المجتمع – وثقافته – بإفراز بعض الحلول والممارسات الشعبية بل والرسمية التى يمكن أن تتخذ – أو تجرى – في حالات إنتهاك العذرية أو فقدها خارج الإطار الرسمى لها، كحلول لمواجهة هذه الإنتهاكات.

وتلك القضية يمكن أن تدرس في ضوء بعدى الثقافة المجتمعية للفرد، والمستوى الاجتماعي الاقتصادي له. فمن المتوقع أن ثقافة العذرية وما تحويه من أساليب تنشئة وآليات ضبط ومحافظة وحلول مقترحة لأشكال الانتهاكات، وما يفرض على الأنثى في إطار المسموح والمحظور من خلال تصنيفات الذكورة والأنوثة، إنما يختلف باختلاف الشرائح الاجتماعية للمجتمع – دنيا، وسطى، عليا – ووفقاً لاختلاف ثقافتها وأسلوب حياتها ومستواها المادى والتعليمى ؛ وهو ما تهدف هذه الدراسة الكشف عنه.

فعلاقة الجسد بالمجتمع وثقافته تتجسد في العلاقة بين الطبيعة البيولوجية له والثقافة المجتمعية، فالرغبات الداخلية للأفراد – كأجساد – في تفاعلها مع الأطر الثقافية والمجتمعية المحيطة بها، إنما تنتج لنا شكلاً مميزاً لحضور الجسد فى الواقع المجتمعى وتواجده المكانى.

بناءً على ذلك **تتحدد إشكالية البحث الحالى** في معرفة الآليات المختلفة التى تستخدمها الثقافة في ضبط هذا الجسد بالتركيز على مفهوم العذرية من زاوية التصورات المختلفة المرتبطة بهذا المفهوم داخل الثقافة المصرية، وإذا ما كانت هذه التصورات تتباين وفقاً لتباين الشرائح الاجتماعية – الثقافية المختلفة، وكيف تفرز هذه الثقافة أشكالاً بعينها من الضبط والرقابة بل والسلوك أيضاً تمارس على جسد الأنثى من أجل المحافظة على العذرية، أو تفرز أساليب لمواجهة انتهاكاتها، كحلول لما ينتج عنها. وكيف تتحول المفاهيم ذات الطابع البيولوجي مثل مفهوم الذكورة والأنوثة إلى مفهومات اجتماعية ذات صبغة ثقافية، تعكس طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة وطبيعة الضبط والتنشئة التى يخضع لها جسد الأنثى وأحياناً جسد الذكر. وإلى أي حد يعد ذلك مؤشراً دالاً على تباين وضعية الذكر والأنثى داخل المجتمع والثقافة المصرية.

وتمكننا هذه الصياغة من طرح إشكالية البحث الراهن والتى تتجه إلى الكشف عن صور الضبط والرقابة على جسد المرأة في ضوء معطيات الثقافة المصرية، سواء على

مستوى التفاعل المباشر في العلاقات الاجتماعية والثقافية أو على مستوى الخطاب الرسمى (الدينى والطبى)، إلى تحديد صياغة مجموعة من **التساؤلات** التالية:

١- ما التصورات المختلفة المرتبطة بمفهوم العذرية داخل الثقافة المصرية، وكيف تتباين وتختلف باختلاف الشرائح الاجتماعية؟

٢- ما المجال الدلالى لمفهوم العذرية داخل الثقافة المصرية وفقاً لطبيعة المجتمع. وكيف يتباين هذا المفهوم دلالياً تبعاً للشريحة الاجتماعية؟

٣- ما القيود التى تفرضها الثقافة على الأنثى – أساليب وآليات الضبط – عبر مراحل نموها المختلفة وكيف تختلف من شريحة اجتماعية إلى أخرى؟

٤- ما الآليات التى تفرضها الثقافة للمحافظة على عذرية الأنثى؟

٥- ما أساليب المواجهة والحلول المطروحة من قِبل الثقافة والمجتمع ووفقاً لشرائحه الاجتماعية في حالات انتهاك العذرية أو فقدها خارج الإطار المشروع لها؟

٦- ما صور الاتصال والانفصال بين هذه الأساليب التى تحددها الثقافة وتلك الأخرى الموجهة من خلال الخطاب الرسمى الدينى والطبى؟

<u>ثانيا :الإسهامات النظرية فى دراسة الثقافة والعذرية</u>

١-اتجاهات دراسة الجسد

تطور الاهتمام بدراسة الجسد

أصبح الجسد الإنساني إحدي قضايا البحث الهامة التي شغلت أذهان المفكرين والباحثين حديثاً، غير أنه وبنظرة متعمقة نجد أنها قضية قد شغلت الفكر البشري عبر العصور المختلفة، فكان **الجسد** هو الموضوع الأول للمحرمات "للتابو"، واختلفت النظرة له عبر العصور باختلاف المجتمعات وما تحويه من اختلاف ثقافي. كما تناولته العديد من العلوم سواء كانت إنسانية أو طبيعية، كالطب، والبيولوجيا، والفسيولوجيا والفلسفة والأنثروبولوجيا الفيزيقية، والأنثروبولوجيا الثقافية، وعلم الاجتماع الطبي، والأنثروبولوجيا النفسية وغيرها من العلوم، كعلم النفس والطب النفسي علي اختلاف زوايا التناول. وقد ساهمت دراسات الجسد الإنساني في كشف النقاب عن بعض القضايا ووجدت به حلول لبعض المعضلات التي واجهت الفكر

الإنساني عبر مراحل تاريخه المختلفة.

لقد تبلور هذا الاهتمام بالجسد ودراساته المختلفة في الفكر الغربي المعاصر فنتج عنه كم هائل من الدراسات المختلفة للجسد وفقاً للعديد من العلوم، منها البيولوجية، والفلسفية، والاجتماعية، والأنثروبولوجية. ونادي البعض بضرورة تسليط الضوء البحثي والسوسيولوجي علي الجسد وقضاياه، ليصبح موضوعاً تتأسس به "سوسيولوجيا أصيلة للجسد" تقوم علي وعي حقيقي بالوجود الجسدي للفاعلين الاجتماعيين[1]، فتصبح سوسيولوجيا الجسد محاولة للتحليل التاريخي للتنظيم المكاني للأجساد والرغبة في علاقتها بالمجتمع والعقل[٢]. لذلك استعانت دراسات سوسيولوجيا الجسد ببعض المفاهيم من علوم أخري سواء بيولوجية طبية أو اجتماعية، كالطب والفلسفة وعلم النفس. ثم تم تطوير ما عُرف بعلم اجتماع الجسد علي يد **مارسيل موس Marcel Mauss روبرت هيرتز Robert Hertz**. وأخيراً.. ومع تطور الدراسات السوسيولوجية للجسد وقضاياه، نما الاهتمام **الأنثروبولوجي بدراسة الجسد**، خاصة فيما يعرف بالاتجاه الرمزي للجسد والذي يبحث في فهم الرموز والإيماءات التي تكمن وراء حركات الجسد، خاصة حينما يصبح الجسم الإنساني أداة تواصل واتصال فعالة في بعض المواقف الحياتية.

وجسم الإنسان هو أحد موضوعات الدراسة في العلوم الاجتماعية من زوايا شتي، فقد ظهرت اتجاهات عديدة تدرس تأثير جسم الإنسان علي الواقع الاجتماعي والثقافي، وتأثير هذا الواقع بالتالي علي الجسد الإنساني. وكانت الأنثروبولوجيا هي أحد هذه العلوم الاجتماعية التي اهتمت بهذا الموضوع سواء في جانبه الفيزيقي–دراسات الأنثروبولوجيا الفيزيقية– أو جانبه الطبي من حيث الصحة والمرض –دراسات الأنثروبولوجيا الطبية – أو في جانبه الثقافي الاجتماعي حيث ظهرت بعض الدراسات التي تركز اهتمامها مباشرة علي الجسد الإنساني – كموضوع – في تأثيره وتأثره بالتراث الثقافي/الاجتماعي له[٣].

ونتيجة لذلك اتجه الاهتمام إلى دراسات تبحث في العلاقة بين الجسد والمجتمع وعناصره المختلفة، وما يحويه من أطر ثقافية، ذلك من خلال دراسات **أنثروبولوجيا جسم الإنسان**، باعتباره كياناً بيولوجياً ثقافياً اجتماعياً يحتوي علي عقل صانع العديد من

---

(١) أحمد زايد: الجسد والمجتمع، استكشافات في النظرية الاجتماعية، في مجلة إبداع، ع٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سبتمبر ١٩٩٧.

(٢) المرجع السابق، ص١١.

(٣) نبيل صبحي حنا، أنثروبولوجيا جسم الإنسان: مع دراسة تفصيلية للروائح وتأثيرها علي التفاعل الاجتماعي، في : الكتاب السنوي لعلم الاجتماع، ع٧، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، ص١٦٦.

التصورات والإدراكات والاتجاهات الفكرية، التي تتبدى وتتضح من خلال نماذج سلوكية ثقافية، تتم من أجل ضبط هذا الجسد أو السيطرة عليه. والذي اتضح جلياً من اهتمامات الحركة النسائية العالمية من خلال دراسة النوع والذكورة والأنوثة.

فنحن أمام الجسد كوسيلة أو أداة للتعبير، كنتاج لعمليات بيئية وثقافية وبيولوجية أكثر عمومية، وبدراسة الحالات الجسدية عبر الثقافات المندمجة فى السلوك والفعل الإنسانى، فإننا نكون قادرين على وصف المخزون الكامن للإنسان الذى يشكل التحولات الثقافية في المجتمع. وموضوع أنثروبولوجيا الجسد ليس صفة جديدة لأنثروبولوجيا طبيعية أو بيواجتماعية، على الرغم من أنها ترتكز على الافتراض بأن السلوك الانسانى والفعل هما وظيفتان، لهما مجموعة متميزة من صفات وخصائص الجنس البشرى. وهذه الصفات متكيفة ومتلائمة فى سياق التطور البيولوجى، فى زعم أن تفسيرات السلوك البشرى يجب أن تبدأ بفهم كامل للجسد، كنسق مادى إجمالى أو بفهم تام للجسد ككل، إذاً يمكن القول إن الاهتمام الأساسى والأول هو فى العمليات الثقافية، والتى تكون تجسيدات وامتدادات للجسد فى بيئات وسياقات متنوعة من التفاعل الاجتماعى[1].

وقد تطور علم **اجتماع الجسد** علي يد مارسيل موس **Marcel Mauss**، وروبرت هرتز **Robert Hertz** ثم اخيراً ماري دوجلاس **Mary Douglas** حيث أكد موس أن الناس جميعا تعرف -ويجب ان تعرف- وتدرك ما يجب عمله فى كل الظروف، وتؤكد دوجلاس أن الجسد الاجتماعى يحدد الأسلوب الذى يُدرك به الجسد المادى، من خلال الفئات والطبقات الاجتماعية، والتى من خلالها تتم معرفة الإنسان وثقافته. وهناك تفاعل بين نوعى الجسد (الاجتماعى والمادى) يكون فيه الجسد ككل وسيطا أو ناقلا للتعبير، هذا على الرغم من أن أساليب الجسد لا يتم تعلمها بصورة كاملة من الآخرين فقط، بل من خلال الإجماع المعرفى أيضاً، والجسد ليس طيعا بصورة مطلقة بل على العكس، حيث توجد اختلافات بين التدريب والتعليم والتنظيمات الخاصة بالجسد، وبالقوى الداخلية للأجساد، وهذا التوتر بين الواقع الداخلى الكامن والخارجى الظاهر للجسد؛ يعد عاملاً حاسماً نحو تحفيز السلوك والفعل الانسانى.

(1) John Blacking, Towards An Anthropology Of The Body, in, The Anthropology Of The Body, A.S.A. MONOGRAPH 15, edit by, John Blacking, Academic Press, New York, 1977, P8.

مداخل دراسة الجسد:

تهتم أنثروبولوجيا جسم الإنسان بدراسة المعنى الاجتماعي المرتبط بالجسم الإنساني وأعضائه وحركته، كما تهتم بعلاقة هذا الجسد بالواقع الاجتماعي الثقافي المعاش. ويعتبر مجال أنثروبولوجيا جسم الإنسان أحد المجالات الهامة التي توضح أن الظاهرة الواحدة في تأثرها بعوامل مختلفة يمكن أن تقع دراستها في مجال أكثر من تخصص علمي، حيث ندرس الجسم الإنساني كوسيط في التفاعل بين البشر وما يتضمنه هذا الجسد من معنى اجتماعي مؤثرٍ في التفاعل الاجتماعي، ويشير التراث العلمي عند دراسته لجسم الإنسان في علاقته بالواقع الثقافي والاجتماعي والنفسي إلي أن هناك عديدا من **المداخل النظرية** لتناول الموضوع أهمها المدخل الطبى النفسى والمدخل النفسى الاجتماعى والمدخل الاجتماعى .

***مدخل الطب النفسي**

فيما يتعلق **بإسهامات الطب النفسي** اهتم بعض المتخصصين في مجال الطب، خاصة هؤلاء الذين عنوا بموضوع الشخصية في علاقتها بالتشوهات – الفيزيقية أو المعنوية – أو النقض أو العجز الجسدي، وذلك في تصورات المرضى الذين يعانون من أمراض جسمية لها مدلولات فيزيقية خارجية عن مظهرهم الخارجي المعتاد (كأن يكون أحد أعضاء الجسم ذا شكل غير طبيعي Somatic Anomalios). كما اهتم بعض الأطباء وعلماء النفس الاجتماعي بدراسة الشكل الجسمي النموذجي في مرحلة المراهقة، وما يتعلق بالمراهقين من تغيرات فسيولوجية ذات دلالات جسدية ملحوظة، كالمراهقين ذوي الثدي المتضخم Genecomatic، ودراسة ردود الفعل السيكولوجية لهم ولدى مرضى شلل الأطفال أيضاً. كما درسوا أحلام مرضي الشلل النصفي السفلي Paraplegia، بهدف الوصول إلي دليل أو مؤشر علي وجود الاضطراب نتيجة الصورة التي توجد في ذهن المريض عن جسمه. وبصفة عامة فقد درسوا العلاقة بين الصورة المتكونة عن الجسم والأعراض الجسمية لدي بعض المرضي(1).

كما حاول بعض الأطباء الربط بين الجسد ككيان عضوي ناقص وبين الصورة التي انطبعت عنه والعوامل النفسية الفاعلة في هذا الموقف. خاصة عندما درسوا ظاهرة الإحساس الكاذب بالألم في العضو المبتور من الجسم Phantom Limp، تلك الظاهرة التي تعتبر رد فعل لفقدان المريض لأحد أعضائه. وهناك تفسيرات عديدة لهذه الظاهرة منها

(1) Alice Schlegel, Women, Body and Psychology, American Ethnologist, Vol. 181, No.4, November 1991.

تفسير "**فيس**" **Wiss** الذي رأي أن هذا الإحساس ينتج عن الصورة التي تنطبع في ذهن الشخص عن جسمه. وافترض أن هذا الإحساس الكاذب (خاصة الإحساس بالألم) هو نوع من خداع النفس، فالمريض – في رأيه– يخدع نفسه كي يعتقد علي المستوي النفسي أنه لم يفقد أي عضو من أعضائه[1]. وتري الباحثة أن هذا الخداع النفسي ما هو إلا أحد آليات تكيف المريض مع وضعه الراهن، لفقده أحد أعضائه، وتأقلمه مع الواقع الفعلي، كما يعد من جهة أخري نوعا من أنواع الرفض لما أصبح عليه جسده.

وقد ظهرت بعض الاتجاهات في هذا الصدد تربط بوضوح بين ما يهتم به الأطباء في دراساتهم وما يهتم به من يدرسون قطاعات المجتمع فيما يتعلق بالجسم الإنساني. وخير دليل علي ذلك ما قدمه "**سكوت Scott**" بعنوان "الجسد كملكية" والذي ناقش فيه مفهوم صورة الجسد كبناء نظري، وكبناء يمكن قياسه، كما ناقش فكرة زراعة الأعضاء كحاجة طبية وضرورة ملحة ولكن من منظور الأبعاد الاجتماعية المرتبطة بها، والتنظيم القانوني المنظم لهذه العملية، متضمناً ما يمكن أن يتعلق بهذا الموضوع من ظهور سوق حرة لتجارة الأعضاء البشرية، وحق الإنسان في امتلاك أعضاء جسده، متمثلاً في عمليات التلقيح الصناعي وأطفال الأنابيب، واستئجار الأرحام، وأهمية الجانب الأخلاقي المرتبط بهذا الموضوع[2].

***المدخل النفسي الاجتماعي"**

والى جانب ما سبق هناك **إسهامات نفسية – اجتماعية** حاولت تقديم رؤية تتعلق بإدراك الجسم الإنساني، مثل الدراسة التي قدمها "**فرانكلين شونتز Franklin Shontz**" عن الجوانب الإدراكية والمعرفية للخبرة الجسمية؛ حيث حاول أن يحدد الموضوعات الأساسية التي تعتبر مدخلاً لدراسة الإدراك والتصور الجسدي. بما يتضمنه من مفهوم الأشخاص وتقديرهم لما يملكونه من أعضاء مادية جسمية، بمعني آخر كيف ينظر الشخص إلي جسمه وأجزائه ومكوناته.

كما أن هناك بعض الدراسات التي تركز علي مكونات الجسم الإنساني وعمليات الاتصال، مثل التغيرات الجسمية بوصفها اتصالا غير لفظي – دراسة "**ميشيل أرجيل Michael Argyle**" – كتعبيرات الوجه السريعة، والأبعاد المسافية بين الأشخاص، وتأثير

(1) Franklin C. Shontz., Percetual and Cognitive Aspects of Body Experience. Academic press. New York, 1969, PP. 176-179.
(2) Russell Scott, The Body As Property, The Vinking press, New York, 1981, P. 361.

ذلك علي أشكال التفاعل من جانب وما تحمله من دلالات اجتماعية من جانب آخر. مؤكداً علي دراسة الحركات الجسدية كأفعال اجتماعية ذات معني، كما أشار لضرورة التعرف علي احتمال أن تكون بعض أشكال التعبير الجسدي فطرية، ويتم اختبار ذلك عن طريق دراسة الأطفال في ثقافات مختلفة[1].

كما وجد الجسد الإنساني اهتماماً آخر – خاصة – في دراسة الشخصية، حيث يفترض أن الجسم يحدد أو يتدخل كوسيط في التعبير عن سمات الشخص، حيث ترتبط خصائص الجسم بقياسات الشخصية، والاختلافات في الخصائص الجسدية ترتبط أيضاً باختلافات في الخصائص الشخصية. كما تعالج بعض دراسات الشخصية مكونات أو خصائص الجسد الإنساني من حيث الأبعاد والمقاييس الجسمية. وتجلي ذلك في البحوث الحديثة التي تركز علي قياس خبرة الشخص عن جسمه بوصفه كيانا ظاهريا ذا قيمة اعتبارية للفرد، ومدى رضاه عن هيئة جسمه Schemata، مثل دراسات العلاقة بين البدانة ونوعية وأسلوب الحياة، ودراسة البدانة وسمات الشخصية، ومدي رضا الشخص عن جسمه ووظائفه التي يؤديها، بمعني آخر مدي أهمية الجسم الإنساني ككيان وظيفي في حياة الفرد[2].

***المدخل الاجتماعي**

بالنسبة **للمدخل الاجتماعي** هناك **إسهامات لعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا** في مجال العلاقة بين الجسم الإنساني والواقع الاجتماعي منذ آراء وأفكار الرواد، وانتهاء بالمحدثين. فنجد علي سبيل المثال آراء وتصورات "**إميل دوركايم**" **Durkheim** عن المجتمع والتي أثرت تأثيراً بالغاً في تلاميذه أمثال: "**مارسيل موس Marcell Mauss**" و"**روبرت هرتز Robert Herts**"، حيث اتضح ذلك جلياً في إدراكهما المبكر للأهمية الاجتماعية لجسم الإنسان، فلم يكن اهتمامهما فقط في دراسة الجسد الإنساني قائماً علي افتراض أن أعضاء أي مجتمع تنمو بينهم اتجاهات مشتركة – فيما يتعلق بفهم الجسد الإنساني– تُكَوِّن معرفة مشتركة عن الجسم السليم أو الجسم المعتل أو الجسم الجميل أو المثير للشهوة، وإنما تخطى اهتمامهما ذلك إلي الاهتمام بالمعني الاجتماعي للجسد حيث لم يعد الجسد كياناً فسيولوجياً محضاً، بل أصبح هذا الكيان عاكساً لمعان اجتماعية متنوعة، تعد نتاجاً لتفاعل هذا الجسد

---

(1) Michael Argyle, The syntaxes of the body communication, In the body as a Medium of expression, Edited by Jonathan Benthalland Ted Polhemus. Alien Lane, Penguin Books, London, 1975, P. 144.

(2) Franklin C. Shontz., Op. Cit., P. 13.

بالبيئة الاجتماعية المحيطة(1).

وهذا ما دفع "**هيرتز Herts**" للاهتمام بالجانب الرمزي المتعلق بأبعاد الجسد الإنساني، خاصة في تقسيمه للجسم الإنساني إلي جانب أيمن وجانب أيسر وما يرتبط بكل منهما من رموز أعطت المجتمع الفرصة أن يصوغ حولهما تصنيفات وتعبيرات تتعلق بجوانب طقوسية عديدة، واهتمام مارسيل موس Mauss بالعمليات والميكانزمات التي يتحول عن طريقها الجسد الإنساني إلي معني مجسد من صنع الإنسان عن طريق إظهار أساليب للتعبير عن عمليات التعلم والتدريب من خلال الجسد. حيث يوضح أن المعني الاجتماعي يرتبط ارتباطاً أساسياً بالوسيط الطبيعي أي الجسم الإنساني، فهو يري أن المجتمعات دائماً تختار ظواهر مادية قائمة بالفعل وتحولها إلي شئ آخر من صنع الإنسان يحمل المعني الاجتماعي.

لقد تعددت الرؤي للعلاقة بين الجسد والمجتمع، واختلفت المنطلقات الفكرية في دراستها. فحينما ذهب دوركايم وتلاميذه لدراسة الجسم الإنساني من خلال النموذج الدوركايمي – مع تطور بعض مضامينه – نجد أن هناك آخرين تناولوا الجسد الإنساني من خلال منظورات ثقافية – اجتماعية، أمثال **بارسونز وتيرنر**.

ازداد الاهتمام بالجسد الإنساني داخل الاتجاهات الحديثة والمعاصرة وحاولت هذه الاتجاهات تجاوز الطرح الكلاسيكي لعلاقة جسم الإنسان بالمجتمع، وأخذت النظر للجسد بوصفه موضوعاً ثقافياً اجتماعياً يقوم بوظيفة، حيث يعد هذا الجسد مكوناً أساسياً من مكونات التفاعل الاجتماعي. فالتفاعل الاجتماعي لا يمكن حدوثه إلا بين كيانات اجتماعية تمتلك أجساداً وأبنية للشخصية وقدرة علي إقامة علاقات اجتماعية، وباختصار فإن هيرتز وموس قد اهتما بالجسم الإجتماعي. وجاءت من بعدهما "**ماري دوجلاس**" والتي استمرت في نفس الاتجاه، حيث بدأت بافتراض أن الجسم الاجتماعي هو الذي يحدد الطريقة التي يتم بها إدراك الجسم الطبيعي، بمعني أن عملية إدراك الجسد الإنساني الطبيعي تعد جزءاً من البناء الاجتماعي الذي يشيده المجتمع، ومتعلقاً بالواقع الفعلي، بل أن الجسم يتفوق علي أي حقيقة واقعية ندركها اجتماعياً طالما أن الخبرة الفيزيقية للجسم تعكس نظرة المجتمع الخاصة، تلك الخبرة التي يتم تعديلها وتقيمها بشكل مستمر عن طريق التصنيفات والمفاهيم الاجتماعية الثقافية التي يتم إدراك الجسد من خلالها.

---

(1) نبيل صبحي، مرجع سابق، ص١٧٠.

إلا أن **ماري دوجلاس** حاولت تطوير النموذج الدوركايمي ليتضمن الخبرة الفيزيقية للجسد، واعتبرت أن النظرة للجسم الإنساني ناتجة عن تصور مجتمعي، وننظر لجسم الإنسان من خلال تصور المجتمع له عن طريق دراسة اتجاهات الأفراد نحو هذا الجسم ومفهوماتهم عن حدوده وتصوراتهم المجتمعية والثقافية له، فهذا يمكننا من فهم أفضل يمكن أن نطلق عليه "الجسم الاجتماعي" مما يؤدي بنا بدوره إلي الوصول إلي فهم أفضل للمجتمع. وبهذا المعني يعتبر الجسم الإنساني وفقاً لوجهة نظر "**ماري دوجلاس**"، ليس مجرد جسم عام يمكن أن يدرس وتكتب عنه ملاحظات، وإنما هو نموذج محلي الصنع لتصورات مجتمعية لا يمكن تجاهلها، حيث يحصل هذا الجسم الإنساني علي معلومات من النسق الاجتماعي والذي يُعتبر الجسد أحد أجزائه. فالجسم الاجتماعي عند دوجلاس هو الذي يحدد الطريقة التي يتم بها إدراك الجسم الطبيعي، بمعني أن إدراك هذا الآخر هو جزء من البناء الاجتماعي الذي يشيده المجتمع ويتعلق بعالم الحقائق، أي أننا ننظر إلي الجسد الإنساني من خلال ثقافة وتصور المجتمع لهذا الجسم[1].

ويتفق مع هذا "**ديفيد لوبرتون**" Daivid Lebreton ، حينما يؤكد أن الجسد الإنساني ما هو إلا مرآة عاكسة للمجتمع الذي يحيا فيه هذا الجسد، حيث يعتبر حياة الإنسان – وما يملكه من جسد – ما هي إلا اختزال دائم ومستمر للعالم من حوله في جسده بمرور الزمن الذي يجسده[2].

وقد أشارت "ماري دوجلاس"، أن كلاً من الجسم الطبيعي والجسم الاجتماعي يمثل مجالاً مستقلاً للبحث يتعلق كل منهما بالجسم وتغيراته وأدائه، غير أنهما يوجدان متجاورين دون أدني تعارض، وقد أكد علي ذلك "**فان لوماكس**" **Van Lomax** في إحدي دراساته، حيث يري أن حركة الجسم الإنساني ذات علاقة بما يحمله الإنسان من عادات ومعتقدات وعلاقات الأدوار بل والأخلاق التي يعتنقها ودينه من خلال وجوده في ثقافة معينة. حيث يطرح مسألة مشابهة لما طرحته دوجلاس عن الدوافع لتحقيق التوافق والانسجام بين الجانب الاجتماعي والفيزيقي للخبرة[3].

كما وجه **جورج زيمل** الاهتمام مبكراً بالدور الجسدي في الحياة اليومية، حيث ذهب

---

(1) المرجع السابق، ص ١٧٢ .

(2) ديفيد لوبرتون : انثروبولوجيا الجسد والحداثة، ط١، ترجمة: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣، ص٥.

(3) Ted Polhemus, Social Bodies., In : Body as Amedium of Expression, Edited by Jonathan Benthall and Ted Polhemus., Alien Lane, Penguin Books, London, 1975, P. 28.

إلي أن الجسد في أثناء الحياة اليومية ما هو إلا استعمال لحواسه في ضوء أوضاع اجتماعية وثقافية محددة، وذلك من خلال حواسه المختلفة، فتلعب وسائل الاتصال والإعلام دوراً فعالاً مع الجسد، فيري أن النظرة باعتبارها أداة حاسة البصر، ما هي إلا نوع من أنواع الاتصال، فهي تشبه اللمسة، أي أنها نوع من اللمس البصري المتبادل بين الأشخاص، كما أن الصوت أيضاً يكشف من طريقته وأسلوب كلماته نوعية حضور الشخص، فيعتبر دلالة أكثر تلميحاً عنه. إذاً فالإعلام الذي يصدر عن الشخص، وتدركه الحواس هو الذي يعبر بطريقته عن الحياة الخاصة للشخص. لهذا نجد أن الحياة اليومية عند "جورج زيمل" تقدم مواصفات تعززها للأشخاص الذين نلتقي بهم، فمثلاً نجد أن النظرة تقتحم وجه الآخر بشكل مفروض، بل وتجبره علي عقد اتفاق ضمني – في نفس اللحظة – حول الشعور الذي يمكن أن يتحقق من هذا التبادل[1]. فتفاعلات الحياة اليومية تكون ظاهرة ومؤثرة علي الجسد، ونظراً لأن الحياة اليومية متغيرة بشكل دائم والاستجابات الجسدية مستمرة أثناءها دون انقطاع أو توقف، فقد تُمحى النشاطات الطبيعية للجسد عندما تُلاحق حواسه ومشاعره ومدركاته وتفاعلاته اليومية، فتزيد من اللمس البصري المتبادل، وتخترق أسماعه بأصوات لا يريدها أو يفضلها في كل وقت وتقتحم مشاعره وعواطفه الكامنة في جسده، بما يغير من تجاربه الحسية الحدسية، وإشاراته المنطلقة منها، فهو يحتاج دائماً لإعادة تشكيلها تبعاً للمتطلبات المتغيرة لهذه الحياة[2].

مما سبق نجد أن أعمال الرواد السابقين – بدءاً من دوركايم – قد اعتمدت على التحليلات الناتجة عن ظواهر الجسد ومدي ارتباطها بالعلاقات الاجتماعية وبالبناء الاجتماعي، كما اعتمد أيضاً بعض منهم علي الاتجاه الرمزي في دراسة الجسد، والذي يبحث في المعاني والدلالات والرموز التي تكمن وراء الأشياء، وعلي المدخل الظاهراتي (الفينومينولوجي) Phenomenology والذي يبحث في علاقة الفرد بالأشياء، وكيفية استجابته لها[3]، كما اهتموا بفهم الحركات والإشارات الجسدية وديناميات تفاعل الجسد في الحياة اليومية.

كما نجد **مدخلاً اجتماعياً** آخر في دراسة الجسد، قائما علي **أن الجسد هو نتاج للمعرفة التصنيفية والقوة**، حيث قدم "**ميشيل فوكو**" أطروحات خلال كتابه "تاريخ الجنسية" الذي

---

[1] ديفيد لوبرتون، مرجع سابق، ص٩٨.
[2] المرجع السابق، ص١٠٢.
[3] سامية قدري ونيس، الجسد في الدراسات السوسيولوجية، بحث غير منشور، مقدم إلى اللجنة العلمية الدائمة لترقيات الأساتذه المساعدين بالمجلس الأعلى للجامعات، القاهرة، ٢٠٠٤.

نشر عام ١٩٨١، عالج من خلالها علاقة الجسد بالعقل والتنظيم العقلاني في الحضارة الغربية، كما أشار إلي أن تاريخ الإنسانية يكشف عن أن الحضارة تقوم علي سيطرة العقل علي الرغبة، فالعقل والتنظيم الاجتماعي سابقان علي الوجود الجسدي، لذا فالجسد ما هو إلا مقولة اجتماعية[1]. وعليه فقد دعا إلى الاهتمام بدراسة الأجساد العارفة، إلي التشريح السياسي للجسد، ودراسة الجسد كعلاقة اجتماعية تخضع للضبط، ولسيطرة النظم الاجتماعية.

وفي الحقيقة إن ما جذب اهتمام كثير من العلوم الإنسانية في العصور الأخيرة هو التأكيد على أن الظاهرة الجسدية ما هي إلا ظاهرة اجتماعية بكل المقاييس، حيث تتخطى دراسة الجسد بمعناه الجهازي الضيق والذي تدرسه العلوم الطبية المختلفة فتخضعه للتجريب المعملي إلى آفاق أوسع وأرحب، متجاوزة للتخصصات. حيث تستطيع التعامل مع الجسد في حياته الواقعية، والشهوانية، والزمانية، باعتباره أداة تخارج وتعبير، واتصال بالعالم وبالآخرين. ولعل استخدام الجسد حديثاً كسلعة داخل عجلة الاقتصاد العالمي في الدعاية والإعلان، يتم في بعضها فصله عن طبيعته بل ودخوله لآفاق جديدة لم يعهدها من قبل، حيث استطاع الطب أن يتدخل في نقل أعضائه والتي أُنشئت لها بنوك، وتدخلت الهندسة الوراثية في تحديد جينات الجسد المطلوب ومواصفاته، بل واستبعاد بعضها من غير المرغوب فيه، بحيث يأتي جسداً سابق التخطيط والتصميم بل وحسب الطلب. وبعد أن استطاع العلم التدخل في تخصيب وإنتاج مواليد أنابيب خارج أرحام الأجساد، بالإضافة إلى ما وصل إليه العلم عن طريق الاستنساخ وآفاقه المستقبلية الواسعة. يمكننا القول إذاً أن كل هذا قد أضفى على الجسد أهمية مضاعفة، فهذه الثورة العلمية والتي طالت الجسد الإنساني إلى أبعد مما كان متصوراً هي التي بررت هذا الاهتمام غير المسبوق بهذه الظاهرة الجسدية.

أهم قضايا الاهتمام بالجسد

أ. الثقافة والجسد

إن الصورة التي يرسمها أي مجتمع للجسد ومكوناته، تستمد عناصرها من الرموز السائدة في هذا المجتمع. تلك الرموز التي تحدد الوظائف التي يقوم بها الجسد، وتنهض بها

(1) أحمد زايد، مرجع سابق، ص٧١.

أجزاؤه المختلفة، وعلاقاتها ببعضها البعض مما يُنتج في النهاية نوعاً من المعرفة تيسر للإنسان إدراكه بمعنى هذا الجسد ووظيفته، وما يرتبط به من فرح وما يصيبه من الهم، وهو ما يُتيح له أن يدرك حقيقة موقعه من المجتمع وعلاقته بالآخرين من حوله من ناحية، وأن يعمل ذلك متفقاً مع رؤية مجتمعه للعالم من ناحية أخرى.(١) ويمكننا تناول صور للجسد في سياقات متعددة.

إن ثقافة الجسد والحديث عنها ترتبط بمئات القضايا والمجالات والمشكلات، ومن أمثلة تلك القضايا أو المشكلات مشكلة الحب. ولقد اهتم فلاسفة اليونان القدماء بمسألة الحب ويأتي على رأسهم الفيلسوف اليوناني أفلاطون خاصة في محاورتي فايدروس، والمأدبة.

- ***لغة الجسد***

يستخدم المجتمع الإنساني لغتين فى التعبيير عن حاجاته الإنسانية، أولها اللغة اللفظية المنطوقة، وتتمثل وظيفتها فى نقل المعلومات والتعبير المنطقى، وهى لغة يمكن كتابتها وتدوينها، وآليتها الحروف اللغوية . والأخرى اللغة الجسدية، وهى لغة أكثر أنتشاراً، وأكثر صعوبة فى كتابتها، ولكنها الأكثر أهمية فى التفاعل والعلاقات الإنسانية المتبادلة بين الأفراد(٢).

وتشمل لغة الجسد **الإشارات والإيماءات** وكل مايحتمل التعبير عنه بحركة أجزاء الجسد المختلفة. والتعبير بالحركة يعد من أقدم طرق التعبير التى عرفتها البشرية، حيث وجد منذ بدء الخليقة نتيجة حاجة الإنسان للتفاعل مع البيئة المحيطة به، ويلعب التعبير الحركى دوراً حيوياً فى حياة الإنسان منذ ميلاده وحتى الموت .(٣) ويختلف المدلول الإجتماعى لهذه الإشارات والحركات من مجتمع إلى آخر وفقاً لثقافته، فلا شك أن الثقافة المصرية ذات التراكم التاريخي السحيق إنما تظهر بوضح من خلال لفتات أفرادها وحركة وإيماءت أجسادهم، كالنظرة الجادة الودودة، والتكشيرة الوهمية التى سرعان ماتنقلب إلى قهقهة من القلب لتغير الموقف التفاعلى وتقلل من أثره أو حدته، وإيماءة الرأس للتعبير عن الموافقة، واليد المستندة إلى الخصر بعد رحلة مرهقة، والود وعلاقات التعاون التطوعية، إنما تدل على ثقافة الفرد ومجتمعه(4).

---

(١) أحمد مرسي.الثقافة الشعبية والجسد،في: المحيط الثقافي،ع١٠،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، أغسطس٢٠٠٢،ص٣٨.

(٢) عبير السيد. التعبير الحركى للمرأة المصرية،ط١، مركز عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،القاهرة،٢٠٠٣،ص٧.

(٣) المرجع السابق نفسه،ص٧.

(4) هدى زكريا . مرجع سابق، ص٥٥.

وعلى الرغم من أن العديد من الإيماءات والتعبيرات الحركية بدائية الأصل، إلا أننا قد نعدل أو نغير بعض عمليات التعبير الحركى المعبرة عن حاجتنا وفقاً للمعايير الثقافية واللياقة الاجتماعية والقيم السائدة فى المجتمع . كما أننا فى بعض الأحيان قد نكتم بعض الإنفعالات في بعض المواقف الاجتماعية، حيث أن التعبير عنها قد يسبب مشكلة . كما أننا أحياناً نلطف تعبيراً حركياً آخر بأن نضيف تعبيراً آخر له حتى نحسن منه . وقد نبالغ أحياناً فى بعض تعبيراتنا الإنفعالية كما فى التعبيرات الحركية فى الجنائز والأفراح والزار.إضافة إلى أن اللغات الإيمائية توفر فرصة فريدة لدراسات الجسد خاصة التعبيرات المجازية الجسمانية وأثرها فى تطور اللغة، حيث ندين للصم بوجود هذه اللغات الإيمائية فى جزء كبير منها، فقد كان على هؤلاء أن يلجأوا إلى لغات غير لفظية تعمل على المستوى البصرى الإيمائى . وعلى عكس الاعتقاد الشائع، فليس هناك لغة إيمائية عالمية، غير أن اللغة الإيمائية تعتمد على حركة الجسد، وهو بالطبع ليس ساكناً أو متحجراً جامداً، وإنما جسماً اجتماعياً تم نحته ثقافياً باستمرارية عملية كتابة الصور الإيمائية غير المدونة [1].

- **جسد المرأة والحركات التعبيرية**

إن جسد المرأة يحمل داخله موروثاً هائلاً من الحركات التعبيرية التي تتجسد فيها كافة أنشطة الحياة، لدرجة أنه مع عدم وجود موسيقى تتحول الحركة ذاتها إلى نسق موسيقي يتميز بالتألق، معبراً عن أفكار المرأة ومشاعرها واتجاهاتها [2].

ورقص المرأة أو حركاتها التعبيرية لابد وأن تتفق وثقافة المجتمع، على أن تلتزم بالأعراف والتقاليد الاجتماعية، أى يجب أن تكون بعيدة عن الابتذال حتى لا يتم رفضها من المجتمع، ويثار حولها الشائعات . كما أن لهذه الحركات وظيفة محددة قد تكون اجتماعية، أو نفسية، أو بدنية أو دينية . هذه الوظيفة هي أهم سمة للرقص الشعبي، حيث تميزه عن غيره من أنواع الرقص الأخرى [3]. ولهذا فإن الحركة التعبيرية لدى النساء فى المناطق الشعبية إنما تقوم على فكر حركي للأفكار التي تنشغل بها وتعيش همومها وأفراحها، ثم تتم ترجمتها إلي ممارسات حركية من خلال مواقف العادات والتقاليد، وذلك على نحو ما يتم في الأفراح والجنائز والزار.

---

[1] دانييل بوفيه. تعبيرات الجسم فى اللغات الإيمائية،في: ديوجين،ع٨٦/١٤٢،اليونسكو،[د .ت]،ص٣.
[٢] نتالي باكو . لغة الحركات، تعريب سمير شيخاني، ط١، دار الجيل،بيروت، ١٩٩٥، ص٣٧ .
[3] نبيلة إبراهيم . المقومات الجمالية للتعبير الشعبى، ط١، مكتبة الدراسات الشعبية، القاهرة، ١٩٩٦، ص٦١ .

إن **التعبير الحركي فى الزار** هو الأساس رغم كل العناصر الأخرى المكونة للزار، سواء أكانت إنشادا أو إيقاعا، وتعتبر الحركة تفريغا لطاقة مكبوتة نفسية كانت أو فسيولوجية بداخل المرأة التي تقوم بالزار، فبالتالي يعتبر الزار فرصة للتفريج عن النفس[1].

ويشترك التعبير الحركى في كل من الزار و الجنائز في وظيفة هامة، وهي إطلاق الشحنات المؤلمة الحزينة، إلا أن التعبير الحركي في الجنائز يزيد على هذا بأدائه لواجب اجتماعي.[٢]

ومن المرجح أن أصل هذه الممارسات فرعوني، وربما يرجع استمرار ممارستها لأدائها وظيفة اجتماعية محددة . والمتمثلة في **حركات اللطم**، وهي الحركات التي يتم فيها حدوث إيقاع الكفين أو أحدهما علي الوجه . **وحركات الشلشلة** من الحركات التعبيرية التي تستخدم فيها أي أداة ذات لون أسود –الأصل الشال– [٣]، بحيث توضع حول الرقبة وتمسك اليدان بنهايتيها . أما **الولولة** فهى من الحركات التي تستخدم أصابع السبابة في الكثير منها، سواء أكان وضعهما أمام الصدر فى حركة تمايل يميناً ويساراً، أو كانت بتقاطع الذراعين أمام الرأس عالياً [٤]. وهي حركة جسدية تشير اجتماعياً غالباً لتنبيه الآخرين للحدث، وليكونوا شهوداً عليه، وربما تشير حركة تقاطع اليدين إلى الرفض أيضاً.

وتتضح ممارسة **التعبير الحركى فى الأفراح** التي تظهر فيها حركات الرقص البلدى المتمثلة فى تحريك البطن والصدر والمعدة.

***صورة الجسد فى المعارف الشعبية**

إن المعارف المختلفة المختصة بالجسد والتي يمكن أن تتضح من خلال بعض العادات والتقاليد الشعبية، والتي ترتكز على بعض القواعد السلوكية التي ترسم بشكل أو بآخر صورة ما للجسد. وهي بدورها معارف عن الإنسان، فإن هذه المعارف التقليدية لا تعزل الجسد الإنساني عن الكون أو البيئة المحيطة بها، بل أنها تتمفصل معه على نسيج من الاتصالات يوضح أن النفس هي تركيب من الإنسان والعالم الذي يدركه [5] فالمرأة في

---

(1) عبير السيد . المرجع سابق،ص٢٧ .
(٢) عبير السيد . المرجع سابق،ص٩ .
(٣) والشال هو الأصل الذى أشتقت منه أسم هذه الحركة .
(٤) نفيسة الغمري. في أصول الرقص الشعبي و الفرعوني، ط١، مكتبة محمد الأمين، القاهرة، ١٩٧٦. ص١٥ .

(5) دافيد لوبروتون. المرجع سابق، ص٨٢.

محاولة لتحليل الفزيولوجيا الرمزية لها في بعض المواقف البيولوجية أو الفسيولوجية تمنع من القيام ببعض أدوارها.

لقد تعددت مفاهيم الجسد أيضاً وفقاً للمعارف السابقة التي تهيمن على تفسير بعض الأمراض والاضطرابات المصاحبة والتي تعيد الوضع البشري إلى وصاية الكون وظواهره الطبيعية. فهناك معتقدات شعبية تؤمن بأن عنصراً معدنياً أو نباتياً يُفترض أن يساعد في الشفاء من مرض ما لأنه يحوي في شكله أو في طريقة عمله أو مادته بعض التشابه مع العضو المصاب أو مع مظاهر المرض على سبيل المثال(حجر اليَشْب الأحمر يفيد في وقف النزيف، والكستناء الهندية تساعد في شفاء البواسير..إلخ).(١)

إن المعتقد الشعبي ترجع القدر السيئ في المرض العضال إلى الحسد أو السحر، وتعتقد أن القائم بالسحر استطاع أن يستخدم من أجل ضمان نفوذ سحره قلامة أظافر، أو جزء من شعر الضحية أو أحد إفرازات جسده كلما توفر له ذلك، ويفترض كمُسلّمة وجود صلة بين العناصر التي كانت يوماً ما ذات اتصال بالجسد خاصة تلك المنتزعة منه، وإذا لم تتوفر فيتم العمل والسحر على دمية تشبه الضحية أو صورة له، فيؤثر فيه الشبيه على الشبيه، وغير هذا الاعتقاد وهذين الأسلوبين نجد أن الجسد قد جعل نفسه شيئا يمكن للسحر أن ينفذ إليه وينتهكه. فالجسد داخل السحر الشعبي لا يُحاصر داخل حدود جلده، ولا يعد مقطوعاً عن الشخص ذاته، بل يجسد وضعه ويبقى متضامناً مع كل المواد التي تنفصل عنه أثناء حياته، فما يؤخذ من الجسد يضمن رمزياً حدوث تأثير على وجود صاحبه وحالته(٢).

إن التصورات حول الجسد ومعارفه الشعبية إنما تنبثق من الحالة الاجتماعية العامة للجميع وخصوبته الثقافية ولرؤية العالم، فالجسد بناء رمزي وليس حقيقة في ذاتها، ومن هنا تعددت التصورات التي تسعى لإعطائه هذا المعنى من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى.

- **الأدب والتعبير عن قضايا الجسد**

عند ذكر لفظ "الجسد" في الأدب أو الرواية سرعان ما يتجه العقل إلى الجنس فقط دون التفكير في أي وظيفة أخرى من وظائف الجسد والذي يعتبر الجنس واحدا منها. ومع ظهور

---

(١) ديفيد لوبرتون.المرجع سابق، ص١١٦.

(2) Francoise Loux. Le Corps dans la Societe Tradionnelle, Paris, Levrault, 1979, P.78.

الشكل الروائي الحديث تغير الأمر وتعددت أساليب وطرق تناول الجسد.[1]

إذا تصفحنا تاريخ الأدب الحديث في العالم العربي لوجدنا أن الكتابات التي تتناول الجسد وبالأخص الكتابات النسائية في هذا المجال تعددت،حيث تناولت موضوع الجسد من أكثر من منظور فمنها من تناول القضية من منظور جنسي (العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة)، ومنها من حاول الغوص في أعماق هذا العالم المملوء بالرغبات والأسرار، وآخر سلط الضوء على العلاقات المثلية، وتجسيد الفجوة بين الجنسين. ومن هذه الكتابات من أكد على أن الجسد هو الوجود والهوية، حتى الموت فإنه يحدث على مستوى الجسد. كما ناقش الأدب في مرحلة ما فكرة استبعاد الحديث عن الحب والجنس وتحقيرهما والتعامل مع المرأة على أنها عورة، والربط بين درجة تحجب المرأة وبين اعتبار أي جزء من جسدها عورة. وامتدت الكتابات إلى العلاقة بين الألم البيولوجي والحب ومدى تأثير الانفعالات العاطفية على الجسد من الناحية البيولوجية.[2] كما تناولت العنف الممارس ضد المرأة بصوره العديدة، وتناولت أحد صور العنف الجسدي والمتمثل فى ممارسة الختان، وعبرت عنه عديد من الروايات العربية والغربية، وتناولته من زوايا شتى . ورواية "**امتلاك سر الفرح**"، إنما تتخذ من القوة الإلزامية للعادة الاجتماعية محوراً لها فى تناولها لرحلة بطلة الرواية من الطفولة إلى النضج .كما عبرت هذه الرواية عن بعض المشكلات الناتجة عن ممارسة الختان . وترى الباحثة ضرورة عرض هذه الرواية بشئ من التفصيل باعتبارها أحد النماذج الدالة على معالجة الأدب لقضايا الجسد، خاصة أنها تتناول الختان كآلية من آليات ضبط الجسد، في ضوء المشكلات النفسية والاجتماعية المرتبطة به.

تعالج " أليس واكر" " **Alice Walker** "[*] في روايتها " **امتلاك سر الفرح** " "Possessing the secret Joy"[3] قصة البطلة " تاشي" "Tashi" " وهي امرأة تنتمي إلى قبيلة " Olinka " الأفريقية وانتقالها المؤلم من رحلة الطفولة إلى النضوج. حيث قررت قُبيل زواجها من البطل Adam الأمريكي الأسود العائد إلى الولايات المتحدة، الانضمام إلى الثوار الذين يناضلون من أجل الاستقلال، وتُقرر للتأكيد على ولائها لقبيلتها ولثقافتها الإفريقية الخضوع لعملية الختان الفرعوني وهي في سن العشرين، برغم إدراكها أن العملية ذاتها قد شوهت والدتها مدى الحياة، وأدت إلى موت أختها Dora التي دفعت حياتها ثمناً

---

(١) إبراهيم فتحي. كتابة الجسد وتاريخ الرواية، في:المحيط الثقافي،ع١٠، الجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، اغسطس٢٠٠٢،ص٤٢.

(٢) جهاد فاضل. الكتابات النسائية في مواجهة الجسد،في: العربى،ع٥٠٨، الكويت، مارس٢٠٠١،ص ص١٤٢-١٤٤.

(*) كاتبة نسوية أمريكية سوداء.

(3) Alice Walker, Possessing the Secret Joy, Cape Press, USA, 1992.

لهذه العادات القبلية. وتقول البطلة "تاشي" في الرواية بعد إجراء عملية الختان لها عن السبب "*قد أردت أن تنظر إليّ القبيلة كامرأة حقيقية وتتوقف عن سخريتها مني ومعاملتي كمجرد شيء لا أكثر، كمعاملتي كأي شيء دون أن أكون أنثى أو امرأة لها الحق في حياة أنوثتها*" هذه العبارة على لسان البطلة توضح لنا مدى أهمية ممارسة هذه العادة القبلية في حياة أفرادها، فهي لا تكتسب مكانتها الإنسانية والاجتماعية واحترام الآخرين لها إلا بإجراء مثل هذه الممارسة، لكن رغبتها في استعادة كيانها الإفريقي ستحولها إلى إنسانة معاقة جسدياً وعاطفياً وفكرياً وربما تنتهي بها إلى الموت، فانتقالها إلى الغرب هو بداية ولادة مرحلة وعي مؤلمة لها، بمعنى أن تكون امرأة في عالم مُليء بالتعصب ضد المرأة والكره الكامن لها.

وما رحلتها إلى هناك إلا رحلة اكتشاف لذاتها ولجسدها ولقرارها الخاطئ الأعمى ببتر أعضائها التناسلية، ولقرار يساهم في تحويل ذاتها إلى مكانة اجتماعية تُفرض على المرأة في مجتمعها، تفقد معها ذاتيتها واستقلالها، وأيضاً صحتها النفسية والجنسية والشعورية والفكرية. وربما تكون أيضاً مقارنة بين مصيرها كامرأة إفريقية تعرضت للختان، ومصير نساء الغرب والشرق بعامة، اللواتي تعرضن ولا يزلن لأشكال مختلفة من الاضطهاد الفكري والجسدي عبر التاريخ، ولا تستعيد "تاشي" بطلة القصة جزءاً من كيانها المتبقي المنهزم إلا بعد مواجهتها في إفريقيا مع القابلة "الداية" التي أجرت لها عملية الختان والتي تقتلها أيضاً، وتفهم من خلال تجربتها الخاصة أن "المقاومة هي سر الفرح".

وتعطي رواية " امتلاك سر الفرح " بُعداً أكبر لصورة المرأة في المجتمع الذكوري فقصة الفتاة تاشي تمثل البُعد الرمزي لمرحلة انتقال كل امرأة من الطفولة إلى النضج أو فكرة استسلام النساء للذبح على مستويات مختلفة، و فكرة اضطهاد النساء بعضهن بعضاً، فكرة أمهات يفرضن على بناتهن نفس الألم والعذاب والخنوع ونقصا في أنوثتهن وبترا لمشاعرهن الأنثوية التي تعرضن له باسم الأعراف والتقاليد والدين، حيث تقول البطلة لصديقتها الفرنسية في أحد مواضع الرواية "*نحن اللواتي نلبس حزام عفة غير مصنوع من لحمنا بل من جلد أو حرير أو ماس أو من خوف، فنحن في حالة قلق دائم، نحن الشاهدات المثاليات المنومات مغناطيسياً بمعرفتنا اللاواعية لما يفعله الرجال بنا بالتعاون مع أمهاتنا* ".

وتثير هذه الرواية تساؤلاً حول فكرة هامة في التراث الشعبي، وهي عدم مناقشة الممارسات المرتبطة بالمعتقدات والعادات والتقاليد على اختلاف الأفراد وسماتهم وأوضاعهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فهم في حالة من الرفض السلبي الدائم لبعض الممارسات، إلا أن هذا الرفض السلبي ينتج أيضاً ثورة سلبية داخلية، أو ربما نتطرق لثورة حوارية دون

التطور لمرحلة الفعل. وتجعلنا هذه الرواية نتساءل عما يجعل النساء يخضعن للعبودية ويعملن على تكريسها وتدعيمها بل واستمرار هيمنتها. بدلاً من أن يتحدن معاً لرفضها وقهرها والثورة على ممارستها بالمجتمع.

فربما يكون في تشويه أعضاء المرأة الجنسية تعبيراً عن التطرف الذي يلجأ إليه المجتمع الذكوري ليسيطر اجتماعياً على المرأة، ويضمن لذاته عدم خروجها على القوانين المجتمعية_العرفية_ الصارمة التي تحكم حياتها. وربما تؤكد هذه الفكرة بعض الممارسات الثقافية، مثل ربط القدمين داخل حذاء معدني في الصين، والختان في بعض الثقافات على اختلاف نوعه، وحديثاً استغلال جسد المرأة جنسياً عن طريق عمليات التجميل والموضة السائدة، والاستغلال الاقتصادي لجسد المرأة في الإعلان، وكأن كل هذا يدعم فكرة المجتمع الذكوري بتأكيد ذكورية الرجل وجعل المرأة محظية له بالمجتمع حتى ولو كان ذلك بشكل غير مباشر، فأسطورة تحرر المرأة في بعض المجتمعات الشرقية ووصولها إلى حقوقها التعليمية والقانونية والمهنية والسياسية والمجتمعية هو الذي يحدد إدراكها بأنها لا تزال في جميع الثقافات مخلوقاً لغيره لا لذاته، وأنها لا تزال مستعبدة لمفاهيم الأنوثة الخاطئة.

تؤدي بنا هذه المناقشة إلى حقيقة مؤداها أنه مهما اختلفت الثقافات من ناحية الدين والأعراف والقوانين الاجتماعية والسياسية، إلا أنها تشترك جميعاً في أساطير عن المرأة التي تنعكس في الأدب وبعض النظريات العلمية والثقافية، فما تزال الأنوثة تجسيداً للتضاد المزدوج، عذراء/عاهرة في معظم الخطابات الحضارية، فالمرأة هي مصدر الخير والشر في آن واحد. وهي مكمن الأخلاق والانحلال الاجتماعي، وهي مبعث الإغواء والفتن، والمرأة مرآة الحضارة وناقصة عقل ودين، وهي ملاك ورجس من الشيطان، فهي في النهاية للأسف تصنف كسلعة أو نقد متداول ولا تعامل كإنسان طالما هي خارجة عن نطاق الذكورة فهي أنثى. فمازالت الذكورة في الثقافة ترتبط دوماً بالفحولة والايجابية، لذا كان من الطبيعي أن يتدخل الجانب الطبي والعلمي عبر التاريخ ليُعيد تصحيح الفكرة، ويُعيد صياغة جسد المرأة وعقلها بلغة تبدو كأنها تتدخل لمصلحة المرأة، وهكذا وإن كان مخالفاً للحقيقة، فقد أتى ثمارا اجتماعية مؤيدة للوضع غير مغيرة له، فأباحت هذه الحقيقة للمجتمع الذكوري فكرة تملك الرجل للمرأة وجسدها وإهمال ما لا يرغب فيه ليسجنها داخل جسدها مشلولة به أو فيه، وكأن جسدها الأنثوي هو وصمة عارها على مدى حياتها، يجب أن تتوارى به وتنعزل اجتماعياً، أو أن يمارس عليها هذا الحق المجتمعي الذي لا يكتفي بتشويه أعضائها فقط بل يقضي أيضاً على حقها الجنسي، كما يؤثر على صحتها الجسدية والفكرية والنفسية، وتمارس هذه العملية باسم التقاليد والأعراف أو الدين أو الموروث الثقافي بحجة المحافظة

على عذرية الفتاه وعفتها قبل الزواج، وقصر وظيفتها على الإنجاب فقط بعد الزواج، وكأن المرأة التي يرضى عنها المجتمع هي التي ضُبِطّت _أو شوهت_ جسدياً وأخلاقياً ونفسياً، وهي الصالحة للاستهلاك الذكوري فقط.

ومن تبريرات إجراء الختان كما توضحها الرواية لفتيات القبيلة هي تطهير المرأة من عضو ذكري "البظر" لتصبح كاملة الأنوثة لا أثر للذكورة أو للخنوثة فيها، وتقول البطلة "تاشي" في الرواية *" كان معروفاً لنا أن عدم خضوع المرأة للختان سيجعل أعضائها النجسة تنمو حتى تلامس فخذيها لتغدو ذكراً ".*

وعن الختان النفسي والفكري الذي لا تزال تتعرض له المرأة في معظم المجتمعات فهو ليس بأقل خطراً من الختان الجسدي، فما زالت مرحلة انتقال الفتاة من الطفولة إلى ما يسمى بمرحلة النضوج أو البلوغ تمر فيها بعملية تنشئة تقوم على تلقينها بكل ما هو غير مرغوب فيه وغير مسموح به لدرجة تسهم في إحساسها بأن أنوثتها عار وعبء عليها، حيث تشعر بوجوب عزلها وبترها وخلق سياج حولها من الممنوعات وقوانين العيب يحجبها عن الأعين المفترسة المتربصة لها، وهذا بهدف الحفاظ عليها وصيانتها لأنها أمانة رجل لم يظهر بعد هو زوج المستقبل. ما هذه التنشئة على الصعيد النفسي والفكري والجسدي إلا لتتلاءم شخصيتها مع الأدوار والمفاهيم الاجتماعية والثقافية المنوطة بها من قبل المجتمع والمفروضة عليها، والتي لا تتناسب في معظم الأوقات مع قدرتها ورغبتها وإنسانيتها، فتربية المرأة في غالب الأمر تهدف إلى جعلها سلبية، ضعيفة، معتمدة على فكرة الرجل في وجودها، غير واثقة من نفسها. ويؤكد تلك الفكرة تعليق اوليفيا "Olivia" إحدى شخصيات رواية واكر على التغيير الذي طرأ على شخصية "تاشي" بعد إجراء عملية الختان لها، مبينةً أن ختانها لم يكن جسدياً فحسب، وإنما نفسياً مما أثر على أعماقها وأحاسيسها وفكرها أيضاً، وأتضح ذلك جلياً بعد سفرها إلى الولايات المتحدة مع زوجها وتركها لقبيلتها حين تقول *" كان مفجعاً بعد وصولها إلى الولايات المتحدة أن أرى السلبية التي بدت على تاشي، فحركاتها التي كانت دائماً متناسقة وواثقة وسريعة متلائمة مع شخصيتها المفعمة بالحياة، غدت رشيقة فقط، بطيئة وربما مترددة، حتى ابتسامتها لم تعد تمنحها لأحد قبل أن تفكر ملياً، كان من الواضح لكل من تجرأ على النظر إلى عينيها أن روحها قد تعرضت للضربة القاضية، فروحها قد ختنت، وربما أُغتُصبَت بهذا الفعل".*

وتوضح لنا الرواية أن الختان كان يجري في الغرب في الولايات المتحدة وأوروبا في منتصف القرن التاسع عشر وحتى العقد الثالث من القرن العشرين، ولكن كان بمنطق

علاجي حتى وإن كان المنطق مغلوطاً كما أتضح بعد ذلك[1]، فتربط الرواية بين المخنثات والشواذ وبين تلك الممارسة التي أُجريت في الغرب من خلال لقاء " تاشي " بـ " إيمي ماكسويل" "Amy Maxwell" وهي إحدى ضحايا الختان الذي كان يمارس في الغرب تحت شعار"مصلحة المرأة" لمعالجة الهستيريا والعادة السرية، وبعض حالات الجنون والشذوذ، وعدم إذعان الزوجة لرغبات زوجها، كما كان يجري لمعالجة العاهرات والنساء اللواتي أنجبن أولادا غير شرعيين، أو تعرضن للاعتداء الجنسي أو الاضطراب النفسي كنتيجة لذلك، وتقول إيمي لبطلة الرواية *" أنا لست الوحيدة المضارة في هذا، كانت هذه العملية تجري على كل من تمثل خطراً على الصورة السائدة عن المرأة كمخلوقة سلبية، عذراء وبريئة جنسياً ليست لها مطالب".* وعلى سبيل المثال كان الطبيب إسحاق بيكر براون"Isaac Baker" يعتقد أن إيجابيات معالجة الهستيريا بالختان كثيرة فهي لا تجعل المرأة خانعة وسلبية فقط وإنما تكفل تحولها لامرأة "حقيقية" لأنه لا أهمية للأعضاء التي تبترها، لأنه لا علاقة لها بالوظيفة الأساسية للمرأة، وهو الدور الإنجابي[2]. وكأن المرأة خُلقت كأداة إنجاب فقط، فالمرأة وفقاً لهذه المفاهيم الثقافية الخاطئة، تحت رحمة جسدها.

وتعد رواية واكر من روايات أدب الجسد المناهضة لعادة ختان الإناث والموروث الثقافي القائم على القهر الجسدي للأنثى في المجتمعات الذكورية. إذ أننا نستقرئ من بين سطورها مقولة هامة مؤداها أن حكم العادة والخضوع للتقاليد والعادات الاجتماعية، والضغط المجتمعي، والموروثات الثقافية، أقوى فى حكمها والتزام الأفراد بها من الإرادة الشخصية، والعقل، والإدراك حتى والرفض لها.

ب. الجسد و الحركة النسوية: من السيطرة إلى التحرر

ظهرت **الحركة النسوية** كحركة اجتماعية في انجلترا في القرن الثامن عشر، ومر الفكر النسوي بثلاث مراحل فكرية تطورية منذ ذلك الحين وحتى الآن، كانت المرحلة الأولى حينما قامت حركة اجتماعية وسياسية تدعو إلى المساواة بين المرأة والرجل، وتدعو إلى تنبيه المرأة بحقوقها ومطالبتها بها[3]. ثم أصبح مصطلح الحركة النسوية يشير في تسعينات القرن الثامن عشر إلى مجموعة النساء والرجال الذين قادوا حملة الدعوة إلى منح المرأة حق الانتخاب، والحق في التعليم وممارسة المهن الفنية العليا. وبعد حصول المرأة على حق الانتخاب

---

(١) كورنيليا الخالد. الختان الجسدي للمرأة،في: مجلة أنهار، ملتقى الهيئات لتنمية المرأة، ع٤، يونية ١٩٩٨، ص ص٤٤-٤٩.
(٢) محمد فياض، البتر التناسلي للإناث:ختان البنات،ط١،دار الشروق، القاهرة،١٩٩٨، ص ٥٢.
(٣) سوثورنام. الموجة النسوية الثانية، في: سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ع٤٨٣، القاهرة ٢٠٠٢،ص٥٧.

(عام١٩٢٠ في الولايات المتحدة، وعام ١٩٢٨ في بريطانيا) بدأ الصراع واضحاً داخل صفوف الحركة بين الداعين إلى المساواة في الحقوق بين النساء والرجال في الحياة العامة، والاعتراف باختلاف الرجال عن النساء، وبين الداعين إلى تحسين أوضاع النساء في الميدان الخاص (الحياة الخاصة) للأسرة.(١)

وجاءت المرحلة الثانية والتي يُطلق عليها النسوية الجديدة حينما تخطت الأفكار قضية المساواة والمناداة بحقوق المرأة وجاءت كنتاج للتغيرات الاجتماعية والسياسية الحادثة في ستينيات القرن العشرين، وتميزت بوعي راديكالي حاد وواضح أكثر من المرحلة الأولى(٢)، وإن ظلت تنطوي على قاسم مشترك بينها وبين المرحلة التي تسبقها، وظهرت حركات للدفاع عن المرأة في كل بلد تقريباً، وعلى نطاق عالمي من خلال العقد الذي كرسته الأمم المتحدة للمرأة ١٩٧٥-١٩٨٥.

وكانت المرحلة الثالثة والتي أطلق عليها البعض " ما بعد النسوية " والتي واكبت التحولات الاجتماعية والسياسية التي حدثت في العالم في ظل العولمة Globalization، وهي المرحلة التي انبثقت من داخل النسوية الجديدة مجموعة من النساء الأمريكيات والبريطانيات أخذن يهاجمن النسوية على اعتبار أنها يشوبها كثير من القصور أدى إلى عدم قدرتها على التعامل مع مشاكل المرأة الحياتية النفسية والجنسية، فجاءت قاصرة في قدرتها على التعامل مع مفهوم المرأة وحياتها وخبراتها اليومية.(٣)

وتعتبر مرحلة **ما بعد النسوية** مشروعا ذا طبيعة نظرية بالأساس، حيث يصبح نسقاً معرفياً تعددياً مكرساً لإبطال أنماط التفكير التي ترمي إلى العمومية. حيث انبثق مصطلح ما بعد النسوية نفسه من قلب وسائل الإعلام في الثمانينيات ليشير إلى إحساس التحرر من الأيديولوجيات المقيدة للحركة النسوية في مرحلتيها السابقتين والتي أصبحت غير مواكبة للعصر الحالي(٤). وقد أكد هذا المعنى معجم أكسفورد الوجيز في طبعته التاسعة حيث عرف ما بعد النسوية بأنها: " ما يتعلق بالأفكار والمواقف وما إليها والتي تتجاهل أو ترفض الأفكار النسوية التي تميزت بها الستينيات من القرن العشرين والعقود التالية "(٥)، وهي سمة تشترك فيها "ما بعد النسوية" مع قرينها اللغوي "ما بعد الحداثة" والتي توصف أساساً بأنها شيء غير

(١) جوردون مارشال. موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، المجلد الأول، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ع٢٥١، ٢٠٠٠، ص ص٦٤٦-٦٤٧.
(٢) سوثورنام.المرجع السابق،ص٥٧.
(٣) سامية قدري ونيس. الجسد في الدراسات الأنثربولوجية،المرجع السابق.
(٤) سارة جامبل، المرجع السابق،ص٨٦.
(٥) نفس المرجع السابق،ص٧٨.

محدد المعالم.

لقد تأثرت الحركة النسوية Feminism بأفكار وآراء "**ميشيل فوكو** " حينما اعترض على الثنائية التقليدية (الجسد/العقل) والتي تعتبر الجسد تابعاً للعقل، وطرحه لفكرة الجسد باعتباره شيئاً مركزياً من خلاله تتشكل علاقات القوة، ومن خلاله أيضاً تلاقي هذه العلاقات المقاومة. وارتبطت الحركة باختلاف مراحلها الثلاث بأفكاره على أساس أن التنظير للجسد عادة ما يتعلق بالمرأة على وجه الخصوص، فجنسها هو الجنس الذي عهدنا الربط بينه وبين الجسد[1] علاوة على ذلك رأى بعض أنصار النسوية أنه لا يمكن للنظرية النسوية أن تتبلور وتتضح من دون دراسات الجسد الأنثوي _ جسد المرأة _ ودون النظرية لن يكون هناك وجود لجسد حديث. لذا اعتبر الجسد الأنثوي موضوعاً للاهتمامات النسوية في العديد من حالاته الاجتماعية كالحمل، والولادة، والإجهاض، وحالات الأمومة، والجنس..الخ، فإنه لن يتشكل تاريخ نسوي للمرأة الحديثة والمعاصرة دون هذه الدراسات وغيرها والتي ربما تكشف في وقت ما تزييف هوية جسد المرأة في ثقافة كل مجتمع من المجتمعات.[٢] على الرغم من أن أعمال **فوكو** ليست أعمالاً نسوية الطابع في أساسها إلا أنه قدم للاتجاه النسوي مقولات جديدة للتفكير في الطرق التي يتمّ بها السيطرة على المرأة (وهي أحد اهتمامات هذا البحث) في ظل النظام الأبوي.[٣]

كانت المرأة في بعض المجتمعات والثقافات الشرقية ملكا للرجل بوصفها تجسيداً لقيم الذكورة، وجسدها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بظروف وجوده كجسد شكلته المنظومة الثقافية للمجتمع من أعراف وتقاليد وأخضعته القوانين للتكبيل والقمع والرقابة، وحاصرته الظروف المادية والثقافية، فظل أسير العلاقات العائلية والأسرية، ليظل حبيساً لها إلا من خلال ما يسمح به المجتمع من تمثيلات اجتماعية. فظل **جسد المرأة** خاضعاً لسلطة مزدوجة، السلطة العامة المتمثلة في النظام المجتمعي الثقافي السياسي والأيديولوجي القائم، وسلطة النظام الأخلاقي في المجتمع وهي سلطة خاصة[٤]، ثم تطور وتحول الاهتمام النسوي بجسد المرأة من كيفية السيطرة عليه في ظل النظام الأبوي، إلى اهتمام بفكرة تحرير الجسد انطلاقاً من فكرة أن الجسد له سلطه ذاتية على نفسه بعد أن يتحرر مما يقمعه.

---

(1) فيونا كارسون. النسوية والجسد، في: سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، مرجع سابق،ص١٧٧.
(2) Jane Long et.al, Foreign Identities, Bodies Gender and Feminist History, International Specialized book services, USA, 1997, p.9.
(٣) سارة جامبل. مرجع سابق،ص٣٤٤.
(٤) سامية قدري ونيس، مرجع سابق، ص١٢.

ج- هوية الجسد فى سياق العولمة

إن اهتمامات علم الاجتماع بقضية الهوية تضفى عليها طابعا إشكاليا بصورة تتجاوز المعانى المبسطة للهوية فى المجتمعات التقليدية القرابية بروابطها الاجتماعية القوية، ونظرتها الشاملة الثابتة، تلك التى توفر لأعضائها هوية واضحة وثابتة وغير ملتبسة . ففى إطار العولمة بتجلياتها المختلفة فى التجارة الرشيدة، والتقسيم المتنامي للعمل، ونمو المدن، وحدوث الحراك الاجتماعي، أصبحت الروابط الاجتماعية ضعيفة وأصبحت الأيديولوجيات والمفاهيم التي كانت سائدة محل شك.

فالهوية تصبح إشكالية عندما تتزايد الاختيارات، لقد فاقم التصنيع هذه الاتجاهات، ومع مجئ الاستهلاكية جاء عدد من الهويات غير الواقعية، وبنهاية القرن العشرين فإن الثقافة الشعبية ثبتت مجموعة مثالية كمراكز لأشكال واسعة للصحة والجمال والموضة جاءت واعدة ومبشرة بهويات براقة وشئون جنسية ذات نشوة وابتهاج وشجع ذلك أشكال مختلفة من الاستهلاك لترفيه الذات والجسد وفرت العديد من الهويات المحددة بالاستهلاك وترف الحياة.(١)

أصبحت الثقافة من اهم الصناعات المعولمة بل والمتطورة في النظام العالمي الجديد، فالصناعات الثقافية مثل صناعات التسلية والاستعراض وصناعات الثرثرة والصداقات عبر الانترنت والفيديو كليب، الأغاني الراقصة التي تلعب علي الوتر الجنسي بصفة خاصة ..الخ، أحدثت هزة هائلة في عقول ووجدان شعوب العالم الثالث، واطاحت بالنظم الأخلاقية السائدة وأثرت في تكوين الشخصية وفي الهويات القومية.

و**العولمة** المعاصرة مع ضغوطها في الزمان والمكان وتعددية عوالم الحياة قد أثرت مرة ثانية وكان لها تأثيرات اجتماعية وثقافية وذاتية لتشجيع التحولات في الذاتية والهوية، وخلقت العولمة قوى ميزت الهوية وجعلتها متجانسة، وفي هذا السياق أوضح **كاستلز** Castells أن الهويات في مجتمع العلاقات يمكن أن يؤدى إلى مقاومة ومعارضة المجتمع، وتشريع الوضع الراهن، وتوضيح تصورات جديدة، وتشجع وتغذية هويات معينة غريبة معبر عنها في مشاهد مختلفة لافتة للنظر كالألعاب، وأسلوب الحياة القائم على اللذة والمتعة.

. ويمثل ذلك لحظات من عملية سيطرة على الهويات باعتبارها آليات ثقافية ذات مرجعية

---

(1) Lauren Langman , Culture , Identity and Hsegemony : The Body In Global Age , In: Current Sociology , Edited by Ulrike schuerkens , Social Transformations Between Global Forces And Local Life Worlds , Vol . 51 , No . ¾ , May / July 2003 , PP. 223 – 247 .

ذاتية، ولحظات مكملة للذات موضحة في صور روتينية، وأداء ينشئ ذوات متجسدة في هويات يومية منبثقة تتحقق في أماكن عديدة.

خلال العقود القليلة الماضية وبفضل العولمة ظهرت مع ذلك تطرفات سلوكية فى تحوير الجسد، والتى تُحول بصورة راديكالية الجسد الى بيئة فنية، وعارضة تظهر عضوية الفرد كبدائى معاصر يعيش فى الثقافة المضادة للمعاصرة، والتى تحوى الكثير من الرموز المختلفة والمتطرفة عما هو سائد، وهى تعبير عن الغضب تجاه الثقافة المسيطرة وانكار ثقافة المجتمع الأصلى الغالب.

يمكن ملاحظة إشكاليات الهوية المعاصرة في ارتباطها بالجسد من خلال المناقشات الدائرة حول العلاقة بين الأساطير والهويات المسيطرة، و طرق المقاومة لها.

مع قدوم **نظرية العولمة** فإن مسائل الهوية أدمجت الأجساد التي يمكن أن تكون مجنسة، أو قومية، أو عنصرية منظمة، حيث تكون كل ثقافة مهتمة وشغوفة بصور وممارسات الأجساد، وربما تشمل هذه مثاليات عن الجمال، والقواعد والمعايير الخاصة بالنظافة، وكشف الجسد وعرضه، وهذه المعايير تؤثر على كيفية ممارسة تجربة الجسد في الحياة اليومية وكيف يتم تمجيده في الطقوس والشعائر الغريبة، وتبدأ الهوية الذاتية للفرد مع تجنيس ووضع الجسد وتمركزه في أنساق وصفية متدرجة في المجتمع، وما الأزياء والملابس، والزينة إلا رموز للهوية منذ أن تتمركز في الفاعل سواء داخل أو خارج جماعة معينة، ومع هذا فإن البناءات الاجتماعية للتجسيد والفعل الجسدي هي عناصر جوهرية للهويات الثقافية المتحولة والمتغيرة عن طريق القوى العالمية .(١)

وفي أي مجتمع من المجتمعات فإنه يمكننا النظر إلى الزي، وأدوات تزيين الجسد باعتبارها محدداً من محددات **الهوية**، ويعتمد هذا الزي على بعض المتغيرات مثل العمر والجنس والمهنة، ويشير ذلك إلى بعض المؤشرات مثل المكانة الاجتماعية، ويتسع النطاق الدلالي للزي يشمل المجتمع بأسره في حالة التعبير عن الصراعات الطبيعية أو الثقافية بين أفراد هذا المجتمع، وينعكس ذلك في كتابات زيميل Simmel الذي أكد أن الحُلىّ سواء كانت رخيصة أم ثمينة فإنها تتجاوز نطاق كونها أشياء مادية بل هي تعكس ذاتية الفرد وتضخيمه لذاته، والذي يأتي أحياناً على حساب الآخرين.

كما يمكن فهم التعبيرات المختلفة لتغيير الجسد بصورة مبالغ فيها علـــى أنهـــا بمثابـــة

---

(1)Suescottand David Morgan. Body Matters, Essays on the Sociology of the Body, the Falmer press, London, 1993, p.69.

توضيحات وتفصيلات لهويات المقاومة التي ترفض القهر والإذعان الجوهري للحداثة، فإن التغيرات الجسدية يمكن فهمها على أنها تعبير عن نفور فعال ورفض للثقافة المهيمنة مـن خلال الإيمان بعملية مضادة للمدنية والتي تبشر باستعادة مرحلة مفقودة من القهر ورغبـة غير مقيدة، وفى الثقافة الغربية فان أشكال تغيير الجسد مثل الوشم قد اعتبر نمطيا بمثابـة ارتداد للممارسات البدائية[1].

د- الجسد وما بعد الحداثة

إن الجسد ذاته قد تحول إلى عمل فني، والفرد يصبح نوعا ما فناناً عن طريق تحويل جسده إلى قطعة من الفن[2].

و في ظل ثقافة ما بعد الحداثة يمكن فهم الوشم والوخز بمثابة تعبيرات عن القوة، فيها يصبح الجسد ذاته وسيطا لتفضيل الهويات التي تثبت ما هو غريب وشاذ، وبطبيعة الحال فإن الغرابة والشذوذ تتوقف على نظرة الآخر الذي وصفه **سارتر** بأنه الخصم بعينه، لأنه يحول الأنا إلى سجين في عين الآخر، وأصبحت النظرة عند سارتر سلطة تملك للآخر تتعدى نطاق مظهره لتستولي على إرادته وكيانه تماماً. ولذلك كانت الحرية بالنسبة لسارتر هي بمعنى ما تحرر الأنا، أو تخارجها عن الآخر.

ويؤكد Walter Benjamin أن فصل الفن والجسد عندما يعاد إنتاجه آليا يفقد خصائصه الفريدة ويرى أن إعادة الإنتاج الميكانيكي مكنت من دمقرطة الثقافة وتعددية التفسير. أما Jessica Benjamin في أسلوبها ومنهجها التحليلي النفسي على ماسوشية الأنثى فإنها تفترض أن النساء تتحمل الألم والإهانة في سبيل إن تجنى التقدير وفى تحليلها للرواية الأدبية قصة فإنها تصف كيف أن البطلة قد خضعت طواعية للعبودية الجنسية والانحطاط لكي تحصل على التقدير وتفترض إن الكتاب يتحدث في قضايا واقعية والتي يمكن للمرأة إن تواجهها اليوم فإذا اشتركنا معها فإننا يمكن إن نرى انه بالنسبة للرجال أو النساء، أن يقوم بتزيين جسده هو أن تدعى الإبداع وتطالب بإبداع متجسد للذات وعلى الرغم من إن هذا يتضمن الألم فإن الألم تعبير عن القوة والتقدير والشمول.

وبقدر ما يكون رأس المال العالمي قد حل محل العديد من التيارات الثقافية فان الم

[1] Op,cit,pp.240-241.

[2] Ibid,pp.241-243

التغيير يصبح وسيلة لخلق الم المرء الخاص والتحدث عن الألم بدلا من كونك تتألم يحول السلبية إلى ايجابية عن طريق السيطرة على الألم، الانطباعات، والانفعالات التي تصنعها التحولات على الآخرين.

يُكتب تاريخ الجسد الإنساني في العالم الغربي منذ عصر النهضة الصناعية من خلال تأثير متزايد للتقنية العلمية والتي تجعل الإنسان متميزاً عن سائر الكائنات الحية، والتي تحولت لتجعل في النهاية الإنسان أداة لها، أو تُقدم منتجات تفصل الإنسان عن بيئته الطبيعية، فقد نجحت التقنية المعاصرة وأدواتها في أن تجعل الإنسان أثيراً لها، فقد قدمت لنا صورة لمطالب الجسد الإنساني هي علاقته بالمكان بما يحويه من أدوات حديثة ضرورية له، لهذا فقد انسحب البعد الرمزي من الجسد الإنساني، ولم يكن يبقى منه إلا مجموعة من الأعضاء، والتي يتم النظر إليها بوصفها آلات يمكن ترتيبها والتعامل معها وفق محك تقني، بحيث تحل محل وظائف محددة، وكما يتم تجريد الجسد من إنسانيته واختزاله في مادة ما وتفريغه من طابعه الرمزي، فإنه فُرِّغ أيضاً من بعده الأخلاقي، وأصبح يتم النظر إليه بوصفه غُلافاً تابعاً يقع مجموع سماته وصفاته تحت رؤية تناظرية أعضائه للأدوات التكنولوجية، ويتجلى هذا التصور في أفلام الخيال العلمي الغربية، خاصة المتعلقة بحروب الكواكب أو إعمارها، فتقدم صورة الأشخاص القادمين منها في هيئة أعضاء مادية مصنوعة من المعدن وتفتقد للبعد الإنساني.

وهذا ما بينه ليوتارد[1] J.F Lyotard في توصيفه لثقافة ما بعد الحداثة، حيث أصبح لديه التصور الميكانيكي للإنسان وقابلية أي شيء للتحديد الكمي هو ما يميز الوضع الثقافي للإنسان في منظومة الثقافة الغربية، فلقد جعل التقدم التقني العلمي والفراغ الأخلاقي من الجسد البشري سلعة أو شيئاً. حيث ساعدت الأجهزة الإعلامية ومهدت لهذا التصور لتضفي طابعاً موضوعياً على الجسد الذي لم يكف عن الظهور في الميدان الإعلامي العملي والاجتماعي، وأصبحت الصورة التي يأمل فيها العلم هي إمكانية إعادة إنتاجه تقنياً، مثل أفكار الهندسة الوراثية للأب والأم. كما أصبح الجسد مثل قطع غيار الآلة وأصبح بيع الأعضاء البشرية سوقاً للتجارة وليس وسيلة لإنقاذ حياة الإنسان كما كان في البدء. فكلما فقد الجسد قيمته الأخلاقية ازدادت قيمته التقنية والتجارية، وأصبح النظر للجسد _ بمعزل عن الإنسان وإنسانيته_ كسلعة تجارية نادرة، وجاء نتيجة لتطورات الطب والبيولوجيا مثل عمليات زراعة الأعضاء، والأرحام المؤجرة وتجارة الأجنة وبنوكها، وعمليات التجميل

(١) رمضان بسطاويسي محمد. فلسفة الجسد: إدراك ما لا يمكن إدراكه، مجلة القاهرة،ع يناير١٩٩٥،ص ص ١٦٨-١٧٤.

وغيرها[١] مما فتحت معها الطريق أمام ممارسات جديدة يتم الإعلان عنها، فأصبح للجسد سعر نقدي كسلعة كي يستخدم في استعمالات عديدة في البحوث الطبية والبيولوجية، لدرجة جعلت أحد العلماء يتنبأ بأن قطع غيار الأعضاء البشرية وتجارتها ربما ستقوم بمنافسة صناعة قطع غيار السيارات، وستكون بنوك قطع الغيار الآدمية بالمستشفيات تنافس مراكز قطع غيار الآلات والسوبر ماركت.[٢]

مما سبق نجد أن الجسد الإنساني لم يعد معقلاً أساسياً للفردية والذاتية والإنسانية، وإنما يتم التعامل معه كأنه موضوع للبحث جامد ومجرد، ولم يعد يعبر عن الهوة البشرية، وإنما ينظر له بوصفه تجميعاً لأعضائه وملكية يمكن أن تنقل وتبدل وتبدل وشرطها الأساسي فسيولوجي، شرط توفر التوافق الحيوي بين نسيج من ينقل منه إلي من ينقل إليه. إن الفكر المعاصر في بعض جوانبه يحاول اختزال الإنسان إلى مجرد آلة أو جسد في صورة أداة، ضد فطرة الإنسان.

٢- الفينومينولوجيا ودراسة الجسد

يشير مصطلح الفينومينولوجيا إلى الظاهراتية أو توجه الوعي نحو موضوعه باعتباره ظاهرة، ويوجد اتفاق على أن مفهوم الفينومينولوجيا مرتبط بفلسفة Husserl, هوسرل، وهيدجر، Merleau - ponty, Heidegger و ميرلو بنتي ومفكرين غربيين آخرين. وفي مفهومه الأوسع فإن الفينومينولوجيا معنية بطبيعة التجربة أو الخبرة والمعرفة والعلاقة ما بين هذين، بالإضافة إلى حالة من الكينونة في تجريب الواقع، ومع هذا فقد اتجه إلى التركيز على إدراك العالم بالحواس وتجربة الكينونة في الجسد.

ولقد سارت على خطى ذلك عدة دراسات معاصرة منها دراسة Csorda عن المفهوم الأصلي عن التجسيد، والذي يُعد واحداً من احتمالية فينومينولوجية، فإنه يجذب الانتباه إلى الإنسان لكونه موجودا في العالم بكل ما يحويه وليس كونه مجرد جسد، وبصورة مماثلة فإن Lawrence Cohen و Robert Desjarlais يعرضان نماذج للإثنوجرافيات التي تنشغل بالجسد على مدار الأنماط الأخرى من الخبرة بدون الانغماس المفرط في الجسد.[٣]

---

(١) نوال علي أحمد. زراعة الأعضاء البشرية من منظور اجتماعي: دراسة انثربولوجية في المجتمع المصري، أطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الاجتماع،٢٠٠٣.

(2) Vance Packard. L'nomme remodele ,in: http://www.wikipedia.org/wiki, 18/4/2004.

(3) Murphy Halliburton: Rethinking Antheropological Studies of the Body: Manas and Bodaham in Kirala, American Anthropologist, Vol.104, No,4, American

ويستخدم **Manas** الفينومينولوجيا لكي يشير إلى كيف أن الفرد يعانى على مستوى الوعي والشعور/ العقل والجسد وككائن حي، ولأن كل ثقافة لها أسلوبها لترتيب أولويات وأنماط التجربة والخبرة والتي من خلالها يتفاعل الأفراد مع العالم المحيط، ويفترض انه لا توجد فينومينولوجيات متعددة ويدرك أنها متكونة تاريخيا وثقافيا وبالتالي فإن أسلوبه يختلف عن بعض العلماء الذين أرسوا الأساس للدراسات الفينومينولوجية في الانثروبولوجيا بأساليب مختلفة فعلى سبيل المثال في افتراض منظور فينومينولوجى وبدلاً من منظور عقلي يبدو أن جاكسون يفترض أنه توجد فينومينولوجيا واحدة وعلى النقيض فان **مانس Manas** يؤكد على الحاجة في الأنثروبولوجيا إلى اكتشاف فينومينولوجيا محلية أو موضعية والتي يفهمها باعتبارها تنشأ عن طريق النظريات التحليلية المحلية للخبرة والتجربة المعاشة، وإنها يفترض أنها تؤثر كل منها على الأخرى لدرجة ما(1).

بدأ الاتجاه الانثروبولوجي لدراسة التجربة الحية الجسدية في الثمانينيات، كنتاج لتصحيح الدراسات المبكرة التي أدركت التجربة اليومية بصورة أولية في ضوء العقل، من خلال الافتراضات والمزاعم عن ثنائية الغرب (العقل/الجسد)، وقد أثر هذا الاتجاه على العديد من مجالات البحث الانثروبولوجي ودراسات اللغة ودراسات ما قبل التاريخ فى علاقتها بالثقافة المادية؛ ومع هذا فإن هذا الأسلوب التحليلي غالبا ما يُعمم بصورة غير ملائمة فيما يتصل باللاغربيين مقترحا بأنهم يركزون التجربة في الجسد وينقصهم الالتفات إلى ما يوجه ويميز هذا الجسد وهو العقل(٢)

وهناك إحدى الدراسات التي تلقي الضوء على هذه النزعات عن طريق تقديم عرض فينومينولوجي لسكان كيرالا جنوب الهند والذين يصيغون تميزات ما بين الجسد والعقل والوعي والحالات الأخرى من الكينونة وقد ركزت بصفة تفصيلية على المرضى العقليين والأفراد الذين تستحوذ عليهم الروح في كيرالا والذين يظهرون نماذج عديدة لا عقلانية وغير ملموسة من التجربة والخبرة(*). والتي بالفعل تمثل مستويات أكثر من التخلخل أو الروحانية بعيدا عن الجسد أكثر مما هو متضمن في ثنائية العقل / الجسد الغربية، وهذه التعبيرات العامة عن المرض في كيرالا هى تفسيرات مستمدة من الفلسفة الهندية عن الجسد والعقل والوعي و النفس / الروح الفعلية وبؤرة التركيز تشير أنها تقع على متصل والذي يتحرك من الجسد إلى الأجزاء الأقل مادية من الشخص . وتوحى بعض الاختيارات من الفلسفة الهندية واستخلاصات من مقابلات الإخباريين بفينومينولوجيا في كيرالا والتى لا ترجح صدى الثنائية الغربية العقل/ الجسد ولكن تشمل الجسد والحالات

Anthropological Assosiation, December, 2002, p.1125.

(1) Op, cit, pp. 1125-1126.

(2) Op, cit, p. 1123.

(*) يقصد بالخبرة هنا: الحالة الشعورية الراهنة كما يخبرها الشخص.

العديدة المتزايدة اللامادية المتصاعدة وتتأجج في ذات عليا لا شكل لها.[1]

إن عددا من الدراسات في أواخر الثمانينيات قد تعرضت لخبرات النساء عن تشيئ أو **تجسيم الجسد الأنثوي** وهى بؤرة اتسعت لتشمل فروعا عديدة وعلوما شتى بما في ذلك الأنثروبولوجيا، الأدب والفلسفة وقد أخذت بها صياغات مختلفة للنظرية البنائية وما بعد الحداثة وعلى الرغم من أن هذه الدراسات اتجهت نحو التركيز على الجسد كموضوع للتحليل فقد بدأ الآخرون في التنبؤ بنموذج التجسيد وهذا النموذج اخذ الخبرة من كينونة في الجسد كنقطة بداية له، وتحول بعض الأنثروبولوجيين إلى تحليل الإحساس على سبيل المثال بينما حاول الآخرون تحديد أنثروبولوجيا تجريبية [2]

٣-اتجاه دراسة القيم

يعد مجال دراسة القيم من أكثر مجالات البحث الاجتماعي تشعباً، حيث تتخلل القيم كل مكونات الحياة الإنسانية، وتتحكم في حياة الأفراد الاجتماعية، فلا يوجد سلوك إنساني ليس وراءه قيمة تضبطه أو تصيغه، فالقيم جزء من كل موقف تفاعلي، والفعل الاجتماعي ما هو إلا فعل موجه بالقيم[3] التي تتبدى في أطر معيارية. وحيث إن القيم أطر مثالية يصاغ السلوك الواقعي في ضوئها، فهي من الاتساع بحيث تستوعب التغيرات والتأثيرات المجتمعية الآتية من داخل المجتمع أو التهديدات الخارجية للقيمة. فتكون القيم نسقاً مفتوحاً يستوعب التوجهات القيمية الجديدة بالإضافة أو المقاومة. وتتأثر درجة استقرار النسق القيمي في المجتمع بدرجة استقرار المجتمع أو مواجهته لما يحدث به من تحولات اجتماعية اقتصادية[4] قد تنعكس على النسق القيمى فتصيبه بأشكال من التناقض الداخلي، أو تصل إلى وجود بعض من الاختلال النسقي. وتأتى أهمية القيم الاجتماعية من تحديدها لقواعد السلوك الإنساني، وضبطه أو قمعه، وربما صياغته في أحيان أخرى، وتأتى أهميتها أيضاً من دورها وقدرتها في تحقيق تماسك المجتمع، وقد أكد عديد من علماء الاجتماع على هذه

(1) Op, cit, pp. 1123-1124.
(2) Op,cit, pp.1123-1124

[3] أحمد زايد. المداخل النظرية في دراسة القيم: نحو مدخل نظرى لدراسة قيم العمل في المجتمع القطرى، في: التحولات الاجتماعية وقيم العمل في المجتمع القطرى، اعتماد علام وآخرون، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، الدوحة، ١٩٩٥، ص ٨٦.

[4] أمال عبد الحميد محمد. القيم الأخلاقية للمرأة: دراسة متعمقة لقيمة العفة والشرف، في: المرأةو المجتمع وجهة نظر علم الاجتماع، علياء شكرى وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٨، ص ٢٣٨.

الأهمية.

لقد عالج **أميل دوركايم** القيم في حديثه عن القواعد الأخلاقية للمجتمع والتي من خلالها يمكن التعبير عن شكل التضامن القائم به، حيث تشكل القواعد الأخلاقية الضمير الجمعي والتي تستمد قوتها من قدرتها الإلزامية[1] وتهتز هذه القواعد في حالات الأزمة التي تظهر في فترات التغير السريع، الأمر الذي يخلق نوعاً من عدم التكيف بين هذه التغيرات وتقبل الضمير الأخلاقي للمجتمع لها[2]، ومن ثم فالقيم كأحد الأطر المعيارية للضبط الأخلاقي تلعب دوراً بارزاً في التنشئة الاجتماعية للأفراد والتي تؤثر بدورها على توجهات وثقافات الإنسان نحو جسده، وسوف يظهر بوضوح فيما بعد في ثنايا هذه الدراسة خاصة في العلاقة بين الثقافة المحيطة بمفهوم العذرية والقيم الأخلاقية التي تمارس تأثيراً في هذه الثقافة.

وفي الوقت الذي أرجع فيه **ماركس** القيم الأخلاقية إلى الوجود المادي للمجتمع والمتمثل في علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج فإن **ماكس فبر** تعامل مع القيم على أنها أطر معيارية وأبنية لكنها غير منظورة، كما يظهر ذلك في دراسته عن الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية. واعتبر **بارسونز** القيم أطراً معيارية هامة ذات قدرة ضابطة في بناء نسق الفعل، حيث تقوم بضبط الطاقة الواقعة في بناء الشخصية، وتنظم العلاقات الاجتماعية، وتحدد الأدوار[3].

ونظر الاتجاه النقدي إلى القيم بنظرة شمولية، واعتبر أن ما يهدد النسق القيمي يأتي من داخل المجتمع، وطغت القيم المادية على القيم المعنوية، وسادت الحياة نظرة مادية عقلانية يرد إليها كل شيئ بالمجتمع[4]، حيث ظهر مفهوم "تشيؤ القيم". وفي ضوء ذلك اخترقت أيديولوجيات السلطة إلى ذوات الأفراد وقيمهم الاجتماعية والأخلاقية عن طريق أساليب الاتصال، واستبدلت بقيم المجتمع قيما مادية وفردية. ولعبت المؤسسات التربوية للتنشئة الاجتماعية – كالأسرة والمدرسة – دوراً في غرس نوعيات محددة من القيم المتفقة وسياسة المجتمع، كالقيم التسلطية مثلاً في نفوس النشأ.[5]

---

[1] فتحي أبو العنين. الثقافة العالمية: ملاحظات حول آليات الهيمنة، في: المجتمع المصرى في ظل متغيرات النظام العالمى، الندوة السنوية، قسم الاجتماع، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٩٥.

[2] أمال عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

[3] أحمد زايد، مرجع سابق،ص٩٥.

[4] أمال عبد الحميد. مرجع سابق، ص٢٤.

[5] أحمد زايد، مرجع سابق، ص

وفي ضوء الأطر النظرية المختلفة السابقة من خلال المناقشات النظرية التي تمت في هذا الفصل، سوف تتناول العذرية كاستراتيجية ثقافية تتأثر بالمحددات والسياقات الثقافية للمجتمع المصري، على الرغم من أن ذلك لم يمنعنا من تناول البعد القيمي، والأخلاقي، حيث تقبع خلف السلوك وتحدد الأفعال، وتعمل على ضبط سلوك الأفراد وخاصة المرأة، فهي الحاملة فيزيقياً لقيمة الشرف موضع العذرية، والتي تتشكل من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وتسهم فيها العديد من المؤسسات الاجتماعية، أهمها الأسرة، والمدرسة، وجماعة الرفاق، ووسائل الإعلام، وفي ظل التغيرات الثقافية الواسعة النطاق التى يتعرض لها المجتمع المصرى، وفي ظل نظام العولمة، وعصر الحداثة وما بعدها، والثقافات الوافدة، والغزو التنافسي وقنوات فضائية، والإنترنت، فإن المجتمع في طياته يحمل ثقافات متعددة تكثل الازدواجية بين الوافد والموروث، وتتضمن قيماً متضاربة ومتناقضة مع قيم المجتمع الأصلية والتي ربما تميل إلى التقليدية، مما ينتج معه تخلخلاً قيمياً، وفي ضوء ذلك **يقوم المدخل النظري للدراسة على عدة دعائم وقضايا نظرية تتمثل في:**

– في ظل الثقافة الحديثة أصبح الحضور الخارجي للجسد من خلال وسائل التجميل والرياضة أهم من الضبط الداخلي للجسد، كما خضع الجسد ذاته للكثير من أشكال الضبط والمراقبة، بدءاً من قيود الملابس، والحركة، وقيود مفروضة على الحديث والعلاقات بالجنس الأخر، وانتهاءً بإجراء ختان الإناث كآلية من آليات ضبط الجسد.

– أن هناك أبعاداً للتحكم في الجسد تتمثل في أنظمةً داخلية وأخرى خارجية، حيث تحدد النظم الداخلية محدادات فسيولوجية داخلية تؤسس الأخرى الخارجية التي تحددها اعتبارات ثقافية.

– أن تحليل أساليب التحكم في الجسد، وشكل حضور هذا الجسد في الحيز الاجتماعي يؤدى بنا إلى تحليل ثقافته، قيمه، وبعض عاداته.

– أن الموقف الثقافي لضبط جسد المرأة والتحكم فيه إنما يرجع للسلطة الأبوية، حيث تتوقف سوسيولوجيا الجسد على التقسيم النوعي (الجندر)، فتفسر سيطرة الرجل على المرأة من خلال التناقض بين العامل الفسيولوجي والعامل الثقافي، حيث ترتبط دائما بأدوارها الجنسية والتناسلية، مما ينتج معه تصنيفات الذكورة والأنوثة الشائعة في مجتمعنا.

وأخيراً أطروحة حديثة وهي أن الجسد البشرى يمكن أن يكون محوراً جيداً لفهم التحولات الثقافية والمجتمعية، فالتحولات التي طرأت على المجتمع والتي ترتبط في معظمها

بما يسمى بأزمة ما بعد الحداثة، تلك الأزمة التي فرضت قضايا اجتماعية جديدة تأتى في مقدمتها قضايا المرأة، ومن ثم الاهتمام بالجسد، والذي يعكس اهتماماً بصحته الدافعة على النشاط وبناء المجتمع، كما يعكس في نفس الوقت دعوة إلى التحلل من الروابط التقليدية التي تكبح الجسد ليحقق أعلى درجات تمرده وفوضته وثورته ومن ثم فردانيته.

الفصل الثاني

العذرية في الدراسات المصرية والغربية

الفصل الثاني

العذرية في الدراسات المصرية والغربية

القسم الأول: دراسات العذرية

مقدمة

الدراسات العربية:

- العفة والشرف في المجتمع المصري.
- الخيانة الزوجية.

الدراسات الأجنبية:

- إدراك الوضع الجنسي لدى الشباب من الجنسين .
- أهم أسباب المحافظة علي العذرية.
- العذرية في علاقتها بالملكية والمكانة.
- أيديولوجية العذرية.
- العذرية وعلاقات ما قبل الزواج

القسم الثاني دراسات الختان

مقدمة

أهم الدراسات حول الختان في المجتمع المصري

- قراءة في الدراسات المسحية/ الإحصائية لواقع الختان فى مصر
- ختان الإناث: دراسة اجتماعية
- قادة الرأى وقضية الختان
- الختان فى قرية (دير البرشا)
- الختان فى واحة سيوة
- موقف الأطباء من ختان الإناث
- خاتمة

القسم الأول: دراسات العذرية

مقدمة

يسعى هذا الفصل إلى مناقشة الجدل المطروح حول العذرية في الدراسات السابقة لتعميق رؤيتنا حول موضوع الدراسة، ومعرفة التراث النظري له. وهذا سوف يساعد على بيان الإسهام الذي يمكن أن تطرحه الدراسة الحالية من شواهد جديدة حول مضمون العذرية ودلالاتها بالتطبيق على واقع المرأة المصرية ، فإذا نظرنا إلى مجمل المناقشات الدائرة حول العذرية بأبعادها الثقافية والاجتماعية في المجتمعات الحديثة والتقليدية، فسوف نلاحظ قدم من الإهتمام بموضوع العذرية بإعتبارها فضيلة تؤكدها النظم الأخلاقية في كافة المجتمعات .

كما نلاحظ أيضا ندرة في الإهتمام بالعذرية فى أغلب الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة . ربما يرجع ذلك إلى ارتباط قيم العذرية بأوضاع تقليدية تجاوزتها المجتمعات الغربية في خضم التغيرات الحديثة والمتسارعة. ومع ذلك فقد عادت دراسات العذرية من جديد مع موجات الإهتمام بالجسد من ناحية ومع تزايد الإهتمام بدراسات المرأة في المجتمعات الغربية وكذلك المجتمعات الحديثة. ولما كانت ممارسات الختان تشكل أحد آليات ضبط العذرية فسوف نعرض لبعض الدراسات التى أجريت حول الختان من هذا المنطلق .

وينقسم هذا الفصل الى قسمين : الأول يعرض للدراسات العربية والأجنبية للعذرية ، والثانى يعرض لبعض دراسات الختان. وفيما يلى نوضح ذلك بالتفصيل.

أولا: دراسات العذرية

إذا تأملنا أغلب الدراسات السابقة فسوف نلاحظ أن المعنى الثقافى السائد فى المنطقة العربية للعذرية لا توجد بشأنه إلا دراسات قليلة ، بينما يكثر الحديث نسبياً عن العذرية فى التصور الغربى والذى يرتبط بالإمتناع عن ممارسة الجنس خصوصاً فى مرحلة المراهقة. وإذا كانت الدراسات العربية تربط مفهوم العذرية بالإناث فإن المعنى الغربي للعذرية ينطبق على الذكور والإناث معاً. من هنا تأتى أهمية عرض ومناقشة نتائج تلك الدراسات للإستفادة بها فى تعميق فهمنا لمعنى العذرية وطرق دراستها . وفيما يلى نعرض للدراسات العربية والأجنبية فى هذا الصدد.

أ. القيم الأخلاقية للمرأة: دراسة متعمقة لقيمة العفة والشرف

تهدف "**دراسة أمال عبد الحميد**"[(1)] إلى رصد قيمة العفة والشرف باعتبارها العمود الفقري للقيم الأخلاقية، فهي لا تمس أخلاق المرأة فحسب وإنما تمتد لتشمل المجتمع ككل مروراً بالأسرة والنسق القرابي وأيضاً لما لهذه القيمة من دور في نسق الضبط الاجتماعي غير الرسمي والتي تعد دعامة أساسية في تضافر بعض القيم الأخرى في الامتثال لها في التماسك المجتمعي ، حيث الاهتمام بدراسة القيمة من منظور ما يجب أن يكون- كنمط مثالي- وما يحدث بالفعل – كنمط واقعي- عبر متصل الامتثال والانحراف.

- **الإطار التصوري:**

توضح الدراسة أن هناك العديد من الصياغات النظرية العامة لتناول القيمة بالدراسة من خلال تأكيد بعض رواد علم الاجتماع على أهمية القيم في تحديد قواعد السلوك وضبطه، وقدرتها على تحقيق التماسك في المجتمع مثل **دوركايم، وماركس، وماكس فيبر، وبارسونز.** حيث تعرض الدراسة لآرائهم المختلفة وتوجهاتهم النظرية، وتنتهي إلى إمكانية رؤية قيمة العفة والشرف كإطار معياري مثإلي حيث تمثل قيمة أخلاقية مهمة تحدد الأفعال وتضبط سلوك المرأة فهي تؤدي وظيفة التماسك في النسق الأخلاقي مما ينعكس بدوره على تضامن المجتمع.وتتشكل القيمة من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية بمؤسساتها المختلفة_ الأسرة، المدرسة، وسائل الإعلام _ كما توضح كيف تتعرض تلك القيمة لبعض التهديدات الواقعة عليها نتيجة لبعض الظروف الاقتصادية الناتجة عن التحولات والتغيرات السريعة والحادة أحياناً التي طرأت على بنية المجتمع في ظل إدماجه في النظام الرأسمإلي العالمي الجديد، وتغلغل الثقافة الرأسمالية التي تحمل قيماً مختلفة تتصارع مع قيم المجتمع التقليدية.

ومن المنطلقات النظرية السابقة يقوم تحليل المادة الميدانية على بعض القضايا النظرية المتعلقة بالقيم والضوابط الاجتماعية، وخاصة رؤية القيمة عبر متصل متدرج يقع بين طرفي قضيتي الامتثال والانحراف، ذلك في ضوء نظرة بنائية شاملة.

---

(١) أ) أمال عبد الحميد محمد. القيم الأخلاقية للمرأة: دراسة متعمقة لقيمة العفة والشرف، في: المرأة والمجتمع : وجهة نظر علم الاجتماع، علياء شكري وآخرون،ط١،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨.

- **مشكلة البحث:**

تتمحور مشكلة البحث حول قضية أساسية مؤداها أن قيمة العفة والشرف تعد دعامة أساسية في منظومة النسق القيمي، تتحدد من خلال أبعاد دينية وثقافية وقانونية كأطر مثالية لها، وتصاغ في الواقع من خلال عملية التنشئة الاجتماعية. هناك ثمة تهديدات واقعة على هذه القيمة، قد تدفع بالأفراد إما إلى لتمسك بها أو الخروج عن بعض المقتضيات أو الانحراف التام.

وتصاغ مشكلة البحث في **التساؤلات** الآتية:

- ما الأبعاد الدينية والثقافية والقانونية التي تدعم القيمة ؟
- ما دور التنشئة الاجتماعية في غرس القيمة ؟ وما التهديدات الواقعة عليها ؟
- ما أشكال الانحراف عن القيمة ؟ وما أسباب الانحراف ؟
- ما ميكانزمات التحايل على القيمة ؟

- **الإجراءات المنهجية:**

تتخذ الدراسة من المنهج الانثربولوجي منهجاً رئيسياً بأساليبه وأدواته المختلفة مثل الملاحظة ، والملاحظة المشاركة، والمقابلة المتعمقة، ودليل جمع المادة الميدانية، كما تم الاستعانة بالإخباريين.

- **المجال البشري والجغرافي والزمني:**

طُبق البحث على عشرين أسرة أُختيرت ليتمثل فيها التنوع الطبقي، ونمط الأسرة، مع التأكد من وجود أبناء في تلك الأسر خاصة الإناث الأطفال والبالغات. كما قامت الدراسة الاستطلاعية على عينة من تلميذات المدارس وطالبات الجامعة، تم توزيعها بواقع خمسين تلميذة(مدرسة إعدادي)، خمسين تلميذة(مدرسة ثانوي)، مائة(طالبة جامعية)، تراوحت أعمارهن بين١٢:٢٢ عاماً. وقد تم اختيار الأسر في نطاق حي حضري واحد*، والدراسة الاستطلاعية تمت في أحياء حضرية داخل نطاق القاهرة الكبرى. وقد استغرقت الدراسة الميدانية عاماً ونصف العام، منذ يونيو١٩٩٤ حتى نهاية ديسمبر ١٩٩٥.

---

* نظراً لحساسية البحث فقد قامت الباحثة بتجهيل أسماء مجتمعات الدراسة سواء المتعمقة أو الاستطلاعية، ذلك حفاظاً على خصوصية تلك المجتمعات.

- **نتائج البحث:**

توصلت الباحثة لعدة نتائج ناقشتها من خلال أربعة محاور رئيسية وهي:

- **القيم بين الثقافة الرأسمالية وخصوصية القيم المصرية:**

إن اجتياح الثقافة الرأسمالية العالمية الوافدة للمجتمعات النامية إنما يُحدث داخلها تغيرات سريعة وحادة، تؤثر بدورها على النسق القيمي لها مما يظهر معه مفهوم الهلع أو الذعر الأخلاقي Moral Panic ، كنتيجة منطقية للغزو الثقافي الرأسمإلي الوافد وما يحمله من قيم جديدة تهدد القيم المحلية، والذي يتبدى في العديد من المشكلات أبرزها السلوك المنحرف خاصةً لدى فئة الشباب. حيث أن إدماج المجتمعات في النظام الاقتصادي العالمي الجديد لا يقتصر على المجال الاقتصادي فحسب بل يمتد إلى النسق الثقافي القائم بالمجتمع. حيث تخلق التطورات العالمية أساساً جديداً لثقافة عالمية جديدة، يساعد على نموها التطور الهائل في وسائل الاتصال الجماهيري. حيث تلعب وسائل الإعلام دوراً مهماً في تناول قضايا المرأة والنوع، وتبث معها قيماً مخالفة لقيم المجتمعات الشرقية، كالقضايا المرتبطة بالحرية الجنسية والتي تكون مرفوضة في مجتمعاتنا وثقافاتنا والذي من شأنه أن يؤثر على النسق القيمي للمجتمع، إما بمقاومة القيم الأصيلة للتيارات الثقافية الوافدة والمغايرة لها من خلال آليات الضبط الاجتماعي ودورها في التماسك القيمي، أو بإنتاج تشوه قيمي لدى الأفراد وربما خلق ازدواجية قيمية. ولا يعني ظهور القيم السلبية انهيار القيم الايجابية بل إنها تتوارى ولم تختف كليةً، فهيمنة قيمة على أخرى إنما يتأتى وفقاً لظروف كل مرحلة تاريخية.

- **تعريف القيمة وأبعدها :**

عرضت الباحثة للتعريف القاموسي لمفهوم العفة والشرف وما يرتبط به من بعض المفاهيم الأخرى عند المرأة مثل "العرض" و "الحياء". ثم عرضت لمعنى العفة والشرف عند حالات الدراسة موضحةً أن مفهوم العفة كقيمة اجتماعية له جانبين:

الأول يتعلق بمقتضيات القيمة يتبدى في التزام المرأة بمجموعة من قواعد آداب السلوك والتي من خلالها تتم المحافظة على القيمة، والثاني جانب فيزيقي يتمثل في ضبط شهوات المرأة بالحفاظ على عذريتها حتى الزواج والاستمرار في صون عرضها بعد الزواج.

كما أن ثمة **أبعادا دينية وثقافية وقانونية** للقيمة، تتضافر معاً لتعمل على حمايتها وإعلائها. فمن الناحية الدينية تعد قيمة العفة والشرف دعامة أساسية في النسق الديني تحرص عليها الأديان السماوية، خاصة وأن القيمة كانت تُعتلى أيضاً في الجاهلية إلى حد

إباحة قتل الأطفال الإناث خشية إلحاق العار بأهلهم، إلى أن جاء الإسلام وحرم وأد البنات، ووضع ضوابط صارمة لحماية القيمة وفرض عقوبات ثابتة على من يهدرها سواء كان رجلاً أو امرأة ، كما أوضح بعض مقتضيات القيمة للحفاظ عليها.

كما جاء النسق الثقافي مدعماً لما ورد في النسق الديني بتضمنه للمعايير والقيم الأخلاقية التي تحدد مكانة المرأة في المجتمع وما يرتبط بها من قيمة العفة والشرف، حيث تضرب بجذورها في التراث الثقافي المصري الذي يحمل في طياته العديد من المضامين الثقافية التي تعمل على إعلاء القيمة واستمرارها، حيث تفرز الثقافة رموزاً وميكانزمات تحيط القيمة بسياج من المحرمات من أجل الامتثال بها، حيث ترتبط القيمة غالباً بالجانب الفيزيقي المرتبط بدوره بالأنثى- والمتمثل في غشاء البكارة- .

ويحفل التراث الثقافي بالعديد من العادات والتقاليد التي تعمل على الحفاظ والإعلاء من القيمة، مثل عادة ختان الإناث إذ يُعتقد أن ممارسة تلك العادة إنما هي لضمان استمرار تمسك الأنثى بالقيمة، كما يدعم ذلك بعض التفضيلات الثقافية مثل تفضيل الذكور الزواج من "البكر" وحثهم وتنشئتهم على ذلك، وما يصاحب ذلك من طقوس ثقافية مرتبطة بالعفة.

كما يدعم البعد القانوني ما جاءت به الشرائع السماوية. فصيغت بعض المواد القانونية التي تعمل على الحفاظ على القيمة من خلال فرض العقوبات لحماية الأنثى من بعض الأفعال التي قد تخدش القيمة أو تهدرها، كتجريم خدش الحياء، وهتك العرض، والاغتصاب، وتشديد العقوبة لمرتكبيها، كما تصدى أيضاً لطائفة من الأفعال التي يُعد اقترافها انتهاكاً للأخلاق العامة، كالإغواء والتحريض على ارتكاب الفحشاء أو تسهيل ذلك. فهكذا يعمل القانون على حماية القيمة من خلال العديد من المواد القانونية لعقوبة من يخدش القيمة أو ينتهكها.

- القيمة بين التنشئة والتهديدات الواقعة عليها:

تناولت الدراسة ذلك من خلال تتبع تنشئة القيمة عبر دورة حياة المرأة، موضحةً ما أكده كل من **دوركايم وبارسونز** على أهمية التنشئة الاجتماعية في استدماج الفرد في القيم التي تحدد له قواعد السلوك وتضبطه، إذ يتم في سياق تلك العملية تُلقن القيمة التي تنظم السلوك وتشكل الاتجاهات. ففي مرحلة ما قبل الزواج -ويقصد بها مرحلة الطفولة، والبلوغ، والمراهقة- أوضح البحث الميداني أهمية التنشئة الاجتماعية في غرس قيمة العفة والشرف والتي من خلالها يتم رسوخ القيمة ومواجهة ما تتعرض له من تهديدات، وأوضحت نتائج البحث تساوي كل الشرائح الاجتماعية في غرس القيمة، خاصة في تنشئة الإناث حيث ترتبط

القيمة في النسق الثقافي بالجانب الفيزيقي.لذا تُلقن الفتيات بعض قواعد وآداب السلوك التي تتشكل من خلالها مقتضيات القيمة، مثل تلقينهن بعض آداب الحديث التي يجب أن تتحلى بها مثل الحياء والعفاف والصوت المنخفض، والبعد عن الألفاظ غير اللائقة. غير أن هناك بعض التجاوزات وفقاً لعلو الشريحة الاجتماعية ، وأيضاً من آداب الجلوس العامة والتي تتمسك بها كل الشرائح الاجتماعية، جلوس الفتيات بشكل لا يظهر مفاتن الجسد أو العورات ويزداد التنبيه على هذا الأمر كلما تدرجت الفتيات في العمر، وكلما كان هناك ذكور بالغين.

كما تحرص الأسرة على تلقين الفتيات بعض آداب اختيار وارتداء الزى والذي تحرص الأسر على اتصافه بالاحتشام أو ستر العورة، وتتشدد الأمهات في ذلك كلما تدرجت الابنة في العمر، ووجد هذا النمط من آداب الزى في مختلف الشرائح الاجتماعية متجاوزاً مع بعض الأسر التي لا تعير اهتماماً لذلك، بل تترك الفتيات يرتدين الملابس التي تتمشى مع الموضة حتى وإن كانت لا تتلاءم وطبيعة متطلبات الزى في الثقافة المصرية.

كما **خلصت الدراسة** إلي أن أهم ما تلقن الأسرة للفتيات في هذه المرحلة هي العلاقة مع الجنس الآخر، فتحدد قواعد للسلوك من خلال غرس مفهومي الذكر والأنثى وترديد ذلك على مسامع الأبناء في سن مبكر، ولا يقف التلقين عند حد التوجيه على مستوى المعنى فقط، بل يمتد إلى الجانب الفيزيقي من خلال الرموز الثقافية، خاصة في الشريحة الوسطى والدنيا.

ويتطور التلقين الآمر إلى تلقين مقنع خاصة في مرحلة البلوغ وإجراء بعض الممارسات المرتبطة ببعض العادات الثقافية كإجراء ختان الإناث والذي يتم إجراءه في أغلب الشرائح الاجتماعية ويزداد في الشريحة الوسطى والدنيا. حيث يرتبط هذا الإجراء بمفهوم أخلاقي محفز لإجراء الختان، حيث تعد هذه العادة بمثابة طقوس العبور من مرحلة الطفولة إلى البلوغ والمراهقة.

أما في مرحلة ما بعد الزواج لا يقف تلقين القيمة في مرحلة ما، وإنما يستمر توجيه الأم حتى بعد خطبة الفتاة أو عقد قرانها. إذ تفرض قواعد سلوكية على سلوك الخطيبين وإن كانت هناك بعض التجاوزات يعد زواج الفتيات إثبات لتمسكهن بالقيمة، وتكشف لنا طقوس الزفاف عن بعض جوانب الممارسات الثقافية التي تعمل على إعلاء القيمة ورسوخها مثل "زفة الشرف" . ولا يقف هذا الأمر في حفاظ المرأة على القيمة عند حد الزواج بل يمتد إلى ما بعد ذلك، إذ تتحول القيمة إلى منظور ثقافي آخر وهو ما يعرف بصون العرض، حيث تفرض الزوجة على سلوكها بعض الضوابط حفاظاً على القيمة حتى مع من هم من طبقات

المحارم. كما يشارك الزوج في إنماء القيمة لدى الزوجة من خلال فرض الضوابط على سلوكها ومظهرها وعلاقتها بالجنس الآخر.

- **الانحراف الاجتماعي: الأشكال، العوامل، ميكانزمات التحايل:**

أوضح البحث أن ثمة أشكالا للانحراف عن القيمة تنتشر بين كل الشرائح الطبقية تتدرج من الخروج عن بعض مقتضيات القيمة دون أن تهدر كليةً. سواء كان هذا الإهدار متعمداً كإقامة علاقة جسدية مع الجنس الآخر- وهو النمط الأكثر انتشاراً، أو مع نفس الجنس- جنسية مثلية- أو إهدار غير متعمد كإتيان بعض السلوكيات أثناء لعب الأطفال من الجنسين معاً " لعبة العريس والعروسة " وما تحويه من سلوكيات تخدش القيمة نتيجة إدراك الأطفال سلوكيات الكبار.

ويظهر هدر القيمة من خلال نوعين ؛ أولهما انتهاك القيمة في ظل نوع من الشرعية، كأن يتم انتهاك القيمة كلية بين الخطيبين في غياب رقابة الأسرة وتحت مظلة الشرعية ، والنوع الثاني هو الانتهاك في ظل عدم الشرعية حين تتجاوز المرأة الحدود المسموح بها في علاقتها مع الرجل من خلال أشكال من الارتباط غير الرسمي كستار الحب وانتهاء باحتراف الدعارة والبغاء.

وقد أوضح البحث الميداني أن ثمة عوامل تتضافر معا لتدفع إلى الخروج عن مقتضيات القيمة وانتهاكها تتمثل في العوامل الاقتصادية مثل أزمة الزواج والطموح المادي والفقر، والعوامل الاجتماعية والثقافية، كالافتقار إلى التنشئة الاجتماعية أو اختلالها من خلال فجوة الأجيال أو التغيرات الثقافية الحادة في المجتمع، أو عدم اتساق مصدر القيم، أو التفكك الأسري، أو عدم التوافق الزواجي بالإضافة إلى وسائل الإعلام وما تبثه والذي يؤدي إلى حدوث صراع قيمي بين الوافد والتقليدي.

وتخلص الدراسة إلى البحث فيما يكون الحال عند فقد القيمة أو هدرها كليةً، فتتطرق إلى القتل ، أو التوجيه أو اللوم والعتاب انتهاء بالانتحار، وهناك من يلجأ إلى الزواج بنوعية الموثق الرسمي، والعرفي غير الموثق، كما يلجأ البعض لبعض التحايلات الشعبية خاصة في الشريحة الوسطى والدنيا حيث تلعب الداية دوراً كبيراً في هذا الصدد يوم الزفاف، ويلجأ البعض الآخر إلى الطب الرسمي لإجراء الإجهاض أو إعادة ترقيع غشاء البكارة. وتأتي المعالجات الطبية الشعبية والرسمية بغرض إضفاء قيمة الستر وعدم الفضيحة، فلا يمثل الخروج عن القيمة بأية حال ظاهرة في حالات فردية، لذا تفرز ميكانزمات للتحايل على القيمة يدعمها النسق الثقافي والطبي.

ب.الدراسات الأنثربولوجية المصرية للعلاقات الجنسية:

يبدو أن الدراسات السوسيولوجية والأنثربولوجية عادةً ما تكون بعيدة عن الحديث في الجنس إلا فيما ندر. باستثناء دراسة واحدة، أجرتها **إلهام عشماوي**[1] عن "الانحرافات الأسرية والخيانة الزوجية من قبل الزوجات"، وتعتبرالدراسة الوحيدة-في حدود علم الباحثة- التي أجريت على المجتمع المصري باللغة العربية، وعلى يد باحثة مصرية.

تنظر هذه الدراسةإلي الخيانة الزوجية على أنها ظاهرة من ظواهر الانحرافات الأسرية في المجتمع المصري، فتلقي الضوء على الانحرافات الأسرية بصفة عامة وكذلك الزواج كشكل من أشكال العلاقات الاجتماعية التي تحدث من خلال الظاهرة، حيث رأت أنه يعد مدخلا مقيداً لفهم ظاهرة الخيانة الزوجية في المجتمع فعرضت لمفهوم الزنا في علاقته بمدلول الخيانة الزوجية.

- أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن الأبعاد المختلفة للظاهرة موضوع الدراسة ، والوقوف على الآثار المترتبة على حدوث الظاهرة على الأسرة ككل. كما تهدف أيضاً إلى محاولة الوقوف على ثغرات العلاقة الأسرية ومشكلاتها التي تساعد أو تسبب حدوث الظاهرة.

- أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في تناولها لظاهرة غير أحادية الجانب، وإنما قد تمتد أضرارها للأسرة ككل، بل والمجتمع بأسره، حيث يترتب عليها أمراض اجتماعية كثيرة، كالطلاق والتفكك الأسري. كذلك ترجع أهميتها إلي قلة البحوث والدراسات العربية حول هذا الموضوع، وفي محاولة الباحثة تقديم رؤية نقدية لنظريات الانحراف الغربية، وأخيراً الوقوف على أسباب الظاهرة، ومن ثم وضع تصور لحلولها.

- **تساؤلات الدراسة:**

---

[1] إلهام فرج عشماوي. الإنحرافات الأسرية في المجتمع المصري: دراسة ميدانية بالمؤسسات العقابية لظاهرة الخيانة الزوجية، أشراف/ سامية الخشاب، أطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الاجتماع، ١٩٩٥.

تعرض الدراسة لعشرة تساؤلات ما يهمنا في عرضها هنا تساؤلان فقط يتماسان مع دراستنا الراهنة، وهما:

-هل يوجد متصل انحرافي بين انحراف الفتاة قبل الزواج وبين خيانتها لزوجها بعد الزواج، وإن وُجد فما هو الدليل على ذلك؟

-هل تؤثر عملية الختان التي تجرى للزوجة على حدوث الظاهرة أو الإكثار منها؟

- **منهج البحث وأدواته:**

استخدمت الباحثة منهج دراسة الحالة وأدواته مثل دليل المقابلة، والملاحظة، واستمارة البحث. وتضم الاستمارة أبعادا مختلفة كالبيانات الأولية ، وبيانات عن البعد الاجتماعي، والبعد الاقتصادي ، والبعد الطبي والفسيولوجي، وبيانات عن البعد الثقافي والقيمي، والبعد النفسي، والبعد الديني.

- **المجال الزمني للدراسة:**

تم إجراء الدراسة الميدانية خلال فترة ثلاث سنوات من عام ١٩٩٠ : ١٩٩٣.

- **المجال البشري للدراسة والعينة:**

أجريت الدراسة على نزيلات سجن القناطر من النساء المسجونات في قضايا الزنا فقط، والمتهمات في قضايا الزنا بنيابات القاهرة الكبرى، ولم يتم الحكم عليهن بعد.

كما طبقت استمارة البحث على عينة من النساء قوامها ١٠١ حالة ، كما أجريت دراسة الحالة على ٥ حالات، وقد تم اختيار العينة وفق مجموعة من الشروط التي وضعتها الباحثة.

- **نتائج الدراسة:**

أوضحت نتائج البحث والخاصة بأثر ختان الإناث على الخيانة الزوجية:

- أن نسبة ٧٦,٢% من إجمالي العينة قد تمت لهن عملية ختان في الصغر.
- أن نسبة ٥١,٥% من اللاتي لهن اكثر من صديق بعد الزواج غير مختتنات ، وأن نسبة ٤٨,٥ % منهن كن مختتنات، ويدل التقارب بين النسب على عدم تأثير الختان على عملية الخيانة الزوجية -وإن كان في دراستنا الراهنة أتضح تأثيره على وجود علاقات حسية قبل الزواج، ومن ثم تأثيره على العذرية البيولوجية والسلوكية.

- ترى "إلهام" أن النتيجة السابقة تؤكد عكس ما يعتقد فيه الكثير من الأسر المصرية من أثر الختان على تقليل الرغبة الجنسية عند المرأة، حيث أوضحت المبحوثات أن هناك حاجة جنسية لوجود أكثر من صديق في حياتهن. كما ترى الباحثة أن هذه النتيجة يمكن صدقها لأن الختان لا يؤثر على الرغبة الجنسية، وإنما يقلل من الاحساس بالمتعة في أحد مراحل العملية الجنسية، كما يجب أن تصحح هذه النتيجة المفاهيم الخاطئة لدى الأسرة المصرية.

- إن عملية الختان للزوجة تؤثر على استقبالها للعملية الجنسية، مما يؤثر في بطء استجابتها ووصولها لقمة النشوة والاحساس أثناء الجماع وهي مرحلة Orgasm فإذا كان الجماع الجنسي يمر بمراحل أربع وفقاً لهذه الدراسة، ولأقوال الأطباء الأخباريين في دراستنا الراهنة، فإنه غالباً ما تمر الأنثى بالمرحلتين الأوليين فقط وهما مرحلتي الإثارة Excitement، والرغبة الجنسية الشديدة Platau، ثم تجد صعوبة لاجتياز المرحلة الثالثة وهي قمة النشوة والمتعة Orgasm، ومن ثم في الوصول إلى المرحلة الرابعة وهي العودة والاستقرار RESOLUTION ، وهو ما ينتج معه -في بعض الحالات- نوع من الإحباط الجنسي لدى المرأة، والذي يمكن أن يتحول إلي مرض نفسي جنسي، خاصة في حالة التعامل الخاطئ من الزوج تجاه زوجته المختنة -خاصة إذا كان الختان من نوع الختان الجائر، من النمط الثاني أو الثالث.

ومن **أهم نتائج الدراسة** خاصة فيما يتفق ونتائج دراستنا الراهنة، أويمس أحد أبعاد وموضوعات الدراسة:

- أن الختان ليس مرادفاً للعفة. وأن للعفة أبعاداً متعددة، من أهمها البعد الديني والبعد الأخلاقي، وليس البعد البيولوجي كما يعتقد الكثيرون.

- كما توصلت الدراسة إلي وجود متصل انحرافي بين انحراف الفتاة قبل الزواج وخيانتها لزوجها بعد الزواج. حيث أن أكثر من ٩٠% من المبحوثات كانت لهن علاقات أو سلوكيات جنسية منحرفة قبل الزواج، وقد أثرت عليهن في دفعهن للخيانة، وتسهيل إتيان السلوك المنحرف.

وتري الباحثة أنه يجب أخذ هذه النتيجة بنوع من الحذر، فيجب النظر لأبعد من ذلك، لدراسة دور التنشئة الاجتماعية، والعوامل الدينية الثقافية بالمجتمع،ومدى التماسك الاجتماعي بالأسرة، والالتفات إلي ما يمر به المجتمع من انفتاح وغزو ثقافي تتعرض له الفتيات، فمن الممكن أن تتضافر كل هذه العوامل معا في إنتاج هذا الشكل من السلوك الانحرافي سواء في

النطاق الزواجي، أو ما قبله. لذا فمن المفترض أن نأخذ في اعتبارنا كل هذا قبل تقرير النتيجة السابقة.

إلا أن ما يؤخذ علي هذه الدراسة أنها لم تتعرض للعلاقات والسلوكيات الجنسية قبل الزواج، علي الرغم من إقرارها أنها مؤثرة في نتائج دراستها، وذات صلة بإشكاليتها. كما أنها لم توضح إذا ما كانت هناك علاقة بين الخيانة الزوجية وفقد العذرية قبل الزواج، وإنما اعتبرت إتيان سلوكيات وعلاقات جنسية -لم تحدد مداها أو نتائجها- قبل الزواج في الغالب ما تمتد لما بعده لتصبح خيانة زوجية وزنا.

إلا أن هذا لا يغفل حقها في إرجاع الفضل إليها في السبق العربي لاقتحام مجال العلاقات الجنسية للمرأة، وكان من المجالات المحظور الدخول إليها وكشف عالمها، خاصة إذا ما أقترنت بالعلاقات الجنسية غير الزواجية (الخيانة) للمتزوجات، وأثناء قيام الإطار الزواجي لهن.

ج. العذرية في الدراسات الأجنبية

سنتناول فى هذا الجزء عرض بعض الدراسات الغربية حول العلاقات الجنسية بين الجنسين ، وذلك في ضوء ثقافة العذرية موضوع دراستنا. ويجب توضيح فكرة هامة قبل التناول، فمفهوم العذرية لدى الثقافة الغربية مختلف تماماً عنه في الثقافة الشرقية العربية، فلا يقصد به مطلقاً الحفاظ علي غشاء بكارة الفتيات سليماً حتى الزواج ، وإنما يرتبط هذا المفهوم بعدم الدخول في ممارسات جنسية لمن هم فى سن المراهقة ودون سن البلوغ، حيث تعد العذرية قيمة إيجابية في هذه المرحلة، ولا ينطبق هذا المفهوم علي البالغات والبالغين مطلقاً، وإذا ما وجدت حالة العذرية لدى البالغين فإنما تعبر عن وجود خلل ما لدى الفرد، وهنا يبدأ عمل الدراسات الغربية لوجود مثل هذه الحالات -ذكر كان أو أنثى- ، ففي هذه المرحلة تعد العذرية قيمة سلبية، أي أنه يمكننا القول أن العذرية في الثقافة الغربية مفهوم مرحلي فقط. كما أن المفهوم لا يرتبط بوجود دلائل بيولوجية في جسد الفتاة، مثلما يحدد في ثقافة الدول الشرقية، ولا تقتصر حالة العذرية علي الإناث فقط -كالثقافة الشرقية- وإنما حالة العذرية يتصف بها كل من الإناث والذكور في الثقافة الغربية .

- **إدراك الوضع الجنسي لدى الشباب من الجنسين(١):**

ففي الولايات المتحدة الأمريكية وفي "جامعة ميدوسترن .Midwestern Uni " قامت كل من "سوزان Susan Sprecher " و "باميلا Pamela C Regan " معاً بدراسة عن البالغين من الجنسين الذين لم يدخلوا في علاقات جنسية بعد (العذارى)، في دراسة مسحية اجتماعية علي طلاب الجامعة من الجنسين، بهدف كشف أوضاع هؤلاء الطلاب وسماتهم، والوقوف علي الأبعاد الاجتماعية الثقافية المرتبطة بحالة العذرية في المجتمع الغربي، وفهم أسباب ودوافع بقاء البعض في حالة عذرية على الرغم من وصولهم لمرحلة ازدياد الرغبة والنشاط الجنسي، وبالرغم من أنها حالات لا تمثل ظاهرة إلا أنها حالات غير قليلة، ويعد ظهورها مقلقاً في مجتمع تبيح ثقافته العلاقات الجنسية بعد البلوغ دون التقيد بالإطار الزواجي، وفي ذات الوقت يحافظ بعض من الشباب والفتيات علي عذريتهم (بالمفهوم الغربي).

أجريت الدراسة علي عينة من الفتيات قوامها ١٩٢ فتاة، و٩٧ شاباً من طلاب الجامعة، وخلال فترة ٦ سنوات، تراوحت بين عامي ١٩٩٠ و١٩٩٥ ، تمت الدراسة علـى مرات متعددة لكشف أوضاع هؤلاء العذارى من الجنسين، ورصد ما يطرأ عليهم من تغيرات خلال أعوام الدراسة، ومقارنة الاختلاف في الإدراك الحسي والفكري للاستمرار في حالة العذرية خلال الفترة الميدانية. وتم جمع البيانات الميدانية بواسطة دليل مقابلة.

وكان من أهم **نتائج الدراسة:**

- رغم أن التجربة الأولي للقاء الجنسي عادة ما تكون غير مخطط لها في ذاتها، إلا أن قرار الإنتقال من عذراء إلي غير عذراء نادراً مايكون تلقائياً.
- أن قرار الانتقال من حالة العذرية إنما تحدده الأيديولوجيا الجنسية الشخصية، والتي تتضمن القيم الدينية والأخلاقية.
- أن رضا الشخص عن استمرار حالته العذرية، إنما يرتبط بدرجة التدين والإلتزام الديني.
- أن من أسباب البقاء في حالة العذرية بعد البلوغ عدم مقابلة الشخص المناسب.وعدم إلحاح الرغبة الجنسية.والخوف من الحمل.
- كما أظهر البحث أن عدم الدخول في علاقات الحب سبب في إبقاء حالة العذرية.

(1) Susan Sprecher, Pamela C Regan .College Virgins: How Men and Women Perceive there sexual status, in, Journal Of Sex Research, Vol 33, issue 1, 1996, pp 3-13

- كما أن الإناث أكثر احتمالاً من الذكور للامتناع عن ممارسة الجنس في حالة عدم وجود "علاقة حب" .مبررين أن الاحتواء العاطفي والالتزام الكافي من قبل الطرف الآخر دائما يكون من متطلبات الانغماس في العلاقة الجنسية.
- كما أن الخوف والقلق من الاحباط الجنسي، أحد أسباب عزوف الشباب عن الممارسة الجنسية خلال مرحلة البلوغ. علي خلاف الفتيات فقد شعرن بالفخر والسعادة من حالتهن، مع شعور أقل بالإرتباك.
- كما جاء الخوف من عدوي الإيدز والأمراض التناسلية الآخري كأخر سبب للإحتفاظ بحالة العذرية. وذلك في رأي الباحثة ليس سبباً في ذاته لأن الثقافة الغربية تمتلك من آليات الحفاظ ضد نقل المرض من وسائل وأساليب تستخدم قبل الدخول في الممارسة.

وقد لفتت هذه الدراسة الانتباه إلي أن الغرب مازال يعرف القليل جداً عن عذرية الرجال والنساء من البالغين، ربما لأن العذارى البالغين مازالوا يمثلون نسبة قليلة من عدد السكان. وهو علي خلاف الكثير الذي يعرفونه عن العذارى المراهقين.

- <u>أسباب المحافظة علي العذرية</u>

وفي دراسة كيفية أخرى باستخدام المقابلات المتعمقة لبعض حالات العذارى عام ١٩٨١ ، عن "**أهم أسباب المحافظة علي العذرية**" أجراها هارولد Harold و جودوين Goodwin [1]، للبحث في عملية اتخاذ قرار المحافظة علي العذرية، والإحجام عن الدخول في علاقات جنسية . اتخذا من المدرسة العليا بالكلية الكندية مكاناً لإجراء الدراسة، وطلب الباحثان من الفتيات توضيح أهم أسباب عدم مشاركتهن في اللقاء الجنسي، وجاءت نتائج الدراسة متوافقة مع نتائج دراسة سوزان وباميلا؛ حيث أوضحن أن الأسباب ترجع إلي عدم مقابلتهن الشخص المناسب، وأن المعتقدات الأخلاقية والدينية كانت حائلاً دون ذلك خاصة في بعض الطوائف الدينية. كما أن عدم استعداد الفتيات النفسي للجماع الجنسي والدخول في التجربة كان أحد الأسباب، بالإضافة لخوف بعض الفتيات من حدوث الحمل نظراً لقلة خبرتهن.

---

(1) Herold,E.S., & Goodwin,M.S.Adamant Virgins, potential nonvirgins and nonvirgins. The Journal of Sex Research, 1981, pp 97:113.

• العذرية والزواج في الدراسات الأنثروبولوجية

تضم الدراسات والأبحاث الأنثروبولوجية دراسات عن القيمة الثقافية للعذرية، كما تضم دراسات عن القيمة الاقتصادية للعذرية في تفسير ارتباطها بأشكال متعددة من الصفات الزواجية، والتي تعتمد في الأساس علي تفضيل العذرية الأنثوية فى مقابل سلع اقتصادية قد تتخذ شكل المهـــور. وفيما يلي نوضح نماذج من تلك الدراسات:

- العذرية في علاقتها بالملكية والمكانة

ففي دراسة "أليس شلِجل ALICE SCHLEGEL "[1] عن العذرية في علاقتهـــا بالملكية والمكانة خلال صفقات الزواج، والتي اعتمدت علـــي تحليـــل الكثيـــر مـــن البيانـــات الأنثروبولوجية الخاصة بالزواج والسلوك الجنسي للنساء وأنماط المهور المقدمـــة إلـــيهن فـــي علاقتها بالعذرية . حيث يتم تناول النساء بالدراسة في أنماط مجتمعية عديدة ومنذ مجتمعات ما قبل الصناعة، وذلك من خلال إعادة قراءة نتائج العديد من البحوث الأنثروبولوجية التي أجريت علي تلك المجتمعات؛ بدءًا من دراسة "مالينوفسكي" عام ١٩٣٢ عن "السلوك الجنسي عند قبائل التروبرياند" ، وحتي دراسة باري و شلِجل عام ١٩٨٦ عن علاقة "الإباحيـــة الجنســـية قبـــل الزواج بالسمات الثقافية والشخصية" .

لقد دُرست العذرية في البحوث التقليدية بطريقة غير مباشرة، من خـــلال الحـــديث الأنثروبولوجي عن السلوك الجنسي والعلاقة بين الرجل والمرأة، ومدى إمكانية ممارسة الجنس قبل الزواج. وتتضح قضية العذرية الأنثوية في الدراسات التي تتعلق بالسلوك الجنسي للنســـاء في علاقته باقتصاديات الأسرة، وتوزيع السلطة داخل الأسرة، وكآلية لتحكم الرجال في النساء. خضعت هذه العلاقة لتفسيرات متعددة، من خلال تساؤلات ظلت دائماً مطروحة علي الســـاحة البحثية، منها لماذا تبقي المرأة عذراءً بعد البلوغ ؟. وما تأثير العذرية علـــي وضـــع المـــرأة ومكانتها ؟. وقدمت الدراسة الراهنة شواهد على ذلك من دراسات في شمال أفريقيـــا، وأســـيا، وأمريكا الجنوبية.كما قدم الكثيرون أبحاثاً عن المهور التي تقدم للعـــروس، وكيـــف أن مهـــر العروس العذراء يعتبر مورداً اقتصادياً يضاف إلي الأسرة الوالدية للعـــروس، علـــي عكـــس العروس غير العذراء التي يضطر والدها إلي دفع المهر لعريسها تعويضاً عن فقد عذريتها.

---

(١) ALICE SCHLEGEL. Status,Property,and the Value on Virginity,in: American Ethnologist,Vol.18, No.4,November 1991.,pp 719-734.

بدأ دراسته بمناقشة افتراض مؤداه: أن من بين أساليب تقييم المرأة هو معرفة ما إذا كانت قادرة علي التحكم في النشاط الجنسي، ولذلك فإن تحريم ممارسة الجنس قبل الـزواج بالنسـبة للإناث، غالباً ما يُعتبر من بين إجراءات سيطرة الرجال علي حياة النساء.

وهناك عدة انتقادات تنتاب هذا الافتراض، أولاً أن طريقة تناول الأفراد لممارسة الجنس قبل الزواج، لاتتفق بالضرورة مع موقفهم تجاه ممارسة الجنس بعيداً عن نطاق الزواج. إذ أن الكثير من الأفراد يسمحون بالحرية الجنسية قبل الـزواج، لكـنهم يـدينون نفـس العلاقـات بعـد الزواج(الزنا)، بينما هناك أخرون مثل "Lovedu " يصرون علي الاحتفاظ بالعذرية قبل الزواج إلا أنهم يغمضون أعينهم عما يتم من علاقات جنسية خارج نطـاق الـزواج. وثانيـاً أن هـذا الافتراض لايصلح أن يعمم علي الفتيات والنساء في معظم المجتمعـات، فالقيمـة الممنوحـة للعذرية تنطبق على الفتيات المراهقات دون سن البلوغ لا على الفتيات البالغت. ترى "ألـيس" أنه مع قليل من الاستثناءات في بعض الثقافات فإن البنات تظل مراهقات من الناحية الجنسـمية عند الزواج خاصة المبكر، فلا ينضجن ربما إلا عند الثامنة عشرة من العمر أو أقل. وتري أن الأهم من هذا أن الشباب لا يكونون عموماً من البالغين اجتماعياً إلي أن يتزوجوا[1]، لذا فإنه في بعض دول العالم تُعتبر العروس بنتاً مراهقة، تظل تحت السلطة التامة لوالديها في معظم شئون حياتها.

وإذا كانت العذرية وفقاً لهذا مقياساً جيداً لخضوع الإناث، خاصة حينما تكون العذرية ذات قيمة اقتصادية، يكون علي الرجال دفع الأموال الكثيرة لأسرة الفتاة العروس نظراً للمكانة الأعلى التي تحتلها العذراء، ومكافأة لحفاظ الأسرة على عذريتها، فالعذرية في نظـام الـزواج تعتبر صفقة مالية، وهذه الفكرة تقوم غلي أساس افتراض وجود بعـض الأفضـلية للعـذارى، وتعزز هذه الفكرة في المجتمعات التي يكون للرجال فيها السلطة العليا فهم بـدفعون المقابـل للعروس.

ويري جودى [2] GOODY أن هناك من المجتمعات التي تقدم المهور ثقافات تقـوم فيها عائلة العروس بدفع المهر-وليس باستلامه كما عند أليس-للعريس نظراً لعذرية عروسـه، والتي غالباً ما تكون غير قادرة علي تحمل مبدأ ممارسة الجنس لبناتها قبل الزواج. وهنا تـدفع الأسرة لكي تعطي عروساً عذراء لا لكي تستلمها .

---

(1) Ibid.,P 721.

(2) Jack Goody, Bridewealth and Dowry in Africa and Eurasia. In Social Anthropology , No. 7,Cambridge. 1973.pp 1-58.

وترى الباحثة أن ثمة علاقة بين صفقات الزواج وقيمة العذرية، غير أن نمط هذه العلاقة متغير من مجتمع إلي أخر.

وتقدم "أليس" إيضاحاً لهذه العلاقة بمحاولة فهم التأثيرات المتنوعة لصفقات الزواج، وحركة انتقال الأموال أو بعض الممتلكات، أو الاحتفاظ بها، وكذلك الديون الاجتماعية الناجمة عن ذلك. ففي **صفقات الزواج** نجد أن شكل صفقة الزواج التي لقيت اهتماماً في الأدب الأنثروبولوجي، هو **مال** العروس (المهر المقدم لها) والهدايا التي يقدمها العريس، والتي عادة ما تكون بمساعدة أقاربه إلي أسرة العروس، ويستخدم هذا المهرفي الغالب في تقديمه للحصول علي زوجات لأشقاء العروس الذكور، أو لزوجة أخري لوالدها. والزواج التبادلي هو شكل أخر غير مباشر لنقل الأموال والممتلكات من أشكال الصفقات والاستبدال، والتي غالباً ما تحدث عندما يكون للمرأة مركزاً اقتصادياً، وعادة في مثل هذه الأسر مايكون بها نوع من التوازن الأسري والاجتماعي فيما بينها حيث تتداول فيها النساء والأموال، فآجلاً أو عاجلاً تكتسب الأسرة امرأة لتحل محل أخري امرأة أخري فقدتها بزواجها.

وغالباً ما تعتبر **خدمة العروس** مماثلة لمال العروس بالدفع عند العمل، إلا أنها تختلف عن الأموال في أنها لاتتداول . ويستفيد من هذه الخدمة الأسر التي لديها بنات كثيرات، بينما تبادل الهدايا والأموال غالباً ما تتم بكميات متساوية، وغالباً مايوجد هذا النمط في المجتمعات التي تحوي طبقات اقتصادية مختلفة، مثل بعض مجتمعات قارتي أسيا وأمريكا الشمالية(1).

لماذا تعد العذرية قيمة إيجابية ؟

وفي محاولة "أليس" البحث عن إجابة لهذا التساؤل، تعرض لفكرة أن عبء التحكم في النشاط الجنسي للفتاة، ومن ثم العذرية إنما يقع علي عاتق الأسرة من خلال التنشئة الاجتماعية والمراقبة، لذلك ترى ضرورة الوقوف علي المنافع التي تعود علي الأسرة من جراء المحافظة علي عذرية بناتها

ويري "جودي" في دراسته عن الإنتاج وإعادة الإنتاج(٢) أن العذرية أو بالمعني الغربي التقييد في العلاقات الجنسية قبل الزواج إنما وسيلة تستخدمها الأسرة لتتحكم بشكل أفضل في اختيارها عند الزواج، لأن فقدان العذرية قد يقلل من الفرص الجيدة لزواجها، خاصة أن الشباب إنما يسعون في زواجهم إلي تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالإنتماء لأسر ثرية أو ذات نفوذ، لذا تقدم المهور المغالى فيها لهذه الأسر.

(1) Op. Cit.,P.727.
(2) Jack Goody, Production and Reproduction,Cambridge, op,cit, p47.

وقد ناقش "مالينوفسكي عام ١٩٣٢" الحرية الجنسية لفتيات جزيرة التروبرياند ، وناقش من خلالها أن الحمل الناتج عن العلاقات الجنسية قبل الزواج، في اعتقادهم أنه لايدل علـــي إقامـــة علاقة جنسية، فهم أيديولوجياً لا يربطون بين السلوك الجنسي وبين حـدوث الحمـل، ففـــي معتقداتهم أن حدوث الحمل يرجع إلي عوامل سحرية ، خاصة أن النساء- وفقــاً لمعتقــداتهم- يمكن أن يحملن دون تدخل من الرجل.

وقد عرضت أليس آراء "**فلتشر ولافليش**" عن مجتمع أُماها OMAHA ، فهي تري أن العذرية هناك غير ذات أهمية لأغلب الفتيات، إلا أنه طبقاً لآراء **فليتشــر، ولافلــيش**، فــإن العذارى كن يلقين كل التقدير والاحترام بل وفرص زواج مميزة عن اللاتي فقدن عــذريتهن. وكان من الامتيازات الخاصة أن يتزوج الشخص من الفتاة التي تحمل "علامة الشرف" التـــي كانت تُعطى للعذارى من العائلات المعروفة ذات اللقب بدخول والدها أو أحد أقاربها في أحد المجتمعات الرسمية. و تضمنت حالات الزواج فقط في العائلات المعروفـة تبـادل الهـدايا الكثيرة والقيمة، بينما في الزواج العادي يكون متوقفاً ذلك على الزوج الشاب، كأن يعمل لعام أو أكثر لأجل والد زوجته، فتكون خدمات عروسه هي السمة الأكثر شيوعاً عن تبادل الهدايا في الطبقات العليا. وهكذا ففي حالات زواج العائلات المنتمية للطبقات العليا وللأسر المعروفة والعريقة ذات الألقاب، يكون الزواج مصحوباً بتبادل البضائع والهدايا ذات القيمة ثمناً لعذرية العروس. والمحافظة على عذرية الفتيــات ذوات المراكــز العليــا تحمــي عــائلاتهن مــن المصاهرات غير المرغوبة(١)

بينما في مجتمع Samoa ساموا تتمتع الفتيات من العائلات غيــر المعروفــة بالحريــة الجنسية، غير أن بنات العائلات العليا ذات الألقاب لا تتمتعن بتلك الحريــة. حيــث ينســب الأطفال إلى الأم هناك بدلاً من الأب طبقاً لمركز عائلة الأم. وتطبق ســاموا نظمــاً خاصــة بالأنساب ، فإذا كانت رتبة الأم ومركزها الإجتماعي أعلى من رتبة الأب فإن وضع الأطفال سوف يرتفع فوق مركز والدهم. وقد ترغب العائلة ذات الوضع المرتفع في حماية بناتها مــن المتسلقين الاجتماعيين المحتملين، الذين قد يقوموا بإغواء فتيات الطبقات الأعلى والزواج بهن لتحسين وضع أطفالهم الاجتماعي. وهكذا وكما في حالة "أوماها" فإن المقارنة الثقافية قد أثبتت وجود ارتباط بين نوع صفقة الزواج وقيمة العذرية(٢) ولكن شكل وطبيعة هذا الارتباط مختلفة من مجتمع إلي أخر، ومن ثقافة إلي أخرى.

---

(1) Alice Fletcher, and Francis LaFlesche. The Omaha Tribe, Annual Reports of the Bureau of American Ethnology, pp 17: 27, 1911.

(2) Gwen J. Broude, and Sarh J. Greene, cross-cultural Codes on twenty Sexual Attitudes and Practices. In Cross-Cultural Samples and Codes. Herbert Barry III and Alice Schlegel, eds.pp.313-334.Pittsburgh: University of Pittsburgh Press 1980.

قدم كل من "**ويتنج، وبربنك، وراتنر**" تفسيرات بديلة لقيمة العذرية، فاقترحوا أن التقييد الجنسي قبل الزواج، أو إباحته ربما يرتبط بالسن الذي تتزوج فيه الفتيات.فإن التقليدية الجنسية إنما تعكس قلقاً وخوفاً من حدوث حمل، أكثر من الحفاظ علي العذرية في ذاتها، خاصة مع وجود ظاهرة بيولوجية معترف بها طبياً بشأن الولادة المبتسرة والمبكرة للمراهقين- إضافة إلى احتمالات الاجهاض المتوقعة-والتي من نتائجها أن يكون الحمل غير محتمل الحدوث في الأعوام الأولي للزواج، ويزعمون أن المجتمعات التي تزوج الفتيات في سن متأخر نسبياً، تحرم العلاقات الجنسية قبل الزواج، لضمان حدوث الحمل بعد الزواج. وتعرض أليس تأكيداً لهذا الرأي لدراسة "وايتنج" عن المدة الزمنية في المجتمعات المختلفة للحفاظ علي العذرية أو مدة البكارة كما أسماها. كان من نتائجها أن صنف مجتمع جنوب شرق أسيا علي أنه منطقة الزواج المتأخر حيث يتم الزواج غالباً في سن ٢٠,٥ سنة، بينما في الهند ١٨ سنة، في مقابل يافا الإسلامية ١٤ سنة. وكانت جنوب شرق أسيا قبل وبعد ظهور الإسلام منطقة إباحة جنسية، فلم تكن العذرية ذات قيمة لديهم، كما شاع الإجهاض وأصبح من الأمور الحياتية المعتادة الحدوث لديهم(١).

وهناك تفسير أخر لوصف العذرية كقيمة، والذى ارتبط بالنطاق الرعوي من شمال إفريقيا إلي أسيا الوسطي، والذي يُرجع التقييد الجنسي للإناث لتحكم أبائهم ، خوفاً من ندرة ومحدودية العامل الإيكولوجي ، حيث تُمثل النساء نوعاً من الموارد المادية، يقوم الرجال بتنظيمها والسيطرة عليها.

غير أن "أورتنر"ORTNER لديها تفسير أخر أن العذرية سمة مميزة لمجتمعات الدولة، لأنه في هذه المجتمعات تميل النساء إلي الزواج من الطبقة العليا، (وتعلق "أليس" بأن يعتبر هذا صحيحاً بالنسبة للهند، لكنه أقل صحة بالنسبة لمجتمعات أوروبا قبل عصر الصناعة، حيث كانت العائلات تستخدم المهور لجلب أزواج لبناتهن من مختلف الأوضاع الاجتماعية.) وتعتبر العذرية هنا رمزاً لعدم وجود المرأة بشكل متاح في المجتمع آن ذاك.

وفي النهاية تري أليس أن مع التقدم الطبي والتثقيفي، والاستعدادات المتاحة من موانع الحمل والإجهاض ، فإن العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج لا ينتج عنها حدوث الحمل أو الولادة المبتسرة لأطفال غير شرعيين، كما أنه وإن حدث الحمل فنظراً لتحسن وضع النساء، والفرص الاقتصادية المتاحة لهم، وكذلك المدفوعات الوفيرة التي تقدمها الدولة، تجعل من الممكن تربية طفل دون وجود زوج أو أب، وبنفس الأهمية سقطت المهور من الثقافة الأوروبية، وأصبح الاستثمار الأبوى للبنات في تعليمهن لا في مهورهن. وترى الباحثة أن

---

(1) ,op., cit.,p.727.

رأى أليس إنما يمكن أن يصدق على المجتمعات الغربية، لكنه أبداً لاينطبق على المجتمعـات الشرقية، وخاصة الإسلامية. خاصة مايتصل بالعلاقات الجنسية والإجهاض.

- أيديولوجية العذرية:

تناولت العديد من الدراسات الاجتماعية الحديثة عن الشئون الجنسية التفاوت في النظم الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية في علاقتها بالحياة الجنسية القائمة بين الرجال والنسـاء في المجتمع الصناعي. وحاول "كولنز"COLLINS في إحدى دراساته [١] ، تقـديم دراسـة اثنوجرافية، لتنظيم بعض المفاهيم عن نظم الطبقات الجنسية ووصفها في إطار عمل متكامـل يضم النظم السابقة، ويتناول مختلف عناصر التفاوت الجنسي في قاعدة عامة. وكان الهـدف الأساسي لهذا البحث هو الاهتمام بكشف الأيديولوجية الجنسية بشكل عام، وأيديولوجية العذرية بشكل خاص. ويشير "كولنز" إلى أنه في حالة وجود تفاوت في بعض القطاعات الاجتماعية الهامة، فإن المثل العليا يتم استخدامها كأسلحة في معارك لأجل توحيد المجتمعـات وتبريـر اهتمامات السلطة.

وفي حديثه عن المجتمعات التاريخية يقوم بمناقشة الوظيفـة الاجتماعيـة لأيديولوجيـة العذرية، فيذكر أن المثل الأعلى للعفة النسائية ، يُعد أحد جوانب حقوق الملكية الذكورية فـي المجتمع. ويمكننا أن نستنتج منطقياً أن أيديولوجية العذرية ستلقى تأييداً من الرجال واستنكاراً من النساء. وهكذا فإن أيديولوجية العذرية التي تمثل عنصراً هاماً وأساسياً من الأيديولوجيـة الجنسية في المجتمعات الصناعية، لا يقتصر عملها على خدمـة مصـالح الرجـال كطبقـة بإعطائهم التحكم الكامل في النساء كنوع من الممتلكات، إلا أنها وفي نفس الوقت تخدم أيضـاً مصالح النساء ولهذا السبب من المعتقد أن أية أيديولوجية تتعلق بالعذرية يجب أن تلقى تأييداً من كل من الرجال والنساء على اختلاف أسباب كل منهم.

- العذرية وعلاقات ما قبل الزواج في مجتمع الصين المعاصر:

هناك بحث انثربولوجي للباحث Xiao Zhou[٢] حول الجنس في الثقافة الصينية من حيث علاقات ما قبل الزواج الجنسية ما قبل الزواج وعلاقتها بعذرية الفتاة في الصين. بنـي هذا البحث على مقولة هامة مؤداها أن الثقافة التقليدية الصينية تنكر تماماً جـنس مـا قبـل

(1) David G.Berger, Morton G. Wenger. The Ideology of Virginity, in: Journal of Marriage and the Family, November 1973,pp666-676.

(2). Xiao Zhou. Virginity And Premarital Sex in Contemporary China, Feminist Studies15,no.2,(summer 1989). pp. 279-288.

الزواج، فيحاول أن يبحث في معطياتها للكشف عن النظرة التقليدية للعذرية الأنثوية والحب، واستراتيجية الرجال للإيقاع بالمرأة في ممارسات جنسية قبل الزواج محاولاً معرفة الممارسات الاجتماعية والمؤسسية التي تواجه ذلك؛ آخذاً في الاعتبار الصعوبات الاجتماعية التي تواجه المرأة في إطار تحول المجتمع الصيني من مجتمع ذو ثقافة تقليدية ينادي بتنفيذ حرية المرأة الجنسية قبل الزواج، إلى مجتمع حديث له متطلباته، ومن ثم تخليه عن بعض قيمه.

وقد قام الباحث في سبيل هذا بدراسة ميدانية اعتمدت على المنهج الانثروبولوجي، مستخدماً أدواته المختلفة. فاعتمد البحث على المقابلات المتعمقة المقننة منها والمفتوحة، والملاحظة. وكان الإطار المكاني للدراسة بعض المناطق الريفية والحضرية من الصين، واستغرقت فترة الدراسة الميدانية سبع سنوات منذ أوائل عام ١٩٧٨ وحتي ١٩٨٥.

قام الباحث بعمل مسح اجتماعي لقرية Wuhen وقد ساعده في اختيار مكان للدراسة خبرته الشخصية بالمكان حيث عمل بأحد مصانعها أعواما عديدة وعاش بالقرية وتعايش مع المجتمع لوجود مجموعة من أقاربه تقطن بنفس القرية.

من الأدوات البحثية التي استخدمها الباحث الاستبيان، والمقابلات المتعمقة المقننة والمفتوحة، والملاحظة، كما استعان بالإخباريين وكان أغلبهم من العاملات في المصنع الذي كان يعمل به. وجاءت عينة البحث من شابات القرية اللاتي تراوحت أعمارهن بين سن ٢٢ إلى ٢٩سنة، ليكشف عن السلوك الجنسي قبل الزواج في ضوء التغييرات الاجتماعية والاقتصادية التي لحقت بالمجتمع الصيني.

وخلص البحث إلى أن معظم النساء في المجتمع الصيني الحديث يتمتعن بقدرة فائقة على الحب والصداقة فقط، وتأتي مصادر هذه القوة من واقع عذريتهن ومقاومتهن للزواج المبكر . غير أنه لفت النظر إلى أن هذه القوة لا تتاح إلا للشابات فقط الأقل من ٣٠ سنة، خاصة أن المرأة الصينية لا يمكنها أن تتحكم في القرارات المالية التي تؤثر على زواجها إلا في حالة عذريتها، حيث تفقد وضعها القوي في نفس لحظة فقدها عذريتها قبل الزواج.
لا يمنع هذا أن ثقافة المجتمع قد تخلت قليلاً عن النظرة التقليدية للعذرية ، في مقابل تخلى الإناث عن بعض امتيازاتهن المادية، كما أن سلطة المرأة تظل أقوى وتحكمها في الرجل أكثر خلال العلاقات غير الجنسية في مرحلة ما قبل الزواج.

رغم التغيرات التي حدثت في المجتمع الصيني وفي النظرة التقليدية للعذرية، إلا أن هناك أسبابا اقتصادية وشخصية لدى المرأة تجعلها تقاوم العلاقات الجنسية قبل الزواج، وهذا أيضاً لا يمنع وجود الكثير من الشباب يمارسون الجنس قبل الزواج.

أصبح المجتمع الصيني مجتمعاً حديثاً ولكن ذو ازدواج ثقافي يضم ثقافة تقليدية تقيد العلاقات الجنسية قبل الزواج تتبناها بعض الأسر ، وثقافة حديثة تبيح العلاقات الجنسية، وتقع معاناة الثقافة الحديثة على النساء أنفسهن أكثر من الرجال.

من خلال العرض السابق للدراسات الأجنبية غير الشرقية، يمكننا استنتاج بعض النقاط:

– أن معظم الباحثين والمؤلفين يتعاملون مع العذرية كجزء متبق من خبرة جنسية أكثر من كونها قيمة في ذاتها. ويرجع ذلك لأن المفهوم يعنى في الثقافة الغربية العلاقات الجنسية قبل سن البلوغ.

– أن العذرية في السياق الغربي مفهوم مرحلي، يرتبط بفترة المراهقة فقط بينما في مرحلة البلوغ ينتفي المفهوم ويتلاشى. وإن وُجد في هذه المرحلة فإنما ينم عند حدوث خلل شخصي أو مجتمعي، حيث يعبر عن قيمة سلبية مرفوضة، أي أن قيمة العذرية نسبية وفقاً للمرحلة العمرية للفتاة.

– أن العذرية تعني عدم الدخول في علاقات جنسية قبل الزواج في فترة المراهقة.وترتبط العذرية في هذا السياق بالإناث والذكور معاً.

– أن فقد غشاء البكارة لا يعتبر في كل الأحيان فقداً للعذرية ، فمن تولد دون غشاء البكارة فهي عذراء، ومن تعرضت لحوادث أو عمليات جراحية فقدت منها بكارتها أيضاً تعد عذراء.

– أن مفهوم العذرية في السياق الغربي مساو للممارسة الجنسية قبل الزواج. وفقد العذرية مساو للممارسة الجنسية قبل الزواج خاصة في مرحلة المراهقة.

– أن من إعادة قراءة هذه الأبحاث نجد انطباعاً أن العذرية الأنثوية غالباً ما تكون صفة تمنح للأشخاص لأهداف مادية أو اجتماعية أو شخصية، أو أن تكون حالة فسيولوجية تتضمن التخلص من غشاء البكارة (في مرحلة البلوغ وما بعدها).

– أن معظم الدراسات تتناول العذرية من منظور اقتصادي يتحقق في المجتمعات الإقطاعية والطبقية.

وعليه في النهاية يمكننا أن نقول إنه لا يوجد في السياق الغربي اتفاق عام حـول أي مـن أنواع السلوك التي تمثل فقداناً للعذرية، فعلى الرغم من إدعائهم بوجود هذا الاتفاق حـول أن فقد العذرية يكون ناتجاً لاختراق العضو الذكري لمهبل الفتاة، إلا أنه فـي ذات الوقـت مـن تتعرض للاغتصاب -وتمر بهذا الفعل السابق- لا تعتبر فاقدة للعذرية. وربما يدل ذلك علـى احتواء المفهوم لمجموعة معقدة ومتنوعة من المفاهيم الثقافية والاجتماعية والدينية المرتبطـة به، وبثقافة المجتمع.

القسم الثاني دراسات الختان

مقدمة

شهد المجتمع المصري منذ الخمسينيات والستينيات من هذا القرن موقفاً إيجابياً للدولة من حقوق النساء، تمثل فيما أكده الدستور من المساواة بين جميع المواطنين دون اعتبار لعامل الجنس، في كثير من الحقوق، كحق المشاركة السياسية، والترشيح في الهيئات النيابية..إلخ. جاء كل ذلك كجزء من سياق عام في إعادة تشكيل المجتمع المصري وبناء اقتصاد وطني مستقل. في نفس الاتجاه تبنت الدولة سياسات تنظيم الأسرة تبنياً متصاعداً انتهى في الثمانينيات بتشكيل المجلس القومي للسكان، فأدت الجهود المكثفة في هذا المجال إلى انخفاض معدل المواليد إلى ٢٧,٧% في منتصف التسعينيات، وانخفاض معدلات خصوبة المرأة المصرية إلى ٣,٣% عام ١٩٩٧[١].

وفي المقابل لم تول الدولة ختان الإناث نفس الاهتمام إلا في التسعينيات حينما تم تسليط الضوء عليه في وسائل الاعلام بوصفه واحداً من قضايا الرأي العام منذ اللقاءات التحضيرية لمؤتمر الأمم المتحدة للسكان والتنمية عام ١٩٩٤، ومؤتمر المرأة في بكين عام١٩٩٥. وقد طرحت، خلال فعاليات هذا المؤتمر، قضايا الصحة والحقوق الإنجابية والجنسية للمرأة، كما أثيرت المنقاشات حول قضية ختان الإناث من منطلق حقوق المرأة الإنسانية وعلى رأسها الحق في السلامة الجسدية. وظل ذلك الجدل قائماً حتي اخذت الدولة خطوة حاسمة في اتجاه القضاء على عادة ختان الإناث باستصدار قانون يُجرم ممارسته. هذا بالإضافة إلى جهود المنظمات الأخرى غير الحكومية، والمؤسسات الدينية، وبعض المؤسسات الطبية. كما بدأت أجندة بحثية فى العلوم الاجتماعية تهتم برصد هذه الظاهرة وتحليل مدى انتشارها والوقوف على أسبابها. وفيما يلى نعرض نتائج بعض هذه البحوث والدراسات الإحصائية والاجتماعية وخصوصا فيما يتعلق بالنتائج المتصلة بمدى ممارسة الختان واتجاهات قادة الرأى نحوه . وقد فضلنا أن نعرض لبعض هذه الدراسات التى أجريت على المجتمع المصري خاصة، ثم نعرض لإحدى دراسات منظمة الصحة العالمية نظراً لأهميتها، حيث تعرض لأحد مضاعفات الختان التي لم يتم الإلتفات لها في الدراسات العربية من قبل، أو الأجنبية في حدود علمنا وقراءاتنا للتراث.

---

[١] الكتاب الإحصائي السنوي. الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، القاهرة، ١٩٩٧.

أهم الدراسات حول الختان في المجتمع المصري

أ. قراءة في الدراسات المسحية/ الإحصائية لواقع الختان فى مصر

إن قراءة الأرقام والاحصائيات أحياناً ما تكون صادمة، ولكنها دائماً ما تمثل مصباحاً ينير الطريق، فهى مقلقة ولكنه ذلك القلق الذى يثير العقل لتلمس العلاج[1]. ولما كان انطلاقاً مرتكزاً على اعتبار ظاهرة "ختان الإناث" عنفاً موجهاً ضد المرأة- مادياً ومعنوياً[2]- فإننا لابد أن نقف أولاً على الأرقام والإحصاءات الدالة علي حجم الظاهرة فى الواقع.

لقد قدم بعض الباحثين قراءة جغرافية وإحصائية لمعدلات ختان الإناث فى **العالم** ، فمن نتائج المؤتمر الرابع لبتر الأعضاء الجنسية الذى انعقد عام ١٩٩٦ فى سويسرا، ظهرت بعض الإحصاءات التي من أبسط ما توصف به أنها احصاءات مروعة، وهى أنه علي المستوي العالمي يتم سنوياً ختان ما يقرب من ٢ مليون طفلة ، أى بمعدل ١٦٦٦٦٦ طفلة شهرياً، أو ٥٥٥٥ طفلة يومياً.

وقد نشرت منظمة الصحة العالمية فى أعوام ١٩٩٤ و١٩٩٦ و١٩٩٨[3] أرقاماً مختلفة بخصوص عدد النساء المختونات فى الدول التى تمارس ختان الإناث، بينت ذلك من خلال جدول (جدول مرتب حسب الترتيب الهجائي الأجنبى لإحصاء ١٩٩٨) يوضح مركز مصر المتقدم جداً والحاصل على المركز الأول فى عدد النساء المختونات على مستوى العالم. ومن نتائج هذه الاحصاءات أن عدد الدول العربية التي تمارس ختان الإناث بصورة كبيرة ليست كثيرة، وإنما تكاد تنحصر في مصر والسودان ، وهذه الدول هي التي يشكل فيها الختان ظاهرة اجتماعية وليست حالات فردية، كما أوضحت النتائج أن هناك دولاً إسلامية عربية أخري لاتمارسه مثل السعودية والعراق والمغرب وليبيا وسوريا، كما أن هناك دولاً إسلامية لاتعرف هذه الممارسة، مثل تركيا وإيران. وتجعل دراسة منظمة الصحة العالمية من هذا التفاوت بين الدول العربية الإسلامية تأكيداً على أن جذور هذه العادة ليست عربية أو إسلامية.

---

(1) خالد منتصر؛ "الختان والعنف ضد المرأة"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، إصدارات مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٣. ص٥٠.

(2) هدى بدران، فى: "العنف ضد المرأة: أبعاده وعواقبه"، التقرير الختامى للاجتماع التشاورى الإقليمى، رابطة المرأة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص١٩-٢٠.

(3) تقارير منظمة الصحة العالمية: احصاء عام ١٩٩٨ .

جدول رقم (١)

معدلات الختان فى العالم

المصدر:(إحصاء منظمة الصحة العالمية لعام ١٩٩٨)

بنين	١,٣٦٥,٠٠٠	ليبريا	٩٠٢,٤٠٠
بوركينا فاسو	٣,٦٥٦,٠٠٠	مالى	٥,١٥٥,٩٠٠
الكاميرون	١,٣٣٦,٨٠٠	موريتانيا	٢٥٩,٢٥٠
وسط أفريقيا	٧٥٩,٨١٠	نيجيريا	٩٢١,٢٠٠
تشاد	١,٩٢٣,٠٠٠	السنغال	٢٥,٦٠١,٢٠٠
ساحل العاج	٣,٠٤٨,٢٧٠	سيراليون	٢,١٦٧,٢٠٠
جيبوتى	٢٤٨,٩٢٠	الصومال	٥,٣٤,٢٦٠
مصر	٢٧,٩٠٥,٩٣٠	السودان	١٢,٨١٦,٠٠٠
أريتريا	١,٥٩٩,٣٠٠	تنزانيا	١,٥٥٢,٠٠٠
الحبشة	٢٤,٧٢٣,٩٥٠	توجو	١,٠٤٤,٥٠٠
جامبيا	٣٩٦,٨٠٠	أوغندا	٥١٣,٠٥٠
غانا	٢,٦٣٥,٢٠٠	زائير	١,١٠٧,٩٠٠
كينيا	٦,٩٦٧,٥٠٠		

وتؤكد البيانات والإحصائيات المتاحة انتشار ظاهرة ختان الإناث على المستوى العالمى، حيث يتعرض مليونان من الفتيات على الأقل كل سنة لتشويه أعضائهن التناسلية بمتوسط يقدر بحوالى ستة آلاف فتاة يومياً، كما تقدر أعداد النساء والفتيات اللاتى تعرضن لعملية الختان بحوالى ١٣٠ مليون سيدة وفتاة يقطن أغلبهن فى قارة أفريقيا[١].

أما على **المستوى المحلي للمجتمع المصري** فقد قُدرت نسبة الإناث التى أجريت لهن عملية الختان بما لا يقل عن ٩٠%، وترتفع هذه النسبة لتصل حوالى ٩٧% فى بعض الدراسات الأخري والتى أجريت بالوجه القبلى [٢]. (ومن الجدير بالذكر أن أياً من هذه الدراسات لم تثبت بصورة قاطعة أن عادة ختان الإناث عادة فرعونية.).

– ومن أقدم الدراسات الميدانية في مصر التي أجريت علي أيدي أطباء كانت **دراسة محمد كريم عام ١٩٦٥** للوقوف علي حجم الظاهرة إحصائياً [٣]، والتى تلقى الضوء على

---

(١) محمد فريد. أوقفوا ختان الإناث، مجلة الصحة والسكان،وزارة الصحة والسكان، القاهرة، ع١، د.ت، ص١٧.

(٢) أميرة بهى الدين. ختان الإناث بين التحريم القانونى وهيمنة العادات الاجتماعية، فى: ندوة ختان الإناث، مركز النديم ومركز دراسات المرأة الجديدة، القاهرة، ١٩٩٤، ص١٤.

(٣) تقرير دراسة ا.د. محمد كريم (أستاذ أمراض النساء والتوليد بطب عين شمس)، الواقع الاحصائي لظاهرة ختان الإناث في مصر، جامعة عين شمس، ١٩٦٥ .

جزء من واقع الختان فى مصر قد أجريت على عينة من سيدات نادى القاهرة الرياضي قوامها (٢٠٠) سيدة. و جاءت النتائج لتؤكد أن ٧٤% منهن قد أجريت لهن عملية الختان.

– وفي **بحث ميداني آخر** لمحمد كريم أجراه عام **١٩٩٤** على عينة أخري من سيدات نفس النادى كانت النتيجة أن ٩٨% منهن مختتنات. ويُرجع الباحث ارتفاع نسبة المختتنات إلى أن البحث الثانى اعتمد على الكشف الطبى الذي وقعه الطبيب، وليس علي الكلام الشفاهى للمبحوثات بسؤالهن كالبحث الأول، والذى ربما أخفت فيه السيدات هذه الحادثة إما خجلاً وإما لأنها لا تريد أن تتذكر هذه الخبرة .

— وفي **دراسة ثالثة** لنفس الباحث **عام ١٩٩٨** أجراها علي عدد من الأطفال الإناث المترددات على العيادة الخارجية للأطفال بكلية طب عين شمس، بلغ عددهن ٨٠٠ طفلة تراوحت أعمارهن بين ٦ سنوات و ١٤ سنة، راعي هنا اختبار بعض المتغيرات الاجتماعية في علاقتها بالختان، مثل المستوي الاجتماعي الاقتصادي للأسرة، ومتغير التعليم للوالدين. وجاءت النتائج أن نسبة الختان تحققت في العينة بنسبة ٨١% . بينما في ضوء متغير الفقر جاءت نسبة الفتيات المختتنات من أسر فقيرة ٨٨% ، وفتيات الأسر المتوسطة المختتنات ٧١%، أما نسبة ختان فتيات الأسر العليا(مرتفعة الدخول) فكانت ١٥% فقط، مما يوحي معه أن هناك علاقة عكسية بين ختان الفتيات والمستوي الاقتصادي للأسرة. أما عن علاقة الختان بمستوي تعليم الوالدين، فقد خرج البحث بنتيجة واضحة أن هناك علاقة عكسية أيضاً بين ممارسة الختان ودرجة تعليم الوالدين، فجاءت نسبة الختان ٩٦% حينما كان الوالدان أميين، بينما أخذت نسبة الختان في الانخفاض إلى ٨٠% عندما كان الوالدان حاصلين على شهادة التعليم الأساسي، وانخفضت النسبة حتي وصلت إلي ١٠% عند أسر الوالدين ذى التعليم العالي.

— وفي عام ١٩٧٩ **أجرى ماهر مهران أخر دراسة عن الختان**[1] ،اعتمدت على فحص ٢٠٠٠ سيدة – ممن هم فى سن الإنجاب – من المترددات على العيادة الخارجية لأمراض النساء والتوليد بكلية طب جامعة عين شمس، فوجد أن ٩٥% من السيدات المترددات قد أجريت لهن عملية الختان، وهي العملية التى يطلق عليها الأطباء أكثر الجراحات حدوثاً فى مصر.

— وفى **دراسة** ميدانية أجريت **عام ٢٠٠٠** قامت بها وزارة الصحة فيما يشبه المسح الصحى، –ترجع أهميتها فى كونها أجريت على مدى عامين– شملت محافظات الجمهورية ولم تقتصر على مدينة واحدة ، بينت هذه الدراسة أن نسبة المختونات فى مصر تصل إلى ٩٧% من إناثها، تنقسم هذه النسبة إلى ٩٩,٥% ممثلة فى ريف مصر، ونسبة ٩٤% فى مدنها، كما أظهرت نتائجها أن قرابة ٨٢% من النساء مازلن يؤيدن ختان الإناث، جاءت

---

[1] دراسة ا.د. ماهر مهران ، ختان المترددات علي عيادات النساء والتوليد، كلية طب بشري، جامعة عين شمس، ١٩٧٩ .

النسبة الأكبر منهن ٩١% من محافظات ريف مصر، في مقابل ٧٠% لآراء ساكني المدن.

كما أثبتت الدراسة أن ٧٤%من النساء تعتقد أن الرجال يفضلون المرأة المختونة، وأن نسبة ٧٢% منهن يعتقدن أن الختان جزء مهم من التقاليد الدينية، ونسبة ٤١% يعتقدن أن الختان يحمى من الوقوع فى الزنا وإتيان الفاحشة[١].

— ويقدر **المسح الصحى الديموجرافى** الذي أجري عام ٢٠٠٠ ، بالتعاون مع مؤسسة اليونيسف، أن ثماني حالات من بين كل عشر أمهات قد قمن بختان بناتهن أو سيقومون بختانهن فى المستقبل. ووجدت الدراسة أن هذا الإجراء يتخذ فى الغالب بالنسبة للبنات فى سن يتراوح بين ٩-١٢ سنة ، وهو عادة ما مرتبط بسن ما قبل البلوغ.

وقد خلص هذا المسح السكانى والصحى إلى أن نسبة ٦١% من الفتيات المختنات قد أجريت لهن هذه الممارسة بواسطة متخصص طبى مدرب، سواء أكان طبيباً، أو ممرضة، أو قابلة (داية) وتبين الإحصاءات الرسمية الحديثة أن نسبة ٩٧% من النساء المصريات اليوم مختونات [٢].

وفي الفقرة القادمة سوف نتناول الختان باعتباره آلية من آليات ضبط العذرية، حيث تعددت وتنوعت الدراسات التي تتخذ من قضية الختان موضوعاً لها، منها دراسات طبية، ودراسات نفسية، ودراسات إحصائية، وأخرى اجتماعية، وقد آثرت الباحثة عرض إحدى الدراسات الاجتماعية بشكل مفصل ومستفيض، وذلك لعدة أسباب منها: أنها دراسة متخصصة سوسيولوجية علي المجتمع المصري، قامت بها باحثة أكاديمية مصرية ، كما أنها تعتبر من وجهة نظر الباحثة دراسة شاملة من حيث دراسة كافة مكونات عملية الختان، وهو ما يتفق مع دراستنا الراهنة ، أيضاً لإتفاق بعض نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراستنا الراهنة، خاصة انتشار ظاهرة الختان في الشريحة المتوسطة والدنيا، وقلة الانتشار في الشريحة العُليا، وأن قوة العادة الاجتماعية تفوق تأثير وسائل الإعلام والتثقيف الصحي في بعض الأحيان.

ب. <u>ختان الإناث: دراسة اجتماعية*</u>

قدمت الباحثة لدراستها عن ظاهرة ختان الإناث موضحةً أنها إحدى العادات المنتشرة في المجتمع المصري، والتي تمثل جزءاً من ثقافته يحمل العديد من المعاني والتصورات المتناقلة

---

(١) تقارير وزارة الصحة، الختان في محافظات مصر، مطبوعات وزارة الصحة، القاهرة، ٢٠٠٠ .

(٢) اليونيسيف. وضع الطفولة والأمومة فى مصر. تحليل على أساس الحقوق، يونيسيف (منظمة الأمم المتحدة للأطفال)، مركز الأهرام للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ص٧٥-٧٦.

* سعاد عثمان. ختان الإناث: دراسة اجتماعية، في : المرأة والمجتمع وجهة نظر علم الاجتماع، علياء شكري وآخرون،ط١،دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،١٩٩٨.

تاريخياً عبر العصور، وتستمد هذه الظاهرة أهميتها من كونها ظاهرة إنسانية عالمية انتشرت جغرافياً عبر دول وقارات العالم، وأنها تضرب بجذورها إلى عصور تاريخية سحيقة، كما ارتبطت بشكل أو بآخر بالأديان المختلفة.

تتحدد أهمية الدراسة في محاولة رصد جوانب ظاهرة ختان الإناث وأبعادها باستخدام المنهج العلمي، ونظراً لتشعب الظاهرة، وارتباطها بالعديد من عناصر الثقافة، فإن البحث يهدف إلى محاولة دراستها كواقع وممارسة في علاقتها بالسياق الثقافي الاجتماعي العام في ضوء الأبعاد الاجتماعية والثقافية لممارسيها، وذلك بالاستعانة ببعض القضايا التي تنتمي إلى أطر تصورية مختلفة كالنظرية الأنثوية، والنظرية الوظيفية، ونظرية الثقافة وغيرها من أجل مزيد من الفهم لواقع الظاهرة.

أولاً الإطار المنهجي للدراسة:

تعد دراسة سوسيوانثربولوجية لإحدى المشكلات الاجتماعية ذات طبيعة ثقافية منتشرة في المجتمع المصري. لذا تنوعت المداخل المنهجية للدراسة لتشمل أبعاد دراسة الظاهرة الفلكلورية- أبعادا جغرافية، واجتماعية، ونفسية- حيث اعتمدت على التكامل المنهجي من خلال الاستعانة بطرق كمية وكيفية.

تكمن **أهمية الدراسة** في أن بعض المشكلات الاجتماعية تستمد مقوماتها من الثقافة السائدة التي قد تدعم بقاء المشكلة وتساعد على استمرارها تاريخياً وانتشارها جغرافياً فهي مشكلة اجتماعية وفي نفس الوقت عادة راسخة تاريخياً تتمتع بكافة خصائص ومقومات العادة، وتتمثل الأهمية النظرية للدراسة في محاولة اختيار بعض قضايا النظرية الأنثوية ، والنظرية الوظيفية.

أما **مشكلة الدراسة** فتشمل ثلاثة محاور رئيسية هي: محور معرفي، ومحور واقعي، ومحور أخير خاص بالرؤية المستقبلية للظاهرة، وذلك للتعرف على الأبعاد الاجتماعية والثقافية للظاهرة، والكيفية التي تتم بها العادة من حيث ممارستها وأوقاتها وطقوسها، ثم رؤى مفردات عينة البحث للظاهرة وأهم مصادر المعلومات التي كان لها أثر في بلورة تلك الرؤى، وذلك لاستخلاص نظرة مستقبلية للظاهرة موضوع البحث. وتتبلور مشكلة البحث في العديد من **التساؤلات** كالتالي:

١- إلى أي مدى تلعب الأبعاد الاجتماعية والثقافية دوراً في ظاهرة ختان الإناث؟ وإلى أي مدى تنتشر الظاهرة في مجتمعنا المصري؟

٢- كيف يجرى ختان الإناث؟ بمعنى من هو متخذ قرار الختان؟ ومن هو الممارس؟ وفي أي سن يمارس؟ وأين؟ وما هو التوقيت المفضل للممارسة؟ ومراسم الاحتفال؟

٣- إلى أي مدى تتعرض الظاهرة لبعض ملامح التغير؟ وما صدى ذلك التغيير على مستوى السياق الثقافي العام؟

٤- ما هي رؤى مفردات عينة البحث للظاهرة؟ وما هي أهم العوامل التي ساهمت في تشكيل تلك الرؤى؟

٥- ما أهم القضايا التي أثارها البحث في نطاق عينة البحث؟

الإجراءات المنهجية:

طبق البحث على طالبات الفرق الأربع بقسم الاجتماع بكلية البنات، جامعة عين شمس، بلغ عددهن ١٩٢ طالبة، وبالطبع جاءت الحالات منتمية إلي مجتمعات حضرية وريفية في معظم محافظات مصر، ومختلف أحياء القاهرة.

طرق جمع البيانات:

اعتمدت الدراسة في جانبها الميداني على **الاستبيان** الذي أشتمل على ستة محاور رئيسية تدور بصفة أساسية حول كافة ما يتعلق بالظاهرة من بيانات كيفية كممارسة الختان، واتخاذ القرار بشأنها، وتفاصيل الممارسة والاحتفالات المصاحبة لها..الخ. كما ألحق بالاستبيان صورة من مقال للدكتور محمد فياض في جريدة الأخبار الذي يعلن فيه صرخة لتأييد قرار منع الختان للإناث، مؤكدا على آثاره السلبية قصيرة المدى، والأخرى التي تحدث على المدى البعيد، وذلك بهدف إثارة اتجاهات المبحوثات وأفكارهن حول ما يثيره من مفاهيم وقضايا معرفية خاصة بالظاهرة. كما اعتمدت على إجراء **مقابلات متعمقة** مع بعض الإناث عقب ختانهن مباشرة، وبعض أقاربهن، وبعض الأطباء من ممارسي الختان.

واعتمدت الباحثة في عملية التحليل والتفسير على الأسلوب الكمي والكيفي، بالتحليل المقارن، وتحليل المضمون.

أما **الخصائص الاجتماعية والثقافية** لعينة البحث، فقد قامت الباحثة بتقسيم عينة البحث -١٩٢- إلى شريحتين طبقيتين عليا ووسطى، تعبران عن الشريحتين الوسطى وسطى، والوسطى دنيا. كما قسمت العينة أيضاً إلى ثلاث فئات، ريفية، حضرية، وحضرية من أصل ريفي، كما تحقق في العينة أيضاً البعد الديني فكانت غالبية العينة من المسلمات، ونسبة قليلة من المسيحيات. وقد تناولت الباحثة بعض المتغيرات في علاقتها بقضية الختان، مثل متغير التعليم في جيل الآباء، والإقبال على وسائل الإعلام، والإقبال على القراءة ونوعيتها، وأخيراً ارتداء غطاء الرأس والزي المحتشم.

ثانياً الختان كممارسة:

عرضت الدراسة لختان الإناث كممارسة ومتغير عن بعض المعتقدات الشعبية في ذاته وذلك من خلال معرفة متخذ قرار الختان، وتوقيت وسن الختان، وأماكن الممارسة، ونوعية ممارس الختان، والختان الجماعي، وأخيراً احتفالية الختان.

ثم تطرقت لبعض المحاولات لتغيير عادة ختان الإناث، وكيف إنها على المستوى الواقعي تعتبر حالات قليلة، فقوة العادة المتوارثة إنما تتمتع بقوة قاهرة تفرض على الخارجين عن ممارستها هجوماً واستنكاراً من الجماعة.

ثالثا: ختان الإناث: رؤية واقعية ونظرة مستقبلية:

لقد أكدت الباحثة على أن الفرد يكتسب الجانب الأكبر من ثقافته من خلال الأسرة والأصدقاء والزملاء، ورفاق العمر، كما يكتسبها من وسائل الاتصال الجماهيري، وأيضاً من المشاركة في العلاقات، وفي ممارسة الطقوس وسماع الحكايات وغيرها. ولعب كل ما سبق دوراً أساسيا في تشكيل رؤى الأفراد في عينة البحث.

لذا فمن خلال تحليل مضمون آراء المبحوثات حول مقال دكتور فياض جاء استنكار أفراد العينة للموقف السلبي لرجال الدين والأطباء والمثقفين، وعزوفهم عن نشر الوعي بين الناس فيما يتعلق بقضية ختان الإناث، مما ساهم في إفراز القضية الثانية وهو موقف وسائل الإعلام المصري من الظاهرة، حيث تضافرت القضيتان لتسفرا عن القضية الثالثة وهي حالة اللاوعي العامة حول الختان وأنواعه. كما تطرقت رؤية المبحوثات من هذه القضايا السابقة إلى قضيتين ذاتي صلة بختان الإناث وهما: وضع المرأة في المجتمع المصري، وصورة الإسلام في عيون العالم.

وانتهت الباحثة في هذه الجزئية إلى وجود تباين بين مفردات البحث سواء المختونات أو غير المختونات فيما يتعلق بالقرب أو البعد عن الحقيقة العلمية المتضمنة في المقال، كما كان للبعد الريفي والحضري دور في هذا التباين.

لقد ناقشت الدراسة قضية علاقة ختان الإناث بالعفة والفضيلة، حيث أكدت غالبية العينة على اختلاف المستويات الطبقية والريفية والحضرية أنه لا علاقة بينهما، وعبرن عن رأيهن بعبارات تعكس في مجملها انه كم من غير مختونات وسلوكهن جيد، ويتحلين بالفضيلة والعفة، وقد يكون العكس صحيحاً، وأكدن على أهمية التنشئة الاجتماعية والتربية في التحلي أو التخلي عن السلوك القويم. وهذه الفرضية إنما تتفق مع نتيجة بحثنا هذا على اختلاف ان بحثنا طبق

على الحضر فقط. وهذا لا يمنع وجود آراء لبعض المختنات المقتنعات بوجود علاقة بين ختان الإناث والفضيلة والعفة، وأن الثقافة تعمل على تلقين الأفراد ما تراه من مزايا للختان متجاهلة كل عيوبه مما يزيد من قناعة البعض بإجرائه.

وعن مزايا الختان توضح نتائج الدراسة أن مزايا ختان الإناث إنما تفصح عن الوظائف التي تؤديها الظاهرة لمن يمارسونها، وبالتإلي للبنية الاجتماعية ككل وإن اختلفت الوظيفية ما بين الظاهر والكامن. فالوظيفة الظاهرة إنما الختان يحافظ على العفة والفضيلة والشرف والأخلاق، سواء قبل أو أثناء أو بعد الزواج. وهناك وظائف أخرى لختان الإناث تعتبرها الدراسة وظائف كامنة، منها أنه للتمييز بين المرأة والرجل، أو إنه يكسب الفتاه خصائص أكثر تفضيلاً. ويتبدى ذلك فيما تفعله بعض الأمهات من تزييف وعى بناتهن حين يبالغن في بعض المميزات بحيث يجعلن الختان يحقق لهن ما يتمنين من صفات.

أما عن عيوب الختان، فأوضحت نتائج الدراسة أنها كانت أكثر وضوحاً لدى المختنات -وهو ما يختلف عن نتائج دراستنا، حيث إن من أجريت لهن عملية الختان وعانين من مضاعفات قصيرة الأمد أو بعيدة الأمد، كن أكثر رفضاً لختان بناتهن ولديهن وعى كاف بمساوئ وعيوب الختان أكثر من غير المختنات أو ربما على درجة متقاربة- وذلك لأنهن من بيئات أكثر انفتاحاً ومصادر معلوماتهن أكثر عملية، وقد تحدثن عن عيوب وظيفية كحدوث التزييف وبعض الالتهابات الحادة، والأنيميا، والبرود الجنسي، كما يؤثر على الحالة النفسية للفتاة، ويفقدها الثقة في والديها، ولدى البعض في أنفسهن وترك آثار نفسية وصحية سيئة.

وربما أحد عيوب الختان لدى البعض يمثل في ذات الوقت أحد مميزات الختان، مثل البرود الجنسي حيث يراه البعض معوقاً وظيفياً حيث يؤدي إلى نفور الزوج من زوجته، ومعايرته لها، إلا أن ذلك العيب يُعد عند آخرين ميزة وإسهاماً وظيفياً لعادة ختان الإناث، حيث يضمن تمسك المرأة بالفضيلة سواء قبل زواجها أو بعده، أو في حالات سفر الزوج أو وفاته ..إلخ. وهذه النتيجة من الواضح أنها مستمرة عبر الزمن حيث أتت دراستنا بنفس النتيجة وانقسمت حالات الدراسة في رؤية القضية الواحدة بين أن تكون ميزة لدى البعض لختان الإناث، وعيباً لدى الآخرين.

من أهم نتائج الدراسة:

١- كشفت الدراسة عن انتشار ظاهرة ختان الإناث في كافة قطاعات المجتمع المصري الريفية والحضرية، ولدى مختلف الشرائح الطبقية، كما كانت هناك علاقات عكسية بين تعليم الآباء وإجراء الختان لبناتهم.

١- كشفت دراسة الممارسات الخاصة بالظاهرة عن عدم وجود فروق طبقية أو ريفية حضارية تذكر فيما يتعلق باتخاذ قرار الختان، وتوقيته، وإجرائه. وأهم ما يتفق هنا مع نتائج دراستنا أن قرار الختان إنما هو قرار أنثوي سواء كان ذلك ظاهراً أو مستترا خلف رأي الأب.
٢- كما أظهرت الدراسة عن وجود فروق طبقية وريفية حضرية في سن الختان، والقائم بالممارسة، ومكان الختان، واحتفاليته، والاتجاه نحو التغيير.
٣- عادة ما يجرى الختان مرة واحدة في العمر، لكن ربما يُكرر مرتين أو أكثر إذا لم يحدث النتيجة المرجوه منه.
٤- - إن العادة تمثل قوة معيارية وظاهرة تتطلب الامتثال الجماعي لها حيث تستمد سلطتها رأسياً من التاريخ، وأفقياً من المجتمع والثقافة.

تميل أكثر من نصف عينة البحث إلى تفضيل الختان مما يجعل الصورة أكثر قتامة خاصة وأن عينة البحث من الإناث الشابات الجامعيات وربما تختلف نتائج دراستنا مع النتيجة السابقة فقد رفضت أكثر من نصف العينة إجراء الختان لبناتهن سواء كن مختتنات أو غير مختتنات.

ج. قادة الرأى وقضية الختان

- وفىأوائل عام ٢٠٠٢م[١] وكجزء من تدخلاتها على المستوى الوطنى، أكملت اليونيسيف دراسة نوعية رائدة عن المواقف المختلفة لقادة الرأي تجاه ختان الإناث، طبقت علي ٢١ شخصاً من قادة الرأى الذين يمثلون مختلف المجالات، من وسائل الإعلام، والطب، والدين، والسياسة، والقانون، والعلوم الاجتماعية والسلوكية، تحقق فيها متغير النوع، فكانوا من الذكور والإناث، كما اهتموا أيضاً بمتغير الدين فكان منهم المسلمون والمسيحيون، وجاء انتقاء أفراد العينة ممن لهم تأثير علي الرأي العام سواء كان بسبب مواقعهم أو شعبيتهم. وتمثلت أهداف الدراسة في التعرف علي مستوي المعرفة والإتجاهات، والمواقف، والقيم العامة لدى قادة الرأي، والمفكرون في مختلف المجالات إزاء عادة الختان، واستعدادهم للمشاركة في التصدى لها. وسعت الدراسة الى تحديد عدد من قنوات الإتصال للتعامل جماهيرياً مع الختان . بالاضافة الى توضيح بعض نماذج للرسائل والأطر التي قد يري فيها قادة الرأي أنها قد تؤثر علي الفئات التي يستهدفونها.والكشف عن المعوقات التي قد تحول دون تحقيق حوار قومي حول ختان الإناث.

وقد استخدم دليل المقابلة من خلال المقابلات المتعمقة كأداة بحثية، تمت بواسطة طبيب

---

(1)اليونيسيف.دراسة لقادة الرأى فى:ختان الإناث.. محاربة عادة القرون"،منشورات اليونيسيف، ٢٠٠٢ .

صحة عامة يتمتع بخبرة واسعة في إجراء المقابلات. وخلصت الدراسة إلي العديد من النتائج منها:

- أن عدداً قليلاً جداً من المشاركين يعرفون أن عادة ختان الإناث واسعة الانتشار بين جميع الفئات الاجتماعية في المجتمع المصري.
- أن سبب إجراء هذه الممارسة هو الحد من الرغبة الجنسية الزائدة للفتاة، ومن ثم ضمان حسن سلوكها.
- أن سبب انتشار هذه الممارسة الجهل والأمية، وانخفاض الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمرأة، والصورة الشعبية لها علي أن النساء قوالب جنسية فقط.
- أن هذه الممارسة ليس لها علاقة بالدين وإنما هي تقليد اجتماعي محض يمارسه المسلمون وغير المسلمين، ولا يمارس في الدول الإسلامية الأخرى.
- أن أغلب المشاركين يرفضون هذه الممارسة لما لها من آثار صحية ونفسية خطيرة على الفتاه مما قد يؤدي إلى تعاطى المخدرات و تكوين العلاقات غير المشروعة.
- هناك عدد قليل من المشاركين يؤيدون بقوة ضرورة إجراء هذه الممارسة، وقد برر هؤلاء هذا التأييد إما لأسباب دينية، أو لأسباب أخلاقية، واسند أحدهم تأييده لأسباب تجميلية.
- أن حملات التوعية المعارضة لممارسة الختان هي أفضل استراتيجيات المواجهة، والتي ينبغي أن تبرز الأخطار الصحية الجسيمة الناتجة عن هذه الممارسة، كذلك التأكيد على أنها ليست فريضة دينية.
- أن الجهود المبذولة في التوعية ضد هذه العادة ينبغي أن تكون في إطار ثورة اجتماعية أكبر لتغيير القيم والمفاهيم عن دور المرأة في المجتمع، كذلك تغيير الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تدعم استمرار هذه الممارسة.
- أن تضافر الجهود بين مختلف جهات ومؤسسات الدولة حكومية كانت أو غير حكومية أمر ضروري للقضاء علىهذه العادة.
- هناك ضرورة لتوعية الأطباء ضد ختان الإناث، وتوفير خدمات المشورة للنساء لمساعدتهن في التغلب عل مشكلاتهتن.
- هناك حاجة لتوجيه الاهتمام فى مرحلة التعليم الأساسي نحو غرس الأفكار الجديدة المناهضة لعادة ختان الإناث، وإعلاء القيم المرتبطة بأهمية ودور المرأة في المجتمع.

- أكدت الدراسة على دور أجهزة الإعلام في القضاء على هذه الممارسة باعتبارها الوسيلة الأكثر فاعلية في التأثير على سلوك الناس.
- أن استخدام كل من المدخل الديني والاجتماعي والطبى ومدخل حقوق الإنسان يمكن أن يكون مفيداً للغاية في الإقناع بأضرار الختان وأهم هذه المداخل وأكثرها إقناعاً المدخل الديني، والمدخل الطبي.

د. الختان فى قرية (دير البرشا)(١)

تكمن **أهمية** هذا البحث فى أنه يتصدى لدراسة مجال جديد لم تتناوله الدراسات السابقة عن ختان الإناث فى مصر، ألا وهو بحث العوامل التى أدت إلى تغير سلوك قرية بأكملها تجاه تلك العادة المتأصلة والمنتشرة بشكل واسع فى المجتمع المصري.

قامت **فرضية البحث** علي أن تجربة قرية دير البرشا تطرح نموذجاً جديداً مغايراً للجهود التقليدية لمناهضة ختان الإناث، وأن منع ختان الإناث فيها وثيق الصلة بالجهود التنموية التى تمت فيها بالتعاون بين إحدى الهيأت الدينية –الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعيةSEOS– وبين القيادات المجتمعية في القرية، كما أن سفر الرجال للعمل في خارج البلاد قد ساهم في تعزيز التخلي عن عادة ختان الإناث .

ولتقييم تأثير الجهود التنموية على موقف قرية دير البرشا من ختان الإناث، تمت مقارنة الوضع فيها مع قرية أخرى –ضابطة– تتشابه معها في الظروف العامة، علي ألا تكون فيها جهود تنموية قائمة و "هي قرية برشا". وتعد قرية "دير البرشا" إحدي قرى الصعيد، الواقعة على الضفة الشرقية للنيل فى أقصى الحدود الجنوبية لمحافظة المنيا.

وقد استهدفت الدراسة استكشاف مدى حجم التغير الفعلى فى موقف أهالى قرية دير البرشا تجاه ختان الإناث، ومدى استمرار منع ختان الإناث فى هذه القرية، بالإضافة إلى التعرف على العوامل التى ساعدت الأهالى والقيادات على اتخاذ هذا الموقف.

وتم إجراء مسح واسع من خلال استبيان مقنن، قام الباحثون بإستيفاء بياناته من خلال مقابلة الأهالى فى القريتين، واتفق على اختيار عينة ممثلة من أهالى قرية دير البرشا قوامها ٥٠٠ أسرة (من حوالى ٢٥٠٠ أسرة بالقرية) والاكتفاء بعينة محدودة من القرية الضابطة، ممثلة في ١٠٠ أسرة، يطبق عليها نفس الاستبيان من حيث الأساس بعد تعديله عدا استبعاد بعض الأسئلة التى تتعلق بالوضع الخاص بقرية "دير البرشا". تم إجراء مقابلات متعمقة مع مجموعة من أهل قرية "دير البرشا" لمعرفة أسباب التغير فى موقف الأهالى تجاه ختان الإناث.ومن أهم نتائج الدراسة أن هناك تغيراً فعلياً في موقف قرية دير البرشا من ختان

---

(١) آمال عبدالهادى؛ "لا تراجع. كفاح قرية مصرية للقضاء على الختان"، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، هيئة التنمية والمعونة الكندية (سيدا)، القاهرة، ١٩٩٨.

الإناث مقارنة بقرية البرشا، وتغيراً كبيراً في أراء قسم كبير من المستجيبين والمستجيبات فى قرية دير البرشا من ختان الإناث، انعكس بشكل واضح فى سلوكهم الفعلى من عدم ختان بناتهم.

إن نسبة ختان الإناث بين المستجيبات في قرية دير البرشا أقل منها في القرية الضابطة، ويتأكد موقف أهالى دير البرشا من خلال النسب التالية: إن نسبة ٧٠,٦% من العينة يميلون إلى أن منع الختان للإناث سيستمر، وذلك بفضل جهود الهيئة القبطية الإنجيلية بالقرية والتى تلعب دوراً هاماً في ذلك. أما من يعتقدون فقط أن هذا الوضع لن يستمر وأن ختان الإناث سيعاود في الظهور مرة أخرى فهم نسبة محدودة ١٧,٤%، ويرجعون السبب في ذلك إلي قوة العادة الاجتماعية ، واستمرارها في الخفاء.

تميل النسبة الأكبر من العينة ٦٨ % من النساء و ٦٣% من الرجال في قرية دير البرشا إلى أن ختان الإناث ليس من الدين في شيء، وما هي إلاعادة اجتماعية متوارثة. وهذه النسبة إنما تقترب من نسبة من قالوا بأن منع ختان الإناث سيستمر في القرية، بينما من يرون أن ختان الإناث من الشعائر الدينية فلا تزيد نسبتهم عن ١٠% فقط . وتأكيداً على حدوث التغيير بقرية دير البرشا أن حوإلي ثلث العينة – نسبة ٣٢% – أفادوا بأنهم ساعدوا علي عدم ختان آخرين سواء من الأخوات أو الأقارب، وفي أحيان أقل من الجيران.

ومن النتائج الأخرى التى انتهت اليها الدراسة أن الإقلاع عن الختان بالقرية وثيق الصلة بنمط العمل التنموي بها، وبدور القيادات المجتمعية فيها خاصة الدينية، وكذلك بهجرة الرجال للعمل بالخارج وإعطاء فرصة للنساء بالاحتكاك المباشر مع قادة الرأي ورجال الدين والمرشدات الصحيات. كما تضافرت هذه العوامل مع بعضها البعض مما أدي إلي محصلة نهائية تتجاوز التراكم البسيط لتأثير كل منها علي حده. وتري الباحثة ضرورة أخذ نتائج هذه الدراسة ببعض من التحفظ.

٤. **الختان فى واحة سيوة[١]**

تستهدف الدراسة الراهنة– بشكل عام– التعرف على أدوار المرأة السيوية والكشف عن ملامح التغير فى أوضاعها فيما يتعلق بعلاقتها الأسرية نحو الزوج والأولاد والأقارب وبالعادات والتقاليد السائدة فى المجتمع.

وقد تطرقت الدراسة إلى عادة الختان فى هذا المجتمع السيوى ولتحقيق أهداف الدراسة فقد تم الاعتماد على بيانات ميدانية ،باستخدام استمارة الإستبيان كأداة للبحث؛ تضمنت مجموعة

---

(١) علية عبدالعظيم الشرقاوى. دور المرأة فى البيئة الصحراوية. دراسة أنثروبولوجية للمرأة فى ثلاث قرى بواحة سيوة، رسالة ماجستير(غير منشورة)، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس، ٢٠٠٣.

من الأسئلة طبقت على عينة من السيدات المتزوجات قوامها ١٨٩ مبحوثة اختيرت من ثلاث مناطق ، وهى مدينة سيوة المركز، وقرية بهى الدين، وقرية أم الصغير. كما تم صياغة دليل عمل ميدانى طبق من خلال المقابلات المقننة. .

وتوصلت الدراسة عبر نتائجها إلى أن مجتمع الدراسة قد إلتزم بختان الأولاد الذكور فقط على اعتبار أنه من سنن الإسلام. بينما تخلين عن ممارسة ختان الإناث، فلا تجرى لهن هذه العملية إطلاقاً كما هو متبع بمدن وادى النيل، ومن أسباب ذلك-كما ذكرت الإخباريات-: - انعزال الواحة عن العالم الخارجى لفترات طويلة من الزمن .

- أن أغلبية سكان الواحة من القبائل العربية الوافدة أثناء الفتوحات الإسلامية، وهذه العادة غير منتشرة بالبلدان العربية.

-إضافة إلى أن الفتيات فى واحة سيوة يتزوجن فى سن صغيرة جداً .

ومن الجدير بالذكر أن السيويين قد استخدموا طريقة أخرى بدلاً من ختان الإناث بالطرق الشعبية المتداولة فى مدن وريف وادى النيل، فذكرت الإخباريات أن الأم بعد الولادة تستخدم كعب رجل الطفلة وتضغط به على منطقة البظر. ويستخدم ذلك يومياً لمدة خمس دقائق كى لا تنمو هذه المنطقة فى الأسبوع الأول بعد الولادة. ويتحدث أحد الأطباء(*) في هذا الشأن أنه لا يوجد تفسير علمى لذلك، ولكن ربما يكون استخدام كعب رجل الطفلة والضغط به على هذه المنطقة يقلل التغذية الدموية لأنسجة البظر مما يقلل من معدل نموه، ولكن هذا مجرد ظن طبى غير مؤكد.

و- موقف الأطباء من ختان الإناث(١)

قامت باحثتان بمحاولة رصد ومعرفة موقف الأطباء تجاه ممارسة ختان الإناث،واستهدفت الدراسة بحث اتجاهات ومواقف الأطباء من ختان الإناث ومعرفة العوامل التى يعتقد فى تأثيرها على مواقف الأطباء من تلك العادة.

وقد تمت الدراسة على حوالى ٥٠٠ طبيب وطبيبة، من العاملين فى وزارة الصحة، وكليات الطب فى الجامعات الثلاث داخل مدينة القاهرة (القاهرة، عين شمس، والأزهر) من التخصصات المختلفة ذات الصلة بممارسة الختان، وهى النساء والتوليد، الجراحة العامة، الأطفال، الصحة النفسية، والصحة العامة.

وحول موقف الأطباء من ختان الإناث توصلت الدراسة إلى أن حوالى نصف الأطباء (٤٩%) قد أبدوا رفضاً تاماً للختان. وقد توزع النصف الباقى على من يؤيدون الختان بدرجات متفاوتة:

(*) مقابلة اجريت مع أحد إخباري الدراسة من الأطباء

(١) أمال عبدالهادى، سهام عبدالسلام؛ "موقف الأطباء من ختان الإناث"، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، ١٩٩٨. (بحث مقدم من شبكة البحوث والمعلومات والعمل من أجل حماية كيان المرأة (رينو).

- المؤيدون لإجراء الختان نسبة ضئيلة من النساء (٣١,٧%).
- المؤيدون لإجراء الختان بنسبة كبيرة من النساء (١٨%).

أما موقف الأطباء من ختان بناتهم، فعلى صعيد المواقف العملية نجد أن معارضى الختان لم يختنوا بناتهم، ولن يختنوهن فى المستقبل بنسبة ٩٨,٥%. أيضاً الغالبية العظمى ممن يرون الختان ضرورياً لنسبة ضئيلة لم يختنوا بناتهم ، وأقلية ضئيلة منهم سيختنون بناتهم فى المستقبل، لكن الموقف يختلف مع مؤيدى الختان، فرغم أن أغلبهم لم يختنوا بناتهم، إلا أن حوالى ربعهم قد ختنوا بناتهم بالفعل. كما أن أغلبهم أفادوا بأنهم سيختنون بناتهم فى المستقبل.

وفيما يتعلق بالعوامل المؤثرة على موقف الأطباء أوضحت الدراسة ضعف تأثير التعليم الطبى على مواقف الأطباء من ختان الإناث وتراجعه، لتلعب الأسرة والمناخ الثقافى العام دوراً أكثر تأثيراً، وهو أمر يخالف الفهم السائد فى المجتمع المصرى عموماً، والمجتمع الطبى خصوصاً. وتظهر نتائج الدراسة أن ما يدركه قسم غير قليل من الأطباء عن قضايا الجنس عموماً، وعن الختان خصوصاً لا يكاد يختلف من حيث الجوهر عن المفاهيم غير العلمية الشائعة بين معظم القطاعات الأخرى التى لم تحظ بما يتيحه التعليم الطبى من حقائق علمية حول تلك القضايا.

ومن أهم نتائج الدراسة ارتباط رفض الختان بموقف منفتح من حقوق المرأة والثقافة الجنسية وفهم الدين. فى المقابل يرتبط تأييد الختان بموقف متزمت سواء فى قضايا الجنس أو الدين أو المرأة. ويبدو أن العامل الأساسى فى تشكيل هذه النظرة هو الموقف العام للأسر التى نشأ فيها الأطباء.

ولابد أن نذكر أنه من الغريب أن الاتجاه المعارض لختان الإناث كان دائماً الاتجاه الأكبر حجماً بين الأطباء فى مختلف الدفعات التى تخرجت منذ بداية الستينات وحتى منتصف السبعينات، باستثناء الدفعات فى الفترة ١٩٧٥-١٩٧٩. لكن للأسف بينما كان هذا الاتجاه يمثل الأغلبية حتى عام ١٩٧٥، فإنه حالياً يمثل حوالى نصف الأطباء رغم أنه مازال يمثل أقلية محدودة بين إجمالى المستجيبين اعتباراً من الدفعات التى تخرجت منذ منتصف السبعينات والثمانينات.

ز. أثر التعليم في ممارسة ختان الإناث

وعن دور متغير التعليم في اتجاهات الوالدين نحو ممارسة ختان الاناث، نجد عديداً من الدراسات قد ناقشت هذه العلاقة ، يمكن عرضهم معاً في علاقتهم بهذا المتغير،

فقد أجري **محمد فرحات**[1] دراسته حول اتجاهات الأمهات المتعلمات وغير المتعلمات

---

[1] محمد عبدالحميد فرحات. دراسة مقارنة بين اتجاهات الأمهات المتعلمات وغير المتعلمات نحو ختان الإناث، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، ٢٠٠٠.

نحو ختان الإناث. وقد تم إجراء الدراسة على عينة عشوائية تبلغ ٣٢٩ مفردة، تشمل الأمهات المتعلمات وغير المتعلمات في محافظتى القاهرة وكفر الشيخ. وقد توصلت نتائج الدراسة إلى عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين اتجاه الأمهات فى محافظة القاهرة والأمهات فى محافظة كفر الشيخ نحو ختان الإناث، أي أن بينما وجدت فروق دالة إحصائياً بين اتجاه الأمهات غير المتعلمات والمتعلمات فى محافظة القاهرة نحو ختان الإناث، لا توجد فروق ذات دلالة بين اتجاهات الأمهات غير المتعلمات والمتعلمات فى محافظة كفر الشيخ.

— وارتباطاً بذلك نجد دراسة "كاترين"[١] عام ٢٠٠٢ التى تناولت أيديولوجية الأنوثة وسمات النساء السلوكية التى قد تدعم ممارسة عادة الختان فى مصر، فقد توصلت إلى أن هناك علاقة سلبية بين تعليم الأم وممارسة عادة ختان الإناث، بينما هناك علاقة إيجابية بين الاعتماد على الأطباء فى إجراء ختان الإناث وطبيعة المجتمع و مستوى تعليم الآباء.

— وفى ذات الاتجاه نجد دراسة أمانى عبد اللطيف [٢] عام ٢٠٠٢ التى تركز على اتجاهات النساء نحو ختان بناتهن، وكان مما توصلت إليه من نتائج وجود تغيير واضح فى اتجاهات النساء نحو الختان، وأن هناك علاقة دالة إحصائياً بين متغيرات العمر، والمهنة، والتعليم ،ومحل الإقامة (ريف – حضر)، وبين انتشار ختان الإناث.

وتتفق هذه النتائج مع ما توصلت إليه دراسة ليلى دباغى[٣] عام ٢٠٠٢ عن وجود علاقة ارتباط موجبة بين توافر الفرص التعليمية والثقافية والاقتصادية للإناث فى دول العالم النامى– ومنها مصر– وبين التخلص من ممارسة عادة ختان الإناث.

—لقد درس وحيد الدسوقى[٤] عام ٢٠٠٣ اتجاهات الأسر نحو ختان الإناث فى منطقة

(1) Kathryn M.Yount: "Like mother, like daughter? Female Genital Cutting in Minia, Egypt", Journal of Health and social Behaviour, Vol.43, No.3, Sept., 2002, pp.336-358.
http: // www. Ericae net/ 29/3/2004.

(2) Amany Farouk Abdel Latif: "Determinants of Female Genital Cutting in Egypt", **Cairo Demographic Center**, Research Monograph Series, 31st Annual Conference on Population, Development and Youth Issues in Developing Countries, No.31, Dec.26-28, 2002, pp.1-24.

(3) Leila Dabbagh: "Female Genital Cutting, Applying the precede-proceed model to understand the incentives for the practice", **Health Education Monograph Series**, Vol.19, No.1, 2002, pp.18-23.

(٤) وحيد الدسوقى. تجربة مركز قضايا المرأة المصرية فى مناهضة ختان الإناث باستخدام النماذج الإيجابية. دراسة ميدانية ببولاق الدكرور، ورشة عمل لنشر الوعى عن طريق النماذج الإيجابية، **مركز قضايا المرأة المصرية**، في:
http://www.cewla.org/Feb.paper. 2003/ 26-3-2003

بولاق الدكرور بالجيزة، وتوصل في نتائجه إلى ارتفاع عدد الأسر المؤيدة لختان الإناث هناك، وأن أعلى نسبة لإجراء الختان للإناث تتم فى الفئة العمرية (٧-١٠) سنوات، وتعد الأم هى صاحبة القرار الأساسى فى إجراء الختان للإناث تليها الجدة، كما أن "الأطباء" هم أعلى الفئات التى تجرى ختان الإناث.

ح. الختان في علاقته بمخاطر الولادة[1]

أجريت حديثاً دراسة لمنظمة الصحة العالمية عام ٢٠٠٦ ، حول مضاعفات الختان وأثرها علي تعسر الولادة، ووفيات المواليد. شملت الدراسة ٣٩٣ امرأة و٢٨ مركزاً من مراكز التوليد في بعض البلدان تنتشر فيها ظاهرة تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية (الختان)، وهي: بوركينا فاصو، وغانا، وكينيا، ونيجيريا، والسنغال، والسودان. واختلفت تلك المراكز من مستشفيات ريفية معزولة إلى مستشفيات جامعية تقع في عواصم المدن. وتم اختيارها لعكس التنوّع الحقيقي لتلك الممارسة. وقامت الدراسة علي فرضية أساسية مؤداها أنّ النساء اللائي تعرّضن لتشويه في أعضائهن التناسلية أكثر عرضة بكثير من غيرهن لمشاكل الولادة وأنّ أطفالهن أكثر عرضة للوفاة من غيرهم جرّاء تلك الممارسة. من بين المضاعفات الخطيرة التي تُصادفهن أثناء الولادة، هي خضوع الأم لعملية ولادة قيصرية، وإصابتها بنزيف شديد بعد الولادة. وتشير الدراسة إلى أنّ مستوى المضاعفات يزداد وفقاً لحجم التشويه التناسلي ووخامته. وفيما يخص الولادة القيصرية، فإنّ احتمال إجراء تلك العملية على فئة النساء اللائي تعرّضن لأشدّ أنواع التشويه التناسلي ("النوع الثالث") يفوق احتمال إجرائها على غيرهن من النساء اللائي لم يتعرّضن لأي من أنواع تلك الممارسة بنسبة30% . وبالمثل، فإنّ تلك الفئة من النساء تشهد زيادة في عدد المصابات من النزيف الذي يعقب عملية الوضع بنسبة ٧٠%، بالمقارنة مع النساء اللائي لم يتعرّضن لتشويه في أعضائهن التناسلية.

وخلصت الدراسة إلى أنّ تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية يشكّل خطراً كبيراً على الأطفال خلال الولادة، إذ انتهى الباحثون إلى أنّ نسبة إنعاش المواليد الذين تعرّضت أمهاتهم لتلك الممارسة تفوق نسبة إنعاش غيرهم من المواليد (ونسبة الإنعاش- أي دخولهم الحضانات أو غرف العناية الفائقة- أعلى بنحو ٦٦% لدى النساء اللائي تعرّضن للنوع الثالث من ذلك التشويه). كما ترتفع معدلات وفيات الأطفال أثناء الولادة وبعدها مباشرة ارتفاعاً شديداً لدى

(1) دراسات منظمة الصحة العالمية، تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية ومخاطر كبيرة أثناء الولادة، في: http://www.who.int/mediacentre/news/releases/2006/pr30/ar/

فئة الأطفال الذين تعرّضت أمهاتهم لتشويه في الأعضاء التناسلية. فتلك المعدلات أعلى بنسبة ١٥% فيما يخص النساء اللائي تعرّضن للنوع الأول من الختان من تلك الممارسة، وأعلى بنسبة 32% فيما يخص أولئك اللائي تعرّضن للنوع الثاني، وأعلى بنسبة ٥٥% فيما يخص أولئك اللائي تعرّضن للنوع الثالث[1]. وتشير التقديرات إلى أنّ هناك، في أفريقيا، من ١٠ إلى 20حالة وفاة إضافية تحدث في كل ١٠٠٠ ولادة جرّاء تلك الممارسة.

وكثيراً ما تُجرى تلك الممارسة، على الرغم من اختلافها بين البلدان، على بنات دون سن العاشرة وتتسبّب في ظهور ندوب مختلفة الحجم. ولا يزال الغموض يحيط بالأسباب الكامنة وراء ظهور المضاعفات أثناء الولادة جرّاء خلفية التعرّض لتشويه في الأعضاء التناسلية، غير أنّ أحد التفاسير المحتملة يفيد بأنّ النسيج الندبي الذي ينشأ بعد تلك الممارسة يُعتبر نسيجاً غير مرن نسبياً يمكنه أن يؤدي إلى انسداد الأنسجة المحيطة بالمهبل وتمزّقها أثناء الولادة. ومن شأن انسداد الأنسجة أن يؤدي بدوره إلى تمديد فترة الوضع، ممّا يزيد من مخاطر التعرّض لعملية قيصرية أو الإصابة بنزيف شديد أو تعرّض الوليد لضائقة أو وفاته قبل الولادة. كما أنّ احتمال الخضوع لعملية بضع الفرج (وهي عبارة عن شقّ جراحي يُجرى على الفرج أثناء الولادة لتلافي تمزّق أنسجته) واردا أكثر بالنسبة للنساء اللائي خضعن لتشويه في أعضائهن التناسلية.

[1] وهو النوع الذي ينطوي على إزالة الأعضاء التناسلية الأنثوية الخارجية بشكل جزئي أو تام، أو إلحاق إصابات أخرى بتلك الأعضاء إمّا بدواع ثقافية أو دينية أو دواع لا تستهدف العلاج. وتُمارس حالياً أنواع مختلفة من ذلك التشويه منها ما يلي:

- النوع الأول- استئصال القلفة، مع استئصال البظر بشكل جزئي أو تام أو دون ذلك؛
- النوع الثاني- استئصال البظر، مع استئصال الشفرين الصغيرين بشكل جزئي أو تام؛
- النوع الثالث- استئصال الأعضاء التناسلية الخارجية بشكل جزئي أو تام، مع غرز/تضييق الفوهة المهبلية (الختان التخييطي).

خاتمة

ويفيد عرض الدراسات بأنّ غالباً ما تكتسي نتائجها أهمية أساسية بالنسبة للمجتمعات المحلية التي يُمارس فيها تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية (ختان الإناث)، وذلك فيما يخص النساء اللائي تعرّضن لتلك الممارسة، ولحماية الأجيال القادمة من النساء والبنات أيضا من شرّها. ولا تزال تلك الممارسة تشكّل إحدى القضايا الملحّة في سلّم قضايا حقوق الإنسان، وينبغي أن تسهم البيّانات الموثقة الخاصة بآثارها الضارّة، على الأمهات وأطفالهن على حد سواء، في حمل المجتمعات على التخلّي عنها. وتوصي منظمة الصحة العالمية بضرورة مواجهة هذه العادة الضارة ومحاربتها من أجل التخلّص من تلك الظاهرة. فهي تمثّل انتهاكاً مباشراً لحقوق البنات الصغار، وعملية تنتج عنها أضرار صحية على المدى القصير والطويل.

الفصل الثالث

الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية

الفصل الثالث

الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية

مقدمة

أولا: مناهج وطرق جمع البيانات

١- المنهج الانثربولوجي

٢- منهج دراسة الحالة

ثانيا: اختيار حالات الدراسة

ثالثا: خصائص الحالات

رابعا: فترة العمل الميداني

مقدمة

تعتمد الدراسة الراهنة على مجموعة من البيانات متعددة الأبعاد، يشمل البعد الأول منهـا بيانات ذات طابع وثائقي تضم في أحد شقيها بيانات كمية متمثله في بعض الإحصاءات الخاصة بالختان، وجرائم الشرف، وفاقدات العذرية اللائي تم التبليغ عن حوادث فقدهن لها وتسجيلهن في إحصاءات الجهات المختصة، وتضم في شقها الآخر بيانات ذات سمة كيفية متمثلة في القرارات الرسمية التي تصدر بشأن قضية ختان الإناث، والتى تم التعبير عنها في الخطاب الرسمي الديني والطبي.

أما البعد الآخر فيشمل بيانات ميدانية عن الجوانب المختلفة لدراسة استراتيجية العذريـة وثقافتها، من خلال دراسة خطاب العذرية، وتصورات وتوجهات الأفراد حول ثقافـة العذريـة وقيمة الشرف، والتجليات السلوكية والبيولوجية للعذرية، وممارسات الحفـاظ علـى العذريـة وتمثلاتها، وآليات ضبطها وضبط جسد المرأة، كآلية الختان ومواقف إجرائـه، ومـا يخـتص بالأنوثة وممارساتها.

لقد اعتمد الإطار المنهجي للدراسة في جمع المادة الميدانية على مبدئين أساسيين من خلال المزاوجة بين منهجي الدراسة:

١- تنوع مصادر الحصول على المادة، لتشمل حالات الدراسة والإخباريين على اختلافاتهم، وبعض الوثائق، كالوثائق التاريخية، والطبية والدينية، بالإضافة لبعض الإحصاءات المختلفة والمدعمة لقضايا الدراسة.

٢- تنوع أدوات جمع المادة، بما يخدم إشكالية البحث الأساسية والهدف من إجرائه، ومحاولة التوظيف المتكامل لها، لضمان الحصول على بيانات ومعلومات شاملة ودقيقة إلى حد كبير.

أولا: مناهج وطرق جمع البيانات

اعتمدت الدراسة الراهنة على منهجين أساسيين هما المنهج الأنثروبولوجي، ومنهج دراسة الحالة، ليتعاونا ويتكملا معاً على سبر أغوار الظاهرة موضوع البحث في محاولة للوصول لمزيد من الدقة والتعمق، واستخدما كما يلي:

١. المنهج الأنثروبولوجي

اتجهت الدراسة إلى الاستعانة بالمنهج الأنثروبولوجي بأدواته المختلفة، حيث لعبت وسائل جمع المادة وأدواتها دوراً بارزاً في إثراء البحث، وخاصة ما يتميز به المنهج الأنثروبولـوجي

من خاصية منهجية مهمة من تعمق الدراسة والوصول لدقائق الأمور. من تلــك الأدوات دليــل العمل الميداني، والملاحظة، والمقابلة، والإخباريون.

- **دليل العمل الميداني**

اعتمدت الدراسة على استخدام دليل العمل الميداني كأداة أساسية مهمة بهدف الحصــول على بيانات مفصلة ودقيقة حول موضوعات ثقافة العذرية، والختان كآلية لضبط جسد المــرأة، وخبرات الأنوثة وممارستها، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف احتوى الدليل على ثلاثــة محــاور رئيسية تضم تحت لوائها عديدا من الموضوعات والقضايا الفرعية، تمثلت في:

المحور الأول:

والخاص **بالبيانات الأساسية** حــول الخصــائص الاجتماعيــة والوصــف الاجتمــاعي والاقتصادي لحالات الدراسة فانقسم داخلياً إلى:

أ- بيانات أساسية خاصة بالمبحوثة ذاتها. وتتضمن السن، والحالة التعليمية، والحالة الزواجيــة، والحالة العملية ونوع العمل، وإجمالي الدخل الشهري ومصادره، في حالة المبحوثــات اللائــي يعملن.

ب- بيانات أساسية خاصة بأسرة النشأة. والتي تتضمن إجمالي عدد أفراد الأسرة، وعدد الإخوة الذكور والإناث منهم، وترتيب المبحوثة بين الإخوة، وأثر ذلك على طبيعة العلاقة بينهم، ومكان النشأة، ومكان الإقامة الحالية، ثم تضم بيانات حول خبرات الباحثة في تعدد مــرات الخطوبــة وتجارب الزواج والطلاق إن وجد.

ج- بيانات مفصلة خاصة بأسرة المبحوثة (الأسرة الزواجية). والتي تضم بيانات خاصة بالزوج والأبناء، حول محاور التعليم للزوج والأبناء، وعمل الزوج ونوعيته وتفصيلاته.

د- بيانات مفصلة خاصة بأسرة النشأة (أسرة نشأة المبحوثة سواء للمبحوثات المتزوجات أو غير المتزوجات). والتي تختص بتعليم الأم والأب وأيضاً عمل الأم والأب، وتفصيلاته ونوعيتــه إن وجد.

المحور الثاني:

والمختص بــ"**العذرية والجسد**". فبمجرد أن تبدو على الفتاة بعض المظــاهر الأنثويــة، وتبدأ في أولى المراحل الأنثوية خاصة مرحلة البلوغ، حتى تمارس عليها استراتيجيات العذرية

وثقافتها، وتتخذ ضد أنوثتها آليات تضبط هذا الجسد بل وتحجمه، ويتضمن بعض المحاور الفرعية وموضوعاتها مثل:

أ- **خطاب العذرية:** وذلك من خلال بيانات حول معنى العذرية، والألفاظ الدالة على كلمة العذرية، والمعنى البيولوجي للعذرية، والمعنى المعرفي والسلوكي والقيمي لها، وأهم الأمثال الشعبية المرتبطة بالعذرية، وأكثرها انتشاراً وتعبيراً عن عذرية الفتاة، والفتاة غير العذراء، والأغاني المرتبطة أيضاً بالعذرية، ومواقف التغني بها. كما يضم هذا المحور في طياته الحديث عن قيمة الشرف؛ وهي القيمة وثيقة الارتباط بثقافة العذرية في المجتمع المصري، فيتعرض لمعنى الشرف والمقصود به والكلمات والعبارات الدالة عليه، ومواصفات البنت الشريفة، في مرحلة ما قبل الزواج، والسيدة الشريفة -في مرحلة ما بعد الزواج- والمدلول الاجتماعي لذلك، ومدى ارتباطه بشقي العذرية؛ البيولوجية، والسلوكية القيمية، والتعرض للمقصود بشرف العائلة ومحدداته، وسمعة الأسرة.

ب- **التنشئة والعذرية:** والتي تحوي موضوعات خاصة بالنصائح والعبارات والتوجيهات الموجهة للفتاة للمحافظة على العذرية، سواء الخاصة بالعذرية البيولوجية أو العذرية السلوكية الظاهرة. وتنشئة المسموح به والممنوع عنها، وتحديد الهوية الاجتماعية للقائم أو القائمين بهذا الدور التوجيهي، والقواعد السلوكية والأخلاقية الصارمة والمفروضة على سلوكيات الفتاة وارتباطها بالمراحل العمرية المختلفة، مع الوقوف على أكثر المراحل تكثيفاً لها. وأشكال العقاب التي تتعرض لها الفتاة في حالة عدم الالتزام بها.

ج- **تجليات العذرية:** وتهدف إلى التعرف على بعض المظاهر الدالة على عذرية الفتاة أو فقدها والمرتبطة بطبيعة الأحاديث التي يُسمح لها الحديث فيها والأخرى التي يحذر عليها الاقتراب منها بوصفها عذراءً، والمظاهر الأخرى التي تتبدى في بعض الحركات الجسدية والإيماءات المصاحبة لحديث الفتاة أو صمتها، وكذلك الحركات العفوية أو المقصودة في هذا الصدد، والتعرف على تصورات الأفراد حول أكثر الملامح والمظاهر الجسدية تعبيراً عن سلامة العذرية البيولوجية، والأخرى الدالة على غير ذلك.

د- **ممارسات الحفاظ على العذرية البيولوجية:** حيث يتعرض هذا المحور لمدى معرفة الفتاة بالمتطلبات البيولوجية للعذرية والمتمثلة في غشاء البكارة، وأهم الممارسات البيولوجية التي يمكن اللجوء إليها للحفاظ على العذرية، والأخرى التي يجب الامتناع عنها للوصول لذات الهدف، مروراً بالقيود التي تفرض على عملية النظافة الشخصية والعناية بالأعضاء التناسلية لها، والتصرف حيال بعض المتاعب الصحية التناسلية للفتاة، وبعض مظاهر السلوك والممارسات المرتبطة بالملابس ونوعيتها، وقيود التعرض لبعض المشاهدات المثيرة جنسياً، والأخرى الواقية من انتهاك العذرية أو فقدها.

هـ- **فقد العذرية وانتهاكه:** ويتضمن حالات فقد العذرية خارج نطاق الزواج، والأسباب الظاهرة أو الكامنة خلف ذلك، ومستويات الفقد، والممارسات والإجراءات التي تتخذ حيال ذلك لمواجهة هذا الموقف، ومن المساند والمعاون للفتاة في مثل هذه الحالة، والممارسات التي يتم اللجوء إليها قبل موقف الإثبات المادي للشرف والمتمثل في الزفاف "ليلة الدخلة". ومدى انتشار بعض الممارسات، خاصة جراحات إعادة غشاء البكارة. والمردود الاجتماعي على أسرة هذه الفتاة، وموقف أفراد الأسرة.

و- **تجديد العذرية كمظهر احتفالي:** حيث يتضمن بيانات حول سلوكيات مستحدثة على المجتمع المصري -إنها لم تصل لحد الظاهرة وإنما مازالت حالات فردية تتزايد ببطء- وهو لجوء بعض الحالات لإجراء جراحي لإعادة غشاء البكارة مرة أخرى ليس بسبب فقده خارج نطاق الزواج، وإنما كمظهر احتفالي في أعياد الزواج، للوقوف على أسباب ذلك وكيفية إتمامه، والتوجه والتصور القائم عليه الإجراء، والوقوف على كافة تفاصيل الموقف.

المحور الثالث:

والخاص "**بالختان والجسد**، حيث يضم موضوعات حول المعنى الثقافي للختان كآلية من آليات ضبط العذرية ومن ثم التحكم في الجسد، والتصورات الشائعة حوله، وحول المختتنات وغير المختتنات، وتبريرات الختان المعلنة والأخرى المسكوت عنها. وارتباط تلك التصورات بطهارة الجسد، والتغيرات الجسدية، ومستوى الجمال والأنوثة، والصحة العامة للجسد، ومعرفة السن المناسب لإجراء الختان من وجهة نظر المبحوثات، وارتباط الختان بالزواج، والمشكلات الزواجية والجنسية المرتبطة بإجراء الختان أو عدم إجرائه، وأثره على العلاقة الجنسية بين الزوجين. ومدى انتشار الختان في أسر وعائلات حالات الدراسة، ومدى ضرورته، ومدى قناعة حالات الدراسة بإجرائه وأسباب ذلك. كما يحتوي على أساليب التنشئة الاجتماعية المحفزة للختان وعناصرها، والخبرة الشخصية للمبحوثة بموقف الختان بكافة تفاصيله انتهاءً بمضاعفاته قصيرة الأمد والأخرى طويلة الأمد. ومدى رضا المبحوثة عن ختانها، ورؤية مستقبلية لإجراء الختان لبناتهن.

وقد استغرق تطبيق هذا الدليل ما يقرب من العشرين ساعة أو يزيد في بعض الحالات، مقسمة على أربع مقابلات أو أكثر وفقاً لمدى استيفاء البيانات وقابلية المبحوثات لذلك.

- **الملاحظة**

استخدمت الملاحظة كأداة مكملة للأدوات البحثية الأخرى في الحصول على بيانات

وصفية ميدانية وأخرى تحليلية موقفية لبعض الممارسات الثقافية، للوقوف على أشكال التفاعل التي تتم داخل الموقف والتي من الصعب الإدلاء بها أو الحديث عنها خاصة في مواقف محددة كإجراء الختان. فقد أتيحت الفرصة للباحثة لحضور بعض مواقف الممارسات الثقافية الشعبية كالختان، ومقابلة أحد إخباريي الدراسة والمتمثل في أحد ممارسي الختان الشعبيين –حلاق صحي بمنطقة الإمام الشافعي– وحضور موقف الإجراء، مما كان له عظيم الأثر في إثراء المادة الميدانية.

•• المقابلة

وقد أجرت الباحثة نوعين من المقابلات، تمثلت في مقابلات أولية، ومقابلات متعمقة، كانت في أساسها مقابلات فردية إلا القليل منها كانت جماعية، خاصة في المقابلات الأولية لمجموعة حالات إعادة غشاء البكارة كمظهر احتفالي في أعياد الزواج. كما تم إجراء مقابلات غير مقننة مع الإخباريين من وقت لآخر لتحقيق هدفين؛ أولهما للتأكد من صدق المعلومات بالرجوع إليهم، وثانياً لعدم فقد الصلة ببعضهم فترة من الوقت، خاصة أن بعضهم كان همزة الوصل ببعض الحالات. كما قامت الباحثة بإجراء بعض المقابلات غير المقننة مع بعض الأزواج، إما لمعرفة رأيهم في بعض الموضوعات التي تستلزم ذلك، أو لرغبة منهم في معرفة ما يتم مع زوجاتهم، وإجراء مقابلات مفتوحة مع بعض الشباب لمعرفة موقفهم من قضية العذرية.

•المقابلات الأولية

أجريت المقابلات الأولية في فترات مختلفة ومتعددة على اختلاف فترات الدراسة، وكانت في جزء منها مقابلات مقصودة، وأخرى غير مقصودة، كان لها أكبر الأثر في توطيد بعض العلاقات القوية مع بعض المسئولين المتخصصين في مجالات مختلفة، كما أتاحت مثل هذه المقابلات الفرصة –من خلال تلك العلاقات– لاختيار بعض المصادر البشرية للحصول على مادة ميدانية وفيرة، خاصة بعض الحالات *"دراسة الحالة"*، والتي كان من الصعب الحصول عليها؛ حيث تضم بعض الشروط اللازمة لها، وأيضاً اختيار بعض الإخباريين سواء المتخصصين أو غير المتخصصين.

كما هدفت هذه المقابلات الأولية أيضاً لاختيار بعض الموضوعات الفرعية للبحث ذات الصلة به، وتحديد أولويتها للدراسة، أيضاً أسهمت في صياغة بعض العناصر المختلفة لدليل دراسة الحالة خلال مراحل إعداده المختلفة وتمهيداً لإجراء المقابلات المتعمقة، مما كان مفيداً في تطوير أدوات البحث، وتنقيحها.

• **المقابلات المتعمقة**

استخدمت المقابلات المتعمقة كأداة رئيسية في جمع بيانات دليل العمل الميداني لدراسات الحالة، بالإضافة إلى الاعتماد الكبير عليها للحصول على بيانات تكميلية تخص موضوعات فرعية ذات صلة وثيقة بموضوع الدراسة وعناصر الدليل، ودالة في الوقت ذاته؛ مثل موقف بعض الشباب من قضية فقد العذرية، ومن الفتاة غير العذراء سواء أكان فاعلاً، أو غير ذلك. وأيضاً في موضوع كالحجاب -كأحد أليات ضبط الجسد الأنثوي- وارتباطه بالقيم الدينية، والأخرى الثقافية الأصيلة بالمجتمع، وما يختص الأنوثة وممارستها.

كما استخدمت المقابلات المتعمقة كأداة أساسية للحصول على بيانات أساسية مفصلة عن عناصر الدليل ودراسة الحالة، خاصة في حالات استعادة غشاء البكارة كمظهر احتفالي، ومع بعض الحالات في بعض الموضوعات شديدة الحساسية مثل علاقات الحب، العلاقات الزواجية وارتباطها بالختان والتنشئة الاجتماعية. واستخدمت أيضاً المقابلات المتعمقة والموجهة مسبقاً مع الإخباريين، وبعض الأطباء النفسيين وأطباء النساء والتوليد، والأساتذة في تخصصات الآثار والتاريخ وخاصة تاريخ العصر الفرعوني، وهنا كانت المقابلة المتعمقة أداة أساسية في ذاتها.

كما أنه ومن خلال المقابلات المتعمقة تم اختيار الإخباريين، الذين روعي اختيارهم وفقاً لمدى تعاونهم مع الباحثة، وقناعتهم الشخصية بموضوع الدراسة، ذلك بالطبع إضافة إلى الشروط الموضوعية والاعتبارات الأساسية لاختيارهم، كتنوع أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، ووفرة خبرتهم بالموضوع محل الدراسة، وأيضاً مدى ما يتمتع به البعض من بعض العلاقات الشخصية لحالات الدراسة، والذي كان له أكبر الأثر في استجلاب بعض الحالات الأخرى التي كان من الصعب العثور عليها لولا هؤلاء. وتم الإكتفاء بإجراء المقابلات فقط مع بعض منهم، وذلك لإستيفاء الغرض؛ كالأطباء نفسانيون، ومتخصصي الآثار،

• **الإخباريون**

كما اشتملت عينة الدراسة على إخباريين؛ بعضهم إخباريات في موضوع الدراسة، ممن لديهن خبرة سواء تاريخية أو وقائعية، أو حياتية في موضوعات الدراسة.

والبعض الآخر إخباريون متخصصون أكاديميون، كأطباء النساء والتوليد، . ومن الإخباريين الممارسين الشعبيين داية متقاعدة؛ يبلغ عمرها ٨١ عاماً، وحلاق صحة يمارس ختان الإناث. وأخيراً كان هناك إخباريات من ضمن حالات الدراسة ذاتها؛ فكن مبحوثات وإخباريات في آن واحد.

كان الهدف العلمي من إجراء المقابلات مع بعض المتخصصين، أو مع الإخباريين مختلفاً فيما بينهم، فجاء أحياناً للوقوف علي بعض الحقائق العلمية ومعرفتها، أو لتعميق بيانات الدراسة الميدانية من خلال خبرة الإخباريين بموضوعات الدراسة، فتم الاستعانة **بأطباء النساء والولادة**

للوقوف على رأي الطب من قضية ختان الإناث، وعمليات إعادة غشاء البكارة كمظهر احتفالي، وترقيع غشاء البكارة كآلية لمواجهة فقد الغشاء والعذرية خارج نطاق الزواج، للوقوف على الأسباب الكامنة خلف إجراء مثل هذه الجراحات، وحجم هذه الجراحات ومدى انتشارها، مثل أ.د."أحمد أمين مصطفي حسنين" أ.د."ماهر مهران". وهما من أساتذة كليات الطب بالجامعات المصرية.

بينما كان **الأطباء النفسانيون** لمعرفة إذا ما كان يترتب على عمليات الختان بعض المشكلات أو العقد النفسية، والتعرف على حجم المشكلة إن وجدت والآثار التي يخلقها الختان، وكذلك العذرية وفقدها. مثل: أ.د."عادل صادق"، أ.د."أحمد عكاشة"، أ.د."يسرى عبد المحسن".

وكان اللجوء **لمتخصصي الآثار والمومياوات** والتاريخ المصري القديم وإجراء المقابلات معهم للاستفادة العلمية في معرفة أصل ختان الإناث، ومدى صحة ارتباطه بالفراعنة والعصر الفرعوني، مثل أ.د."جاب الله علي جاب الله"، وأ.د."محمد إبراهيم علي". ومن الإخباريين أيضاً ممارسون شعبيون، "**داية**" وذلك لمعرفة ما كانت تقوم به من تحايلات ثقافية وشعبية في حالة فقد العذرية ليلة الزفاف، والمساهمة في حالات الإجهاض الناتج عن حمل أو علاقة جنسية خارج نطاق الزواج، وكيفية التصرف حيال ذلك، "الحاجة هدية". وأيضاً في حالات الختان ومضاعفاته. كما كان هناك إخباري آخر متمثل في ممارس شعبي للختان "**حلاق صحة**"- "عم منعم"- كان يمارس إجراء الختان في كشك خشبي بجوار مسجد الإمام الشافعي، وكان له فائدة كبرى للدراسة الميدانية في هذا الجزء البحثي، وقد سمح للباحثة بالتواجد أثناء ***"الموقف الختاني"*** لبعض الفتيات، مما مكن الباحثة من ملاحظة أشكال التفاعل المختلفة أثناء الموقف الإجرائي، ومعرفة الطرق الشعبية التقليدية المختلفة لإجراء ختان الإناث.

٢. منهج دراسة الحالة

استعانت الدراسة بمنهج دراسة الحالة لتحقيق هدفين -وربما يكون هو المنهج الأساسي لإجراء الدراسة- أولهما جمع بيانات شاملة ومتكاملة عن محاور الدراسة محل البحث وموضوعاتها الأساسية، ثانيهما التعرف على بعض التفاصيل الدقيقة في موضوعات شديدة الحساسية، وجاء ذلك أيضاً على مستويين، الأول وهو مستوى الخبرة الشخصية للمبحوثات بموضوعات الدراسة، مثل خبرة الختان الخاصة بالحالات المختتنات، أو خبرتها بثقافة العذرية وآلياتها من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية، والمستوى الثاني كان متمثلاً في تصوراتها وآرائها، واتجاهاتها حول أحد موضوعات الدراسة بغض النظر عن خبرتها الشخصية، وربما دون أن تمر فعلياً بهذا الموضوع بشكل شخصي.

وقد روعي في اختيار وانتقاء دراسات الحالة بعض المعايير الأساسية ، والمتمثلة في:

- أن تكون جميع الحالات من الإناث.

- أن تكون ممثلة لكافة المستويات الاجتماعية الاقتصادية.

- كما روعي أن تتمثل معظم المراحل العمرية داخل حالات الدراسة، بدءاً من مرحلة البلوغ، فتراوحت حالات الدراسة ما بين سن ١٨ إلى ٦٠ سنة، بحيث تتمثل داخلها المراحل العمرية المختلفة، نظراً لأهمية ارتباطها ببعض العناصر الاجتماعية الأخرى.

- أن تكون ممثلة للمستويات التعليمية المختلفة بدءاً من الأمية وحتى المؤهلات فوق الجامعية.

- أن تتوفر داخلها جميع الأنماط الزواجية المختلفة، بمعنى حالات غير متزوجة، وحالات متزوجة، ولا يهمنا هنا إذا ما كان هذا الزواج مازال مستمراً أم انتهى، حيث إن العامل الحاسم هنا هو المرور بخبرة الزواج من عدمه.

- أن تتمثل داخلها الحالة العملية، بشقيها من يعملن، ومن لا يعملن، وأيضاً محاولة وجود اختلافات في مستويات العمل ونوعيته.

- كما روعي أن تتضمن حالات الدراسة، بعض الأمهات اللائي لديهن أبناء من الإناث فقط، والبعض الآخر ممن لديهن أبناء من الإناث والذكور.

-كما روعي أن يتمثل متغير الحجاب بأنماطه المختلفة في عينة الدراسة، بالإضافة لغير المحجبات.

وفي سبيل تحقيق هذه المعايير الأساسية، وغيرها الفرعية، ثم إنفاق الكثير من الوقت مع عديد من الحالات من خلال المقابلات الأولية، والأخرى المتعمقة، وكان ينتهي الموقف في كثير من الأحيان برفض الباحثة للحالة، إما لعدم تطابق معظم المعايير السابقة عليها، أو لرفض الحالة ذاتها التعاون مع موضوع البحث والباحثة، أو بسبب الحساسية الشديدة لموضوعات البحث أو نظراً لخصوصيته، أو في أحيان أخرى كان يرجع استبعاد الحالة لعدم قدرة الفتاة على التعبير كلامياً أو كتابياً في موضوعات الدراسة.

- **التسجيل الصوتي**

كما استعانت الباحثة بالتسجيل الصوتي لبعض الحالات، وذلك لسببين: نظراً لطول عناصر الدليل، وطول الوقت المستهلك في تطبيقه، حيث كان يمتد تطبيق الدليل في بعض الحالات لأكثر من عشرين ساعة، ونظراً أيضاً لضيق وقت الحالات، وأيضاً نظراً لتحرج بعض الحالات من مشاهدة كتابة ما يقلنه عن حياتهن، ودرءاً لعدم الملل أو إحجام الحالة عن المواصلة واستكمال البحث، وأيضاً خوفاً -من الباحثة- من نسيان أو فقد بعض الاستجابات أو الآراء، خاصة مع كبر حجم موضوعات الدليل، وتشعب تفصيلات محاوره. لكل هذا فقد لجأت الباحثة

في بعض الحالات فقط، وبعد موافقتهن إلى استخدام التسجيل الصوتي كأداة مساعدة.

●الاستكتاب الشخصي

وأخيراً ونظراً لمدى صعوبة موضوع الدراسة وشدة حساسيته وخصوصيته فقد لجأت الباحثة في بعض الأحيان، وفي بعض موضوعات الدليل شديدة الحساسية للجوء إلى "استكتاب المبحوثات" في إحدى مراحل تطبيق دليل العمل الميداني، على أن يسبق هذه المرحلة، مقابلات متعمقة حوارية، ويعقبها مقابلات أخرى نقاشية، وتم ذلك لإزالة الحرج عن بعض المبحوثات اللائي رأت الباحثة شدة خجلهن وارتباكهن من الخوض معها في بعض الموضوعات، مما كان سيعيق سير البحث أو خوفاً من فقد مبحوثات ذات ذخيرة كبرى من الخبرات. غير أنهن أبدين استعدادهن لكتابة ذلك وإعطائه لها، خاصة بعض الموضوعات المرتبطة بحياتهن الشخصية والخاصة، والأخرى المرتبطة بتفاصيل علاقات الحب والجنس في ارتباطها بمفهوم العذرية وتجلياتها، أو إثر إجراء الختان في العلاقة الزوجية، وجاء ذلك بهدف إنجاح الدراسة الميدانية ومحاولة استكمال بعض الحالات حينما يكون استكمالها بالشكل المعتاد متعذراً، خاصة أن الطبيعة البشرية تأبى على نفسها الحديث في بعض الموضوعات الشخصية ذات الحساسية الخاصة، وذلك وفقاً للموروث الثقافي للمجتمع المصري، وإعلاء قيمة العيب والحياء والخجل. كما تم ذلك مع بعض الحالات فقط والتي توفرت فيها القدرة على التعبير كتابةً بصدق أكثر من المشافهة من خلال المقابلات المختلفة.

ثانيا: اختيار حالات الدراسة

نظراً لحساسية موضوع الدراسة، وأنه ينضوى تحت لواء ثالوث البحث المحرم "الجنس، الدين، السياسة" والذي يجب التقرب منه بحذر وحساسية شديدة بل ولباقة بحثية أيضاً، فهو يمس في أحد جوانبه الأساسية موضع الشرف في الإناث، والجنس (علاقات الحب، والعلاقات الزوجية، والأعضاء التناسلية للمرأة)، وبعض القيم الشرقية الأصيلة المرتبطة به مثل قيمة الشرف، وفي جانبه الآخر يتطرق للدين خاصة الخطاب الديني الرسمي وما يحويه من رأي في قضية ختان الإناث، وقيمة العذرية وآليات المحافظة عليها، فإنه كان على الباحثة التأني الشديد في اختيار حالات الدراسة، على أن يتم ذلك وفقاً لبعض المعايير الثابتة والأساسية والتي يتوقف عليها اختيار الحالات أو رفضها، خاصة مع من تم التعامل معهن كدراسات حالة وكإخباريات منهن. فقد تمت مقابلة ما يقارب **خمسة وتسعين** حالة تم اختيار **إحدى ثلاثين حالة** منها فقط اختياراً متعمداً، منهن ثلاث حالات فقدن العذرية خارج نطاق الزواج وهن غير محترفات للبغاء، وكن مختتنات، وحالة واحدة فاقدة العذرية أيضاً خارج نطاق الزواج لكن لم تستطع

الباحثة التوصل لسبب الفقد أو ملابسات الموقف. وسبع حالات متزوجات تقمن بإعادة غشاء البكارة كمظهر احتفالي، وعشرون حالة عذراوات حتى الزواج -يقصد هنا تحديداً الاحتفاظ بغشاء البكارة سليما حتى الزواج (عذرية بيولوجية)- ، منهن ثماني حالات غير مختنات، واثنتا عشرة حالة مختنة، لتصير حالات "دراسة الحالة" **أربعاً وعشرين حالة**، تمت معهن مقابلات متعمقة، إضافة لحالات السبع تمت معهن أيضاً مقابلات متعمقة ممن يقمن بإعادة غشاء البكارة كمظهر احتفالي في أعياد الزواج، أربع حالات منهن مختنات وثلاث حالات غير مختنات. جميع الحالات الأساسية من الإناث. وروعي فيهن **تنوع الأصول** الريفية والحضرية والصعيدية، كما روعي أيضاً أن تمثل **الشرائح الاجتماعية الاقتصادية** المختلفة بالمجتمع تمثيلاً مناسباً إلى حد كبير. وأن تظهر **الحالة التعليمية** في حالات الدراسة بكافة مستوياتها التعليمية واختلافاتها. كذلك **الحالة العملية**، وتنويعات العمل المختلفة لمن يعملن، كما روعي في اختيار حالات الدراسة معيار **الحجاب**، ما بين محجبات وغير محجبات، على أن يتنوع أيضاً شكل الحجاب من نقاب وخمار وحجاب الموضة -وهو نفس زي غير المحجبات الملتزمات بالإضافة إلى غطاء رأس- كما تمثلت أيضاً **الحالة الزواجية**، ما بين متزوجات وغير متزوجات، كما ظهرت في العينة بشكل غير عمدي أرملة، ومطلقة، وهو وضع اجتماعي غير مقاس عليه، فالعنصر الأساسي المراد قياسه هو المرور بتجربة الزواج ذاتها وليس ما آلت إليه هذه التجربة، هذا بالإضافة لتمثل متغير **الختان**، والذي كان من الصعب تحديده ومعرفته خلال المقابلات الأولى للحالة، وإنما تم ذلك بعد العديد من المقابلات وتوفر قدر من الثقة بالباحثة.

كما امتازت بعض حالات الدراسة بالجمع بين كونها حالات نستقي منها خبرتها الشخصية، وكإخباريات في أحيان كثيرة، وخاصة في بعض الحالات ذات العلاقات الاجتماعية المتعددة والوطيدة، أو من تنتمي لثقافة "الأحاديث الجنسية المباحة" والتي ربما تشكل هذه الأحاديث أحد موضوعات الحياة اليومية لديها، أو العلاقات الجنسية المباحة أيضاً، حيث كن غير ضنينات بالحديث في مثل هذه الموضوعات بل على العكس ربما كن متطوعات بالحديث في موضوعات أخرى في هذا المجال أكثر مما يحويه الدليل من عناصر وموضوعات.

أما عن **مجتمع الدراسة** وكيفية الاهتداء للحالات والتوصل إليها، فقد سبق وأوضحنا أن اختيار الحالات جاء بشكل عمدي انتقائي، غير أنه جاء من خلال حيز مجتمعي غير موحد وغير محدد في بعض الأحيان، ويرجع هذا لطبيعة الموضوع وحساسيته وطبيعة موضوعات محاور دليل العمل الميداني. ففي بعض الحالات كن من مجتمع بعينه، مثل حالات إعادة غشاء البكارة بعد فقد العذرية، سواء خارج النطاق الزواجي، أو حالات إعادته كمظهر احتفالي في الاحتفال بأعياد الزواج، وذلك من خلال "**عيادة طبية**" لأحد أطباء النساء والتوليد، كان الجزء الأكبر من عمله الطبي قائماً على إجراء عمليات الإجهاض، وترقيع غشاء البكارة، وهو طبيب

من خارج الأطباء الإخباريين للدراسة، لكن تمت معرفته عن طريقهم. فبعد التعرف علي إحدى الحالات –حالات إعادة غشاء البكارة كمظهر احتفالي–، واقتناعها بإجراء دراسة الحالة معها واطمئنانها للباحثة، وبعد عديد من المقابلات حظيت الباحثة على ثقة المبحوثة، فتطوعت المبحوثة بالحديث عن العديد من صديقاتها اللاتي يقمن بنفس الإجراء لإعادة إنتاج موقف إثبات رجولة الزوج وذكوريته، وكان لموقف هذه الحالة دور عظيم في إقناع بعض الحالات الأخرى للحوار مع الباحثة وإجراء المقابلات معهن، وفي طمأنتهن مما كان له عظيم الأثر في تيسير سبل التعامل معهن، والإتيان بمادة ميدانية وفيرة تتعلق ببعض أمورهن الشخصية والمرتبطة بموضوع الدراسة.

أما باقي حالات الدراسة والخاصة بدراسة ثقافة العذرية والختان، فلم يكن هناك مجتمع محدد تم اختيارهن من خلاله، وإنما كانت معايير وشروط حالات الدراسة هي المحك الأول في اختيار الحالة، ثم مدى موافقتها على المشاركة في أن تكون حالة بحث، ثم مدى قدرتها على التعبير عن بعض المواقف الشخصية أو الأخرى المرتبطة بخبرات مشاعر إنسانية. وكان ذلك بأن بدأت الباحثة بالحديث عن موضوع البحث مع كل من تربطها بهن علاقات أساسية أو ثانوية، وفي جميع الدوائر المعارفية المختلفة، وبدأت كل منهن تدلي بدلوها وتشير إلى بعض حالات من معارفها، أو بعض أقاربها، أو أصدقائها.. وهكذا بدأت حالات البحث الأولية في الازدياد باتساع دوائر علاقاتهن الاجتماعية، حتى تمكنت الباحثة من اختيار حالات الدراسة من الدوائر الأوسع لعلاقتهن متخلية تماماً عن الأفراد الأوليين الأقرب اجتماعياً للباحثة، وهنا كان مجال الاختيار أوسع واختلافات الحالات أوضح، وشروطها متوفرة ومجتمعة في معظم الحالات، مما أعطى الباحثة فرصة أكبر للاختيار.

ثالثاً: الخصائص الاجتماعية والثقافية لحالات الدراسة

تمثلت هذه الخصائص في بعض المتغيرات الاجتماعية كالحالة التعليمية والحالة العملية والبعد الجيلي والسن، ومتغيرات أخرى ثقافية متمثلة في ممارسة الختان، والحجاب وأنماطه، ومتغير الحفاظ على العذرية (كما هو مبين بجدول الخصائص الاجتماعية والثقافية لحالات الدراسة)، وفيما يلي عرض تفصيلي لهذه الخصائص.

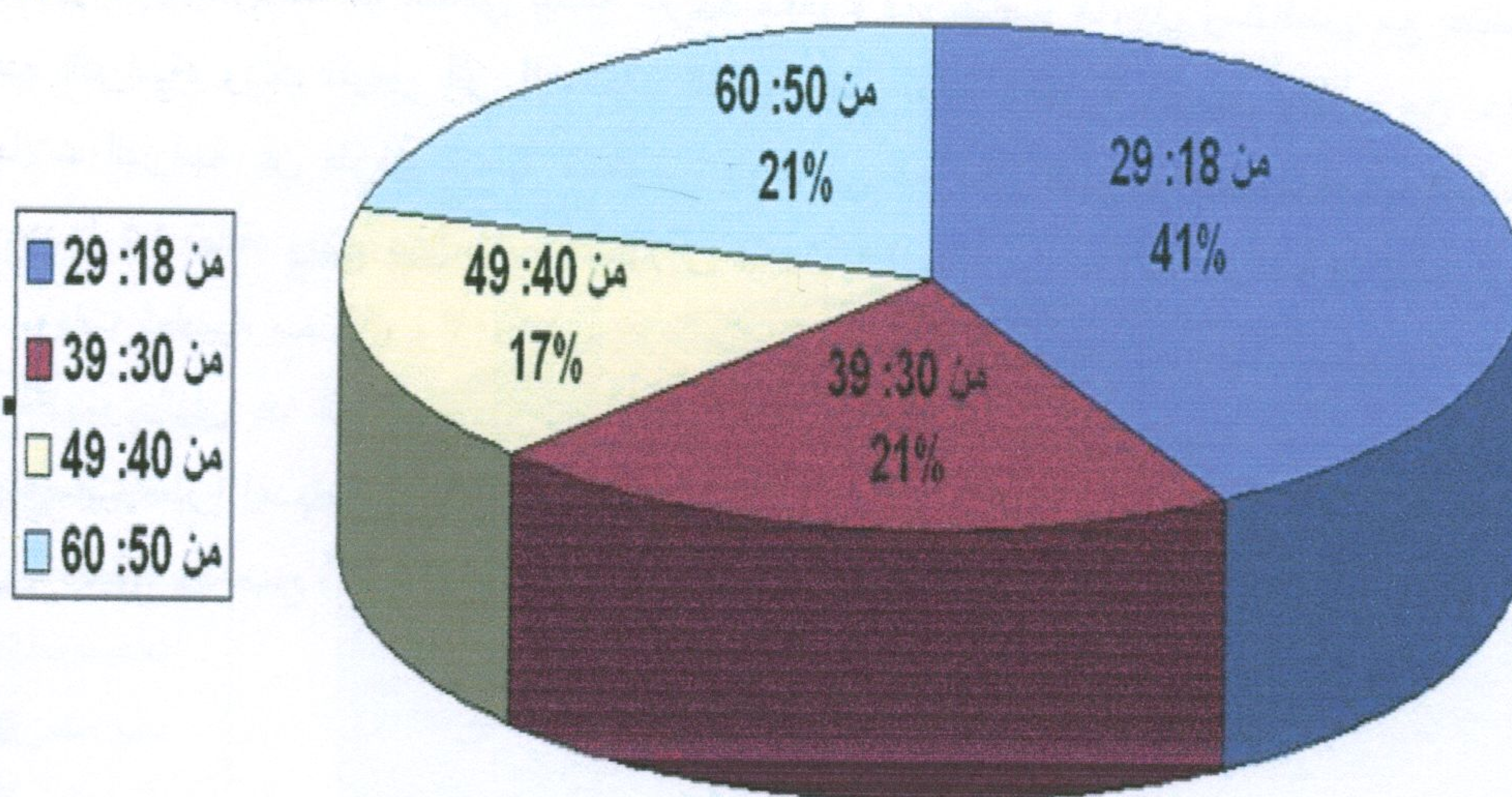
السن والبعد الجيلي:

رأت الباحثة ضرورة تمثل البعد الجيلي لدى حالات الدراسة؛ حيث تَمثَّل جيلان مختلفان على الأقل، وذلك كاستجابة لضرورة بحثية حتمتها طبيعة الموضوع وهي اكتشاف مدى ما اعترى قيمة العذرية وتجلياتها وآليات ضبطها وأساليب التنشئة، على الاحتفاظ بها دون اختلاف وفق التغير الذي طرأ على بعض العناصر الثقافية المختلفة، والاحتكاك بل والانفتاح الثقافي الذي يتعرض له جيل الشباب الآن، إضافةً إلى كثافة التعرض لوسائل التكنولوجيا الحديثة، والمتمثلة في الكومبيوتر ومجتمع الإنترنت و"الشات" -أو ما يعرف بالدردشة والحديث عبر الإنترنت مع آخرين، غالباً ما ينتمون لثقافات مختلفة ومتعددة-، كذلك الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية وما تبثه من مُنتج ثقافي يبث قيماً معارضة ومناقضة -في جزء منها- لقيم الثقافة المجتمعية المصرية والتي تؤدي إلى ازدواج وتشتت قيمي ثقافي، مما ينعكس بدوره في مجموعة من السلوكيات الشبابية المستحدثة والدخيلة على المجتمع، سواء في السلوكيات الفردية، واليومية للشباب، أو في لغة الحوار ومفرداته، أو لغة الجسد وإيماءاته ورموزه، أو تلك السلوكيات الجماعية والإعلامية التي تتبدى في الأغنيات المصورة (الفيديو كليب)، أو في صياغة الإعلانات المصورة المحلية وغير المحلية. وفي مقابل ذلك كله نجد جيلاً آخر من الأمهات الكبيرات يناهض ما سبق ويرفض العناصر الثقافية الوافدة -في جزء منها على الأقل- ويتبنى قيم الثقافة المصرية الأصيلة والراسخة في المجتمع مما ينعكس على أساليب تنشئته للجيل الأصغر فينتج إما صراعاً ثقافياً أو قيماً مشوهة، أو ازدواجية قيمية ثقافية ربما تؤدي إلى انتهاك لبعض قيم المجتمع. فجاء جيل الأمهات الكبيرات ممثلاً لحالات الفئة العمرية من ٤٠ سنة إلى ٦٠ سنة ويضم ٩ حالات، وجاء جيل الشباب من ١٨ سنة إلى ٣٩ سنة ويضم ١٥ حالة. وتوزعت حالات الدراسة وفق أربع فئات عمرية كما يتضح من الجدول رقم (١)، وذلك لمعرفة أثر المرحلة العمرية في مراحل استراتيجية العذرية وثقافتها وآليات ضبطها.

الجدول رقم (١)

ع	فئات العمر بالسنة	عدد الحالات
١	من ١٨: ٢٩	١٠
٢	من ٣٠: ٣٩	٥
٣	من ٤٠: ٤٩	٤
٤	من ٥٠: ٦٠	٥
	الإجمالي	٢٤

توزيع حالات الدراسة وفقا لمتغير السن



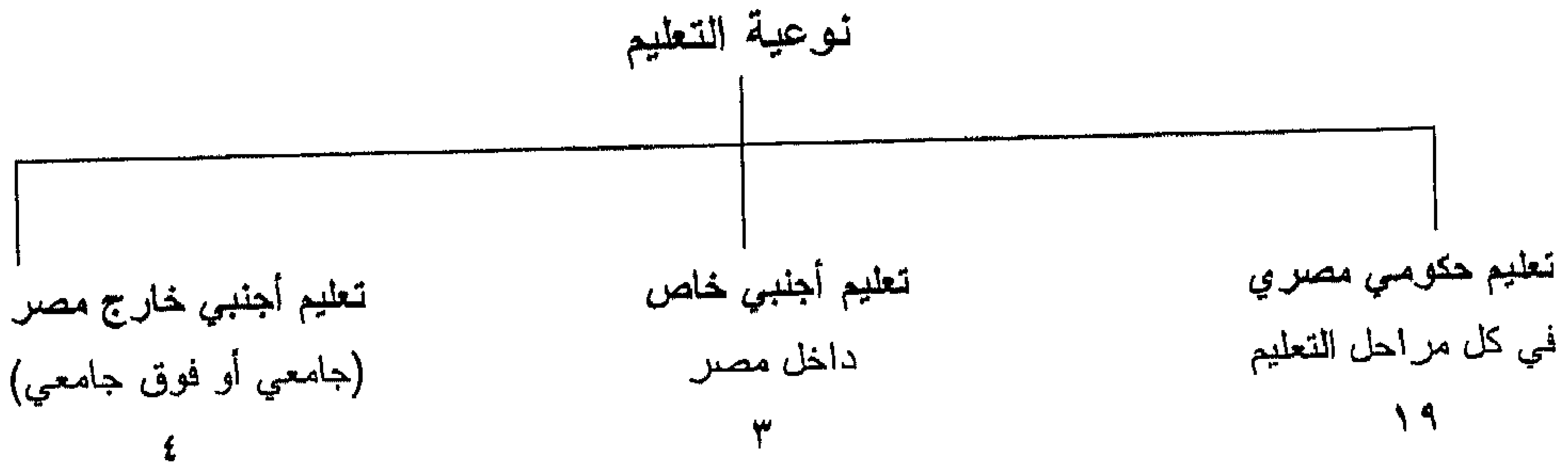
شكل توضيحي للجدول رقم (١)

الحالة التعليمية:

روعي في اختيار الحالات وفق شروط اختيارها سابقة الذكر أن تتمثل داخلها متغيرات الحالة التعليمية، فضمت حالات غير متعلمة وحالات ملمة بالقراءة والكتابة وأخرى لم تحصل على شهادة تعليمية غير التعليم الأساسي، وحالات حاصلة على تعليم متوسط وفوق متوسط، كما تم اختيار حالات حاصلة على تعليم جامعي أو مازالت تدرس بهذه المرحلة وغيرها ممن حصلن على التعليم فوق الجامعي متمثل في إجازة الماجستير أو الدكتوراه من كليات مختلفة نظرية كانت أو عملية، حيث إن نوع الكلية لم يكن عاملاً فارقاً في الدراسة الراهنة. وجاء توزيع حالات الدراسة وفقاً لمتغير التعليم كالآتي:

٣ حالات تعليم فوق جامعي، ١١ حالة تعليم جامعي، ٣ حالات تعليم فوق متوسط، حالتا تعليم متوسط، حالة واحدة ملمة بالقراءة والكتابة، وحالتان غير متعلمتان.

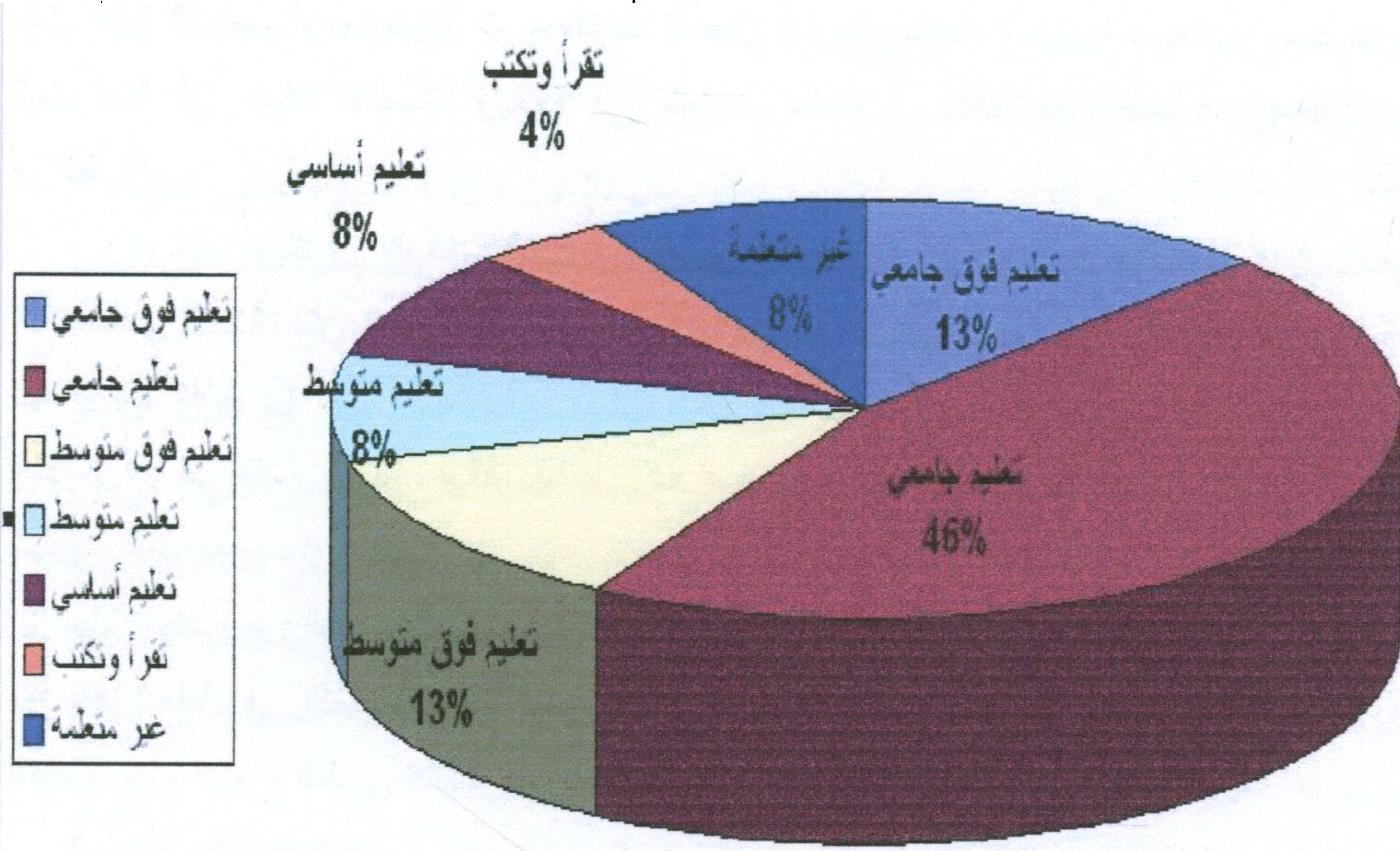
كما روعي أيضاً تمثل نوعية التعليم وفق حالات الدراسة، فهناك حالات تم تعليمها في جامعات خاصة وعددها ٣، وحالة واحدة تلقت تعليمها الجامعي وفوق الجامعي في جامعات غربية، وحالتان تلقتا تعليمهما فوق الجامعي في جامعات أوروبية؛ وترجع أهمية هذا المتغير إلى اختبار معايشة الاحتكاك الثقافي بثقافة غربية مغايرة في عناصرها، بل ومتناقض مع عناصر هذه الدراسة، وذلك لقياس أثر الاحتكاك الثقافي على ثقافة العذرية وقيمها. وظهر من خلال حالات الدراسة عن طريق التعليم الحكومي سواء في المراحل المدرسية المختلفة، أو الجامعية وعددها ١٥ حالة. ونتج عن متغير التعليم أن جاءت ٢١ حالة من حالات الدراسة قد تعلمن وفق مستويات تعليمية مختلفة، و٣ حالات غير حاصلات على أى مؤهل تعليمي، إحداهن لم تتعلم مطلقاً، وحالتان قد ألمتا ببعض القراءة والكتابة إلا أننا آثرنا ضمهن جميعاً في فئة غير المتعلمات نظراً لعدم تلقيهن أي تعليم رسمي أو فصول محو الأمية واقتصار الأمر على جهود فردية قليلة. ويوضح ذلك الشكل والجدول التالي:



جدول رقم (٢)

الحالة التعليمية	عدد حالات الدراسة
تعليم فوق جامعي	٣
تعليم جامعي	١١
تعليم فوق متوسط	٣
تعليم متوسط	٢
تعليم أساسي	٢
تقرأ وتكتب	١
غير متعلمة	٢
مجموع حالات الدراسة	٢٤

توزيع حالات الدراسة وفقاً لمتغير التعليم



شكل توضيحي للجدول رقم (٢)

المستوى الاجتماعي الاقتصادي:

حاولت الباحثة قدر الإمكان أن تقسم حالات الدراسة إلى ثلاث شرائح طبقية؛ طبقة عليا وطبقة وسطى وأخرى دنيا، معتمدة في ذلك على بعض المؤشرات المتضافرة معاً والمتمثلة في البعد التعليمي، ونوع العمل، ومستوى الدخل الشهري (سواء للحالات وأزواجهن –الأسرة المعيشية الزواجية–، أو للوالدين في حالات غير المتزوجات –أسرة النشأة–) وبعض أساليب الحياه ونوعيتها.

وليس المقصود بالبعد التعليمي المستوى التعليمى فقط، وإنما المقصود به أيضاً **نوعية التعليم** (حكومي أو خاص) سواء في التعليم المدرسي أو التعليم الجامعي، وفي حالة التعليم فوق الجامعي (سواء ما كان داخل مصر أو خارجها)، كما هو موضح في الشكل السابق وجدول رقم(٢).

وهذا ينطبق على الحالة العملية أيضاً فعلى الرغم من قصدنا الكشف عن اختلاف ثقافة العذرية وفق متغير العمل، فإن ذلك يمكن أن يتضح داخل الشريحة العاملة نفسها من خلال اختلاف **نوع العمل وطبيعته**، في محاولة للكشف عن أثر ذلك في قضيتي العذرية والختان؛ فانقسمت حالات الدراسة في أعمالهن إلى: طبيبة بشرية، وطبيبة بيطرية، وأساتذة جامعيين (من هيئة التدريس ومعاونين). ثم موظفات لأعمال إدارية وبنكية، ومندوبة مبيعات، وسكرتيرة، وممرضة في عيادة خاصة، وبائعة في محل، وعاملة في كافيتريا، وخادمة في المنازل، وراقصة.

وجاء مستوى **الدخل الشهري** كمتغير كلاسيكي في تحديد المستوى الاجتماعي الاقتصادي للحالة، لكن الباحثة لم تعتمد عليه إلا في ضوء باقي المتغيرات سابقة الذكر، وبعض المتغيرات الأخرى التي تمثلت في السفر للخارج سواء للترقية أو للتعليم أو حتى العلاج، والاشتراك في نادٍ رياضي، والتردد على نادٍ صحي أو مراكز التجميل للمساهمة في إيضاح تجليات العذرية وممارساتها.

جاء الهدف من التنوع في البعد الطبقي لحالات الدراسة ليجيب على بعض التساؤلات حول أثر ذلك العامل في التمسك بقيمة العذرية والكشف عن الاختلاف في آلياتها وتجلياتها وفقاً لهذا العامل. جاء التنوع الطبقي كالتالي:

٦ حالات للطبقة العليا، و١٢ حالة ممثلة للطبقة الوسطى، و٦ حالات ممثلة للطبقة الدنيا.

-الحالة الاجتماعية:

كان الهدف من رصد الحالة الاجتماعية للحالات هو بيان أثر متغير الزواج على قيمة العذرية لديهن، أي مدى تأثير الدخول في تجربة الزواج على تصوراتهن حول قضية العذرية وآلياتها. ولا يعنينا هنا ما آلت إليه هذه التجربة -أو التجارب- من استمرار أو انتهاء، لذا راعينا أن تتمثل في الحالات فتيات غير متزوجات أي لم يختبرن تجربة الزواج، وسيدات مررن بهذه التجربة ولديهن أبناء سواء كانوا بنات فقط أو بنات وذكورا، وذلك للوقوف أيضاً على أساليب التنشئة الاجتماعية الأسرية ومدى ما تحويه من تميز نوعي قد يؤثر في مفهوم العذرية أو استراتيجيتها.

لذا جاءت حالات الدراسة تضم ٨ حالات لم يتزوجن بعد، وعدد ١٦ حالة مررن بتجربة الزواج مرة واحدة على الأقل، وتمت الاستفادة من هذا التنوع في إيجاد علاقات متنوعة مع بعض المتغيرات الأخرى خاصة ما يختص بالعذرية أو بالختان، ومدى ما يطرأ على آراء وتصورات وسلوكيات المبحوثات من جيل لآخر، وفي نفس الوقت ظهر البعد الجيلي كمتغير فارق في الآراء والاستجابات في علاقته بالحالة الاجتماعية.

-الحجاب وأنماطه المختلفة:

يعتبر الحجاب آلية من آليات ضبط الجسد وحجبه عن الأعين وربما اعتبره بعض العلماء -كما سنرى فيما بعد- آلية قمع وضبط، فهو آلية دينية ذات طابع ثقافي مما يطرأ عليه من أنماط مختلفة وأهداف متباينة.

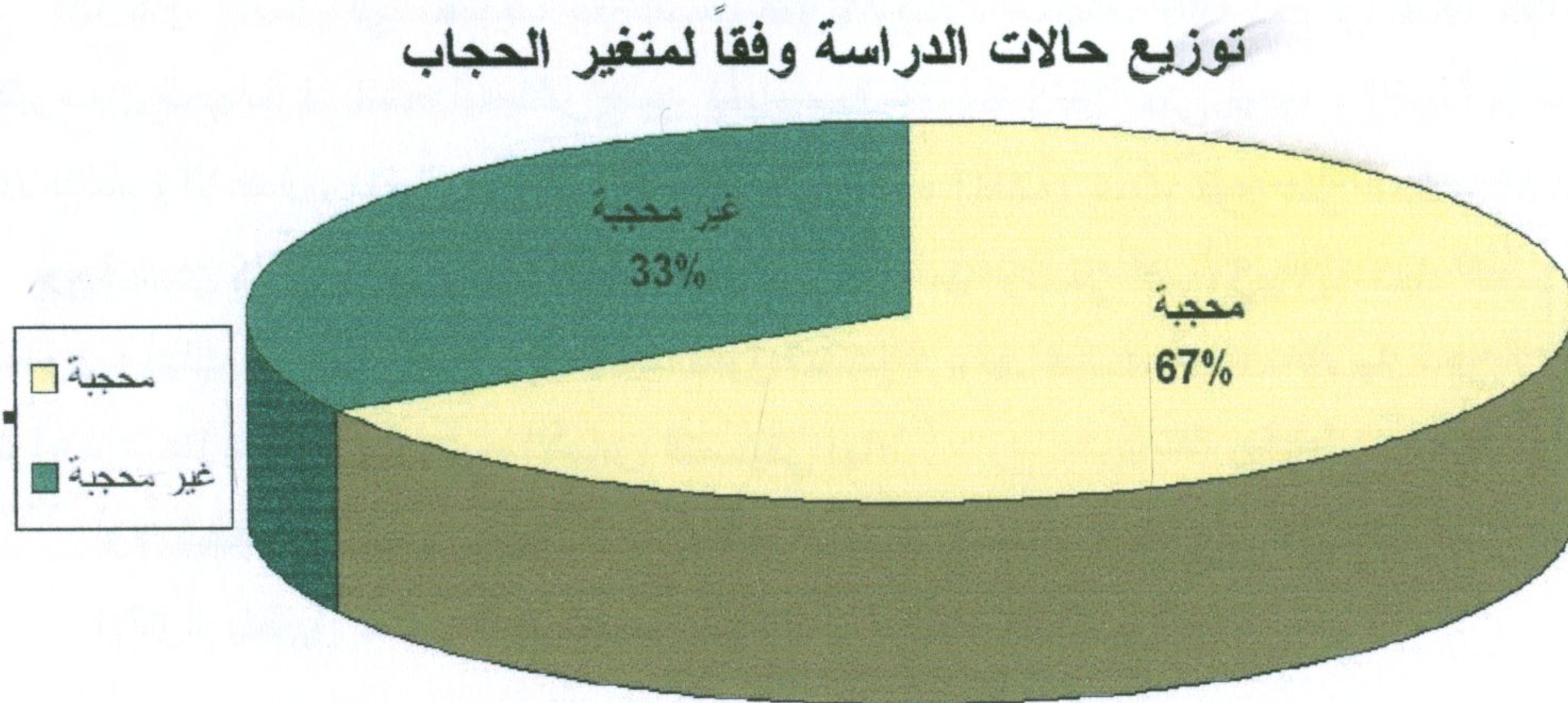
فإذا كان الأصل في الحجاب ستر جسد المرأة وإخفاء معالمه، فإننا نجد أن هناك أنواعاً كثيرة من الحجاب قد استحدثت تتدرج من إخفاء معالم الجسد كاملاً حتى الوجه والكفين، مروراً بالاحتشام والاعتدال، نهايةً بمحاولة إظهار الجسد بادعاء إخفائه؛ حيث تقوم على استبدال أقمشة منسوجة تبدي كافة تفاصيل الجسد أو ربما تبدي أجزاء منه وتخفي غيرها برؤية الجلد الجسدي البشري، وذلك بما يتمشى مع الموضة الثقافية المنتشرة. ولقد قسمت الباحثة الحجاب إلى ثلاثة أنواع لزم هنا تعريفها وتوضيح الأساس التصنيفي لها:

- **أولاً الحجاب المتشدد:** ويقصد به نمطي النقاب والخمار والذي يرمز إلى الحرص على الالتزام بتطبيق تفسير النص الديني من القرآن والسنة كما يُفهم.

- **ثانياً الحجاب المعتدل:** وهو يقوم على معيار الحشمة أكثر من الالتزام بتطبيق النص الديني، فهو إضفاء الطابع الديني على قيمة الحشمة، ويقصد به إخفاء معالم الجسد في نوع من الوسطية والعملية دون أي تطرف كان.
- **ثالثاً الحجاب السافر:** ويقصد به الحجاب الذي لا يحجب التفاصيل الجسدية كاملةً وإنما يظهرها وربما يضفي عليها أيضاً شكلاً جمالياً، فهو يتمشى مع الموضة السائدة حتى وإن كانت موضة عارية، فلا مانع من وجود بعض أجزاء الجسد دون حجاب، مثل جزء من الأذرع، أو الأرجل كلبس "البنتاكور" وهو البنطلون القصير الذي يكشف جزءا من الساق، أو ارتداء البلوزات أو القمصان القصيرة والتي تكشف عن جزء من البطن مع أقل حركة ممكنة، غير أنه ورغم هذا فهناك نوع من الالتزام بتغطية وإخفاء الشعر. فمعيار هذا النوع هو الحرص على أدنى حد ممكن من الحجاب لبعض الأجزاء المحددة من الجسم دون غيرها.

جدول رقم (٣)

الحجاب	عدد الحالات
محجبة	١٦
غير محجبة	٨

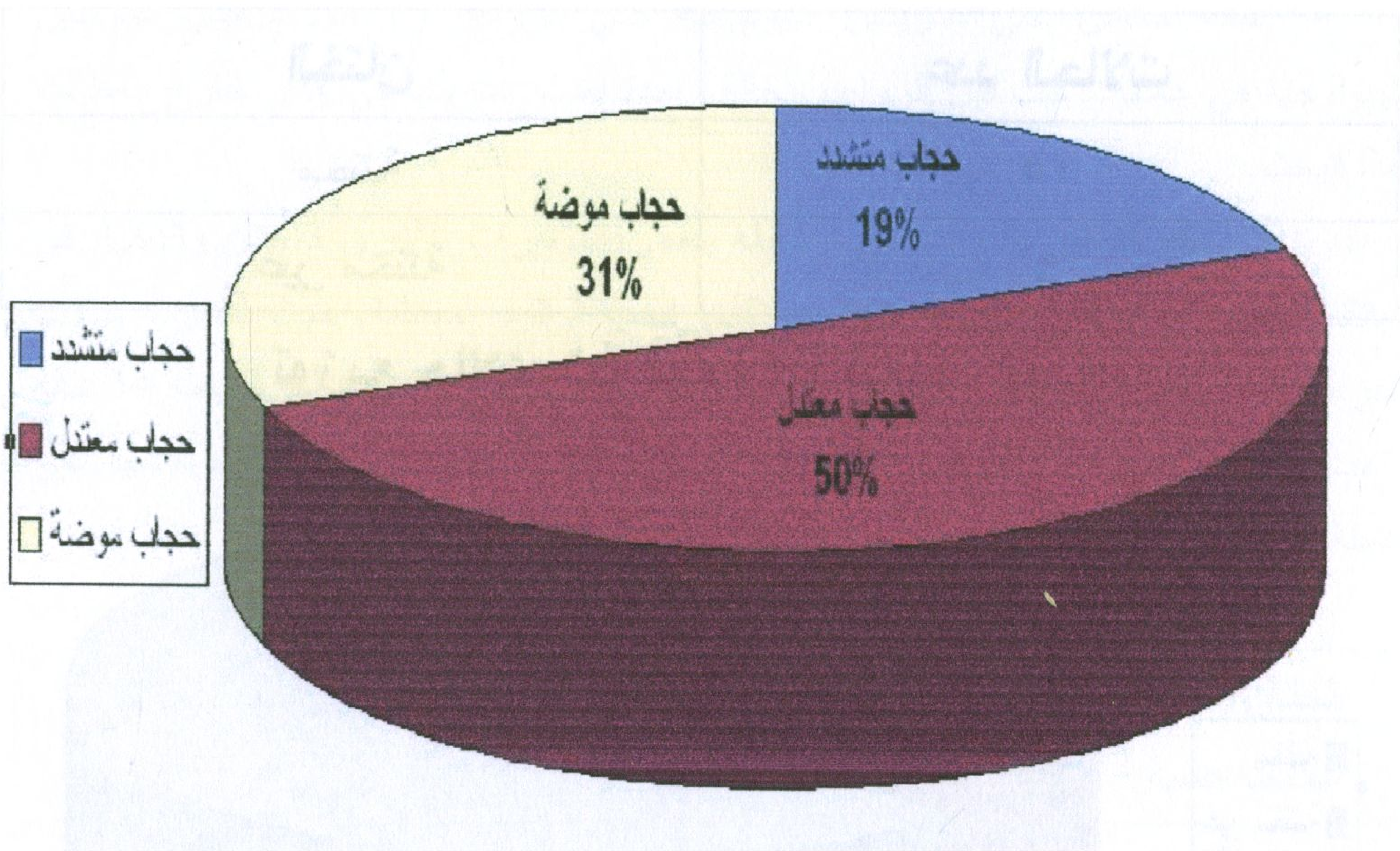


شكل توضيحي لجدول رقم (٣)

جدول رقم (٤)

نوعية الحجاب	عدد الحالات
حجاب متشدد	٣
حجاب معتدل	٨
حجاب موضة	٥

توزيع حالات الدراسة وفقا لنوعية الحجاب



شكل توضحي لجدول رقم (٤)

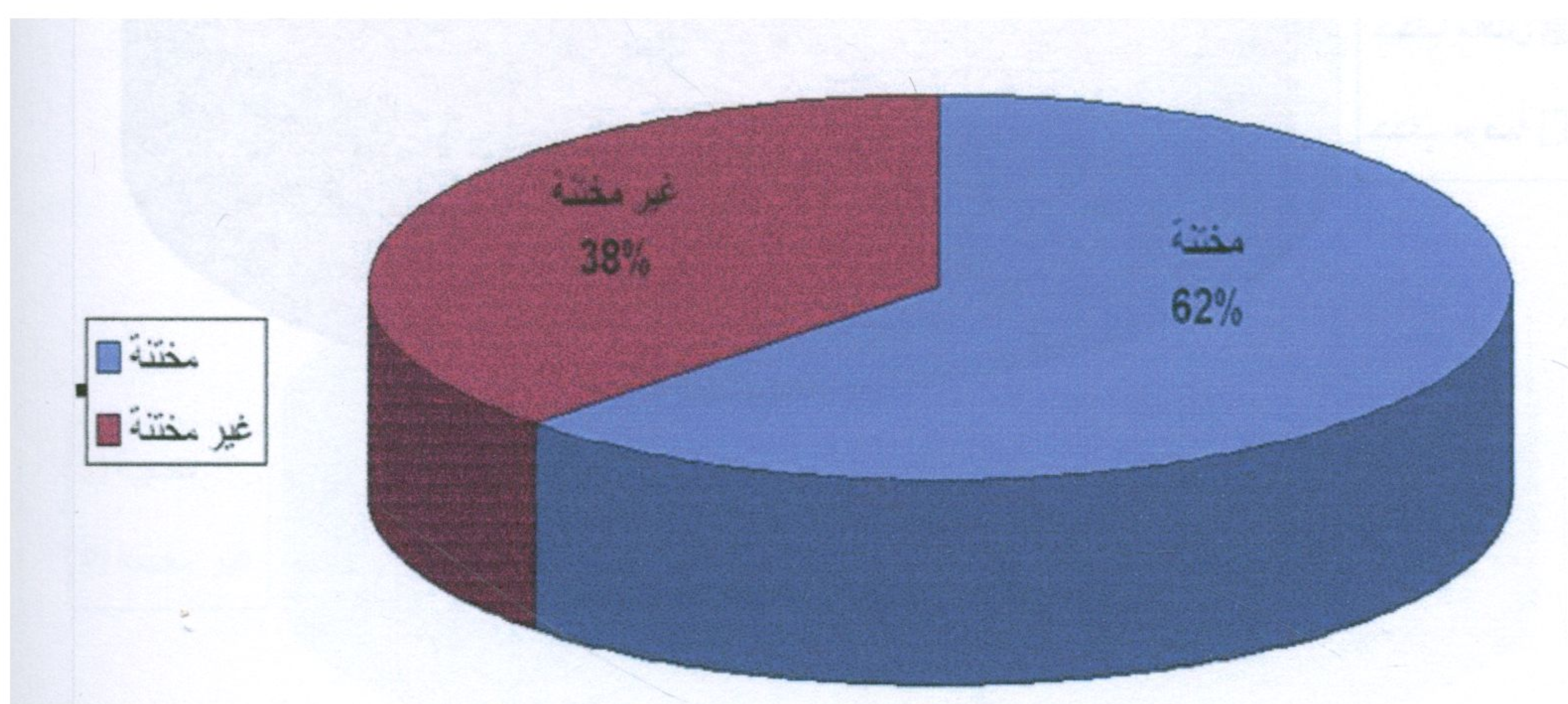
-إجراء عملية الختان:

تعتبر عادة ممارسة عملية ختان البنات في الثقافة المصرية آلية بيولوجية من آليات ضبط العذرية والحفاظ عليها، لذا لزم على الباحثة تمثيل هذا المتغير في حالات الدراسة في محاولة للكشف إذا ما كان عاملاً فعالاً في الحفاظ على العذرية البيولوجية أم لا؛ حيث تم التحليل بالاستعانة بمتغير الختان في علاقته بفقد العذرية قبل الزواج، وفي علاقته بإقامة علاقات جسدية مع الجنس الآخر سواء بغرض الحب أو المصاحبة أو المحاكاة أو في أثناء مرحلة الخطوبة، وذلك أيضاً بهدف دراسة متغير الختان في ضوء البعد الجيلي ومتغير الحجاب كآلية دينية ثقافية لضبط العذرية السلوكية، ومن ثم الاحتفاظ بالعذرية البيولوجية. وتوزعت حالات الدراسة وفق هذا المتغير إلى ٩ حالات غير مختتنات و١٥ حالة تم إجراء الختان لهن.

جدول رقم (٥)

الختان	عدد الحالات
مختتنة	١٥
غير مختتنة	٩

توزيع حالات الدراسة وفقاً لمتغير الختان



شكل توضيحي للجدول رقم (٥)

-المحافظة على العذرية البيولوجية أو فقدها:

يهدف هذا المتغير لوجود حالات تعرضن لانتهاك وفقد القيمة البيولوجية للعذرية والمتمثلة في فقد غشاء البكارة؛ حيث تعمدت الباحثة إيجاد حالات فقدت عذريتها البيولوجية في موقف مداعبة جسدية أو حب -أي أنهن لسن حالات بغايا- مع صديق أو حبيب أو خطيب، وهو موقف غير مقصود في ذاته وكما هو موضح سابقاً في اختيار حالات الدراسة، تمثل هذا العنصر في **أربع حالات**، رفضت إحداهن الخوض في أية تفاصيل لهذا الموقف، وقد قامت الباحثة بعزل هذه الحالة من حالات هذا المتغير، نظراً لعدم توصلها لسبب الفقد والذي ربما يرجع لحادث اغتصاب، أو لامتهانها ذلك الفعل كباغية، خاصةً وأنها تعمل كراقصة منذ بلوغها ستة عشر عاماً، وهذان الموقفان يخرجان عن نطاق هذه الدراسة. لذا توزعت حالات الدراسة وفقاً لهذا المتغير إلى:

٢٠ حالة حافظن على عذريتهن البيولوجية حتى الزواج، و٣ حالات فقدن عذريتهن البيولوجية في علاقات حب قبل الزواج، وحالة واحدة فقدت عذريتها في إطار خارج معطيات هذا البحث.

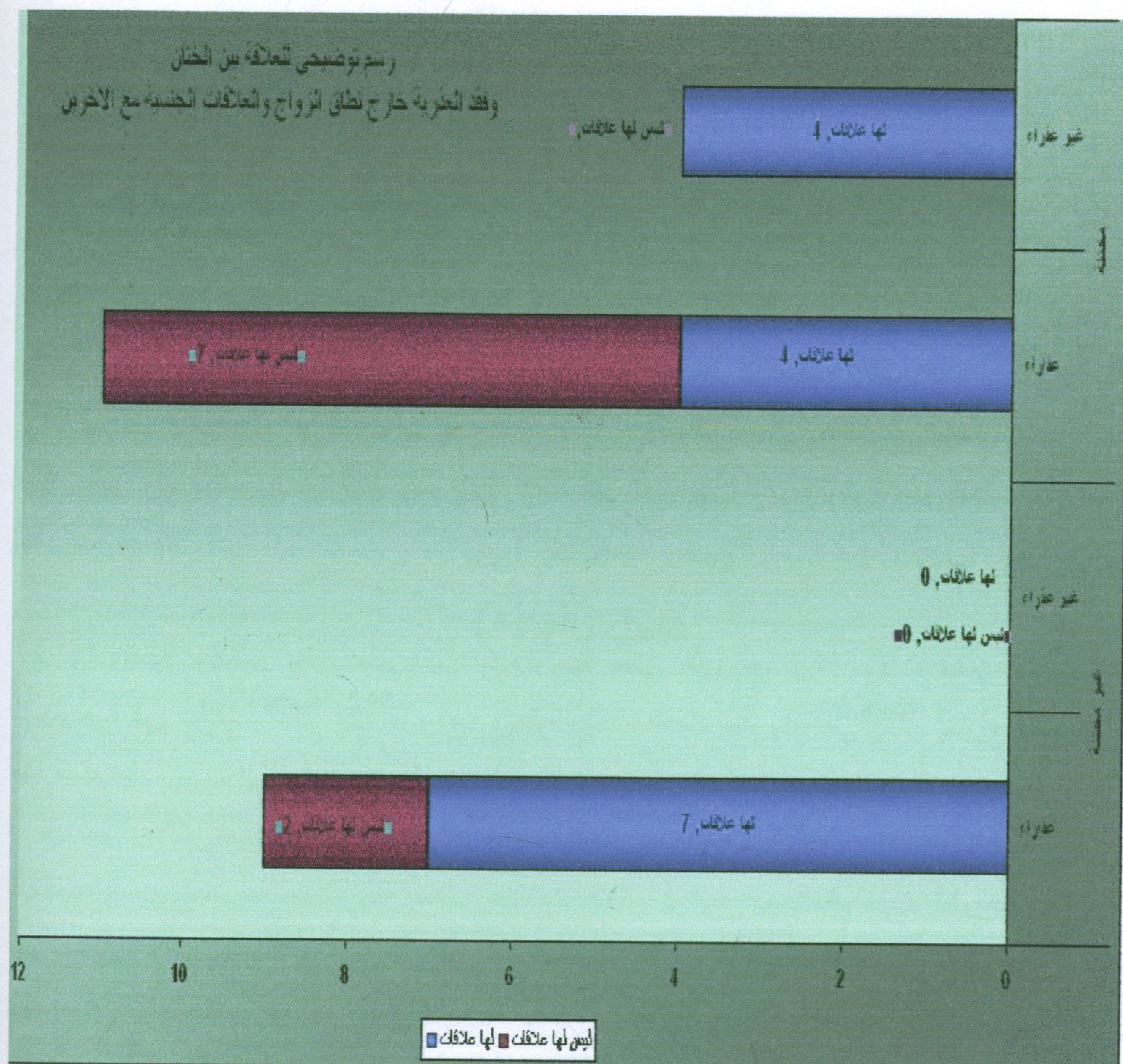
لقد تناولنا ذلك المتغير بالدراسة في ارتباطه ببعض المتغيرات الأخرى كالختان والدخول في علاقات جسدية متنوعة ومتدرجة خلال علاقات الحب أوالود المختلفة. حيث أظهرت حالات الدراسة أن هناك ٩ حالات لم تدخل في أية علاقات جسدية مع الجنس الآخر، بينما ١٥ حالة أقامت علاقات جسدية مع شريك ولكنها تدرجت من علاقات تلامسية إلى علاقات جنسية غير كاملة، منتهية بعلاقات أخرى كاملة قبل الزواج.

جدول رقم (٦)

الختان/إقامة علاقات حسية	ليس لها علاقات	لها علاقات حسية	عدد الحالات
مختتنات	٧	٨	١٥
غير مختتنات	٢	٧	٩
عدد الحالات	٩	١٥	٢٤

العلاقة بين إجراء عملية الختان وإقامة علاقات حسية خارج نطاق الزواج.

قبله/ أثناءه/ بعده.



شكل توضيحي للجدول رقم (٦) في علاقته بمتغير العذرية

ويتضح من الشكل السابق أن العينة لم تشمل حالات غير المختتنات غير العذراى في علاقتهن بمتغير إقامة علاقات حسية خارج نطاق الزواج. كما أنه بطبيعة الحال وفقا للاستحالة المنطقية لم تشمل العينة حالات المختتنات غير العذارى اللواتي لم يكن لهن علاقات حسية

الخصائص الاجتماعية والثقافية لحالات الدراسة

رمز الحالة	السن	الحالة التعليمية	الحالة العملية	الحالة الاجتماعية	الحجاب و أنواعه	الختان	العلاقات الجسدية مع الجنس الآخر	فقد العذرية خارج نطاق الزواج
ش	٢٦	فوق جامعي	تعمل	غير متزوجة	جحاب معتدل	غير مختتة	لها علاقات	———
و	٥١	فوق جامعي	تعمل	متزوجة	غير محجبة	غير مختتة	لها علاقات	———
ن	١٨	جامعي	طالبة	غير متزوجة	غير محجبة	مختتة	لها علاقات	غير عذراء
ص	٢٩	جامعي	تعمل	غير متزوجة	حجاب موضة	غير مختتة	لها علاقات	———
أ	٢٨	جامعي	لا تعمل	متزوجة	حجاب متشدد	غير مختتة	ليس لها علاقات	———
م	٥٣	جامعي	تعمل	متزوجة	غير محجبة	مختتة	لها علاقات	———
ر	٢٩	جامعي	لا تعمل	متزوجة	حجاب متشدد	مختتة	ليس لها علاقات	———
هـ	٢٢	فوق متوسط	تعمل	غير متزوجة	غير محجبة	غير مختتة	لها علاقات	———
ل	٢٨	جامعي	تعمل	غير متزوجة	حجاب موضة	مختتة	لها علاقات	———
د	٣٧	جامعي	لا تعمل	متزوجة	حجاب متشدد	مختتة	ليس لها علاقات	———
ب	٢٧	فوق متوسط	لا تعمل	غير متزوجة	حجاب موضة	غير مختتة	ليس لها علاقات	———
ز	٣٥	فوق جامعي	تعمل	متزوجة	حجاب موضة	مختتة	ليس لها علاقات	———
ي	٣٠	متوسط	لا تعمل	متزوجة	غير محجبة	غير مختتة	لها علاقات	———
غ	١٩	جامعي	طالبة	غير متزوجة	حجاب معتدل	مختتة	لها علاقات	غير عذراء
س	٤٣	متوسط	لا تعمل	متزوجة	حجاب معتدل	مختتة	ليس لها علاقات	———
ث	٣٦	جامعي	تعمل	غير متزوجة	غير محجبة	غير مختتة	لها علاقات	———
ح	٤٦	جامعي	تعمل	متزوجة	غير محجبة	مختتة	لها علاقات	———
ج	٥٤	فوق متوسط	لا تعمل	أرملة	حجاب معتدل	غير مختتة	لها علاقات	———
ق	٣٩	أساسي	تعمل	متزوجة	غير محجبة	مختتة	لها علاقات	غير عذراء*
خ	٥٦	غير متعلمة	لا تعمل	أرملة	حجاب معتدل	مختتة	ليس لها علاقات	———
ك	٤١	جامعي	تعمل	متزوجة	حجاب معتدل	مختتة	ليس لها علاقات	———
ف	٢٦	أساسي	تعمل	مطلقة	حجاب موضة	مختتة	لها علاقات	غير عذراء
ط	٦٠	غير متعلمة	تعمل	أرملة	حجاب معتدل	مختتة	لها علاقات	———
ض	٤٤	تقرأ وتكتب	لا تعمل	متزوجة	حجاب معتدل	مختتة	ليس لها علاقات	———

رابعا: فترة العمل الميداني

تتابعت مراحل العمل الميداني-بل وتداخلت في معظم الأحيان- على النحو التالي:

المرحلة الأولى: الدراسة الاستطلاعية

والتي بدأت منذ اللحظات الأولى لبلورة فكرة هذا البحث وإشكاليته وحتى إنتهائه-في فترات غير متصلة-، ومنذ إعداد خطة البحث للتسجيل، ذلك للوقوف على الموضوعات الأساسية والفرعية للدراسة، ومعرفة المنهج والأداة المناسبة لدراستها. وتابع ذلك مرحلة صياغة الأدوات والمتمثلة في دليل العمل الميداني بعناصره المختلفة، واختبارها مما أسفر عن حذف بعضها وإضافة الآخر، إلى أن انتهينا إلى الشكل الحالي للدليل.

كما تضمنت هذه المرحلة وضع معايير وشروط اختيار دراسة الحالة، ومعايير اختيار الإخباريين، واختيار حالات الدراسة. وهنا تبين للباحثة التأكد من عدم إمكانية تحديد مجتمع محدد واحد للبحث، وعليه لم يكن المعول الأساسي المحدد هو المجتمع وإنما طبيعة الحالات ذاتها، ومدى توفر شروطها، وتوفر الإخباريين واختيارهم، وإجراء مقابلات معهم، وبلورة كيفية التعاون معهم والاستفادة منهم.

المرحلة الثانية: الدراسة المتعمقة

لم تكن هذه المرحلة روتينية الطابع، بحيث تبدأ بعد انتهاء المرحلة الأولى -الدراسة الاستطلاعية- وإنما كانت في معظم الأحوال متداخلة معها أي أنه لم يكن هناك هذا الفصل الحاد بين المرحلتين، فما أن تستقر الباحثة على اختيار إحدى الحالات حتى تبدأ المقابلات المتعمقة معها فوراً. كما تم من خلال هذه المرحلة جمع المادة الميدانية بصورة متعمقة من خلال الإخباريين، ودراسات الحالة، بالإضافة إلى الملاحظة، والمقابلات المتعمقة المتعددة خلال فترة العمل الميداني.

ومن الجدير بالذكر أن العمل الميداني لهذه الدراسة استمر منذ اللحظات الأولى للدراسة الاستطلاعية، وحتى المراحل النهائية لكتابة فصولها.

الفصل الرابع

التنشئة الاجتماعية والتميز النوعى

الفصل الرابع

التنشئة الاجتماعية والتميز النوعى

مقـــدمة

- حول التنشئة الاجتماعية
- مؤسسات التنشئة الاجتماعية
- التنشئة والتميز النوعى
- مفهوم الذكورة والأنوثة
- أسباب التميز النوعى وأسس التفسير
- التميز النوعى فى منطقة الشرق الأوسط
- التميز النوعى عند الغرب
- التميز النوعى عند البدو

مقدمة

من القضايا الهامة والمحورية التي تعالجها الأنثروبولوجيا الفيزيقية نشأة الخصائص الجسمانية للكائنات البشرية وتطورها، بما تنطوي عليه من عوامل بيئية واجتماعية وثقافية لعبت أدواراً فارقة في تطور هذه الخصائص على اختلافها بين المجموعات البشرية المختلفة، حيث إن هذه الخصائص الفارقة قد تمتد إلي جذورها البيئية والوراثية والاجتماعية والثقافية(١). وإذا كان ذلك ينطبق علي السلالات البشرية – بشكل عام – فإنه ينطبق أيضاً علي الفارق الجسماني بين الذكر والأنثى بشكل خاص.

إن الطريقة التي يتم بها نمو الطفل إلي شخص مكتمل النمو في الإطار المعقد لمجتمعه أو جيله لمن الموضوعات المثيرة التي تجذب اهتمام الباحثين، ومن هنا يعالج هذا الجزء من الدراسة أساليب التنشئة الاجتماعية وتأثيرها في تحديد الأدوار الإجتماعية بين الرجل والمرأة، لتكشف لنا فى النهاية عن صور ممارسة خاصة تمارس على جسد الأنثى لإرساء قيم مجتمعية أنثوية. ويثار تساؤل حول طبيعة هذه الأساليب وهل يمكن أن تؤدي إلي التمييز النوعي المتحيز ضد الإناث؟

وقد آثار قاسم أمين هذه القضية قديماً، حين أكد علي أهمية التنشئة الاجتماعية، فإن سلامة العقل لا تتم إلا بحسن الوراثة وحسن التربية، كالتفرقة بين أساليب تنشئة الأولاد وطرق تنشئة الإناث، وأفاض في ذلك منتهياً إلي أن "الفتاه عاجزة مسكينة قضت عليها عادات سخيفة بالحرمان المؤبد من الترقي والكمال"(٢).

ومصدر هذه الأهمية يرجع إلي أن عملية التنشئة الاجتماعية تلعب دوراً هاماً في تشكيل شخصية المرأة الشرقية، فعلي حين تشجع علي نمو شخصية الرجل واستقلاليته، فإن شخصية المرأة تأتي علي العكس معتمدة علي الآخرين، مفتقدة لإمكانياتها الاستقلالية(٣) تمارس عليها أشكال من القمع والقهر بل والعنف لتقييد جسدها ومنعها من الظهور وربما التفوق على الرجل.

أولاً: حول التنشئة الاجتماعية

أكد العلماء علي أهمية عملية التنشئة الاجتماعية، باعتبارها مصدراً لاستيعاب القيم وأنماط السلوك. فقد رأي كل من "دوركايم" و"بارسونز" أنها تحدد للفرد قواعد السلوك وتضبطه وتشكل

---

(١) يوسف أبو ليلى، "نشأة الخصائص الجسمانية للكائنات البشرية وتباينها – دراسة أنثروبولوجية في السلالات البشرية" المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المج ٧، عدد٢٧، الكويت، ١٩٨٧، ص ٤٥.
(٢) قاسم أمين، "تحرير المرأة"، مكتبة الترقي، القاهرة، ١٨٩٩، ص ٨٨.
(٣) سوسن ناجي، المرأة المصرية والثورة. دراسات تطبيقية في أدب المرأة، المجلس الأعلي للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢، ص ١٨٣.

اتجاهاته، إذ يتعلم الفرد في ضوئها القواعد التي يجب إتباعها والتي تتم منذ الصغر وتنمو معه بمرور الوقت، ويواجه تغيرها صعوبة شديدة وإن تم ذلك فإنه يتم ببطء شديد ولا يمس جوهر القيم(١) ، والأساليب المختلفة للتنشئة الاجتماعية هي التي تكسب الأفراد ثقافة المجتمع وقيمه ومعتقداته وأيديولوجياته(٢) حيث يتعلم الفرد عناصر الثقافة الاجتماعية أثناء نموه الاجتماعي من خلال تفاعله مع الأفراد في المواقف الاجتماعية المختلفة(٣) . وترجع عملية التنشئة الاجتماعية إلي كونها العملية التي يتولى المجتمع بواسطتها طبع الأفراد بطابعه. وربما تكون المجتمعات الإنسانية هي التجمعات الوحيدة التي تتولي تنشئة أفرادها اجتماعياً وثقافياً، بحيث أصبحت هذه التنشئة أساساً للنمو النفسي والاجتماعي.

بالإضافة إلي ذلك، فإنها تخلق حالة يرتبط فيها الفرد بالآخرين من ناحية وبالمجتمع من ناحية أخري بحيث يؤدي ذلك إلي نوع من التماسك الاجتماعي يصبح فيه الفرد مرتبطاً بهدف تحقيق أو تأمين وجوده، ويعتمد فيه المجتمع – من أجل استمراره – علي مجموع أفراده. فعلي مستوي الأفراد تعمل التنشئة الاجتماعية علي غرس البعد الاجتماعي والثقافي في الإنسان، ومن ثم فهي تغرس مواثيق ومعايير وقيم التعامل الاجتماعي. وبالنسبة للمجتمع، فهذه العملية تدرب الفرد علي متطلبات المجتمع واحتياجاته، فهي ترسخ صورة المجتمع وقيمه في نفوس الأفراد، وتجعله الإطار الذي تتم فيه سلوكياتهم، وتكتسب معناها ودلالاتها من خلاله، بالإضافة إلي كونها تتولي الحفاظ علي التراث الاجتماعي والثقافي، فهي التي تنقله من جيل إلي الجيل الذي يليه، فإلي جانب أنها تحافظ علي هوية المجتمع، فهي التي تتولي نقل هذه الهوية من جيل لآخر(٤).

يعتبر موضوع التنشئة الاجتماعية محور التقاء علمي الاجتماع والنفس الاجتماعي. ويتناوله المختصون بطريقتين، إحداهما فيها شمول وتوسع، والثانية فيها تركيز وتحديد.

أما الأولي: فتنظر للتنشئة الاجتماعية كعملية اجتماعية شاملة تستهدف نقل التراث المجتمعي إلي الفرد وطبعه بطابع الجماعة التي يوجد فيها، وعلي ذلك فهي عملية متصلة طوال حياته المختلفة، وتتعدد مؤسسات التنشئة الاجتماعية فتشمل الأسرة، والمدرسة، وجماعة اللعب، والجماعة المهنية، ووسائل الاتصال الجماهيري المختلفة والمستحدثة منها.

أما الطريقة المحدودة في تعريف التنشئة الاجتماعية فتقصر هذه العملية على الجانب الذي

---

(1) Robbinss, Stephan R., "Oragnizational Behavior, Concepts Controversies & Application", Perntic – hall International, U.S.A, 1989. P.118.

(٢) جوردون مارشال: موسوعة علم الإجتماع،المرجع السابق، ص ص ٥١١ – ٥١٣.

(٣) حامد عبدالسلام زهران، علم النفس الإجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٨٤، ص ٢٥١.

(٤) فاطمة القليني، "قيمة التنشئة الإجتماعية كما تعكسها قصص وحكايات الأطفال دراسة لعينة حضرية ريفية باستخدام منهج تحليل المضمون"، في "الطفل والتنشئة الإجتماعية"، محمد الجوهري وأخرون، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط١، ١٩٨٩، ص ص ٣٣٩ – ٣٤٣.

يتم داخل الأسرة، وبالذات في مرحلة الطفولة. ويستخدم المتخصصون "التنشئة" في هذا الإطار بوصفها عملية اكتساب ثقافي أو تغير في العضوية الاجتماعية (١).

وأياً كان الخلاف القائم بين الفريقين فإنه لا تعارض، فهي هكذا تعمل على تكامل الفرد في جماعة اجتماعية معينة عن طريق إكسابه ثقافة الجماعة، وإن اعتبرنا أن هذه العملية ممتدة امتداد عمر الفرد فإن أهم مراحلها هي تلك التي تتم في مرحلة الطفولة حيث تسلح الفرد بالقيم، ويتضح من ذلك أيضاً أن هذه العملية هي عملية تطبيع اجتماعي، لأنها تعكس الجهد الذي تبذله الجماعة لتشكيل الفرد وصياغته في قالب محدد ، ورغم ذلك فهي عملية تفاعل اجتماعي تسير في اتجاهين وليس في اتجاه واحد، فكما يتلقى الطفل قيم واتجاهات والديه فهو أيضاً يؤثر فيهما وفي قيمهما ويغير من مكانتهما وأدوارهما داخل الأسرة، بل وداخل المجتمع الأوسع. فالتنشئة الاجتماعية بوصفها "العملية التي من خلالها نتعلم كيف نصبح أعضاء في المجتمع من خلال استدماج معايير وقيم المجتمع من ناحية، أو تعلم كيفية أداء أدوارنا الاجتماعية من ناحية أخرى". كما أنها "عملية يتحول الفرد خلالها من طفل يعتمد على غيره، متمركز حول ذاته إلى فرد ناضج يدرك المسئولية الاجتماعية وكيف يتحملها، ويستطيع أن يضبط انفعالاته ويتعلم إشباع حاجاته بما يتفق والمعايير الاجتماعية، ويدرك قيم المجتمع ويلتزم بها ويستطيع أن يتكيف اجتماعياً مع الآخرين"(٢).

ومن هنا، نستطيع أن نؤكد أن عملية التنشئة الاجتماعية تسهم في تطبيع الفرد اجتماعياً وتعمل على تحويله من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي مدمج في مؤسسات ونظم المجتمع وجزء لا يتجزأ من ثقافة مجتمعه. وتتم هذه العملية من خلال مؤسسات رسمية وغير رسمية متعددة كالأسرة، والمدرسة ، والمسجد، ووسائل الإعلام، ومجال العمل(٣) وجماعات الرفاق والأقران، وهناك مؤسسات وأدوات مستحدثة تباشر دوراً مؤثراً في تلك العملية، كأجهزة ووسائل الإعلام الحديثة، وأجهزة الاتصال الحديثة؛ منها شبكة الإنترنت التي أصبحت عاملاً مؤثراً في جذب الشباب من خلال اطلاعه على مستجدات العلم الحديث والثقافة، والتقنيات الحديثة، إضافة إلي جاذبيتها وقوة تأثيرها في تقديم المعلومة بسهولة، وإعطاء فرصة للتخاطب والحوار، حيث يتسع هذا الحوار لأطراف متعددة، ربما تنتمي إلي ثقافات وجنسيات متعددة (٤).

وفي محاولة الحديث عن مؤسسات ووسائل التنشئة الاجتماعية فإن الأسرة تواجهنا كأول وأهم المؤسسات لما لدورها من أهمية وخطورة في هذا الصدد.

---

(١) علياء شكرى: التنشئة الاجتماعية، فى: الطفل والتنشئة الاجتماعية، مرجع سابق،ص٨٠.

(٢) حامد عبد السلام زهران. مرجع سابق، ص ٩٧.

(2) William M.Kephart & Davor Jedlicka: “The family, Soceity and the individual”, sixth edition, New York, Hamper & Rowinc, 1988, PP 22-23.

(٤) مصطفي عبد القادر عبد الله زيادة وآخرون. فصول في اجتماعيات التربية، ط٤، مكتبة الرشد، السعودية، ٢٠٠٥، ص٢٣٢

مؤسسات التنشئة الاجتماعية

١- الأسرة Family

تعد الأسرة الوحدة الاجتماعية الأولي التي يحتك بها الفرد منذ طفولته احتكاكاً مباشراً ومستمراً، كما تعتبر المحتوي الأول لأنماط التنشئة الاجتماعية التي تشكل الميلاد الثاني للطفل، فالأسرة هي التي تكون شخصيته الاجتماعية والثقافية، لينتمي لمجتمع بعينه وثقافة بذاتها [١].

تتبدى أهمية الأسرة في كونها تعكس خصائص المجتمع، ففيها يحدث الانقسام على أساس النوع، والمكانة، والسن والثقافة، والتعليم. و"تعتبر الأسرة هي الهيئة أو المعمل الصغير الذي يتم في إطاره تدريب الطفل على تجارب التفاعل الاجتماعي في المجتمع الواسع"[٢]. كما تقوم الأسرة بدور فعال في تلقين الأفراد المعايير الاجتماعية وتنظيم المراكز والأدوار لكل جنس وفقاً لطبيعته[٣]. وعبرها تتدعم الاختلافات النوعية بين الجنسين التي تشجع الذكور على التخصص في مهارات متعلقة بالحياة المستقبلية العملية، كما تشجع الإناث ليتخصصن في مهارات ذات صلة بالحياة الأسرية المستقبلية[٤].

وأكدت ذلك نتائج العديد من الدراسات مثل دراسة (جودي وفوبي Phoebe & Jody) التي توصلت إلى أن نماذج التنميط النوعي للأدوار تظهر بشكل واضح في السنوات الأولى من حياة الطفل قبل المدرسة، ليتقمص الطفل أدواره النوعية الملائمة اجتماعياً[٥].

وتلجأ الأسرة إلى أساليب ووسائل عديدة لإتمام عملية التنشئة منها التلقين المباشر ومنها المحاكاة والتماثل عن طريق رواية القصص والحكايات، وهي أساليب تتأرجح بين الترغيب والترهيب، تستهدف نقل قيم ومعايير وأنماط السلوك الاجتماعي[٦].

وطرق وأساليب التنشئة هذه تنتج كنتيجة التفاعل الاجتماعي بين أعضاء الأسرة –الجماعة المرجعية الأولى–،مما يؤكد"أن أفراد الأسرة ليسوا هم الذين يكونون نماذج لسلوك الطفل ذاته،

---

(١) فاروق محمد العادلي. الأنثروبولوجيا التربوية، ط١،دار الكتاب الجامعي، القاهرة،١٩٨١، ص٢٣١.
(٢) فاطمة القليني: "قيمة التنشئة الاجتماعية كما تعكسها قصص وحكايات الأطفال"، مرجع سابق، ص٣٤٢.
(٣) سيف الإسلام على نصر: "التغير الاجتماعي – دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية"، جـ٢، القاهرة، دار الوفاء للنشر، ١٩٨٨، ص٦٤.

(4) Helen Tierney: "Women's Studies Encyclopedia", New York, Green Wood Press, 1999, P.1269.
(5) Phoebe Grammar & Jody E. Skidd: "Correlates of self – worth in preschoolers – the Role Gender – Stereotyped. Styles of behavior", Journal of Research, vol. 26, No9-10 May 1992, PP. 90-369.
(٦) فاطمة القليني: "قيمة التنشئة الاجتماعية كما تعكسها قصص وحكايات الأطفال"، مرجع سابق، ص٣٤٣.

بل إن نمط التفاعل بين الأعضاء أنفسهم بعضهم البعض يصبح نموذجاً[١].

٢ – المدرسة: School

تعتبر المدرسة (بمستوياتها المتتابعة) هي المؤسسة الاجتماعية الرسمية التي تقوم بوظيفة التربية والتنشئة، ونقل الثقافة المتطورة وتعمل على توفير الظروف المناسبة للنمو جسمانياً وعقلياً واجتماعياً للأفراد، بالإضافة إلى إكسابهم أنماط السلوك التي يرتضيها المجتمع ويقرها[٢]، وتقوم المدرسة بالتهيئة الاجتماعية للطفل ونقل الثقافة، كما تلعب دوراً هاماً في التقليل من اعتماد الطفل عاطفياً على والديه وأسرته، من خلال إتاحة فرص التواصل مع أشخاص أخرين خارج نطاق أسرته، كتواصله مع مدرسيه، وزملائه[٣].

وهكذا تأتي المدرسة بعد الأسرة من حيث الأهمية في التربية والتنشئة الاجتماعية. إضافة إلى أن جماعة أصدقاء الدراسة من زملاء وفرق مدرسية مختلفة (رياضة – تمثيل – موسيقى – رسم) تلعب دورها في إمداد الطفل بقدراته على التفاعل مع الآخرين[٤]. ويؤكد البعض أن التنشئة الاجتماعية داخل المدارس تُعزز أساسيات الاختلافات النوعية بين الجنسين ويتضح ذلك من خلال توقعات المعلمين، ومحتوى الكتب المدرسية[٥].

إذا كانت الأسرة والمدرسة هما المؤسستان الأكبر أهمية وتأثيراً في عملية التنشئة الاجتماعية، فلا يجوز لنا أن نغفل مؤسسات أو وسائل أخرى تسهم في عملية التنشئة، فهناك **جماعة الرفاق** Peer Group وهي الجماعة التي تؤثر في النمو الاجتماعي للطفل حيث تؤثر في معاييره الاجتماعية وتمكنه من لعب أدوار اجتماعية متعددة لا تتاح له خارجها[٦].

وفي دراسة هامة لـ ميلاني وشارلز Charles & Melanie نجد أن غالبية الأطفال في الفئة العمرية (١٣ سنة فأكثر)، (٧–١٠ سنوات) يقبلون على الانتماء إلى جماعة رفاق متشابهين معهم في الهوية النوعية والأدوار النمطية[٧].

---

(١) فاروق محمد العادلي. مرجع سابق، ص٢٣٥.

(٢) السيد عبد العاطي السيد: "المجتمع والثقافة الشخصية، دراسة في علم الاجتماع الثقافي"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٩، ص٢٠٨.

(٣) فاروق محمد العادلي. مرجع سابق، ص٢٣٩.

(٤) فاطمة القليني، مرجع سابق، ص٣٤٣.

(٥) موسى الشيتوي: "الأدوار الجندرية في الكتب المدرسية للمرحلة الأساسية في الأردن، المركز الأردني للبحوث الاجتماعية، اليونسكو، الأردن، ١٩٩٩.

(٦) حامد عبد السلام زهران: "علم النفس الاجتماعي"، مرجع سابق، ص٣٢٥.

(7) Melanie Killen & Charez Stangor: “Children’s social reasoning about inclusion and exclusion in gender and race peer group contexts”, child development, Journal Article, Vol. 72, No.1, Jan – Feb 2001, PP.86-174.

كما بينت دراسة أخرى لـــ لينى Lynne أن انتماء الطفل إلى جماعة رفاق معينة يعتمـــد على الأدوار النوعية المتشابهة بينهم خاصة في الفئة العمرية من (١٠ – ١٢ سنة)(١). وعلى ذلك يمكن القول بأنه ربما توجد ثقافة فرعية خاصة بكل جنس على حدة، يتم خلالها تزويـــد المراهقين بالسلوكيات والمعتقدات والاتجاهات النوعية(٢)، وتدعم الفروق الاجتماعية والثقافية بين الجنسين.

كما تلعب المدرسة في المجتمعات الحديثة دوراً هاماً فى تشكيل الاتجاهات العامة للفرد، والسياسية أيضاً وتساعد في صياغة أولية لبعض المفاهيم والمعتقدات الثقافية.

٣–وسائل الإعلام

في ذات الوقت يتعرض الفرد في طفولته **لوسائل الإعـــلام** Mass Media باعتبارها إحدى هيئات التنشئة الاجتماعية التي تسعى إلى تدريب الصغار على سلوكيات اجتماعية معينة.

ويؤثر الإعلام تأثيراً بالغ الأهمية في نقل تراث المجتمع وثقافته من جيل لآخر، ويقـــوم بمهمة ترفيهية وتثقيفية، وبذا يسهم في بناء شخصية ناضجة اجتماعياً ونفسياً، تستطيع تحمـــل المسئولية وبناء المجتمع. كما أن الإعلام يعكس واقع المجتمع بكل ما فيه مـــن قـــيم وتقاليـــد وعادات اجتماعية، فهو مصدر قوى يعكس الثقافة العامة للمجتمع.

ويتمثل الدور الهام الذي يلعبه "**الإعلام**" في التنميط النوعي للجنس – الجندر GENDAR – من خلال المضمون الإعلامي الموجه للمرأة ودورها التقليدي في أمور الطهي والأطفـــال والزواج والتجميل وصيحات الموضة. أما الأدوار الأخرى للمرأة في النـــواحي الاجتماعيـــة والسياسية والثقافية والإبداعية فتستحوذ على اهتمام ضئيل وهامشي(٣).

ولا نستطيع أن نتجاهل أثر المادة الإعلامية الوافدة من حيث نوعيتها وسلوكياتها من أفلام غربية – أجنبية – وأغانى راقصة تحمل قيما ثقافية مغايرة لقيم المجتمع المصرى. والذى من المفترض أن وسائل الإعلام في المجتمع تعد أحد قنوات التنشئة الاجتماعية الأساســـية فيـــه، والتى تدعم وتبث قيم المجتمع، تشاركها فى ذلك الفضائيات والدش والإنترنت.

في هذا الإطار تأتي دراسة "أحمد أبو زيد" الذي أكد على أهمية دور وسائل الإعلام فـــي

(1) Lynne Zarbatany ET. al: Effects of friendship and Gender on peer group entry", child development, journal Article, Vol. 67, No. 5, Oct. 1996. PP 2287 – 2300.
(2) Carter D. Bruce: Current conceptions of sex roles and sex typing, theory and research", Journal of research, 1987. http://www.ericae.net/1016/2004.
(3) Hoda Badran: "The road from beijing Egyptian women's journey", office of the resident coordinator, Egypt, 1997, PP.46-50.
http://www.questa.net/10/7/2003.

التوجيه نحو القيم الإيجابية التي تشجع المرأة على أن تكون أكثر فاعلية في حياة مجتمعها[١].

فهو يوضح النظرة العامة إلى المرأة وعملها لوجود تمييز أيضاً في **مجال العمل** ، فيعد عمل المرأة في نظر الكثيرين مصدراً للدخل وليس دعامة لتحقيق مكانة اجتماعية لائقة بها. ويرجع ذلك إلى المعتقدات النمطية التي تسيطر على عقلية المجتمع، حيث المرأة تتسم بالعاطفية، الرجال يتسمون بالعقلانية ولديهم قدرة على الوصول للقيادة والمراكز الأكثر إنتاجية[٢].وتتفق وهذا السياق دراسة فاي Faye ١٩٨٧ التي أشارت إلى سيطرة الرجل على المرأة واستقلالها وإنجازها في مجال العمل[٣]. ويتحقق ذلك في دراسة "محيا زيتون" عام ١٩٩٨، حيث رأت أن الغالبية العظمى من النساء في مصر تركزت أعمالهن في مهنتين رئيسيتين هما: الأعمال المكتبية والمهن الفنية والعلمية، في حين يتوزع نشاط الرجال بين المهن ذات المكانة الاجتماعية والاقتصادية المهمة[٤]. وترجع دراسة أخري عدم المساواة بين الجنسين في مجال العمل إلى كل من العوامل البيولوجية والثقافية. فعلى سبيل المثال انشغال المرأة بعملية الإنجاب يعد من أهم العوامل البيولوجية التي تؤدي إلى عدم المساواة بين الجنسين في العمل. وأكدت أهم دلائل التغير الاجتماعي في المجتمع الحديث أن عدم المساواة بين الجنسين في مجال العمل، وسيادة الرجل وتبعية المرأة، لم يعد اختلافا وظيفيا functional، أي لم يعد يعمل على تدعيم البناء الاجتماعي، بل قد أصبح غير وظيفي Dysfunctional[٥].

أما العوامل التي يمكن أن تقف وراء هذا التحيز المجتمعي لصالح الذكور في سياسات العمل فيمكن أن نلمحها في الاعتقاد الاجتماعي بأن هناك أعمالا خاصة بالنساء وأخرى خاصة بالرجال، والنساء عادة يقمن بالأعمال الثانوية والهامشية بالإضافة إلى الخوف من تقصير المرأة في أداء دورها الأساسي كزوجة وأم عليها تربية الأبناء ورعاية الزوج.

ونخلص من ذلك كله إلى أن مؤسسات التنشئة على اختلافها تدعم وتعزز من التمييز النوعي بين الجنسين، ويؤدي ذلك كله إلى استمرار التمييز ضد المرأة في المجتمع بما يشمله

---

(١) أحمد أبو زيد: "القيم النسائية الإيجابية في الموروثات الثقاية"، المؤتمر الأول لقمة المرأة العربية، المجلس القومي للمرأة، ١٨-٢٠ نوفمبر ٢٠٠٠، ص ص ٥-٢٢.

(2) Julia Evetts: "Women and Career themes and issues in advanced industrual societies, long man sociology series, New York, long man Inc, 1994, PP. 227-228.

(3) Faye R. Margolis: "Women and Achievement – the role of sex stereotypes in theory, reality, and psychic structure" ph.D, school city university, New York, 1987.

(٤) محيا زيتون: "أوضاع المرأة العاملة في القطاعين الرسمي وغير الرسمي في مصر – قضايا أساسية"، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة، المجلة الاجتماعية القومية، م٣٥، ع١، ١٩٩٨، ص٨٨.

(٥) طلعت لطفي؛ "مشكلة عدم المساواة بين الجنسين في مجال العمل. دراسة ميدانية لعينة من النساء العاملات في مدينة بني سويف"، في: "المرأة والمجتمع. وجهة نظر علم الاجتماع"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص ص ٣٥١-٣٨٧.

ذلك من نواحي جسدية واجتماعية وثقافية.

ثانياً: التنشئة والتمييز النوعي

انطلاقاً من أن التنشئة الاجتماعية هي التي تشكل شخصية الفرد، وتمثل انعكاساً لثقافة المجتمع الذي تتم فيه، فإنه من خلال العادات والتقاليد والقيم التي يعتنقها المجتمع يسعى أفراده إلى تربية أبنائهم وتنشئتهم بمقتضاها، من هنا يعد تلقين الأفراد ثقافة مجتمعهم من أهم أهداف التنشئة الاجتماعية.

في ضوء ذلك نعتقد أن بعض الموروثات التي تنقلها عملية التنشئة الاجتماعية، تكرس التمييز والتفرقة بين الرجل والمرأة، من هنا نلاحظ أن المرأة في بعض المجتمعات لا تحرم فقط من حقوقها الإنسانية بل وتعاني من التفرقة غير الموضوعية التي تدعمها عملية التنشئة الاجتماعية. ويؤكد ذلك رأي "نوال السعداوي" التي ترى أن لعملية التنشئة الاجتماعية دوراً في خلق الازدواجية في معاملة كل من الطفل والطفلة والمرأة داخل الأسرة، وأرجعت مشكلة التمييز بين الرجل والمرأة في مجتمعاتنا العربية إلى النظام الطبقي البطريركي والموروث من نظام العبودية الذي تطور عبر التاريخ[(١)].

وإذا حاولنا في البداية أن نحدد معنى "التمييز أو التفرقة" Discrimination سنجد أنه "نوع من المواقف أو السلوكيات أو طرق المعاملة القائمة على التحيز"[(٢)].

و يضمن نسق (النوع الاجتماعي) دوامه من خلال عمليات التنشئة المنتظمة للأطفال، والمراهقين والبالغين فالجنس "هو عملية خلق أوضاع اجتماعية قابلة للتمييز من أجل نسب وعزو المسئوليات والحقوق وكجزء من نظام طبقي والذي يرتب هذه الأوضاع بصورة غير متكافئة، وهو يحدث فروقاً اجتماعية تحدد أدوار الرجال والنساء، ففي التفاعل الاجتماعي ومن خلال حياتهم يتعلم الأفراد ما هو متوقع وبالتالي ينشئ الفرد محافظاً على نظام "النوع/الجنس" وذلك من خلال جزاءات أو روادع غير رسمية، فهناك معايير مفروضة اجتماعياً داخل نسق الأسرة والعمل والمنظمات والمؤسسات الأخرى التي بدورها تعزز التوقعات النوعية للجنس بين

---

(١) نوال السعداوي: "أضواء على التنشئة الاجتماعية للمرأة العربية والعمل العام"، ورقة مقدمة إلى ندوة: "المرأة العربية والحياة العامة"، تحرير: حورية حسن مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، القاهرة، ١٩٩٥، ص ص٢٦-٢٧..

(٢) سارة جامبل: "النسوية وما بعد النسوية"، مرجع سابق، ص٣١٨.

الأفراد"[1].

وإذا نظرنا إلى الواقع سنجد بالفعل أن ثقافة المجتمع قد نجحت في أن تصيغ صورة المرأة ومكانتها بشكل مغاير للرجل وتمشياً مع الدور المتوقع لكل منهما في المستقبل، حيث يتم تلقين الأبناء من الجنسين الأدوار الملائمة لهم، فيتعلم الأبناء/ الذكور أدوارهم المستقبلية كأزواج وآباء، بينما البنات يتعلمن أدوارهن المستقبلية كزوجات وأمهات[2]. ونجد هذه النظرة التقليدية مترسخة في التراث الثقافي وهي نظرة تمجد من مكانة الرجل وتقلل من المرأة ومكانتها[3] ومن هنا يتم تنشئة كل نوع بطريقة مختلفة اعتماداً على موروثات ثقافية من التراث الثقافي[4].

ونخلص من ذلك إلى أن تنميط الأدوار النوعية لكل من الجنسين تتم نتاجاً للمعتقدات الثقافية السائدة في المجتمع والمتوارثة عبر الأجيال، وتدعمها الثقافة بأساليب مختلفة للتنشئة الاجتماعية عبر مؤسسات التنشئة في المجتمع[5].

فالبيئة التي تتميز بشبكة واسعة من العلاقات الأقل قيوداً والأكثر تفتحاً، تؤدي إلى التطور الإيجابي لشخصية المراهق، بحيث يصبح أكثر نضوجاً، كما أظهرت نتائج إحدى الدراسات التي أجريت على النشء المصريين، أن الذكور في سن ١٥ – ١٩ سنة في المدارس، المقيمين في المحافظات العمرانية ومن أسر ذات مستوى مرتفع مرشحون بشكل أكبر لتطور قدراتهم القيادية. وتكون هذه الفئة الأكثر طموحاً وبالرغم من عدم رضاهم عن وضعهم الراهن، فإنهم الأكثر تفاؤلاً في مستقبل أفضل يتوقعونه. والمراهقات اللاتي لم يلتحقن بالتعليم، والمنتميات إلى أسر ذات مستوى محدود، والمقيمات في المناطق الريفية أو في الصعيد، هن الأكثر فقداناً للقدرات القيادية بسبب إمكاناتهن وخبراتهن المحدودة.

وبالإضافة إلى ذلك تشير بعض الدراسات عن الإناث غير الملتحقات بالتعليم (في صعيد مصر فقط) إلى تدني نظرتهن إلى أنفسهن وإلى التقدير الكبير الذي يشعرن به تجاه الإناث الملتحقات بالتعليم [6].

وهذا يؤكد أن المناخ الثقافي والاجتماعي يلعب دوره الهام في تبني أساليب معينة للتنشئة

---

(1) Estelle Disch.Gender Socialization, Reconstructing Gender a Multicultural Anthology, second edition, Mayfield Publishing Company, 2000, pp.3,7,8.

(2) Grafram Allan: "The Sociology of the family", great rritain, balck well Inc, 1999, P.18.

(3) Marge Koblinsky et al: "The health of women, A Global perspective", New York, west view press Inc, 1993, PP228-229.

(4) Merry E.Wiesner – Hanks: "Gender History", New York, black well publishers, 2001, P.27.

(5) Rosine Jozef Perelberg & Ann C.Miller, "Gender and Power in families", New York, Routledge tavistock Inc, 1990, 91, P212.

(٦) سحر الطويل: "الاحتياجات والاهتمامات الإعلامية للنشء"، يونيسيف، د.ن، د.ت، ص ص ٢٨، ٣١.

الاجتماعية للأبناء الذكور والإناث، وهذا يختلف تبعاً لاختلاف الثقافة الفرعية للمجتمع بالإضافة إلى المستوى التعليمي والاقتصادي للأسرة.

إن التميز النوعي داخل الأسرة يعكس أشكالاً متعددة للتمييز تتعرض له الأنثى في مختلف مراحل حياتها ويتمثل ذلك في التفرقة النوعية في الممارسات والمعاملات خلال التنشئة الاجتماعية لكل من الجنسين.

فرغم أن الرجل والمرأة وجها الوجود الإنساني، إلا أن هناك عوائق قيمية في معظم الدول النامية والعربية بخاصة، أدى ذلك إلى النظر للمرأة باعتبارها "مفهوماً جنسياً" .

وتعتبر "إلين شوالتر" من أنصار نظرية المضمون الثقافي في النقد النسائي، حيث تحاول تفسير العوامل الجسدية واللغوية والنفسية التي تشكل فكر المرأة بربطها بالمحيط الاجتماعي الذي تنشأ فيه حيث يرتبط مفهوم المرأة لجسدها ووظائفها الجنسية والتناسلية بالبيئة الثقافية التي تنتمي إليها، ونفسية المرأة ما هي إلا نتاج بنية من المؤثرات الثقافية، فوضعية المرأة وعدم مساواتها بالرجل لا ترجع للاختلاف النوعي بينهما، وإنما ترجع للأنظمة الثقافية والاجتماعية بالمجتمع.

وهذا يقودنا إلى نقطة البدء، فقد لزم علينا أن نعود لنقول أن لكل ثقافة محددات ومعايير للتنشئة الاجتماعية، ومن المتوقع وفق ثقافة ما وجود تمايز بين الذكر والأنثي، وهو ما تؤكد عليه معظم الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية[١].

فمنها من تناول ممارسات التمييز النوعي مثل دراسة "عادة ختان الإناث" وأرجعها إلي قلة الوعي واستمرار النظر إلي المرأة من منظور فيزيقي بحث لأسباب ترجع إلي ثقافة المجتمع أو الدين أو لأسباب مختلفة أخري[٢].ومنها ما تناولت الدور الجنسي لدى الآباء وما يعكسه هذا الدور على الأبناء المتقمصين لهذا الدور في نمو الدور الجنسي لديهم [٣]-ويقصد هنا النوع-.كما أكدت دراسات أخري تهدف إلى التعرف على تأثير اتجاهات الآباء في تنميط الأدوار النوعية لأبنائهم من الجنسين علي دور الأباء الفعال في الأسرة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية في التأكيد على التنميط النوعي لأدوار الأبناء، وفي الأغلب يكون التنميط النوعي للأدوار ضد الإناث[٤].

---

(١) سوسن ناجي: "المرأة المصرية والثورة. دراسات في أدب المرأة"، مرجع سابق، ص ص ٦٩- ٧٠.

(2) Gindy M. little: “Female Genital circumcision –Medical and cultural considerations”, Journal of cultural diversity, 2003. http://www.ericaenet/25/12/2002.

(٣) حنفي محمود إمام: "الدور الجنسي لدى الآباء وأثره على تقمص ونمو الدور الجنسي لدى الأبناء"، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، ع١، ١٩٨٥، ص ص ٤٥٤ – ٤٩٥.

(4) Jacquelynne S. Eccles et al.: “Gender Role Stereotypes, Expectancy effects and parents socialization of gender differences”, Journal of social issues, vol .46,1990, PP183-201.

وأوضحت دراسة أخري في محاولتها للتعرف على وضع الطفلة (الأنثى) في الأسرة الريفية الهندية وأسباب تدني مكانتها الاجتماعية، أن التمييز النوعي يتضح في التنشئة الاجتماعية للأطفال وذلك من خلال القيام بالتنميط النوعي لسلوك كل جنس بشكل يؤثر على اتجاهاتهم(١).

وأكدت بعض الدراسات أن الاختلافات النوعية بين الجنسين عادة ما تكون مدعمة من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية واتجاهات الوالدين في الأسرة، فهذه الاتجاهات النوعية تشجع الذكور للتخصص في مهارات متعلقة بالحياة العملية المستقبلية، أما الإناث فتشجعهن ليتخصصن في مهارات متعلقة بالحياة الأسرية المستقبلية(٢).

وفي دراسة أخرى أجراها Ellen & Elizabeth, استهدفت التعرف على القضايا النوعية في الطفولة المبكرة وتأثير التنشئة الاجتماعية في الأسرة على الأبناء في السنوات المبكرة من العمر أسفرت النتائج عن ضرورة زيادة نسبة الإناث في التعليم(٣)، وفي نفس الاتجاه أكدت دراسة Claudia, أن عدد الأبناء في المدارس قد تأثر باتجاهات الآباء نحو الاعتماد عليهم في المساندة المالية مستقبلاً، وخاصة الفتيات للاعتماد عليهن في القيام بالأعمال المنزلية، كما يعانين من التمييز ضدهن في سوق العمل وليس فقط من السلطة الأبوية(٤).

هناك تباين جوهري في كيفية تعليم الجماعات الثقافية المختلفة والأسر داخل الولايات المتحدة أطفالهم أن يكونوا أولادا أو فتيات حتى على الرغم من أن الرجال والنساء هم أكثر تماثلاً من كونهم مختلفين، فإن وجود التنشئة والتربية علي أساس الجنس مستمرة، والبناءات المؤسسية الأكبر تفرز هذه التربية.

وهكذا فإن تأثير التنشئة الاجتماعية وإمكانية إعادة التنشئة تبدو أنها موجودة في السنوات الأولى، وهذا يتضح أيضا بواسطة البالغين الذين يصبحون متعددي النوع أو بالأحري متعددي الجنس، لهم الاختيار في إعادة تنشئة أنفسهم إلى درجات متفاوتة للجنس الذي لم يتم

---

(1) Linda Thompson: "Conceptualizing Gender in Marriage – the case of martial care", Journal of the marriage and family, vol. 5, No.3, Aug. 193, PP 69-557.
(2) Hanns Martin Trautner: "Parental concepts, Attitudes and Role Division Gender development in five to ten year – old boys and girls", paper presented at the biennial meeting of the international society for the study of behavioural development, Aug, 1996, P. 15.http://www.ericae.net1 19/12/2003
(3) Ellen M. Lifeld & Elizabeth Hanssen: "Gender Issues", Corrdinators, Notebook, international resource for early childhood development No. 20, 1997, P-83.
http://www.ericae. net/27/10/2003.
(4) Claudia Buchmann: "Family structure, parental percepitons, and child labour in Kenya", Journal Article, vol. 78, No. 4, Jun 2000, PP. 78-134.

تربيتهم عليه، وهذه العملية لإعادة التنشئة في الغالب تكون مصحوبة بتوجه جنس جديد أيضا ، والتراث البحثي عن نمو البالغين يقترح أن التعبيرات عن النوع تختلف بأساليب متباينة خلال مراحل الحياة وتصبح الأدوار الجنسية عادة أكثر تماثلاً في منتصف الحياة. إن أنماط التنشئة والتوقعات بالنسبة لسلوك الذكر والأنثى يمكن أن تتغير أيضا على مدار الزمن فيما يتعلق بالسياق التاريخى، فعلى سبيل المثال فإن العديد من النساء تم تجنيدهن للعمل في المصانع أثناء الحرب العالمية الثانية ولكن تم تسريحهن عندما رجع الرجال من الحرب ولكن تم إعطائهن أولوية في استئجار العمال الرجال، وحينئذ تم تشجيع هؤلاء النساء على أن يصبحن ربات بيوت وأمهات وتم إجبارهن على إعادة تنشئة أنفسهن للانسجام مع التوقعات السابقة أما هؤلاء الذين اضطررن للعمل انتهين إلى العمل في وظائف ذات أجور منخفضة حيث إن الوظائف الأفضل قد أعطيت للرجال العائدين من الحرب.(١)

وتتوالى الدراسات حول الجوانب المختلفة للتنشئة الجنسية وحول وسائل تغيير العوامل التى تجعل الأفراد من الجنسين مقبولين اجتماعياً، وتوجد مضامين ثقافية ومجتمعية تحدد الكيفية التي نقبل بها الأفراد الذين لا يتلائمون مع معايير الرجولة والأنوثة .(٢)

وهكذا فإن المجتمعات المختلفة تعلم أشياء مختلفة. وفي هذا الاطار، إطار مراجعة ومساءلة موروثنا الثقافى نتبين أن أكثر الأشياء و أكثر الصفات طبيعية لدينا إنما هي ليست كذلك، ويري "**رايل**" أن سلوك الذكر والأنثى و حب الملكية الفردية أو الجماعية إنما هي نتيجة لعبة نتعلم قواعدها منذ المهد. وليس المقصود هنا الخصائص التشريحية أو الفسيولوجية و إنما يشير إلي تنشئة الأنثي وتنشئة الذكر، حيث يؤكد ذلك المعني قول "سيمون دى بفوار" أن المرأة لاتولد امرأة ولكنها تصبح كذلك، وتماشياً مع هذه المقولة فيمكن القول بأن الرجل لا يولد رجلاً ذكراً وإنما يصبح بالثقافة كذلك.(٣)

بالتحديد الذي يعطيه رايلى لمفهوم الذكر و الأنثى فإنما هو بالأساس يعتمد القيم والصفات التي تنسب إلى كل منهما وفقا لثقافة كل من المهد، والبيئة، والأسرة. ولكن يبدو أن لعبة المهد ليست متجانسة إذ تختلف من مهد إلى آخر ومن طبقة إلى أخرى وانطلاقا من مقولة رايلى أن المجتمعات المختلفة تعلم اشياء مختلفة يكون الذكر والصفات المنسوبة إليه في فضاء ثقافي معين لا تنسحب بالضرورة على الذكر في مجتمع آخر إذ إن الصفات والادوار والشخصيات يمكن أن تتبادل المواقع ذكوريا وأنوثيا باختلاف أنماط التشريطات الثقافية من مجتمع لآخر نتيجة لتناثرها

---

(1) Estelle Disch. Gender Socialization, Reconstructing Gender a Multicultural Anthology, second edition, Mayfield Publishing Company, 2000, p71.

(2) Op, cit, p72.

(٣) سليم دولة.الثقافة الجنوسية الثقافية: الذكر والانثى ولعبة المهد، مرجع سابق، ص ص٩٦-٩٨.

في الزمان والمكان وتناحرها أيديولوجيا في المجتمع الواحد.[١]

كما تكمن أهمية طرح مسألة الذكورة والأنوثة بإرجاعها إلى الاختلافات الثقافية واختلاف أنماط الانتاج وعلاقات الانتاج المتباينة، في جعلنا نتساءل عن طبيعة تشريطنا الثقافي . ففي إطار الثقافة تتحدد كل الاختلافات بين الذكر والأنثى، وترتب جميع العلاقات بين طبقات المجتمع و شرائحه و فئاته المختلفة.[٢] إن تصنيفات النوع وحمل الانسان لجنس ما وتقسيم الاعمال بناء على النوع كما عرفها المجتمع الغربى ليست ظواهر عالمية نشأت في طبيعة بيولوجية عامة وشائعة بقدر ما هي بناء ثقافي له نفس الابجدية الرمزية العالمية الراسخة في هذه الطبيعة البيولوجية الشائعة والتى يصيغ كل مجتمع من خلالها جملة الثقافة المتفردة.[٣]

الفطرة ومفهوم الذكورة والأنوثة

إن لكل المجتمعات اوامرها ونواهيها و قواعدها السلوكية وقيمها الجمالية ، ومراسمها الاحتفالية والجنائزية لذلك فقواعد هذا المجتمع لا تلزم بالضرورة مجتمعاً أخر".يرجع اختلاف مفهوم الذكورة والانوثة في مجتمع إلى اختلاف سلوك الرجل والمرأة واختلاف الشخصيات واختلاف تصور الفرد لذاته عبر اختلاف الثقافات، ولكن في مقابل هذا التناثر هناك قاسم مشترك بين الثقافات يتمثل في الاستجابة لحاجات الفرد والجماعة، والحاجات النفسية و الحاجات المادية، ذلك أن لكل ثقافة مهما كانت بساطتها لها قيمها.[٤].

يولد الإنسان وبداخله مزيج من صفات الذكورة والانوثة فكل الافراد لديهم الشدة واللين والقوة والضعف "ولا مناص من تعليمهم أن يكونوا مثل هذا الجنس أو ذاك".[٥] إن العلاقة بين أوجه المطابقة والاختلاف هي الركيزة الكبرى للنظم الايديولوجية التي تقابل القيم المعنوية بالقيم المادية من خلال ثنائيات مثل ساخن/بارد جاف/رطب ،مرتفع/منخفض،أعلى/ادنى ، فاتح/ غامق...إلخ. كلها قيم متضادة تصنف بها الذكورة والأنوثة. [٦]

(١) نفس المرجع السابق، ص ١٠١.
(٢) نفس المرجع السابق، ص ص ١٠٤-١٠٥.
(٣) فرانسواز ايريتييه، المرجع السابق، ص٢٥.
(٤) سليم دولة.الثقافة الجنوسية الثقافية: الذكر والانثى و لعبة المهد.ص ص٥١: ٨٢.
(٥) سليم دولة : نفس المرجع السابق، ص٩٦.
(٦) فرانسواز ايريتييه: ذكورة وأنوثة: فكرة الاختلاف/ ترجمة كاميليا صبحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠٠٣،ص٢٣.

أسباب التميز النوعي وأسس التفسير

انقسم العلماء عند تحديدهم لأسباب الفروق بين الجنسين إلى مجموعات:

فمنهم من يرجعها الي **الفروق الجسمانية** ويربطها بالتباين بين الذكر والانثى في الوظائف البيولوجية والفسيولوجية والقوة العضلية التي جعلت المرأة اضعف من الرجل و قسمت العمل على أساس الجنس، فهناك بعض المجتمعات التي تعيش على الأعمال والحرف اليدوية الثقيلة التى لا تستطيع المرأة القيام بها، فحل الرجل محل المرأة في أغلب هذه الأعمال ورجعت المرأة إلي المنزل واصبح الرجل هو المسئول عن الانفاق ومن ثم اصبح هو المتحكم والمسيطر.ومن جانب آخر فإن الذكر هو مصدر الحماية بالنسبة للأنثى ،واستغل الرجل هذا الضعف و فرض علي المرأة قيوداً و أوضاعاً ما لبثت أن استسلمت لها.

ومنهم من يرجعها إلى **التنشئة الاجتماعية** فمن خلال هذه التنشئة يتعلم الذكر أن يكون هو الجنس المتفوق والمسيطر و تتعلم الأنثى منذ الصغر أن تكون خاضعة له ، ويرجع هؤلاء العلماء هذا التميز النوعي إلى الأسرة أولا والمجتمع ثانيا.[١]

تتنوع أسس تفسير التمييز النوعي التي تستند جذورها إلى مختلف النظم الاجتماعية. لقد كشفت بحوث "مرجريت ميد" – عالمة الانثروبولوجيا الأمريكية – وغيرها من علماء الانثروبولوجيا في أساليب حياة القلة القليلة الباقية في العالم من القبائل البدائية عن إمكانية تعديل أنماطنا الجنسية، وبينت أن الرجال والنساء يولدون ولديهم إمكان الشدة أو اللين، والعدوانية أو السلبية، بل "الذكورة" أو "الأنوثة" ولا مناص من تعليمهم أن يكونوا مثل هذا الجنس أو ذاك وهكذا فإن المجتمعات المختلفة تعلم أشياء مختلفة[٢].

وكان للدراسات الانثروبولوجية فضلها في كشف الدور الحاسم للعوامل الاجتماعية في تحديد السلوك.فالدور الجنسي لا تحدده العوامل البيولوجية، وإنما تحدده العوامل الاجتماعية، فالميل للتسلط مثلاً ليس سمة طبيعية مميزة للرجل، كما أن الميل إلى الخضوع والتبعية ليست سمات طبيعية مميزة للمرأة. إن هذه السمات سمات نتجت من خلال الدور الإنتاجي للفرد، وليس من خلال وبسبب تكوينه التشريحي والفسيولوجي[٣].وهذه النظرية تعتبر نقدا للنظرية الوظيفية لعالم الاجتماع "تالكوت بارسونز"، ونظرية التحليل النفسي "سيجموند فرويد" اللتان تشكلان التراث النظري الذي غذى الكثير من البحوث والدراسات الاجتماعية التي اهتمت بدراسة التمييز

---

(١) أحمد علي المجدوب. اغتصاب الإناث في المجتمعات القديمة والمعاصرة ص ص ١٦٤–١٦٦.
(٢) كافيين رايلي: "الغرب وعالم تاريخ الحضارات من خلال موضوعات"، ترجمة: عبد الوهاب المسيري، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٨٥، ص٣٣.
(٣) سامية حافظ حسن الختام: "دراسة كشفية لبعض جوانب البناء النفسي للمرأة المصرية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٢، ص ص٢١٣: ٢١٤

بين أدوار المرأة والرجل[١].

من ناحية أخرى يرجع البعض التمييز النوعي لأسباب ترتبط بنظم الزواج والأسرة وارتباطه بالسلطة الأبوية التي أفرزت سيطرة الرجل التي تتراوح بين مجرد التمييز وممارسة السلطة إلى العنف الفيزيقي والتعصب.وهناك آخرون يفسرونه في ضوء النظام الاقتصادي أو النظام السياسي. ويرجع التباين والتناقض داخل الاتجاه النسوي إلى الأخذ بالتوجهات النظرية الحديثة وفي مقدمتها: نموذج النوع Gender، واتجاهات ما بعد الحداثة Postmodernism وما بعد البنائية Poststructuralism[٢].

التميز النوعى فى بعض المجتمعات

- **التميز النوعي في منطقة الشرق الأوسط:**

إن إحدى الافتراضات الأكثر شيوعاً في التراث الأنثروبولوجي والتي تناقش الأهمية السياسية للنساء في المجتمع ، أن القرارات التى تصنعها النساء لا تصيب أصداءً واسعة المدى لدى المؤسسات العامة. حيث يُجسد التقسيم الاجتماعي للعمل النساء بصورة أقل من نظرائهم الرجال في المؤسسات المركزية لمجتمعهم سواء كانت سياسية، أو قانونية، أو إدارية..الخ فهن بحق لديهن بعض السيطرة ولكن نطاق سيطرتهن محدود وأقل تنوعاً، فمسئولياتهن الاجتماعية محددة أكثر بالنطاق المنزلي أو العائلى.[٣]

إن مكانة النساء في البناء العام للأدوار محددة بوضوح خاصة في علاقتهن بالأزواج والآباء، وبعض العلاقات الاجتماعية لهن بين الاشخاص الآخرين غير محددة نسبياً خاصة مع باقي النساء، إن شبكة العلاقات التى تمتلكها المرأة مع الآخريات من جنسها واضحة المعالم. وأهمية ذلك في المجتمع أقل من جوهرية ودلالة علاقة الرجال كل بالآخر في نسق الدور العام. ويكون هذا في المجتمعات الرعوية في الشرق الأوسط والتي يكون فيها التأكيد على وجود عالمين مزدوجين ومنفصلين للرجال والنساء فيكون عالم الرجال هو العام وعالم النساء هو الخاص.

عالم النساء ليس أكثر من عالم ضيق محدد مزود بنسق معقد من شعارات التكتم، والوقاية والاحتراس والتي توفر محاولات محدودة ومقيدة للاتصال بالنسبة لعالم الآخر ، فعالم النساء ينحصر في المنزل، وانماط الاتصال الخاصة بين النساء من عائلات متعددة ، بينما عالم الرجال له مظهران هما مجال كسب العيش، والحياة العامة للاتصال والتي تشمل الشئون العامة وتتأثر

(١) سوسن ناجي: "المرأة المصرية والثورة"، مرجع سابق، ص١٠٧.
(٢) سعاد عثمان أحمد: "المرأة في الدراسات الأنثروبولوجية"، في: "علم اجتماع المرأة"، علياء شكري وآخرون، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١، ص ص ٩٦-١٠٠.
(3) Caroline B. Brettell, Gender in Cross Cultural Perspective\ Carolyn F. Sargent, 2nd edition, 1997, New Jersey.pp. 111-113.

النساء بشدة بشئون الرجال و لا شك أن العالمين لهما نقاط التقاء منتظمة في المنزل منها الأدوار الجنسية."(١)

هناك وجهة نظر نسائية تنتقد هذا التأكيد وحجتها أن أغلب من قام بهذه الدراسات الأنثروبولوجية من الرجال و نضيف أنه حتى قيام المرأة بهذه الدراسات فهى تشارك بالضرورة في هذه الأفكار السائدة في مجتمعها والتى تضع الذكورة في مرتبة أعلى . لذا تهتم المرأة أكثر بعالم الرجال على اعتبار أنه الأكثر إثارة و جذبا للاهتمام، وأسهل في دراسته وفهمه.

و بما أن عالم النساء مغلق وسري بالنسبة للانثربولوجيين لا سيما الرجال منهم فهذا لا يجعل ما لدينا لا يعدو الا أن يكون رؤية ذكورية لما يحدث في هذه المجتمعات. اى أن المرأة محل الدراسة في تلك المجتمعات تفحصتها رؤية ذكورية مزدوجة ،و هذا ما يفسر كون الكتابات الأنثربولوجية الأولى لا تعكس إلا الصورة الذكورية لوضع المرأة.(٢)

- **التميز النوعي والمعرفة عند الغرب:**

المتتبع للفكر الغربى يجد أنه فكر استبعد الأنثى وبنى هذا الاستبعاد على أساس من ذكورة القائم بأمر المعرفة. فالذكر وحده هو المؤهل للقيام بأمور المعرفة غير المتحيزة الأكيدة البعيدة عن كل تأثير أو تأثر عاطفى غير موضوعى بينما أصبحت الأنثى بسبب تكوينها الجنسي البيولوجى غير قادرة على دخول معاقل العلم والمعرفة. وبهذا يكون الفكر الغربي قد خلط مفهوما اجتماعيا (الجنوسه) بمفهوم وجودي بيولوجى (التكوين الجنسي للانسان) حتى يتسنى له تبرير تحيزاته المعرفية. ولما كانت قضية الجندر متعددة العناصر والعوامل فإنها اشتبكت بالقضايا السياسية وقضايا البناء الاجتماعى ومفاهيم الأسرة والمفاهيم الفلسفية المختلفة. ورغم هذه التشعبات ، إلا أن الدراسات الجندرية انحصرت في قضايا الأنثى والمرأة في مجتمع يقوم على استبعادها بسبب تكوينها البيولوجي. واتخذ هذا الدفاع طابعا علمياً أحيانا وعدائيا أحيانا أخرى ، إذ اثبتت الدراسات الجندرية النسوية أن الجندر مفهوم اجتماعي سياسي ، تذرع بستار الجنس البيولوجى لتحقيق سيادة الرجل و تدنى الانثى على سلم المعرفة والطبقة الاجتماعية وأن مثل هذا التعسف القمعي قد انتظم في الفكر الغربى والعلمى منذ فجر التاريخ . وقد نجحت الدراسات الجندرية في إزاحة الستار عن الدوافع الكامنة وراء هذا الخلط والتحيز (٣).

إن المتتبع للخطاب الأنثوي في هذا المضمار يجده مقنعاً في تأكيده أهمية الجندر

---

(1) Op,cit,pp.111-113.

(٢) فرانسواز ايريتييه، المرجع السابق، ص١٩٠.

(٣) ميجان حسين الرويلي، تحييد البعد الجنوسى في المعرفة/ رأب الفاصل الجنسي، في ألف مجلة البلاغة المقارنة، الجنوسة والمعرفة صياغة المعارف بين التأنيث والتذكير العدد التاسع عشر، القاهرة، ١٩٩٩ ، ص٢٤٥.

للإدراك والمعرفة، كذلك في إصراره على أهمية موقع الذكر وموقع الانثى في المجتمع وفي العملية التعليمية. بل إن كثيراً من المعنيات بقضايا المعرفة والابستمولوجيا أثبتن بما لا يدع مجالاً للشك أن الأنثى تتعلم بطريقة تختلف عن طريقة تعلم الذكر بسبب الفصل الجندري المقنن الذى يمارسه المجتمع ، وبذلك يدعون إلى الاهتمام بهذا الموقع، وهذه الحقيقة ترقى إلى مستوى الحقيقة العلمية التجريبية. لكن ارتباط الجندرية بالتحيزات الاجتماعية والفلسفية من جهة ، وارتباط الدراسات الجنوسية بالحركات السياسية النسوية من جهة ثانية ، أملت عليهن المطالبة بإلغاء الفاصل المبنى على الجنس، وبذلك قد تنازلن عن حقهن في التميز والاختلاف النوعي.

فحينما تدافع المرأة عن حقها في أن تكون أنثى، وحينما تثبت أنه لا علاقة للطبيعة البيولوجية بالقدرة الإدراكية المعرفية، فإنها تطمح بذلك – وبتناقض واضح– إلى إلغاء الفرق النوعي بين المذكر والمؤنث، ذلك الفرق الذى أكدت الأنثى نفسها أهميته. وبالرغم من محاولات المرأة لتحقيق هذا الهدف إلا أنه لا يحقق لها العدالة المنشودة . بل على العكس فسوف تخسر المرأة خصوصيتها النوعية[1].

ويرجع التناقض الحاد في الطرح الأنثوى إلى عدة أسباب كارتباط الدراسات الجندرية بالحركات النسوية، وربط مفهوم النوع بمفهوم الجنس، ومقدرة الفكر الذكوري على استيعاب ما يتهدده من مخاطر أو فكر مناهض، كما أن الدعوة لهدم الفاصل الجنوسي بين المذكر والمؤنث لا يخدم غير الفكر المهيمن، والذي يشكل هو الفكر الذكوري.[2]

- **التميز النوعي عند البدو**

ينعكس تفضيل الذكورة على الأنوثة عند البدو في سلسلة من الأقوال المأثورة التى لا حصر لها، كما يتضمن مظاهر أخرى من خلال المؤسسات والطقوس والرموز –ذلك من خلال نتائج بعض الدراسات عن البدو– . وبالرغم من وجود أسباب اجتماعية مهمة للتقليل من شأن المرأة كما يتضح من تفسير البدو لتفضيلهم الأبناء الذكور على الإناث فإن هذا التقليل من قدر المرأة عادةً ما يبرر بالإشارة إلى دونيتها الأخلاقية. فوفقاً لأيديولوجية قبيلة (أولاد على) يشكل الإرتباط بين المرأة و التناسل – وإن كان يمثل شيئاً إيجابياً– الذى تدنسه بعض الأمور المتصلة به كالحيض والجنس مصدراً لهذه الدونية الاخلاقية. وثمة اعتقاد بأن هذا الارتباط العضوي بين المرأة وبين الحيض والجنس على حد سواء يحول بطرق مختلفة بينها وبين الفضيلة الأخلاقية التى يتمتع بها أولئك الذين يتمسكون بقانون الشرف.[3]

يعد **الإنجاب** أحد الطرق التي يعبر بها البدو عن تميزهم النوعي بإعطائهم قيمة للذكر

---

(١) نفس المرجع االسابق، ص ص ٢٤٥-٢٤٦.
(٢) نفس المرجع السابق ، ص٢٤٥-٢٤٦.
(٣) ليلي أبو لغد. مشاعر محجبة" دراسة حول الدور الحيوي للشعر وتحليل دور المرأة في مجتمع أولاد علي/ ترجمة أحمد جرادات، نور–دار المرأة العربية للنشر، القاهرة، ١٩٩٥، ص ص ٧٩-٨٠.

تفوق قيمة الأنثى ، حيث تتمثل في تفضيلهم المعتاد للأبناء على البنات . فيفضلون الأبناء لأنهم ذوو قيمة، أما البنات فلا قيمة لهن، حيث تختلف النظرة إلى الحمل بالعلاقة مع كون الجنين ولداً أو بنتا. فإذا كانت الحامل متضخمة وتشعر بالثقل وتنام كثيراً ، يتنبأ الناس بانها ستلد بنتا أما من تحمل بولد فيقال انها تكون خفيفة وتبقى كذلك طيلة فترة الحمل وتنام قليلاً وخاصة في شـــهرها الأخير. ، يظهر ذلك بوضوح في استقبالهم لنبأ المولود الذكر عن الأنثى. (١)

إن ثمة سبباً اجتماعياً هاماً وراء تفضيل الأبناء، فالنظام القبلى يتمحور حول مبادئ خـــط الانحدار الأبوى والتضامن في إطار النسب من ناحية الأب، و يقوم على العلاقات بين الرجـــال ومهما كانت الأهمية الاقتصادية والاجتماعية والعاطفية للأبناء والأقرباء ومهما عظم تـــأثيرهم فازدياد فروع القبيلة لا يتحقق إلا بزيادة عدد الذكور والقوة لا تقاس إلا بعدد الرجال. ومن هنا فليس من المستغرب أن يُعبر الرجال عن تفضيلهم للأبناء الذكور دون مواربة. ولأن المجتمـــع القبلى يتمحور حول الذكورة فإن مصالح الرجال والنساء لا تتطابق دائما ونظرة النســـاء إلـــى أبنائهن وبناتهن أكثر تعقيداً وتناقضاً من نظرة الرجال وهذه حقيقة يعرفها البـــدو فيقولـــون أن البنت في مصلحة أمها والولد في مصلحة أبيه. وتخفف من الانحياز للأبناء في إطـــار الأســـرة الرغبة في إنجاب البنات اللواتى سيساعدن في الأعمال المنزلية . ومع أن الأسرة التى لا تضم سوى البنات تثير الشفقة فإن الناس يعترفون بالصعوبات العملية في إدارة منزل لا يضم ســـوى الرجال والصبيان. والصورة المثلى هنا هي أن تضم الأسرة عدداً كبيراً من الأبناء وعدداً قليلاً من البنات. وعلى الرغم من ذلك فالنساء يشاركن أزواجهن بصورة عامة في تفضيلهن للأبنـــاء بسبب شكل التنظيم الاجتماعي والاقتصادي للحياة، فالأبناء يشكلون ضماناً اجتماعياً للمرأة وهي تشعر بالسعادة عندما تلد ذكوراً لأن هذا يكفل لها وضعاً قوياً في مؤسســـتها الزوجيـــة وأمـــام زوجها، كذلك عندما يرث الأبناء آباءهم فإنها تعتمد عليهم في إعالتها. (٢)

فثمة تناقض رمزي بين الذكر والأنثى في المنظومة الفكرية البدوية فتتحدد هوية الإناث عن طريق الربط بينهن وبين التناسل لا فيما يتعلق بالجانب الاجتماعى المرتبط بالأمومة وإنمـــا بجوانبه الطبيعية من حيض وولادة وممارسة جنسية ، ويتم إبراز هـــذه الخصـــائص الطبيعيـــة بصورة رمزية في ألوان ملابس المرأة وخاصة الحزام الأحمر الملازم للباس النســـاء ، بينمـــا تعكس ملابس الذكور صفات الرجال الأكثر ارتباطاً بالثقافة والدين. إن الربط بين النساء وبـــين الطبيعة يعتبر عقبة في سبيل قدرتهن على تحقيق نفس المستوى من القيمة الأخلاقية التي يتمتع بها الرجال، كما أن عدم قدرة النساء على الاستقلال عن الطبيعة يحط من شأنهن في ما يخص إحدى فضائل الشرف ألا وهي السيطرة على الذات المرتبطة بالعقل (أي الحس الاجتمـــاعى أو

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٨٠.
(٢) نفس المرجع السابق، ص ص ٨٠- ٨١.

المنطق)"[1].

يصعب على المرأة العربية أن تعبر عن همومها ، فكلما تزايد إقـرار الغـرب بالنسـوية ومكاسبها ، وكلما اتسعت إدانة الغربيين لأوضاع المرأة العربية، تفاقم صمت النساء العربيـات حيال ما يتعرضن له، ولم يكن الحال على هذا النحو دائما فالتاريخ العربى برغم الذكورية التي سادته عرف نساء تمردن ضد أقدارهن وكان لهن وقع الصدمة على زمنهن.[2]

ونخلص في النهاية أن التمييز بين المرأة والرجل لا يقوم على أي أساس دينـي، أو أيـة نظرية إيديولوجية أو بيولوجية حول نقص المرأة، بل ينتج عن اتجاهات اجتماعيـة، ومفـاهيم ثقافية للحد من سلطة المرأة وفقاً لطبيعة المجتمع وثقافته.

---

(١) نبيل صبحي، المجتمعات الصحراوية، مرجع السابق، ص ١٢٢.
(٢) مي غصوب : المرأة العربية وذكورية الأصالة، دار الساقى، بيروت، ١٩٩١، ص٥.

الفصل الخامس

ختان الإناث.. قضية بحثية

الفصل الخامس

ختان الإناث قضية بحثية

مقدمة

أولاً : الختان (المفهوم – التعريف).

- المصطلح والمعنى.

ثانياً : نظرة تاريخية على الختان.

ثالثاً : الختان والأديان.

- الختان في اليهودية.
- الختان في المسيحية.
- الختان في الإسلام.

رابعاً : الختان والاهتمام العالمي.

خامساً: الختان والموقف الطبي.

مقدمة

لا يمكن مناقشة موضوع ختان الإناث أو ما اصطُلح عليه حديثاً بالتشويه الجنسي للإناث بمعزل عن السياق المجتمعي، وبشكل خاص عن وضع المرأة. فالمجتمع بأكمله منخرط في عملية التحديث والتغيير الاجتماعي ومن هنا يبرز احتياجه لإدماج كل القوى الاجتماعية، ومن بينها النساء في هذه العملية(١). ويقول البعض بأن ظهور هذه العادة قد حدث عقب انتزاع حق النسب للأبناء من الأم وانتقاله للأب في المجتمع المشاعي البدائي، وما قام به رجال الدين في العصور الوسطى من إعلاء شأن الرجل وجعل المرأة كائناً دونياً. كما كان لرحيل الرجال إلى الحروب في ذلك الوقت وتركهم لزوجاتهم سبباً في اختراع ما يسمى بحزام العفة الحديدي لهن كأحد آليات ضبط جسد المرأة باعتبارها كائنا ضعيفا سلوكياً وجنسياً (٢) وهذا تبرز النظرة المتحيزة ضد المرأة وخاصة في المجتمعات الأبوية أو التي يسيطر عليها الذكور، ولا يظهر هذا التحيز في تفضيل الذكور فقط وإنما أيضاً في المعتقدات الراسخة في الأذهان والمرتبطة بالنوع أو الجنس (ذكر أو أنثى)، مما يؤثر بطبيعة الحال في البناء القيمي للمجتمع وما ينعكس بدوره على العادات والتقاليد والتنظيمات الاجتماعية التي تنظم علاقة الإناث بالذكور(٣). ويعتبر الختان هو التطور العصري لحزام العفة الذي كان بداية الحجر الجنسي على الأنثى.

ورغم ما شهده المجتمع المصري في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي من تدعيم لحقوق النساء، فإن نسبة الختان كانت ٩٧% في التسعينيات وهو أمر يثير عدداً من التساؤلات(٤). فعلى الرغم من الجهود المبذولة لمكافحة ممارسة ختان الإناث عن طريق تفنيد مشروعيتها من الناحية الدينية والقانونية فما تزال هذه العادة منتشرة بشكل واسع في مصر، وهناك تأييد قوي لختان الإناث حتى بين النشء والشباب أنفسهم. فيعتقد أكثر من نصف الإناث غير المتزوجات التي أجريت لهن عملية الختان، وحوالي ٨٨% من المتزوجات منهن أن الختان ضروري. بينما يرى ثلث الإناث من المراهقات اللائي أكملن التعليم الثانوي وثلثي النشء الذكور أن الفتاة يجب أن يجرى لها الختان قبل الزواج، وقد أفادت ٤٠% على الأقل من الإناث الصغار المتزوجات بين سن ١٥-٢٤ أن لديهن النية لختان بناتهن في المستقبل (٥). وهذا الأمر يقودنا إلى قضية القيم والعادات والتقاليد وكيفية التصدي لها فالختان يعتبر عادة من بين العادات الاجتماعية التي نشأت وتبلورت واستقرت نماذجها وانتقلت أفقياً عبر أفراد الجيل الواحد ورأسياً

---

(١) آمال عبدالهادي، سهام عبدالسلام؛ "موقف الأطباء من ختان الإناث"، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٦.

(٢) محمد عوض خميس؛ "المرأة والتقدم للخلف. دراسة نفسية للعادات والتقاليد"، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٠، ص١١٨.

(٣) آمال عبد الحميد. القيم الأخلاقية للمرأة، المرجع السابق، ص٢٥٥.

(٤) آمال عبد الهادي. موقف الأطباء من ختان الإناث،مرجع سابق، ص١٧.

(٥) يونيسيف، "الاحتياجات والاهتمامات الإعلامية للنشء"، تقرير من إعداد/ سحر الطويل، ص٣٩.

إلى الأجيال المتعاقبة في شكل أعراف وتقاليد تحرص عليها الجماعة وتحترمها. فهي عادة ثقافية خُلع عليها ثوب ديني لتستمد قوتها واستمرارها، وهي من صنع المجتمع ومشتقة من عقله الجمعي الذي تعلو سلطته على سلطة الأفراد باعتبارها موروثاً ثقافياً.

أولاً: الختان (المفهوم – التعريف)

نحاول في هذا الموضع أن نلقي نظرة متعمقة على مفهوم "**الختان**" ودلالته اللفظية في محاولة لإزالة بعض من الغموض والخلط الذهني الذي يشوب المصطلح، فالمصطلح العام لختان (الذكور والإناث) على السواء هو "ختان" ولكن المصطلح الأكثر شيوعاً في مصر والسودان هو (الطهارة) وهذه الكلمة المشتقة من فعل (يطهر) تشير إلى كل ما يحيط بالفعل، كالعملية ذاتها ومراسمها والطقوس التي تحيط بها. وأحياناً ترتبط العملية (الطهارة) "بالسنة" (سنة النبي محمد -ص-) وفي ذلك ميل إلى ربط الممارسة الثقافية بالقيم الدينية، على الرغم من أنه غير موصى به في النصوص الدينية الإسلامية الصريحة أو المؤكدة التي تحض عليه. والمصطلح الدقيق (للتبظير) المستخدم بصورة محددة نسبياً هو خفض أو تقليل والذي يؤكد على فكرة أن العملية تهذب ما يمكن أن ينتئ، فالتبظير في الواقع مرتبط غالباً بمعتقد شعبي بأنه إذا لم يقلص فإن "البظر" سوف ينمو إلى حد يشبه معه قضيب الرجل، وهذا يؤكد على رمزية إجراء الختان كإعادة تشكيل تشريحي للمرأة، كما يؤكد على رمزية الفروق بين الجنسين. وحالياً فإن مصطلح "**الاستئصال الجنسي**" أو "**التشويه الجنسي**" أو ما يعرف "بالختان" قد قدم إلى العربية من الدول الغربية واللغات الأجنبية، كتعبير عن إجراء العمليات الجراحية للأعضاء التناسلية للمرأة ولكن استخدام هذه المصطلحات لم يعمم بعد في الدول الشرقية.

وفي محاولة لمناقشة مصطلح الختان والمصطلحات الآخرى الدالة عليه، نرى أنه لا يوجد تعبير واحد متفق علي استخدامه في المجتمعات الشرقية غير كلمة "الختان"، بينما المصطلحات سابقة الذكر وغيرها، ما هي إلا كلمات واصفة فقط للفعل غير أنها غير متداولة، كما لا يوجد تعبير آخر يستطيع أن يقدم وصفاً دقيقاً للممارسات بدون شجبه. وعندما نأتي لترجمة المصطلحات إلى الإنجليزية تكون الصعوبات عديدة، فمصطلح الختان أو التطهر غير دقيق حيث إنه يعني ضمنياً أن الجراحة معادلة لتلك التي تزيل غلفة القضيب(1)، بينما هي في الحقيقة إزالة جزء أو كل البظر أو في حالة (التكميم) كل الأعضاء التناسلية الخارجية. والتعبير البديل المقترح في الثقافة الغربية، هو "بتر الأعضاء التناسلية للإناث"Female Genital Mutilation

---

(1) Carla Makhlouf Obetmeyer, Female Oenital Surgeries: The Known, the Unknown, and the Unknowable, in: Medical Anthropology Quarterly 13 (1): 79-106, American Anthropological Association, 1999.

مقدمة

لا يمكن مناقشة موضوع ختان الإناث أو ما اصطُلح عليه حديثاً بالتشويه الجنسي للإناث بمعزل عن السياق المجتمعي، وبشكل خاص عن وضع المرأة. فالمجتمع بأكمله منخرط في عملية التحديث والتغيير الاجتماعي ومن هنا يبرز احتياجه لإدماج كل القوى الاجتماعية، ومن بينها النساء في هذه العملية[١]. ويقول البعض بأن ظهور هذه العادة قد حدث عقب انتزاع حق النسب للأبناء من الأم وانتقاله للأب في المجتمع المشاعي البدائي، وما قام به رجال الدين في العصور الوسطى من إعلاء شأن الرجل وجعل المرأة كائناً دونياً. كما كان لرحيل الرجال إلى الحروب في ذلك الوقت وتركهم لزوجاتهم سبباً في اختراع ما يسمى بحزام العفة الحديدي لهن كأحد آليات ضبط جسد المرأة باعتبارها كائنا ضعيفا سلوكياً وجنسياً [٢] وهذا تبرز النظرة المتحيزة ضد المرأة وخاصة في المجتمعات الأبوية أو التي يسيطر عليها الذكور، ولا يظهر هذا التحيز في تفضيل الذكور فقط وإنما أيضاً في المعتقدات الراسخة في الأذهان والمرتبطة بالنوع أو الجنس (ذكر أو أنثى)، مما يؤثر بطبيعة الحال في البناء القيمي للمجتمع وما ينعكس بدوره على العادات والتقاليد والتنظيمات الاجتماعية التي تنظم علاقة الإناث بالذكور[٣]. ويعتبر الختان هو التطور العصري لحزام العفة الذي كان بداية الحجر الجنسي على الأنثى.

ورغم ما شهده المجتمع المصري في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي من تدعيم لحقوق النساء، فإن نسبة الختان كانت ٩٧% في التسعينيات وهو أمر يثير عدداً من التساؤلات[٤]. فعلى الرغم من الجهود المبذولة لمكافحة ممارسة ختان الإناث عن طريق تفنيد مشروعيتها من الناحية الدينية والقانونية فما تزال هذه العادة منتشرة بشكل واسع في مصر، وهناك تأييد قوي لختان الإناث حتى بين النشء والشباب أنفسهم. فيعتقد أكثر من نصف الإناث غير المتزوجات التي أجريت لهن عملية الختان، وحوالي ٨٨% من المتزوجات منهن أن الختان ضروري. بينما يرى ثلث الإناث من المراهقات اللائي أكملن التعليم الثانوي وثلثي النشء الذكور أن الفتاة يجب أن يجرى لها الختان قبل الزواج، وقد أفادت ٤٠% على الأقل من الإناث الصغار المتزوجات بين سن ١٥-٢٤ أن لديهن النية لختان بناتهن في المستقبل [٥]. وهذا الأمر يقودنا إلى قضية القيم والعادات والتقاليد وكيفية التصدي لها فالختان يعتبر عادة من بين العادات الاجتماعية التي نشأت وتبلورت واستقرت نماذجها وانتقلت أفقياً عبر أفراد الجيل الواحد ورأسياً

---

(١) آمال عبدالهادي، سهام عبدالسلام؛ "موقف الأطباء من ختان الإناث"، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٦.

(٢) محمد عوض خميس؛ "المرأة والتقدم للخلف. دراسة نفسية للعادات والتقاليد"، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١١٨.

(٣) آمال عبد الحميد. القيم الأخلاقية للمرأة، المرجع السابق، ص٢٥٥.

(٤) آمال عبد الهادي. موقف الأطباء من ختان الإناث،مرجع سابق، ص١٧.

(٥) يونيسيف، "الاحتياجات والاهتمامات الإعلامية للنشء"، تقرير من إعداد/ سحر الطويل، ص٣٩.

إلى الأجيال المتعاقبة في شكل أعراف وتقاليد تحرص عليها الجماعة وتحترمها. فهى عادة ثقافية خُلع عليها ثوب ديني لتستمد قوتها واستمرارها، وهي من صنع المجتمع ومشتقة من عقله الجمعي الذي تعلو سلطته على سلطة الأفراد باعتبارها موروثاً ثقافياً.

أولاً: الختان (المفهوم – التعريف)

نحاول في هذا الموضع أن نلقي نظرة متعمقة على مفهوم "**الختان**" ودلالته اللفظية في محاولة لإزالة بعض من الغموض والخلط الذهني الذي يشوب المصطلح، فالمصطلح العام لختان (الذكور والإناث) على السواء هو "ختان" ولكن المصطلح الأكثر شيوعاً في مصر والسودان هو (الطهارة) وهذه الكلمة المشتقة من فعل (يطهر) تشير إلى كل ما يحيط بالفعل، كالعملية ذاتها ومراسمها والطقوس التي تحيط بها. وأحياناً ترتبط العملية (الطهارة) "بالسنة" (سنة النبي محمد –ص–) وفي ذلك ميل إلى ربط الممارسة الثقافية بالقيم الدينية، على الرغم من أنه غير موصى به في النصوص الدينية الإسلامية الصريحة أو المؤكدة التي تحض عليه. والمصطلح الدقيق (للتبظير) المستخدم بصورة محددة نسبياً هو خفض أو تقليل والذي يؤكد على فكرة أن العملية تهذب ما يمكن أن ينتئ، فالتبظير في الواقع مرتبط غالباً بمعتقد شعبي بأنه إذا لم يقلص فإن "البظر" سوف ينمو إلى حد يشبه معه قضيب الرجل، وهذا يؤكد على رمزية إجراء الختان كإعادة تشكيل تشريحي للمرأة، كما يؤكد على رمزية الفروق بين الجنسين. وحالياً فإن مصطلح "**الاستئصال الجنسي**" أو "**التشويه الجنسي**" أو ما يعرف "بالختان" قد قدم إلى العربية من الدول الغربية واللغات الأجنبية، كتعبير عن إجراء العمليات الجراحية للأعضاء التناسلية للمرأة ولكن استخدام هذه المصطلحات لم يعمم بعد في الدول الشرقية.

وفي محاولة لمناقشة مصطلح الختان والمصطلحات الآخرى الدالة عليه، نرى أنه لا يوجد تعبير واحد متفق علي استخدامه في المجتمعات الشرقية غير كلمة "الختان"، بينما المصطلحات سابقة الذكر وغيرها، ما هي إلا كلمات واصفة فقط للفعل غير أنها غير متداولة، كما لا يوجد تعبير آخر يستطيع أن يقدم وصفاً دقيقاً للممارسات بدون شجبه. وعندما نأتي لترجمة المصطلحات إلى الإنجليزية تكون الصعوبات عديدة، فمصطلح الختان أو التطهر غير دقيق حيث إنه يعني ضمنياً أن الجراحة معادلة لتلك التي تزيل غلفة القضيب[1]، بينما هي في الحقيقة إزالة جزء أو كل البظر أو في حالة (التكميم) كل الأعضاء التناسلية الخارجية. والتعبير البديل المقترح في الثقافة الغربية، هو "بتر الأعضاء التناسلية للإناث"Female Genital Mutilation

---

(1) Carla Makhlouf Obetmeyer, Female Oenital Surgeries: The Known, the Unknown, and the Unknowable, in: Medical Anthropology Quarterly 13 (1): 79-106, American Anthropological Association, 1999.

يؤكد مدى وحشية العملية وزيادة التأثير الدراماتيكي بينما في نفس الوقت يعطي حكماً قيمياً فيما يتصل بقصد ونية الذين ينفذونه. والاختصار المستخدم غالباً FGM يوجز الكلمة ليفقدها بعضاً من معناها. وفي نفس الوقت يرى الممارسة وكأنها عرض نادر أو معقد وليس حرفياً فـــ(FGM) فغالباً ما يقترن بالفعل (يستأصل) أو (يبيد)؛ وتثير كلمة جراحة بصورة خاطئة بيئة (مستشفى) معقمة وخاصة إذا استخدمت بمفردها ولكنها تستحق أن تكون وصفية بدون إدانة الممارسات وهي بذلك تثير الصعاب، وغير متفقة مع إجراء الختان في المجتمع المصري الذي غالباً ما يتم في المنازل، وعلى أيدي غير الممارسين الرسميين. وهكذا نجد أن الصعوبات اللغوية تؤكد حقيقة أن قدراً كبيراً من الغموض يحيط بهذه الممارسات بل والالتباس بين مصطلحاتها(١).

من هنا كان لزاماً أن نلقي الضوء على معنى (الختان) في اللغة والفقه قبل أن نحلل الظاهرة طبياً واجتماعياً.

المصطلح والمعنى

أولاً: الختان في اللغة.

بمراجعة قواميس اللغة العربية وجدنا أن الختان والختانة: هو الاسم من فعل الختن، وهو قطع القلفة من الذكر والنواة من الأنثى(٢)، كما يطلق الختان على موضع القطع. وختن الولد فهو (ختين) و(مختون). والختانة: صناعته، والختان موضعه من الذكر، والخَتْن: القَطْع، بفتح ثم سكون تعني "قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص"(٣). وإذا تتبعنا الاشتقاق والدلالة اللغوية للمصطلح نجد أن الأصل اللاتيني وهو Circoncldere قد تفرع إلى المعنى الإيطالي وأصبح Cironcidare، وفي الإسبانية Circuncisión، وفي الإنجليزية Circumcision، وفي الفرنسية Circoncision(٤).

ولكن خرج عن ذلك المعنى في اللغة الألمانية فجاء لفظ Beschneidr، وأما في اللغات السامية فنجد في الآرامية Kheten "ختن" ، وفي العبرية حتن -بالحاء- وهي بمعنى قطع كلمة

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص٥.
(٢) محمد فياض، "البتر التناسلي للإناث. ختان البنات"، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨، ص٩.
(٣) القاموس المحيط، فصل الخاء – باب النون.
انظر أيضاً: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، جزء ١٠، ص٣٤٠.
(٤)From Language to Languag Dictionary http://www.langtolang.com, cited in15/3/2005.

Maleh بمعنى الختان أيضاً[1].

ثانياً: الختان عند الفقهاء.

عرفه ابن حجر العسقلاني بقوله:

الختان (قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص)[2] وتحقيق ذلك بالنسبة للرجل: هو قطع الجلدة التي تغطي الحشفة[3]، والحشفة هي: رأس أو مقدمة الذكر، ويقال لها القلفة أو الغرلة.

وتحقيق ذلك بالنسبة للمرأة: هو قطع الجلدة الموجودة فوق محل خروج الحيض والولد، وتشبه في شكلها النواة أو عرف الديك[4]. وعرف النووي الختان بقوله: يسمى ختان الرجل إعذاراً وختان المرأة خفضاً. وقال أبوشامة: كلام أهل اللغة تقيض تسمية الكل إعذاراً، والخفض يختص بالنساء[5].

وقد يطلق أكثر من اسم على الختان مثل "الإعذار" و"الخفاض"، بينما يرى صاحب الـروض المربع: "الختان مخصوص بالذكر، والخِفاض مخصوص بالأنثى، والإعذار مشترك بينهما"[6].

ثانياً: الختان.. نظرة تاريخية.

زخر السجل الإثنوجرافي بالكثير من الصور والوسائل المختلفة التي تستخدمها العديد من الشعوب لتغيير أو تشويه أجسادها، بحيث تصبح أجسامها وأشكالها مختلفة كثيراً أو قليلاً عما كانت عليه في الأصل، والكثير من الوسائل المختلفة لقطع أو شق أو تشريط أو تعديل معظم أجزاء الجسم البشري. وهذه الممارسات تشمل مختلف أنواع التغيرات التي تجرى في الأعضاء التناسلية Genital Mutilations كالختان Circumcision، والشق الطولي السفلي للقضيب Sun-in Cision، واستئصال البظر Clitorectomy، والختان الفرعوني Infibulation، وغيرها من الممارسات التي تتبعها مختلف الشعوب لأسباب شعائرية أو ثقافية أو اجتماعية أو جمالية أو جنسية أو علاجية.

---

(١) السيد العباسي، "الختان خطوة على طريق الأمان"، دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٩٧، ص٨.
(٢) نيل الأوطار، ج١، ص١١٢. انظر أيضاً: أوجز المسالك إلى موطأ مالك، ج١٤، ص٢٣٧.
(٣) كشاف القناع للبهوتي، ج١، ص٨٠.
(٤) نفس المرجع السابق.
(٥) أوجز المسالك إلى موطأ مسالك، ج١٤، ص٢٣٧.
(٦) الروض المربع للنجدي الحنبلي، ج١، ص١٦١.
وانظر للتفصيل في: سعاد الشرباصي حسنين، "غاية البيان في قضية الختان"، مركز آيات للطباعة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣، ص ص ٧-٩.

أما فيما يتعلق بتشويهات الأعضاء التناسلية للإناث على وجه الخصوص، أو ما يعرف الآن بالبتر التناسلي للإناث –لأسباب ثقافية أو دينية أو غيرها من الأسباب غير العلاجية[١]– فقد تمت ممارستها من قبل أجناس مختلفة، خاصة الحاميين والساميين، كما توصل إليه أقوام بعيدة مكانياً عن بعضها البعض.

اختلف المؤرخون حول متى تم ختان الإناث ومكان نشأته، ولا توجد أي معلومات مؤكدة فيما يخص الإناث. بينما الوضع مختلف بالنسبة للذكور فتُرجع أكثر الآراء نشأة ختان الذكور إلى مصر، وذلك لوجود تمثال لكاهن يدعى أنيساخا Anisakha، من الأسرة الخامسة ٢٧٠٠ ق.م، مختوناً في نقش على جدران مقبرة (عنخ ماحور) من الأسرة السادسة بسقارة يتكون الرسم من جزأين، في الجزء الأيمن منه توضيح المراحل الأولى لتجهيز الصبي لعملية التختين ، والجزء الأيسر من الرسم يوضح المراحل الفعلية للعملية، ووضع الصبي الجسماني، كما يتضح من الرسم وجود مساعد للمختن، فنرى الجراح في الجزء الأيمن وقد كتب عليه الكاهن المُختِن، مما يوعز بأن العملية التي يقوم بإجرائها لا تدخل ضمن اختصاصات الجراح العادي[٢]. ورغم هذه الآراء الخاصة بختان الذكور، فليس هناك حتى الآن تحديد دقيق يمكن الاطمئنان إليه بشكل موثوق به للأصل الذي انحدرت منه عملية ختان الأناث، وفي محاولة للإبحار عبر صفحات المراجع التاريخية القديمة التي ورد فيها ذكر الختان نجد أن ممارسة الختان للأنثى قد تمت في العالم ككل أياً كان الأسلوب قديما وحديثاً دون وجود أي دليل تاريخي واضح وثابت يرصد أين وقعت أول عملية للختان والأسلوب الذي تمت به.

وفي محاولة المهتمين بالبحث عن أصل الختان تتجه بعض الآراء إلى نظرية "الجنس المزدوج Bisexuality"؛ حيث تعتقد بعض الثقافات الإفريقية القديمة أن هناك بعضا من الأنوثة لدى الذكر، وبعضا من الذكورة لدى الأنثى. ولذا فيتوجب إزالة الجزء الأنثوي الموجود لدى الرجل في قمة عضوه التناسلي لكي يصبح رجلاً كاملاً[٣]؛ وإزالة الجزء الذكوري الموجود لدى الأنثى في قمة عضوها التناسلي لتصبح امرأة "حقيقية" قادرة على ممارسة دورها في الحياة الجنسية. وتمضي هذه الثقافات الإفريقية في اعتقادها فتقول بوجود ملاك مع كل طفل يولد – ذكرا أو أنثى– فإذا لم يختن الطفل اختفى الملاك وحل محله الشيطان. وهذا يفسر لنا الاحتفال بالختان بالغناء والرقص، فهي طقوس تعبر عن الفرحة بخروج الشيطان من جسم الطفل. وتذكر بعض المراجع أن المرأة الأفريقية القديمة التي لم تختن كانت تعتبر "قذرة" لا يؤكل من يدها طعام تقدمه، ولا يتزوجها أحد باعتبارها وكراً للشيطان.

---

(١) مصطفي عوض إبراهيم؛ "الثقافة وختان الإناث. دراسة في أنثروبولوجيا الجسم"، في: "التنشئة الاجتماعية. دراسات أنثروبولوجية في الثقافة والشخصية"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص١٥٩، ص١٨٨.

(٢) شوقي عبد القوى حبيب؛ "احتفالية الختان في مصر عبر التاريخ. العادة – المعتقد"، في: "الفنون الشعبية"، ع٥٢، يوليه – سبتمبر ١٩٩٦، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص١٢٢.

(٣) محمد فياض؛ "البتر التناسلي للإناث. ختان البنات"، مرجع سابق، ص ص١٩–٢٠.

وتشير القراءات المختلفة إلى أن أصل الختان يرجع إلى منطقة وسط إفريقيا، قبل ظهور الأديان السماوية بآلاف السنين، حيث كانت التربة مهيأة لاستقبال مثل هذه المعتقدات متمثلة في القبائل البدائية التي كانت تعيش فيها. ومن هناك انتشر الختان ليصل إلى الدول المجاورة لمنطقة المنشأ فيمتد إلى دول مثل الصومال وإثيوبيا (الحبشة)، وبالتالي إلى مصر، عن طريق الهجرة، ويؤكد البعض أن "الختان شائع في معظم الدول الإفريقية على امتداد نهر النيل وحوله"(١). وقد ذكر "هيردوت" الذي زار مصر حوالى ٤٤٠ ق.م أن المصريين يمارسون هذه العادة منذ البداية، وأن الفينيقين والسوريين يعترفون بأنهم أخذوا هذه العادة عن المصريين، كما كان الإثيوبيون يمارسون هذه العادة أيضاً، ولا نستطيع الجزم بأي منهم أخذ عن الآخر(٢). كانت شهادة "هيردوت" في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، بينما نجد بعد ذلك الجغرافي اليوناني "سترابو" الذي زار مصر بعد (هيردوت) وذكر أن مصر القديمة كانت تمارس عادة الختان. وهذا يقودنا إلى تساؤل جد خطير: **هل أصل الختان فرعوني؟** الواقع أن هناك افتراءات تتردد كثيراً -وللأسف في أوساط علمية عديدة- تفتري على قدماء المصريين وتربط بين الفراعنة وبين ختان الإناث. ولن ننكر الأدلة التاريخية التي أكدت وجود مقبرة تنتسو لأحد الأثرياء في عصر-تيتي- أول ملوك الأسرة السادسة -أي منذ ٢٧٠٠ قبل الميلاد، وفيها لوحة بارزة تصور بالتفصيل عملية الختان لإثنين من الشبان يجريها لهما طبيبان مستخدمين سكاكين حجرية. وكذلك يوجد رسم آخر على لوحة ترجع إلى الأسرة التاسعة عشرة، أي سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد، يصور صبيين بين السادسة والثامنة من العمر-يبدو أنهما من أولاد رمسيس الثاني- وأمامهما طبيب يجري لهما عملية الختان.

ولكن هذا الربط الزائف بين الفراعنة وبين ختان الأنثى مرفوض فلا يوجد أي دليل أثري أو تاريخي في هذا الشأن -كما أكد ذلك كل من الأستاذ الدكتور: جاب الله علي جاب الله*، والأستاذ الدكتور: محمد إبراهيم علي**-، فمصر القديمة قد تكون عرفت ختان الأنثى ومارسته فترة من الزمن ولكن ذلك في الفترة التي وقعت فيها تحت احتلال الأحباش الوافدين من إفريقيا، فكان طبيعياً أن ينتقل إليها في عهدهم بعض من عاداتهم وممارساتهم الثقافية. أما الكثير من الأطباء والباحثين فيرفضون نسبة ختان الإناث إلى الفراعنة الذين أبت عليهم حضارتهم أن يهينوا المرأة ويخدشوا كرامتها، وهم الذين كرموها كملكة حاكمة وأيضاً كآلهة(٣).

من هنا يمكن القول إن مصر القديمة، قد عرفت ختان الذكور وتبينه الباحثون في المناظر

---

(١) محمد فياض.المرجع السابق، ص٢٠.
(٢) شوقي عبدالقوى حبيب؛ "احتفالية الختان في مصر عبر التاريخ"، مرجع سابق، ص١٢٣.
* -أمين عام المجلس الأعلى للآثار(وقت إجراء الدراسة الميدانية) .
** -أستاذ الآثار المصرية القديمة، ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب بجامعة عين شمس .
(٣) محمد فياض؛ "البتر التناسلي للإناث"، مرجع سابق، ص ص٢١-٢٣.

المرسومة للخدم والصيادين والرعاة[١]، وكذلك في التماثيل العادية الخاصة، والمومياوات والجثث السليمة الباقية، إلا أنها كانت عادة منقولة وليست أصلية[٢]، كل هذا بالنسبة لختان الذكور وليس للإناث.

فبالرغم من أن أهل السودان يسمون أفظع وأبشع أنواع الختان **بالختان الفرعوني**، إلا أن أندونيسيا قد مارست ختان الإناث قبل مصر القديمة، ولقد أثبت علم التاريخ والأنثروبولوجيا أن عمليات الختان والإخصاء وغيرها، لا علاقة لها بالمصريين العرب أو المسلمين أو اليهود أو المسيحيين أو البوذيين أو غيرهم، إنها ترتبط بنوع النظام الاجتماعي والاقتصادي السائد في المجتمع وليس نوع البشر أو دينهم أو لونهم أو جنسهم أو عرقهم أو لغتهم، فالقارة الإفريقية أو اللون الأسود ليس مسئولاً عن هذه "الجريمة" وإنما هي إحدى جرائم العبودية في التاريخ البشري، إلا أنها "بقايا النظرة العنصرية التي تتصور أن مشاكل الدنيا بما فيها الإيدز أصلها إفريقي، أو على الأقل بدأت في إفريقيا ثم انتقلت بالعدوى فقط إلى "الجنس الأبيض". من ناحية أخرى نجد أن بعض الباحثين يشير إلى وجود هذا النوع من الختان أي "الختان الفرعوني" في شمال شرقي إفريقيا الأبوي؛ حيث يعتبر مؤسسة لها قيمتها الكبيرة إلى جانب مؤسسات الزواج والإنجاب، وتشكل هذه المؤسسات مجتمعة الهوية الأنثوية وسبل معيشة الإناث. ويبرز "الختان الفرعوني" أكثر من غيره من أشكال الختان أهمية الأدوار العذرية والإنجابية للمرأة ويؤكد نظاماً للسيطرة الأبوية والشرف. ورغم أهمية (الختان الفروعوني) في الحفاظ على البناء الاجتماعي، فإن كلفته كبيرة، فقد أظهرت الدراسات أنه يزيد من فرص العقم أو شبه العقم والأمراض التناسلية[٣].

ثالثاً: الختان والأديان

يمثل الدين واحداً من الركائز الأساسية التي يستند إليها المؤيدون لختان الإناث[٤]، ولكن ماهي الرؤية الدينية لقضية الختان؟

تعددت وتباينت الآراء حول هذا الموضوع الشائك؛ حيث يرى البعض أن الديانات السماوية قد أقرت الختان وإن تفاوتت درجة الأخذ به، والواقع يقول لنا إنه برغم تعدد الآراء فإنه لم يرد بأي من الكتب السماوية (التوارة والإنجيل والقرآن) نصوص خاصة تحض على ختان الإناث على وجه الخصوص.

---

(١) شوقي عبد القوي حبيب؛ "احتفالية الختان في مصر عبر التاريخ"، سابق، ص١٢٢.
(٢) المرجع السابق مباشرة، ص١٢٣.
(3) Bettinashell-Duncan and Ylva Hernlund, "Female circumcision in Africa: Dimensions of the practice and debates" in Bettinashell- Duncan (ed), "Circumcision" in Africa, Lynne Rienner, London, 2000, p.38.
(٤) محمد فياض؛ "البتر التناسلى للإناث"، مرجع سابق، ص١٠٩.

والفكرة العامة السائدة هي أن عملية الختان عُرفت بين مختلف الجماعات العرقية والثقافية، بما فيهم المسلمون والمسيحيون واليهود وغيرهم ممن يدين بالديانات الإفريقية المحلية. والمرجع في تلك الفكرة هو وثيقة تحتوي على إقرار يقول إن ختان الأنثى شائع في إثيوبيا بين المسلمين والمسيحيين ويمارسه اليهود الإثيوبيون (الفلاشا) (١).

أ- الختان واليهودية

يعتبر الختان في عهد إبراهيم عليه السلام بمثابة الأمر الإلهي الأول الذي تلقاه إبراهيم من الله له ولنسله من بعده، حيث تقول التوراة "فتختتون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم" (٧: ٩-١٤)، أي أن الختان هو العهد الذي قطعه إبراهيم بينه وبين ربه، ومن هنا أخذ الختان صبغته وأهميته الدينية لأزمنة طويلة وتأكدت أهميته في عصر النبي موسى عليه السلام(٢). والختان أمر مُلزم لكل الذكور في اليهودية بما فيهم العبيد ويتم ذلك في اليوم الثامن للولادة، بغرض التنقية من الشرور ومن يخالف ذلك يعاقب، حيث جعله اليهود شعيرة من شعائرهم الدينية، كما ربطوا بين النبي "آليا" وبين الختان عن طريق الأساطير والطقوس المختلفة(٣).

ولا يُعتبر ختان الإناث من التعاليم أو الطقوس اليهودية، وإنما العكس على إطلاقه، فأي شكل من أشكال الختان للإناث يعتبر بتراً جسدياً ممنوعاً طبقاً للقانون اليهودي. والصحيح بالفعل أن الفلاشا يمارسونه، ويعود السبب في ذلك إلى كون أنهم مجتمع يهودي مغلق ظل منعزلاً عن أي اتصال بالنصوص اليهودية، أو المصادر العلمية لآلاف السنين (٤).

ب- الختان والمسيحية (ختان القلب)

تنص الديانة المسيحية علي ختان الذكور، وإن كان وراءها منطق مخالف عن الديانة اليهودية، فقد ختن السيد المسيح عليه السلام بعد ميلاده طبقاً لشريعة اليهود، عندما تم له ثمانية أيام، وختانه لم يذكر في القرآن وإنما ذكر في الأناجيل المختلفة، فذكر في إنجيل لوقا (لوقا ١: ٢١،٢)، "ولما بلغ الطفل يومه الثامن وهو اليوم الذي ينبغي فيه ختانه دُعي اسمه

---

(١) محمد فياض. البتر التناسلي للإناث، المرجع السابق، ص١٢٧.
(٢) سعاد عثمان. ختان الإناث دراسة اجتماعية، المرجع السابق، ص٢٩٤.
(٣) شوقي عبد القوي حبيب. احتفالية الختان في مصر عبر التاريخ، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٤) محمد فياض. البتر التناسلي للإناث، المرجع السابق، ص١٢٧.

يسوع، كما سماه الملاك قبل الحبل به في بطن أمه"[1] .

وجاء في سفر التكوين، الإصحاح ١٧، الآيات ٩ : ١٤ "وقال الله لإبراهيم: وأما أنت فاحفظ عهدي، أنتَ ونسلك من بعدي مدى أجيالهم: هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم، وبين نسلك من بعدك: يُختَنُ كل ذكر منكم. فتختنون القُلفة من أبدانكم، فيكون ذلك علامة عهد بيني وبينكم. ابن ثمانية أيام يُختَنُ كل ذكر منكم مدى أجيالكم، وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك. يُختَنُ ختاناً وليد بيتك والمبتاع بفضتك فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً. وأما الذكر الأغلف الذي لا يُختَنُ في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها إنه قد نكث عهدي"[2] .واستمر العمل بمبدأ ختان الذكور.

أما عن **ختان الإناث** فيقول "الأب بولس" إنها عادة ليس لها سند ديني في المسيحية إطلاقاً. فالله حينما خلق الإنسان خلق كل شيء فيه حسناً، وكل عضو له وظيفته ودوره. فلماذا نسمح بتشويه خليقة الله الحسنة. فلا توجد أية واحدة في الكتاب المقدس بعهديه: القديم والجديد تتحدث عن ختان الإناث، ويجب تأكيد أن ختان الذكور كان فريضة دينية في اليهودية، ولم يعد فريضة في المسيحية، وهو يُمارس من وجهة نظر صحية فقط وليس من وجهة نظر دينية، لذلك فختان الإناث عادة اجتماعية ليس لها سند ديني في المسيحية [3].

ومن الواضح أنه لا الكتاب المقدس، ولا أقوال الآباء الرسل، ولا كبار معلمي الكنيسة في العصور الأولى ولا في تاريخ الكنيسة الطويل قد أشاروا من بعيد أو قريب إلى "ختان الإناث".

ومن الثابت "كتابياً" أن ختان الذكور كان فرضاً طقسياً رمزياً -مهماً ولازماً- في شريعة العهد القديم. أما في العهد الجديد فيمكن أن يمارس بالنسبة للذكور فقط مادامت له فوائد صحية وطبية ، وهو ما عرفه الغرب أخيراً ويدعو إليه الآن[4].

وقد شجعت بعض الكنائس الإفريقية العودة إلى ختان الإناث، في مواجهة الهجمات التي شنها المبشرون الغربيون على الثقافة الإفريقية بوصفه تقليداً مهماً يربط الأفارقة بأمجادهم القديمة، بل إن الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية تعتبر المرأة غير طاهرة إذا لم تختتن، ويرفض بعض القساوسة السماح لغير المختتنات بدخول كنائسهم. وبالإضافة إلى ذلك فإن الكنيستين الرئيستين في إفريقيا تاريخياً، الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، والكنيسة الإنجيلية البروتستانتية كان لهما موقفان متباينان اتخذت الكنيسة البروتستانتية موقفاً (إيجابياً) أدانت فيه ختان الإناث رسمياً،

---

(١) الأب بولس سرور.الختان في المسيحية، ورقة بحثية، مقدمة إلي الكنيسة المصرية،-تمت الموافقة عليها ورُوجعت من قبل قداسة البابا شنودة الثالث، بابا الكنيسة المصرية-القاهرة، ٢٠٠٦ .

(٢)المرجع السابق ، ص ٦.

(٣) المرجع السابق، ص٩ . وقد أثرت الباحثة الإعتماد في هذا الجزء علي هذا المرجع في كل مايخص رأي المسيحية، نظراً لموافقة ومراجعة الكنيسة المصرية عليه.

(٤) محمد فياض. مرجع سابق ، ص١٢٣.

إلا أن الكهنة كانوا أحياناً ما يتغاضون عنه كوسيلة للحفاظ على العفة الجنسية للنساء. أما الكنيسة الأرثوذكسية أو القبطية والتي توجد طوائف مختلفة منها في مصر وإثيوبيا والسودان، فقد التزمت الصمت إزاء تشويه الأعضاء الجنسية للبنات(١).

أما عن **علاقة الختان بالعفة**، فترى الديانة المسيحية، "فالذين يقولون إن هذه العادة تعطي عفة للفتيات.. يقولون قولاً مغلوطاً، فالعفة لا تبدأ من الجسد، بل من الإرادة والروح. قال السيد المسيح "الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات" (متى ١٢: ٣٥). إن ما يحمي الإنسان من الخطية ليس فقط قمع الجسد بل تنشئة الإنسان بطريقة روحية يرتبط فيها بالقيم الدينية، ويشبع بالله وبالتالي يضبط جسده وغرائزه وشهواته. فليس الحل في تشويه الجسد ولكن في تقوية إرادة الإنسان الروحية. -وقد أشار لرأي قداسة البابا شنودة الثالث في هذا الصدد- فرأي البابا شنودة: أن الرو ح تضبط العقل والعقل يضبط العاطفة، وقد أثبتت التجربة أن ختان الإناث لا يؤدي إلى الهدف الذي يتم من أجله، فلا يمنع المختتات من الانفلات. إن قول الختان يساعد البنات على الاحتفاظ بعفتهن هو اعتقاد خاطئ، إذ أنه لا يقضي على الرغبة الجنسية بل يجعل إتمام العملية الجنسية عند المرأة في غاية الصعوبة في معظم الأحوال" (٢).

كما اتخذت بعض الطوائف المسيحية مواقف معلنة من ختان الإناث مثل الطائفة الإنجيلية التي كان يرأسها القس "صمويل حبيب"، والتي ناهضت ختان الإناث مبكراً منذ الستينيات من القرن الماضي، ومثل أسقفية الخدمات بالكنيسة الأرثوذوكسية والتي أصدرت كتيباً عن رأي الدين المسيحي في ختان الإناث(٣).

ج- الختان والإسلام

لا يوجد خلاف في الشرع الإسلامي حول ختان الذكور. وللختان في الإسلام حكمة دينية، بحيث يعتبر من الفطرة، ومن تمام الحنيفية التي شرعها الله سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم عليه السلام. والقرآن الكريم لم يأمر بختان الذكور، وإنما هو أمر من أمور الفطرة، ولذلك أخذ المسلمون به(٤). وقد ورد في الحديث الشريف: "اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانية"، وروي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خمس من الفطرة: الختان والاستحداد ونتف الإبط وقص الشارب وتقليم الأظافر"، وكلها أحاديث شريفة فيما يخص الذكر.

إذا أردنا قراءة دينية للختان -على وجه العموم- من المنظور الإسلامي لوجدنا اختلاف

---

(١) آمال عبدالهادى؛ "لا تراجع. كفاح قرية مصرية للقضاء على الختان"، مرجع سابق، ص١٩.
(٢) الأب بولس سرور. مرجع سابق، ص ٢٩ .
(٣) أمال عبد الهادي، مرجع سابق، ص١٩.
(٤) شوقي حبيب؛ "احتفالية الختان في مصر عبر التاريخ"، ص١٢٤.

الفقهاء في حكمه بعد اتفاقهم على مشروعيته(١).

ويقول فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر إنه "اتفقت كلمة فقهاء المذاهب على أن الختان للرجال والنساء من فطرة الإسلام وشعائره، وأنه أمر محمود ولم ينقل عن أحد من فقهاء المسلمين فيما طالعنا من كتبهم قول يمنع الختان للرجال ولا للنساء، أو عدم جوازه أو إضراره بالأنثى، إذا تم على الوجه الذي علمه الرسول (ص) لأم حبيبة، أما الاختلاف في وصف حكمه بين واجب وسنة ومكرمة، فيكاد يكون اختلافاً في الاصطلاح الذي يندرج تحته الحكم"(٢).

أما فيما يتعلق بختان الإناث عند الفقهاء فعلى اعتبار أن المكرمة والسنة والمندوب والمستحب كلها ألفاظ ذات مفهوم واحد عند علماء الأصول وكلها يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها، يمكن حصر الآراء الواردة في حكم ختان الإناث في اتجاهين **الأول**: أن ختان الإناث مكرمة أو قالوا هو سنة أو مندوب أو مستحب. ومن أصحاب هذا الاتجاه: أكثر الحنفية ومعظم المالكية وبعض الحنابلة وبعض أصحاب الشافعية. أما **الإتجاه الثاني**: فيرى أصحابه أن ختان الإناث واجب ومن أصحابه بعض الشافعية وبعض الحنابلة(٣).

وما يهمنا الآن هو تبيان حكم الإسلام في ختان الأنثى خصوصاً وقد انبرت الكثير من الأقلام للكتابة فيه، والكثيرون يحاولون إثبات صحة مشروعية الختان، حتى أن المبالغة وصلت بالبعض إلى وصفه بأنه من السنة، وبالبعض الآخر إلى القول بأنه مقتضى الفقه "لزوم الختان للذكر والأنثى"(٤).

فإذا تساءلنا: من أين يؤخذ حكم الشريعة الإسلامية؟ لوجدنا الإجابة البديهية أن الحكم يؤخذ من مصادره الأصلية المتفق عليها، وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، والإجماع المشروط في علم أصول الفقه، والقياس المستوفى لشروط صحته.

وكحقيقة واضحة فإن القرآن الكريم قد خلا من أي نص يتضمن إشارة من قريب أو من بعيد إلى ختان الإناث. وليس هناك إجماع على حكم شرعي فيه، ولا قياس يمكن أن يقبل في شأنه. أما السنة النبوية فإنها مصدر ظن المشروعية، ليس في المرويات المنسوبة إلى الرسول (ص) دليل واحد صحيح السند يجوز أن يستفاد منه حكم شرعي في مسألة بالغة الخطورة على الحياة الإنسانية كهذه المسألة(٥).

---

(١) المغنى والشرح الكبير جـ١، ص١٠٩، فتاوى ابن تيمية جـ٢١، ص١١٤، فتح البارى في شرح صحيح البخارى جـ١٠ ص٣٤٢.
(٢) السيد العباسي؛ "الختان. خطوة على طريق الأمان ، ص٥١.
(٣) سعاد الشرباصى حسنين. ختان الأنثى، في:الفتاوى، ٢٠٠٢، ص ص٣٩-٤٠.
(٤) محمد فياض؛ "البتر التناسلي للإناث"، مرجع سابق، ص١١٠.
(٥) محمد فياض. نفس المرجع السابق ، ص١١٠.

وفي هذا الإطار نذكر فتوى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ "سيد طنطاوي" قائلاً: " لقد استعرضنا آراء بعض العلماء القدامى والمحدثين في مسألة الختان، ونرى أنها سنة واجبة بالنسبة للذكور لوجود النصوص الصحيحة التي تحث علي ذلك أما بالنسبة للإناث فلا يوجد نص شرعي صحيح يحتج به على ختانهن، ومن الأدلة علي أنها عادة ولا يوجد نص شرعي صحيح يدعو إليها أننا نجد معظم الدول الإسلامية الزاخرة بالفقهاء قد تركت عادة ختان الإناث.. ومادام الأمر كذلك فإني أرى أن الكلمة الفاصلة في مسألة ختان الإناث مردها إلى الأطباء"(٢) .

بل إن البعض يستشهد -في هذا الصدد- بآيات القرآن الكريم وفلسفته في التعامل مع الجسد البشري واحترام حرمته، هذا الجسد المقدس الذي كرمه الله سبحانه وتعالى، وإذا تأملنا الآيات التالية: "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله"(٣)، "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"(٤)، "كل شيء خلقناه بقدر"(٥)؛ لوجدنا أن الصورة التي يجرى بها الختان في مصر، وفي أجزاء أخرى في العالم الإسلامي، فيه تغيير لخلق الله، ومن قطع بعض الأعضاء المعصومة ما لا يخفى، وإذا كان هذا قد حُرم بالنسبة للحيوان فكيف يحدث في حق الإنسان؟

ولن نتوقف كثيراً أمام تفصيل وشرح الأحاديث الواردة في هذا الشأن، وحسبنا أن غالبية العلماء والفقهاء قد أجمعوا على أن الختان سنة واجبة بالنسبة للذكور لوجود النصوص الصحيحة التي تدل على ذلك، أما بالنسبة للإناث فلا يوجد نص شرعي صحيح يحتج به على ختانهن، إنما وردت آثار حكم المتحققين من العلماء عليها بالضعف ومنها حديث "الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء" وحديث (من أسلم فليختتن). وقد ذكر هذه الأحاديث جميعها الإمام الشوكاني في كتابه (نيل الأوطار) جزء (١)- صفحات ١٣٧-١٤٠ وحكم عليها بالضعف بعد الكلام المفصل عن أسانيدها وذكر قول الإمام ابن المبذر "ليس في الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع"(٦).

أما المواقف المعلنة للأقسام المختلفة من المؤسسة الدينية الإسلامية في مصر من ختان الإناث، فقد اتسمت بالتضارب والتناقض، ويمكن أن يكون الاستقطاب السياسي أثناء مؤتمر السكان عام ١٩٩٤ قد ساهم في تعميق الخلافات بين القيادات الإسلامية فيما يتعلق برؤاهم

---

(٢) ختان الإناث. في: 30/3/2004 www.fatawaalazhar.com

(٣) القرآن الكريم. سورة الروم. الآية ٣٠ .

(٤) القرآن الكريم. سورة التين. الآية٤.

(٥) القرآن الكريم. سورة القمر، الآية ٤٩.

(٦) من نص الرسالة التي بعث بها فضيلة المفتي "محمد سيد طنطاوى" إلى الدكتور "علي عبد الفتاح" وزير الصحة، ونشرت في صحيفة الأخبار ١٩٩٤/١٠/٢٨.

لموقف الإسلام من ختان الإناث[1].

ونستطيع أن نستخلص رأياً نهائياً فيما سبق عرضه من آراء الديانات السماوية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام) في ختان الإناث بوجه خاص. فهو أمر غير منصوص عليه دينياً وليس هناك نص واحد ثابت يقضي بوجوبه. ومن هنا نستطيع أن نؤكد بقوة أن هذه العملية ترفضها الأديان، أو بالأحرى لم تشر لها كتعاليم أو أوامر دينية.

رابعاً: الختان والاهتمام العالمي

أصبح الختان قضية مطروحة ذات اهتمام عالمي منذ بدايات القرن العشرين، حينما استهدفت الجهود المتواصلة على مستوى المحليات المختلفة في هذا الشأن اهتمام العالم بأكمله بقضية الختان. ففي تلك الأيام كان المسئولون عن الصحة في البعثات التبشيرية في إفريقيا هم أول من قدموا شهادتهم عن الختان كأحد الطقوس الملتصقة بالأنثى في الثقافات الإفريقية، غير أن عدم إدراكهم لمفهومات الثقافة والقيم المحلية جعلتهم يتحدثون عن هذه العادات والطقوس بألفاظ وصفية محددة غير معبرة مثل "همجية"، "بدائية"، "غير صحية".

وبعد الحرب العالمية الثانية، وحتى أواسط السبعينيات، لم يكن ذكر الختان يأتي إلا في إطار الأدبيات الخاصة بالمجتمعات البشرية خصوصاً البدائية منها. وفي عام ١٩٥٨ نشرت منظمة الصحة العالمية دراسة حول "استمرارية العادات التي تُخضع البنات للعملية الطقسية". ثم تبعتها بجهود وإجراءات تهدف إلى منع الختان، كما نتج عن هذه الجهود نشأة مصطلح جديد هو "البتر التناسلي للأنثى"، حيث جاء هذا التعبير كتتويج لهذه الجهود المتواصلة الإقليمية التي انعقدت في الخرطوم عام ١٩٧٩، وداكار ١٩٨٤، وأديس أبابا ١٩٨٧، بمثابة خطوات مهمة على طريق تنبيه الأفراد وزيادة الوعي بالمشكلات المتعلقة بختان الإناث[2].

وجاء كنتيجة لهذه الاجتماعات المحلية تأسيس اللجنة الإفريقية (IAC) Inter African Committee المنوطة بالعمل على إلغاء ما أسموه بالممارسات التقليدية الضارة بصحة المرأة والطفل، والتي كان عملها الأساسي في ذاك الوقت محاربة عادة ختان الإناث.

وخلال العقد العالمي للمرأة الذي نظمته الأمم المتحدة بين عامي ١٩٧٥-١٩٨٥، تم تسليط الأضواء على وضع المرأة المتردي والسيئ في الدول النامية فيما يتعلق بقضية مواردها، وفكرة اتخاذ القرار، وتنميتها على الصعيد الصحي والتعليمي، وارتفاع نسبة الأمية، وتهاونها في

---

(١) آمال عبد الهادى؛ "لا تراجع. كفاح قرية مصرية للقضاء على الختان"، مرجع سابق، ص١٩.

(2) Bettinashell- Duncan and Yiva Hetnlund, "Female Circumcision in Africa: Dimensions of the Practice and Debates", In: "Circumcision in Africa, Bettinashell-Duncan (ed.),Lynne Rienner, London, 2000.

حصولها على حقوقها.. إلخ، وأثناء انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة عام ١٩٨٠ في كوبنهاجن بادرت المنظمات غير الحكومية إلى وضع قضية الختان على جدول الأعمال الدولي، وأنتجت المناقشات العديدة الحادة التي دارت بالمؤتمر ضرورة التنبيه على أن قضية الختان قضية حساسة للغاية ومعقدة وفي حاجة لمواجهة سريعة؛ ومن خلال مؤتمرات المرأة المختلفة تدافعت الوفود الدولية المشاركة في كل مؤتمر للدفاع عن إلغاء الممارسات التقليدية الضارة وخصوصاً ما أسموه "طقس البتر التناسلي الهمجي"(١)، مبررين ذلك بأن مثل هذه الممارسات إنما تشكل اضطهاداً ثقافياً وجنسياً ضد المرأة من جانب المجتمع الذكوري– الذي يسيطر عليه الرجال.

تبعاً لذلك ومع ازدياد الوعي والاهتمام بالقضية، انتقل موضوع الاهتمام من الممارسات التقليدية الضارة، إلى قضية "النوع" GENDER خاصة ما يختص بصحة المرأة وحقوقها، ولقي هذا المدخل دعماً من الداعين إلى حماية الصحة الجنسية والإنجابية للمرأة وحقوقها الإنسانية(٢).

وهكذا بانتشار الظاهرة بشكل متزايد، سادت أرجاء العالم كله دعوة، أجمعت فيها كل المنظمات الدولية والإقليمية والمحلية والدوائر والمؤتمرات الطبية الدولية والإقليمية والمحلية، على رفض البتر التناسلي للإناث، والدعوة إلى تحريمه وتجريم ممارسته، كما أصبح لزاماً أن يضم أي مؤتمر طبي يعقد موضوعاً أساسياً ورئيسياً عن البتر التناسلي للإناث، متضمناً في بند رئيسي عن "الممارسات الضارة ضد الطفلة الأنثى". وعلى سبيل المثال فقد اتخذ المؤتمر الدولي لأمراض النساء المنعقد في مونتريال عام ١٩٩٤ توصية مهمة لتحريم هذه العملية، وتخطى التحريم إلى التجريم؛ حيث اعتبر إجرائها جريمة هتك عرض يعاقب من يمارسها كما يعاقب الأب أو ولي أمر الفتاة الطفلة –المجني عليها بلفظ القانون–وقد شارك في هذا المؤتمر أربعون باحثاً طبيباً من أطباء النساء والتوليد بالجامعات المصرية(٣).

ويمثل الاهتمام الدولي، والمؤتمرات العالمية، وتشريعات العديد من الحكومات خطوة مهمة نحو الحد من هذه الممارسة الضارة. كما كثفت مصر جهودها في هذا الشأن، متضمنة العديد من المؤتمرات والندوات، صاحبها تكثيف إعلامي تثقيفي لإدراك مضار الختان الجسمانية – البيولوجية والفسيولوجية والنفسية، ويضم هذا التكثيف التثقيفي جانباً طبياً وصحياً وآخر دينياً، وتطورت الجهود إلى قيام بعض الجمعيات الأهلية المناهضة للختان، كما تكاتفت الجهود وتوحدت في بعض الأوقات ليوجه الجهد إلى قرية بعينها للعمل على القضاء على هذه العادة

---

(١) محمد فياض، البتر التناسلي للإناث، مرجع سابق، ص٤٠.
(٢) صباح عبده هادى الخيشني، مشروع الجندر: من الحرية والمساواة إلى التماثلية والشذوذ، في منشورات الأمم المتحدة، في: 1/10/2003 .www.aleman.yaman.net/isdarat/paper.htm.
(٣) محمد فياض.البتر التناسلي، مرجع سابق، ص٧ .

الثقافية الموروثة. وقد كللت بعض المساعي بالنجاح كما في قرية دير البرشا[1]، وفشلت هذه الجهود في أحيان أخرى، كما انخفضت نسبة إجراء الممارسة في أماكن أخرى كتقدم مرحلي. ومازالت هذه الجهود مستمرة إلى الآن على المستوى المحلي، والعربي، والعالمي، لتحقيق هدف القضاء على ممارسة الختان أو البتر التناسلي للإناث.

خامساً: الختان والموقف الطبي

يُعرف الختان من المنظور الطبي بأنه "عملية بتر جزئي أو كلي من أحد أعضاء جسد المرأة، في إجراء لم تنص عليه أي من الكتب الجراحية، وبالتالي فليست له خطوات، أو معايير، يتم للفتاة ولا يؤخذ رأيها في إجزائه أو لا تملك أن ترفض إجراءه، وهو إجراء رغم شيوعه يدخل الإعلان عنه في نطاق المحظورات"[2].

وقبل أن نتطرق لرأي المؤسسة الطبية الرسمية بمصر في قضية الختان نلقي نظرة أولاً على أنواع الختان. والواقع يقر بأن المقارنات الخاصة بانتشار الجراحات التقليدية للأعضاء التناسلية للمرأة محدودة، لانعدام وجود نسق منتظم من التصنيف. ولكن هناك مصطلحات شائعة في الاستخدام مثل "الختان الفرعوني"، "الختان المعتدل" و"ختان السنة" وكل مصطلح ربما يغطي مدى واسعا من العمليات بالإضافة إلى الأساليب المختلفة للممارسين عبر الأماكن والأقاليم وأيضاً عبر الزمن. وهكذا فإن أي تصنيف عام هو إلى حد معين غير دقيق[3].

ولكن بوجه عام، يمكن أن نصنف عملية الختان-كإجراء طبي- إلى أربعة أنواع أساسية من حيث قسوة وشدة العملية:

النوع الأول: ويشبه ختان الذكر ويتمثل في قطع غلفة البظر بشكل محيطي لإزالتها، يعتبر هذا النوع أقل الأنواع شدة وقسوة، إلا أن الأطباء يؤكدون أن إجراء مثل هذا النوع الجراحي لا يتم دون أن تصاب الأعضاء التناسلية والبظر بأي ضرر[4].

النوع الثاني: ويشمل إزالة حشفة البظر أو البظر بأكمله بالإضافة إلى جزء من الأنسجة

---

(١) قرية مصرية من قرى الصعيد تقع في أقصى الحدود الجنوبية في محافظة المنيا، انظر: آمال عبد الهادي. لا تراجع:سنواصل ما بدأناه، كفاح قرية مصرية للقضاء على ختان الإناث،مركز القاهرة لدراسة حقوق الانسان، ١٩٩٨.

(٢) عايدة سيف الدولة؛ قراءة تسوية في الصراع الدائر حول قضية الختان (ندوة ختان الإناث المنعقدة بالمشاركة بين مركز النديم لتأهيل ضحايا العنف ومركز دراسات المرأة الجديدة وجمعية التنمية الصحية والبيئية)، القاهرة، ١٩٩٤، ص٢٠.

(3) Carla Makhouf Obetmeyer. Female Oenital Surgeries, Op,.cit,p.4.

(٤) حامد رشوان؛ "ختان الإناث: الجانب الأخلاقي"، في: المؤتمر الأول (الضوابط والأخلاقيات في بحوث التكاثر البشري في العالم الإسلامي)، ١٠-١٣ ديسمبر، ١٩٩١، ص٥٧.

المجاورة له (شفري الفرج) أو كلها.

النوع الثالث: "الختان الفرعوني" ويتضمن ليس فقط إزالة البظر من الأنسجة المجاورة ولكن الشفرين الخارجيين أيضاً، ويتم خياطة حافتي الجروح معاً ويترك فتحة صغيرة جداً للتبول والدورة الشهرية وفي هذا النوع يتم ربط ساقي الأنثى لعدة أسابيع حتى يلتئم الجرح.

النوع الرابع: وهو نادراً ما يمارس ويشار إليه "بالتوسيع" ويشمل الفتحة المهبلية بشج الشرج[1].

إن هذا يوضح لنا أن التعبير المنتشر (ختان الإناث) غير دقيق فهو تعبير رقيق يستخدم للإشارة إلى هذه العمليات الجراحية التي لها عواقب وخيمة فالنوع الأول وهو ما يطلق عليه الختان البسيط Fitter Circumcision أو ما يعرف في المجتمعات الإسلامية بـــ"ختان السُنة" وهو وصف يستخدمه المدافعون عن الختان، أما الختان الفرعوني Pharaonic circumcision أو ما يعرف باسم Infibulation فمن الجدير بالذكر أن هذا النوع هو الذي يستخدمه –(كمصطلح)– أهل السودان، ويطلق عليه اسم "الختان السوداني". ولا ينبغي استخدام تعبيرات مثل (ختان السُنة) أو الختان الفرعوني، لأنها تعبيرات إيحائية ولا تستخدم إلا في البلدان العربية[2] ولا توضح المدلول الفعلي لها. بالإضافة إلى ذلك فإن تعبير (الختان الفرعوني) غير صحيح لأنه يوحي بأن هذه العملية كانت تمارس في مصر القديمة وهذا ما لم تؤكده البحوث العلمية[3].

وتؤكد إحدى الباحثات في هذا المجال –الأستاذة:ناهد طوبيا– "لا ينبغي أن نستخدم تعبيرات مثل ختان السنة أو الختان الفرعوني لأنها تعبيرات خاطئة وتمثل فهماً خاطئاً للإسلام"[4].

لقد أفاض الأطباء في الحديث عن عواقب عملية الختان ومضاعفاتها سواء على المدى القريب أو على المدى البعيد، فعلى المدى القريب النزيف أمر حتمي الحدوث؛ حيث لا يمكن تجنب إتلاف الأوعية الدموية التي يتدفق فيها الدم بغزارة في هذه المنطقة، وعادة ما تحدث صدمة عصبية ونفسية، من فقد الدم ولأن هذه العملية غالباً تتم بدون مخدر. وأحياناً تحدث الوفاة، وتصاب الأنثى عموماً باحتباس البول في الأيام القليلة التالية للختان وتورم الأنسجة واحتمال إصابة الجهاز البولي بالتلوث.

أما على المستوى البعيد فيمكن أن تحدث مشكلات عند أول جماع أو عند الولادة وقد يحدث عقم لصعوبة الاختراق الجنسي أو بسبب مرض الالتهاب الحوضي الناتج عن التلوث المزمن وهذه المشاكل الجسدية لا تنفصل عن المشكلات النفسية الناتجة عن الختان والتي أكدها

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص٥٨.
(٢) عوض إبراهيم؛ "الثقافة وختان الإناث. دراسة في أنثروبولوجيا الجسم"، مرجع سابق، ص ص١٨٩-١٩٠.
(٣) المرجع السابق ذاته، ص١٩٠.
(٤) محمد فياض؛ "البتر التناسلي للإناث. ختان البنات"، مرجع سابق، ص ص٢٨-٢٩.

جميع أساتذة علم النفس وتتضمن القلق والإحباط والاضطراب النفسي والاضطراب العقلي، فالجانب المؤلم من هذه العملية هو الضرر النفسي والعذاب الذي لن يُمحى من الذاكرة أبداً(١). وأكد العديد من الباحثين والمتخصصين أن الأخطاء الفيزيقية المرتبطة بعملية الختان قد تصل في ذورتها إلى التسبب في الموت سواء كانت قد أجريت بواسطة طبيب "غير مؤهل" لتلك الجراحة أو مطبب شعبي أو داية، وقد تتسبب العملية في النزيف أو الموت نتيجة الصدمة العصبية، بالإضافة إلى الجوانب السيكولوجية التي تُخلّف الإحباط والاكتئاب في نفسية الفتاة، كما تتسبب في إصابتها بالخوف المرضي الذي يظل عالقاً بذاكرتها من جراء التعرض لهذه الصدمة(٢).

وتشير الأبحاث إلى أن ٢٦% من الإناث اللاتي أُجريت لهن عملية الختان أُصبن بأمراض نفسية وعضوية. إن الجرح النفسي في عملية الختان أشد إيلاماً من الجرح العضوي، أما من الناحية الجنسية فيؤكد المتخصصون أن السيدة المختتنة تحدث لها مشاكل جنسية تنعكس بالضرر على حياتها الزوجية(٣)، فحوالي ٥٤% من النساء اللاتي أجرين عملية الختان مصابات بالضعف في التجاوب الجنسي ويرجع هذا إلى استئصال المناطق الحساسة اللازمة للتفاعل الجنسي بين الزوج والزوجة مما يؤدى إلى احتقان مزمن في الحوض وما يصاحب ذلك من آلام ومشكلات صحية. كما أن المشاكل الجنسية والنفسية الناتجة عن ختان الإناث تنعكس على الزوج.

ويؤكد ذلك دراستان قامت بإحداهما الطبيبة Koso-Somas في سيراليون والتي كانت نتيجتها ضعف التجاوب الجنسي الذي يصل إلى حد فقدان الرغبة في الحياة عندما ترى الزوجة أن زوجها يتركها عاطفياً ليذهب إلى أخرى لعدم تجاوبها معه جنسياً. وتشير هذه الطبيبة إلى أنها قامت بمقابلات مع (٥٠) سيدة مارست الجنس قبل ختانها، وقد تبين أن لا أحد منهن قد وصلت إلى مستوى اللذة التي كانت تشعر بها قبل الختان، ولم تعِ تلك السيدات أن السبب في ذلك هو الختان. أما الدراسة الثانية فهي دراسة سنجلي Shyngle والتي تناولت عادة ختان الإناث والآثار النفسية المترتبة عليها، وتوصلت أهم نتائجها إلى أن هذه العادة تؤدي إلى زيادة البرود الجنسي وانخفاض تحقيق الذات والدافعية للإنجاز وتوصي بضرورة التخلص من هذه الممارسة الضارة بصحة المرأة"(٤).

---

(١) المرجع السابق ذاته، ص ص٣٠-٣١.
وكذلك انظر: حامد رشوان: ""ختان الإناث: الجانب الأخلاقي"، مرجع سابق، ص ص٥٨-٥٩.

(2) Nabil Sobhy Hanna: “Dangerous practices: Female circumcision”, American University, 1997, pp.8-15.

(٣) محمد فياض؛ المرجع السابق، ص٣٢.

(4) Shyngle Kolawole Balogun: "Female circumcision, Its psychological effects on victims, family and the society", Journal Article, Vol.3, No.4, Oct., 2001, pp.261-263.

موقف الأطباء المصريين من قضية الختان

مثلت التسعينيات نقلة كيفية في مناقشة قضية "ختان الإناث"، فتحولت إلى قضية رأي عام، وتحولت دائرة التحريمات حوله من خلال التغطية الإعلامية الواسعة في الفترة التي سادت اللقاءات التحضيرية لمؤتمرات الأمم المتحدة حول حقوق الإنسان ١٩٩٣، والسكان والتنمية ١٩٩٤، والمرأة ١٩٩٥ وقد فوجئ الكثيرون بموقف بعض الأطباء، وبعضهم أساتذة بكليات الطب، دفاعاً عن ختان الإناث، وضرورته "الطبية" حيث إن الأطباء هم أكثر فئات الرأي العام معرفة -من خلال دراستهم العلمية- بأضرار اقتطاع جزء له وظيفة حيوية على الصحة النفسية والجنسية للمرأة وبأنه لا يوجد في المراجع الطبية الأساسية ما يسمى "بعملية" ختان الإناث[١].

أما على الصعيد الآخر فإن معظم الأطباء رافضون لهذه العملية الوحشية. وعندما نرصد الموقف الرسمي لوزارة الصحة، فسنجد أن في نهاية الخمسينيات شكل وزير الصحة لجنة لبحث موضوع الختان في مصر وبناءً على توصيات اللجنة أصدر الوزير قراراً بحظر إجراء ختان الإناث في المستشفيات الحكومية، وتجريم إجرائه خارجها بأيدى الدايات والحلاقين.

وبتطور خطورة القضية نجد عام ١٩٩٦، قد شهد تحولاً جذرياً في موقف الحكومة فبعد دمج وزارتي السكان والصحة في وزارة واحدة -رأسها الدكتور إسماعيل سلام- أصدر الوزير الجديد قراراً فيما يتعلق بختان الإناث: "يحظر إجراء عمليات الختان للإناث سواء في المستشفيات أو العيادات العامة أو الخاصة، ولا يسمح بإجرائها إلا في الحالات المرضية فقط التي يقررها رئيس قسم أمراض النساء والولادة بالمستشفى، وبناءً على اقتراح الطبيب المعالج"[3].

وبهذا القرار تكون الدولة قد اتخذت خطوة حاسمة باتجاه القضاء على عادة الختان للإناث. ذلك أن قرار الوزارة لا يقتصر تأثيره على الوزارة فقط، بل تتسع دوائر تأثيره ليشمل العديد من المؤسسات الحكومية الأخرى مثل الإعلام والشرطة وكذلك المؤسسات والمنظمات غير الحكومية[٣]. وقد أكد أحد الأطباء -أ.د. مدير مستشفى النساء والتوليد، بمستشفي القصر العيني، بكلية الطب، جامعة القاهرة- رفضه لكل حالات الختان التي كانت تأتي لمستشفي النساء بجامعة القاهرة؛ على الرغم من توسلات الأمهات لهم، وعبر عن ذلك قائلاً: *"مرة أم جت م الشرقية مخصوص هي وأبو البنت عشان يطهروها، وبعد مكشفت على البنت لقتها مش محتاجة خالص لأن أعضائها التناسية كلها حجمها أصغر من الحجم الطبيعي، فطبعاً رَفضت وفَهمت الأم*

---

(١) آمال عبدالهادي، سهام عبد السلام، "موقف الأطباء من ختان الإناث"، سابق، ص٩.

(٢) قوانين وزارة الصحة المصرية. لعام ١٩٩٦ .

(٣) آمال عبد الهادي، سهام عبد السلام، "موقف الأطباء من ختان الإناث"، مرجع سابق، ص ص١٨-٢٣.

السبب، لقيتها وَطّت علي رجلي تبوسها، وقالتلي إنت تالت واحد يقول مَينفعش، وجوزي حلف عليّ لومطهرتهاش أبقى طالق، والداية فبلادنا خايفة الحكومة تمسكها لو طهرتها، وبرضه رفضت وسيبتها بقي لمصيرها ". ومازالت التقاليد تقف عائقاً أمام القرارات الطبية والعلمية، ومازال القصور الثقافي يتحدى التقدم والتغيير.

وهناك خبرة أحد الأطباء، بل إنها شهادة طبيب مصري يعلنها على صفحات الجرائد الحكومية قدمت على شكل رسالة بعث بها صاحبها (أ.د. عادل لطفي – جراح أطفال) إلى الأستاذ "صلاح منتصر" طالباً منه نشرها في عموده اليومي "مجرد رأي" بجريدة الأهرام، ليقرأها أكبر عدد من القراء نظراً لإقبالهم الشديد على قراءة هذا العمود، وهذا نصها.

"طوال أربعين عاماً وأنا أباشر اختصاصي كجراح للأطفال لم أشعر خلالها باستياء وانقباض ووحشية إلا عندما أجري عملية الختان في الإناث مضطراً في بادئ عهدي بجراحة الأطفال عندما كانت تهددني أم بلجوئها إلى حلاق الصحة فكنت أشفق على البنت الضحية وأجري لها الختان بطريقة غير تقليدية، حيث كنت لا أستأصل البظر بتاتاً، إنما كنت أستأصل غلاف البظر كما يحدث في ختان الذكور حتى أريح الأم نفسياً وأدفع عن البنت شراً سوف يحدث لها إذا وقعت في يد جاهلة، وكنت أقوم بهذا الإجراء نظراً لما كنت أعلمه وأدركه جيداً وتعلمته تشريحياً من أن البظر عضو تناسلي خارجي هام مكون من نسيج أجوف دموي شبيه بالنسيج الذكري ولكن أرق منه مما يشرك الزوجة ويساعد على التوافق الجنسي بين الزوجين وعلى سعادتهما. أما ختان الذكور فيختلف تماماً عن ختان الإناث، إذ أنه في الذكور يستأصل الجلد الزائد المغلف لحشفة العضو الذكري ولا يستأصل عضو، كما أنه ثبت علمياً فائدة الختان في الذكور. أما ختان الإناث فالضرر فيه جسيم وقد يجعل المرأة تعيسة طوال حياتها مع زوجها نظراً لاستئصال عضو تناسلي هام وهو البظر الذي له -كما قلت- وظيفة في إقبال الزوجة على المباشرة الزوجية وهي غير راضية وبدون استمتاع كلي مما يُؤدي بالأزواج إلى اللجوء لتعاطي المخدرات، ظناً منهم أن عدم التوافق الجنسي راجع إليهم. وقد تكونت لجنة بوزارة الصحة منذ أكثر من ٢٥ سنة كنت عضواً فيها انتهت إلى إدانة ختان الإناث. ونحن كجراحين نقوم بعمليات في البظر لدواعي طبية محضة مثل تضخمه نتيجة لتعاطي الحامل لهرمونات في أثناء الحمل أو نتيجة لخلل هرمونات الغدة فوق الكلية، فنعطي لها الهرمون ونقوم بعملية تصغير البظر، وهي عملية تحتاج إلى مهارة جراحية تتناوله، واللعب جراحياً فيه باستئصاله جزئياً أو كلياً وربما استئصال الشفرين الصغيرين بدون إلمام بعلم التشريح وما يترتب على ذلك من مضاعفات شديدة أهمها النزيف الحاد والالتهابات التي تنشأ في الجرح والصدمة العصبية نتيجة الألم الشديد من إجراء العملية بدون تخدير، بجانب تشوه الأعضاء التناسلية وغيرها من المضاعفات"[1].

---

(١) صلاح منتصر. مجرد رأي "خبرة ٤٠عاماً"، في:الأهرام اليومي، ١١/٣ /١٩٩٤م،ص٩.

خلاصة القول

إن قضية "ختان الإناث" قضية متعددة الجوانب فهي ليست طبية أو دينية أو اجتماعية فقط، ولكنها محصلة لهذا كله بحيث تعد مناقشة عنصر من هذه العناصر منفرداً نوعاً من العبث والخداع. ومن آراء المختصين نستخلص أن إجراء (الختان) ليس له أساس ديني ولا طبي – علاجي– وإنما هو عادة متوارثة عبر الأجيال من التأثير الثقافي المتواصل. وكما أكدت الدراسات والبحوث، هي تعبير وممارسة مبكرة للتحكم والسيطرة على النساء باعتبارهن كائنات جنسية وأصل الشرور .ويشكلن خطراً على السلام الداخلي وقيم المجتمع ويعتقد الكثيرون أن الختان هو نوع من العنف يمارس ضد المرأة، بل الأكثر من ذلك أنه عنف تمارسه النساء على النساء. وهناك كثير من الأطباء الأوروبيين يؤكدون أن "الأسى" و"الحزن" المرتسم على حركات وأحاديث وأغاني النساء المصريات يرجع للختان، لأنهن حرمن حرماناً أبدياً من الاستمتاع بالجنس الكامل والطبيعي. وقد يكون هذا الرأي فيه الكثير من المبالغة، إلا أنه يعكس وجهة نظر لا يستهان بها على كل حال(٢).

أما فيما يتعلق بتداخل الرأي الطبي والرأي الديني في قضية ختان الإناث فينبغي أن نسلم بأنه إذا اختلف الرأي بين عالم الطب وعالم الدين في قضية علمية أو طبية فإن رأى الطبيب هو الذي يؤخذ به لأنه أكثر فهماً ودراية في تخصصه وقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "أنتم أعلم بشئون دنياكم". بما لا يتنافى مع الأحكام الدينية الثابتة.

---

(٢) محمد فياض؛ "البتر التناسلي للإناث"، مرجع سابق، ص ص١٣٦–١٣٧.

الفصل السادس

الختان كآلية من آليات ضبط الجسد

الفصل السادس

الختان كآلية من آليات ضبط الجسد

مقدمة

- الختان والمعتقد الشعبي.
- التصورات الشعبية حول الفتيات والختان.
- أسباب الختان. الظاهرة والكامنة.
- الختان كممارسة إجرائية.
  - متخذ قرار الختان.
  - سن إجراء الختان.
  - القائم بعملية الختان.
  - مكان الختان والمظاهرة الاحتفالية.
- أضرار وعواقب الختان.
- الختان والعفة.
- ختان الإناث.. رؤية مستقبلية.

مقدمة

تعد ظاهرة ختان الإناث واحدة من العادات الاجتماعية الثقافية المنتشرة في مجتمعنا المصري، والتي تذخر بالعديد من المعاني والتصورات التي انتقلت عبر الأجيال البشرية منذ باع طويل من الزمان، ودون أن يُلتفت إلى مناقشتها، فكان الالتزام بتنفيذ الممارسة والعادة فقط دون مناقشة ممارستها من قِبل الأفراد ومن قِبل المخططين كافة، حتى تكاتفت الجهود بعد اكتشاف مضارها واعتبارها عنفاً يمارس ضد الطفلة الأنثى، لمناهضة هذه الممارسة في محاولة لإيقاف الممارسة والقضاء عليها.

لذا ندرس هنا قضية الختان كظاهرة ثقافية اعتقادية في علاقتها بالعذرية كقيمة اجتماعية ثقافية، كما ندرسها باعتبار الختان واحدا من آليات استراتيجية العذرية، فهو آلية من آليات ضبط جسد المرأة، بهدف المحافظة على العذرية البيولوجية الأنثوية لها.

وفي ضوء تحقيق هذا الهدف كان علينا إلقاء الضوء نظرياً وميدانياً على هذه العادة الاجتماعية المتأصلة في ممارسات الشعب المصري والتي امتدت جذورها إلى عصور تاريخية سحيقة.

نتناول في هذا الفصل خطاب الختان والذي يتضمن تصورات الأفراد حول الختان، ومعناه، والألفاظ المتداولة الدالة عليه، وتصوراتهم حول الفتاة المختتنة وغير المختتنة، وفي ضوء ذلك أخذنا نبحث عن القوة الجبرية الثقافية المتمثلة في بعض المعتقدات الثقافية والدينية الكامنة خلف الممارسة، والتي تستمد استمراريتها منها، وأسباب مقاومة الجهود المناهضة لها، لنتعرف على الأسباب الظاهرة والكامنة لممارسة الختان. ثم نعرض لخبرات المبحوثات مع موقف الختان؛ فنتناول الختان كممارسة من خلال كافة جوانبه، كمتخذ قرار الختان في العائلة، ومدى ما يلقاه من قبول أو معارضة، والسن المفضلة لإجراء مثل هذه الممارسة، والقائم بها، ومواصفاته المنطبعة لدى المبحوثات، والمكان الذي تم فيه الختان، وإذا ما صاحبه بعض المظاهر الاحتفالية، والتوقيتات التي يفضل إجراء الختان فيها، ثم نعرض لأهم مضاعفات وأضرار ومشكلات الختان، الناجمة عن إجرائه، ثم نناقش قضية العلاقة بين الختان والفضيلة والعفة والمحافظة على العذرية، وأخيراً نستقرئ رؤية مستقبلية لممارسة الختان من واقع أقوال الحالات.

الختان والمعتقد الثقافي

يحفل التراث الثقافي بالعادات والطقوس التي تعمل على إعلاء القيمة التي تأتي في مقدمتها عادة ختان الإناث، إذ يُعتقد أن ممارسة تلك العادة ضمان لاستمرار تمسك الأنثى بقيمة العذرية،

وهنا تبرز أهمية الدور الذي تلعبه تلك العادة في الثقافة الرمزية داخل النسق الثقافي، كما أن للطقوس دوراً وظيفياً مهماً، إذ تعمل على توطيد وقوة وتماسك البناء الاجتماعي، حتى وإن كانت ممارسة خاطئة(١).

وفي بعض الثقافات القديمة كانت تُمنع المرأة التي لم تختتن من إعداد الطعام، فلا يؤكل من يديها طعام تقدمه، ويُحرّم عليها دخول مخزن الغلال، أو جني المحاصيل الزراعية، وذلك باعتبارها وكراً للشيطان وصاحبة له، كما تقل فرصتها في الزواج(٢).

وربما استمر هذا المعتقد حتى الآن في الثقافة المصرية في بعض المجتمعات الريفية ولكن ليس بهذه الصرامة، فأصبح المجتمع يضم المختتنة وغير المختتنة، ومع اتساع المجتمعات وزيادة السكان بها، والتطور الثقافي والاحتكاك الثقافي بالمجتمعات الأخرى، وخاصة الثقافة الغربية، تخلى المعتقد عن قدر من صرامته، حيث إنه ربما فقدت الممارسة معتقدها الأساسي القابع خلفها، إلا أنها مازالت محتفظة بجزء منه في المسمى الشعبي الأكثر انتشاراً للختان وهو "الطهارة"، الذي يتم تداوله خلال مواقف الحياة، وينتشر على اختلاف المستويات الاجتماعية الاقتصادية المختلفة، على اختلاف درجة الانتشار للممارسة التي تزيد انتشاراً في الأوساط الاجتماعية الدنيا وتقل انتشاراً وربما تندر كلما ارتفعنا في المستويات والفئات الاجتماعية الاقتصادية العليا وذلك على حساب كلمة الختان، التي ترتبط ارتباطاً عكسياً مع كلمة "طهارة".

ولفظ "**طهارة**" يوحي بتخليص الجسد مما يدنسه، وكأن الجزء الذي يتم إزالته هو مصدر الدنس بالجسم الإنساني، وبإزالته يتم تطهير الجسد من القاذورات. وقد أكدت حالات الدراسة هذا المعنى، غير أنه ليس تطهيراً للجسد فحسب وإنما للروح أيضاً، ليبعدها عن الشهوات والإثارة مصاحبين ذلك للفظة نظافة، وهي ما يوحي به نفس المعنى السابق، فقد عبرن عن ذلك بقولهن ***" الختان يعنى الطهارة طبعاً، عشان البنت تتطهر من أى ذنوب ممكن تعملها بعد كده، أنا بحصنها بالطهارة دي عشان ما تقعش في الغلط وتبقى بخسة " ، " الختان يعنى طهارة جسدها، وعقلها ومخها، يعنى ما تفكرش في أى حاجة عيب أو وحشة، ومحدش يستغل فيها النقطة دى ويهيجها " ، " الختان طبعاً يعنى الطهارة والنضافه، والناس بتطاهر بناتهم عشان ميبقوش هايجين وأى حاجة تجننهم وتثيرهم، البت تبقى مؤدبة محترمة وهادية لما نطاهرها " ، " التختين يعنى طهارة البنت عشان تكون كويسة ونضيفه، والمهم يبقى الشكل كويس، جوزها ما يشوفش حاجة مش كويسة فيها، ويقول دى جاية من عيلة نضيفه، ولما تتجوز تشرّف أهلها وتبقى كويسة حاجة كدة نضيفه وحاجة حلوة ".***

والحالة السابقة لفتت الانتباه للشكل الجمالي للعضو، واعتبرت أن الشكل الخارجي الفطري

---

(١) أمال عبد الحميد محمد، القيم الأخلاقية للمرأة، ص٢٥٦.
(٢) شوقي عبد القوي حبيب، احتفالية الختان في مصر عبر التاريخ، مرجع سابق.

والطبيعي للعضو التناسلي الأنثوي في حاجة إلى إجراء لمسات تجميلية مستحبة لدى الرجال، كما نجد أن البعض قد ألصق الشرف بالختان، فإذا ما بتر للبنت الإحساس الجنسي مع الختان، ففي اعتقادهم أن هذا الفعل يحافظ على شرفها وشرف عائلتها، وما الختان إلا دليل مادي على عذريتها وشرفها.

وقد أكد ذلك أقوال بعض الحالات " ***الختان من وجهة نظر معظم الناس ضرورى لحماية الفتاة وصيانتها.. وهو الطهارة عن طريق قطع جزء من أعضائها التناسلية، الأمر ده يؤدى إلى بلادتها الحسية وعدم إثارتها، وبالتالى ضمان عدم سلوكها لأى سلوك لا يرضى عنه المجتمع، وطبعاً حتحافظ على نفسها لأن معندهاش أى رغبة ولا إحساس***"، " ***الختان يعنى الطهارة والعفة والمحافظة على شرف البنت وأسرتها وبُعدها عن الشهوة المحرمة وحمايتها من نفسها***"، " ***الطهارة طبعاً، وقد يعنى تطهير المنطقة مما قد يكون بها من جراثيم، أو ربما تطهير الجسد من انفعالاته الجنسية وإحساساته***".

التصورات الشعبية حول الفتيات والختان

تتسق التصورات الشعبية حول الفتيات في هذا الشأن والمعنى القيمي والدلالة الاجتماعية للفظ، فالفتاة المختنة تعتبر فتاة ذات قدر من الطهر، والتطهر والنظافة، كما أنها فتاة تتمتع بقدر مرتفع من الأخلاق الحميدة، ولا تأتي بأي فعل يرضى عنه المجتمع، فهي قادرة على المحافظة على نفسها، وعلى القواعد المجتمعية في ذات الوقت، فلا تأتي بما يخرجها عن هذا النطاق، وأنها الفتاة المهذبة المثالية في سلوكها، فهي بنت عفيفة الخلق والسلوك وهادئة الطباع. وقد تمثل هذا في مقولات حالات الدراسة " ***دايماً الناس يقولوا إنها بنت محترمة وطاهرة ونضيفة وجسمها طاهر، وقادرة تحافظ على نفسها***"، " ***دي تبقى بت محترمة ماتعملش حاجة غلط، لو شوفتيها فيلم جنسي حتى ولا تهيج ولا حاجة، لو قعدتيها في وسط الرجال ولا يجرى لها حاجة***".

وعلى الرغم من هذه التصورات فإن هذا التصور الأخير يعد تصوراً خاطئاً تماماً –من وجهة نظر الباحثة– أولاً: لأن الختان يمنع الإحساس بالاستمتاع الجنسي ولذة العملية الجنسية فقط، ولا يمنع الرغبة أو حالة الإثارة التى مصدرها العقل وباقي الحواس[1]، ثانياً: أنه بمقارنة هذا التصور مع ممارسي العادة السرية من حالات الدراسة، سواء المختنات وغير المختنات وجد أن نسبة ممارسيها بتكرار أكثرهن من المختنات، وبدرجة ولذة تصل لدرجة الشهوانية عن غير المختنات، وربما يرجع ذلك لرغبة الفتاة في الإثبات لنفسها أنها مازالت تتمتع بكل مظاهر

---

(١) وهو ما أكده أ.د. أحمد أمين مصطفي على هذا الرأي والذي يستند إلى أساس علمي، وتشريحي. وقد قمنا بتوضيح هذه النقطة في موضع لاحق.

الأنوثة والإحساس الجنسي، وأنها أنثى غير منتقصة، وربما يكون ذلك سلوكاً اعتراضيا ورافضا لما حدث لها في الصغر من ختان.

ومن التصورات الأخرى عن البنت المختتنة "*البت المطهرة محمية وماتحسش بأى حاجة، وكمان بتكون هادية وراكزة جنسياً، وده بيحميها من الشذوذ*"، "*البت المطهرة هي النضيفة الطاهرة إللى تعجب جوزها وتملى عينه، وتشرف أهلها*"، "*الفتاة المختتنة هي فتاة تم إعدادها للزواج، لأنها لم تسلك ما يشينها أبداً*"، "*الفتاة المختتنة هي البنت المهذبة والطاهرة وهى دايماً بعيدة عن الشهوات، وبعيدة عن الحرام مع الرجالة*".

وعلى عكس كل التصورات السابقة تأتى التصورات الشعبية والمثارة حول الفتيات غير المختتنات، فهي فتاة غير محترمة، بها وصمة عار مجتمعية خفية "*زى القنبلة الموقوتة.. تنفجر في أى وقت*" تنتظر أي فرصة للظهور. غير طاهرة، ومنحرفة، ولها علاقات محرمة في العلن أو الخفاء، ومتشبهة بالرجال، وغير نظيفة، فهي قابلة من خلال التصورات فقط لأن تكون غير شريفة، ولا تستطيع من وجهة نظر المجتمع المحافظة على شرفها أو شرف أسرتها.

وقد عبرت حالات الدراسة بأقوالهن: "*غير المطاهرة بتكون هايجة وسايبة مالهاش رابط، أى حاجة ممكن تثيرها وهى ياعينى ماتقدرش تقاوم أى إثارة أو قلة أدب أى شاب معاها*"، "*إللى مش متطاهرة بتعمل حاجات مش كويسة مع الرجالة، بتعمل في نفسها حاجة زى العادة السرية، عشنها ....*"، "*إللى مش مطاهرة بتعمل حاجات كتير حرام، بتعمل شذوذ جنسى مع بنت زيها متزفتة برضه ومش متطاهرة، وبتتعرف من بين البنات*"، "*بتبقى عصبية وجريئة وبجحة في أخلاقها*"، "*دى بتبقى بـــ.... وطبعاً هى مش نضيفة ومش كويسة ولا مؤدبة*"، *إللى مش مختتنة بتبقى – قادرة – آدرة تعمل إللى هى عوزاه، وقت ما تعوزه.. أعوذ بالله*"، "*البت غير المختتنة بتبقى شهوانية ولازم تتجوز على طول وإلا تتعب أو تجيب لأهلها العار.. والمصيبة لو جوزها سافر أو تعب أو حاجة، بيخاف ماتصنش شرفه وماتصبرش*".

جاءت هذه التصورات من خلال المبحوثات المختتنات، وخاصة في المستويات الدنيا والوسطى، حيث إن المستويات الاجتماعية الأكثر ارتفاعاً والتي تنتشر فيها عدم الختان إلى حد ما كان رأيهن أن المختتنات وغير المختتنات الآن ليس بينهما اختلاف واضح في السلوك، خاصة مع ما استجد واستحدث في ضوء الثقافة الغربية المتغلغلة في مجتمعنا، خاصة ما يتصل بلبس الموضة الذي يكشف من الجسد أكثر مما يخفيه، والسلوكيات المصاحبة لذلك.

بينما أوضحت آراء غير المختتنات وتصوراتهم أن المختتنة "*فتاة مسكينة منكسرة*"، *ليست مستقيمة برغبتها بل بقهرها والعنف الذي أجري لها وتمت ممارسته ضدها*. وجاءت تصوراتهم عن غير المختتنة أنها "*بنت طبيعية، على فطرة ربنا، زى ما اتخلقت*"، "*بنت فيها دفء وسخونة، وتعرف تعيش حياتها بعد الجواز*"، "*بنت تعرف تكون زوجة حق*"، وكان رأي

بعضهن، " ***المختتنة وغير المختتنة سواء كلهم بنات، والختان ده مش قضية هامة ولا فارقة بينهم***"، وأجمعوا أن الفتاة المختتنة لا تفرق عن المختتنة في شيء إلا في الممارسة الجنسية فقط.

الأسباب الظاهرة والكامنة له

هناك من أسباب إجراء الختان وتبريراته ما يتفق مع الوظيفة الكامنة والظاهرة له، فهناك أسباب معلنة للسائلين وللفتيات الصغيرات بعد طهارتهن، حيث لم تقدم الأمهات تبريرات واضحة أو ثابتة لممارسة هذا الإجراء، لكنهن قدمن أسبابا ترغيبية تسهل على الفتيات تقبل الألم والاحتمال في سبيل تحقيق أمنياتهم، أو في محاكاتهن للكبار أو أحد الرموز التى تمثل لدى الفتيات مثلاً أعلى كالممثلات والمطربات؛ حيث تعد هذه الأسباب غير حقيقية، وغير ثابتة، متغيرة من طفلة لأخرى ومن حالة لأخرى، ومن وقت لآخر؛ حيث تقوم بعض الأمهات بتزييف وعي بناتهن زاعمات أن الختان سيحقق لهن كل ما يتمنينه من صفات، فمثلاً نجد من تزعم لبناتها أن الختان سيحول جسد الطفلة إلى جسد أنثى شابة جميلة، وتعبر إحدى حالات الدراسة بقولها " ***قالت لي ماما، عشان جسمك يدور وتكبرى وتبقى عروسة وست بقى"، كان لازم نعمل كده عشان جسمك يدور وتتخنى وتعجبى الشباب وتلفتى نظرهم أصلك كبرتى بقى وشويه وحتتجوزى***". وتؤكد بعض الأمهات على ارتباط الختان بمعايير الجمال في الجسم والوجه والبشرة، وهذا ما جاء في بعض حالات الدراسة مثل " ***ماما قالت لي لما سألتها ليه كده العذاب ده والألم ده كله ليه، وكنت بعيّط، قالت لى: أصل الطهارة دى تفوّق البنت، متخليهاش تفكر في أى حاجة وحشة ومش كويسة، ولما ماتفكرش في الحاجات دى جسمها يبرد ويحلو ويبقى وشها صافي ورايق، وبشرتها منورة وجميلة، وتبيض وتبقى زى البدر المنور***".

كما تجد بعض الأمهات من الختان سبباً لإيجاد الصحة والقوة للبنت كتبرير لها " ***طبعاً البنت إللى مطهره لازم تبقى صحتها كويسة وقوية وماتعياش كتير، أصلها بتكون بعيدة عن التفكير في الجنس، وده هو اصل كل داء وعَيا (تقصد مرض)*** " ، " ***إنت حتبقى عال وحتربى - تقصد تتخن - والدموية حتجرى في وشك، اصل الحتة إللى بتتقطع دى هى سبب كل مرض، وعشان بنحبك وعايزينك تبقى كويسة لازم نعمل لك كده***".

وتتباين الآراء وفقاً لارتباط الختان بنمو أعضاء من الجسم تعبر عن الأنوثة إلا أنه اتضح من استجابات المبحوثات أنه سبب تبريري وتحفيزي للإقدام على إجراء عملية الختان، إلا أنه في الواقع تعترف الأمهات بخطأ هذا الاعتقاد، وتبرر ما تُلقن به الفتاة أو الطفلة بارتباط هذه العملية بمرحلة البلوغ التي تتغير فيها معالم جسد الطفلة لتدخل عالم الأنوثة، وتكتمل أعضاؤها وتنمو تأهيلاً لأن تصبح امرأة وزوجة وأما " ***دايماً الطهارة بتكون قبل بلوغ البنت، لما يلاقوا البنت بدأت تكبر، وقبل ما خراط البنات يخرطها ا، وفي الوقت ده أو بعدها بكام شهر، نتيجة***

حدوث الدورة الشهرية لها جسمها بيكبر ويطلع لها صدر، ويتدور ويتحلو.، بتحس ساعتها بأنوثتها، وتصدق إللي قلناه لها عن الختان، لكن الموضوع كان بصراحة ملهوش علاقة بالختان"، " هناك علاقة بين ختان البنت وتغيرات الجسد لديها، فبعض السيدات – زى أمى – لا يبدأن في التفكير في ختان بناتهم إلا بعد بداية نزول الدورة الشهرية لهن، وذلك لأن الجهاز التناسلى لهن بيعتبر اكتمل، ولابد من إزالة الجزء المرتبط بالشهوة، وهناك البعض يربطون بين كبر الثديين للفتاة أو الأرداف أو ظهور أى مواطن أنثوية جسدية للبنت بغض النظر عن حدوث الدورة، على كل الأحوال مادامت هناك أى علامات أنثوية قد ظهرت أو نزول الدورة الشهرية، هذا يكون المؤشر الدال على ضرورة إجراء عملية الطهارة وبسرعة".

فالعادة الاجتماعية كقوة معيارية ربما يُجبر الأفراد على ممارستها مما يجعلهم يتلمسون كل الطرق في سبيل الاقتناع بها أو إقناع الآخرين، فأحياناً ما يقومون بإلصاق كل ما هو محبب ومستحسن بها عن طريق الأقاويل والحكايات التي تحمل معاني جميلة ومُرغبة للطفلة الأنثى في محاكاة لها مع أحلامها الطفولية، ورغبتها الصادقة الأكيدة في سرعة أن تكبر وتظهر لها ملامح أنثوية خاصة بدخول عالم الكبار أو كأن تصبح مثل النجمة كذا، أو المطربة الشهيرة، أو قريبة لها. أو كأن تمارس العادة الاجتماعية في أحيان أخرى ضغوطاً أكثر صرامة من خلال بعض الأقاويل الأسرية التي تحمل في طياتها كل معاني القسوة على الصغيرة من تخويف وترهيب ووعيد لمن يتخلى عن إجراء هذه العادة الشعبية، ووصف من لم تجرّ لها هذه الممارسة بأن تصبح ذكراً، ولم يتم زواجها لأن الرجال يفضلون المختنة، وربما يصل التهديد إلى حد النبذ من الأهل والأسرة والأصدقاء وربما تصل لدرجة الاحتقار والازدراء والعزل الاجتماعي.

وهناك أسباب حقيقية كامنة وراء إجراء الختان لا تطلع عليها الفتاة غالباً إلا في بعض حالات المستويات الاجتماعية الاقتصادية الدنيا، وهي بتر المتعة الجنسية مع بتر عضو الإحساس في الختان، وإذا كان يطلق على الختان الطهارة، فكان من المنطقي أن يكون أول أسباب الختان الحقيقية من وجهة نظر الأسر المصرية المؤمنة بإجرائه لبناتها، هي طهارة البنت وطهارة جسدها (من التطهر) وأخلاقها.

غير أننا نجد سبباً آخر تتحدث عنه مفردات الدراسة، وربما عليه شبه إجماع؛ حيث اتفق كل من ينتمي للفئة العمرية من ٢٠–٣٥ عاما على أن هذا هو السبب الأول والهدف والقصد الحقيقي من إجراء الختان، وهو قتل الرغبة الجنسية للفتاة، وحرمانها من الإحساس بأي متعة جنسية. ويمكن قراءة ذلك بوضوح من أقوال الحالات في كل مقابلات الدراسة، وفي الحديث عن أي موضوع مرتبط بالختان " ***طبعاً الختان حفاظ للبت من شهوتها، لما تتجوز وتكون لموأخذه باردة شويه مع جوزها، يعرف أنها مؤدبة ومتربية، وملهاش خبرة ولا تجارب، صانت شرف أهلها، وطبعاً يطّمن إنها حتصون شرفه وعرضه".***

" والختان نعمة من ربنا.. بيحمى البنت من شر الناس، وماتتأثرش بأى محاولة من أى شاب، ولما تيجى تتجوز جوزها يعرف إنها شريفة، ولو جوزها سافر مثلاً، يبقى هو مطّمن، وهىّ تقدر تستحمل غيابه، ماتمشيش غلط " ، " الختان يعنى قطع الجزء المسئول عن الإحساس باللذة أثناء العملية الجنسية، عشان عيب أوي، دي حتي تبقي إلة إيمة – وتقصد قلة قيمة–" ، " وأنا حسيت إنهم من إللى اتعمل فيهم، وإنهم عمرهم ماحسوا الجنس في حياتهم، ولا وصلوا لمرحلة الإشباع أو الارتواء الجنسى مع اجوازهم، بينتقموا مننا ويحرمونا من الإحساس إللى حلله ربنا.. عشان همّا ماحسهوش، حسبى الله ونعم الوكيل فيهم.. وأولهم أمى " .

غير أن الفئة العمرية من ٤٥–٦٠ عاما من النساء كان لهن رأي مخالف؛ حيث اعتبرن أن الختان كله مزايا، وضروري جداً لكرامة الست والحفاظ عليها، إنه مسئول عن تعب النساء وما يتعرضن له، وإنما هو تكريم لها بالحفاظ عليها، وأنها ميزة أن تكون المرأة بها شيء من البرود الجنسي، وهو المطلوب.

وهذه الفئة العمرية لم تعرف سبباً لإجراء الختان بشكل فعلي غير أنه عادة موروثة، لازمة الفعل، ولذا فهذه الممارسة تضم كل الإيجابيات ولا تحوي سلبيات. " *البنات لازم تطاهر وخلاص، هىّ عادات عرفناها من زمان وبنعملها*"، " *أنا محدش قالى أى سبب أو تبرير للفعل الفظيع ده.. قالوا دا شئ لازم وضرورى لكل البنات*"، " *إنت كبرت ولازم العملية دى عشان تبقى زى كل الستات، زيك زى بقيت بنات العيلة وزى أمك..* "، *أنا أمي عمرها ما قالت لى على أى سبب للمصيبة دى، هى طهرتنى وخلاص أصل الموضوع ده كان عندهم زى الأكل والشرب، من غير ما يفكروا في السبب، ولا يدوروا لنا على تبرير.. شئ لازم وعادة وخلاص*".

إذا كان ما سبق هو السبب الرئيسي والمقصد الحقيقي من الختان وربما غير معلن في بعض الأحيان، أو يعلن بشكل من التخفيف، من تهذيب الرغبة الجنسية للفتاة، أو ضبطها، إلا أن هذه العملية –في النهاية وكما أوضحنا في موضع آخر– ليست لها أية علاقة بالرغبة الجنسية.

وهنا أقول قولاً نهائياً مدعما بآراء الأطباء والمراجع الطبية العلمية، إنه إن كان حرمان كل امرأة من متعة الجنس هو القصد والهدف الحقيقي من عملية الختان من أجل الحفاظ على البنت وعلى الزوجة لنجعلها لا تعرف الإثارة ولا الرغبة الجنسية فلا تضعف ولا تستسلم، فأقول إن غياب الثقافة الجنسية والطبية والجهل بها هو السبب الرئيسي وراء انتشار هذه العادة البغيضة وعدم مقاومتها، فهم مقتنعون أنه باستئصال البظر تنتهي شهوة الأنثى فلا تثار ولا ترغب الجنس، وأقول لهم: عفواً هذا خطأ ربما يأتي بنتيجة عكسية.

فالبظر كعضو تناسلي مهما بلغت حساسيته ليس هو معنى الجنس أو الرغبة الجنسية لدى

أي امرأة، واستئصاله لن يعني مطلقاً ألا تفكر الفتاة في الجنس وتبحث عنه، ومن المؤكد أن من يقومون بمثل هذا الفعل لم يجدوا من يشرح لهم الفارق بين الإثارة والإشباع -وربما عدم معرفتهم من باب العيب الحديث في مثل هذه الأمور حتى وإن كانت بشكل علمي- فالإثارة فيها عدة عوامل يتوقف حدوثها عليها، منها ما هو طبي، وجسدي، واجتماعي، ونفسي، فهذه العملية لا تحدث إلا في المخ أولاً، والمخ قطعاً لا يمكن استئصاله، ويعني ذلك أن الفتاة لا تفكر في الجنس كما يتخيل الكثيرون بأعضائها التناسلية، إنما تفكر بالعضو الوحيد في جسمها المسئول عن التفكير وعن اتخاذ القرار.. "أقصد به المخ"(١)، فإن صدر أمر من المخ وسمح لصاحبته - وذلك وفقاً لأسلوب تربيتها وتوجهاتها الدينية وحالتها المزاجية والنفسية- بالممارسة، هنا يأتي دور الأعضاء التناسلية لتساعد المرأة في الوصول إلى النشوة، غير أن لكل عضو من تلك الأعضاء دوره المنوط به، ووظيفته المحددة في العملية الجنسية، فالبظر بالطبع من أكثر تلك الأعضاء تأثراً بالممارسة فهو عضو إحساس، حيث تنقل أعصاب البظر الإحساس إلى عقل المرأة فتستمتع، لكنه ليس الوسيلة الوحيدة لوصول هذا الإحساس بالجنس والنشوة إلى العقل، فهناك دور آخر للشفرين الصغيرين، ودور أقل نسبياً للشفرين الكبيرين كما أن للمهبل دوره المهم أيضاً، مع الأخذ في الاعتبار أن العملية الجنسية والنشوة عند المرأة عملية نفسية بالمقام الأول(٢). كما تؤكد باحثة أخرى نفس الفكرة السابقة، وتربطها أيضاً بأن الختان لا علاقة له بالفضيلة ولا العفة ولا الأخلاق ولا العذرية.

"توجد بالمخ مراكز مسئولة عن إثارة الرغبة الجنسية وتصعيدها إلى مستوى الاستثارة والاستعداد لممارسة الجماع أو تثبيطها وإنهاء الاستعداد للاستجابة أو تأجيلها. هذه المناطق في منطقة تسمى القشرة الحرفية وهي المسئولة عن التحكم في السلوك، وتتصل بمراكز المخ العليا حيث تختزن في الذاكرة خبرات التعلم والتنشئة الاجتماعية.. كما تتصل بمراكز الحواس والانفعالات.. فإذا كانت الظروف مواتية انفعالياً واجتماعياً وتمت الاستثارة الجنسية يرسل المخ إشارات لبقية الجهاز العصبي الذي يتحكم في الأوعية الدموية فيحدث احتقان بالأعضاء الداخلية للحوض وبالأعضاء الجنسية الخارجية التي يأتي دورها وهو الانتصاب النسبي، وإيصال المرأة للإشباع الجنسي"(٣).

باختصار.. الفتاة التي يجرون لها الختان ستبقى بطريقة طبيعية وفطرية تفكر في الجنس وتحتاجه، وستمارسه في المستقبل، لكن يبقى الفارق الوحيد بينها وبين الفتاة التي لم تعرف الختان، هو عجز الأولى عن الاستمتاع الكامل بالجنس، فالمرأة التي تم استئصال البظر من أعضائها يمكن أن تشعر ببعض المتعة، ولكن بشروط أخرى، غير أن الرغبة ستستمر

---

(١) محمد فياض، مرجع سابق، ص٣٤.

(2) Leon Speroff, Robert H.Glass. Clinical Gynecologic Endocrinology and Infertility,5THedition,Wiliams& Wilkins,London,1994.

(٣) سهام عبدالسلام، التشويه الجنسي للإناث، ص ٢٧.

والاستثارة أيضاً؛ لذا فالثقافة الجنسية وبعض الطبية أصبحت حاجة ملحة إذا أردنا مقاومة هذه العادة الموروثة القديمة ربما قدم التاريخ المدون.

الختان كممارسة إجرائية

١- متخذ قرار الختان

أظهرت حالات الدراسة اختلافاً بين حالات المختتنات وحالات غير المختتنات. ففي حالات المختتنات فهو قرار أسري أنثوي بالدرجة الأولى، فقد اتخذت القرار في معظم حالات الدراسة الأم كمتخذ قرار أساسي وأول، وفي بعض الحالات كانت تساندها الجدة أو الخالة أو الجارة، وبالطبع نظراً لصغر سن البنات وقت إجراء العملية فهن غير مشاركات في اتخاذ القرار أو الاعتراض عليه.

وقد عبرت مفردات الدراسة عن هذا بالأقوال الآتية: " *هو دايماً أم البنت إللى يتقرر إنها حتطاهر بنتها وتحدد كمان اليوم، وبعدها تقول لأبوها بس* " ، " *أمها هي إللى بتقول حطاهر بنتى دلوقت أو لسه شويه، أبوها مالهوش دعوة بحكاية زى دى، دى حاجة بتاعت الستات*"، *طبعاً إللى بياخد القرار ده الأم، اصل الأم ست وأدرى بالمواضيع دى، وهى محل ثقة ومحدش بيراجعها في كلامها* " ، " الأم، والأم بس، ومفيش حد بيقول لأ، وقرار الأم هو الملزم طبعاً جوه بيتها!! " ، " *قرار إيه الحكاية مش محتاجة، ده أمر مسلم بين الوقت بس هو إللى ممكن يتناقشوا فيه أو مين إللى حيعمل كده للبنت، أو فين الموضوع ده حيتم* " .

هناك حالتان فقط أرجعتا القرار للأب، مستندتين في رأيهما إلى أن أي قرار يجب أن يرجع للأب وما الأم إلا تابع ومنفذ لهذا القرار. كما روت ذلك إحدى الحالات: "*أول واحد طبعاً هو الأب، هو إللى بيقول لازم نطاهر البنت عشان الموضوع ده في وشه، وعشان تكون بنته نضيفه، أصل الحاجة ديه بتأثر على البنت، وعلى الراجل في علاقته بالست بعد الجواز*".

أما عن حالات غير المختتنات فكانت مخالفة تماماً؛ حيث أرجع جميع أفراد العينة التي طرحت الموضوع للمناقشة للوصول لقرار الإجراء أو عدم الإجراء، القرار للأب حتى وإن كانت الأم راغبة في ذلك، أو مصممة عليه إلا أن قرار الرفض دائماً كان ذكوريا، وتعبر إحدى الحالات قائلة: " *دا الموضوع ده كان خناقة كبيرة وصلت لمعاداة بابا لأهل ماما لفترة طويلة، لأنهم اتهموه إنه متفرنج، ومش حيعرف يلم بناته بعد كده... بعد فترة ماما التزمت بكلام بابا بعد ما زهقت معارضة بدون فايدة* " ، " *كان بابا رافض رفض فظيع، وكان القرار ملزم للجميع، وطبعاً ماما وافقت فوراً لأنها في قرارة نفسها مكانتش عايزة، بس خايفة من كلام قرايبنا، أصلها عانت ولغاية دلوقت تعبانه في علاقتها ببابا من الختان ده* " . غير أن هناك

بعضا من حالات الدراسة من غير المختنات كان موضوع الختان غير مطروح تماماً على نطاق الأسرة للنقاش أو الحوار، بل هو أمر مسلم به، وغير قابل للمناقشة.

ولم تُظهر حالات الدراسة أي اختلاف في شخص متخذ قرار إجراء عملية الختان وفقاً لاختلاف المستوى الاجتماعي الاقتصادي بشرائحه المختلفة. فلم يكن عنصراً فارقاً أو مؤثراً في هذا الموضوع.

وعن وجود معارضين لقرار الختان بالأسرة أو الجيران أو ما شابه، فقد اتفقت آراء كل حالات المختنات على عدم وجود أي نوع من المعارضة لهذا القرار وتبدي ذلك في: " ***محدش بيعارض إحنا أصلنا صعايدة، في الصعيد محدش بيعارض الطهارة ده سلوهم وعاداتهم ولا يمكن حد يعارض*** " ، " ***مفيش طبعاً.. زى ما قلتلك عندنا (في الأسرة) البنات لازم تتطاهر مفيش رأى تانى في الموضوع ده.. دى عادة اتورثت من جد الجد نيجى إحنا بقى ونعارض.. مستحيل*** " ، "***طبعاً لأ مفيش حد ولا حتى من المعارف يقدر يعارض دى حاجة مسلم بيها حتى الشباب دلوقت بيسألوا إذا كانت البنت متطاهرة ولا لأ قبل الجواز. أصل الاعتقاد القديم بتاع زمان إن البنت تبقى نضيفة وشريفة لسه زى مهو موجود*** " ، " ***محدش بيعارض لأن دي عادات وتقاليد واشمعنى إحنا إللى مش حنعملها دول الناس يعيرونا*** " .

كما لم تظهر أي اختلافات في معارضة القرار ترجع إلى الأصول الأسرية، فلم يكن ثمة اختلاف بين الأصول الريفية والحضرية والصعيدية في هذا الصدد، وجاء فقط الاعتراض من بعض الإخوة والأخوات في حالات قليلة جداً، وكانت المعارضة كنتيجة لبعض الوعي بمخاطره وعدم أهميته من الحملات المكثفة لوسائل الإعلام وآراء بعض الأطباء والفقهاء بها. "***للأسف محدش بيعارض من الجيل القديم بابا وماما وإللى زيهم، إحنا بس إللى بنحاول بعدما ادبحنا فعلاً أنا واخواتى حاولنا ننقذ اختنا الصغيرة من المجزرة دى.. للأسف معارضتنا وكل كلامنا سواء مع أهلنا أو أرايبنا-قرايبنا- أصبحت لم تجدى***".

يدل ما سبق على تمسك جيل الآباء بممارسة العادات والتقاليد بشكل صارم، غير أن هذا التمسك أخذ في الاختفاء بعض الشيء كلما انتقلنا إلى جيل الأبناء، إلى أن ظهرت المعارضة لممارسة العادة الاجتماعية، وربما رفضها، مع الاستجابة للوعي بمخاطرها وخطئها من قبل الجهود المختلفة، وربما ظهر هنا أهمية عامل التعليم والتثقيف، والتعرض للوسائل الثقافية المختلفة، من مشاهدة التليفزيون وحضور ندوات، وقراءات مختلفة وغيرها أثارت فيهم مناقشة العادات وربما أدت بالبعض إلى رفضها.

وإذا كانت إحدى قضايا الاتجاه النسوي الأساسية هي مناقشة قضية المرأة كضحية لسلطة الرجل، على الرغم من مقاومتها لهذه السيطرة، إلا أن من نتائج هذه الدراسة ومن خلال حالات الدراسة المختنات، والتي غالباً ما كان قرار إجراء الختان للأم، فإننا نجد أن من يمارس القهر

على المرأة هي المرأة وليس الرجل، فالمرأة هي المسيطرة، ومن تملك سلطة القرار لإيقاع الأذى وممارسة العنف ضد المرأة أيضاً، وهو ما يخالف مقولات الاتجاه النسوي بتياراته المختلفة.

٢- سن الختان

تراوح عمر حالات الدراسة (الفتيات) وقت إجراء عملية الختان لهن ما بين ٧ سنوات إلى ١٢ سنة، غير حالتين حالة تم تختينها في عمر ٢٦ سنة في ليلة زواجها، وأخرى في سن سنتين، غير أنه تم تختينها مرة أخرى في عمر ١٥ عاماً، حينما اكتشفت الأم احتياج ابنتها لإجراء هذه العملية مرة أخرى، "*إحنا نظام الصعايدة عندنا يطهروا العيّلة وهي عندها سنة أو سنتين أو حتى ثلاثة بس، وبيقولوا إنهم لو استنوا عليها حتكبر وتعرف الحاجات دي.. مابيعرفوش إن بكره لما تكبر هترجع لها حتة الورقاية اللحميه دى وتتعبها.. أنا حصلى كده وطاهرونى تانى وأنا عندى ١٥ سنة، كنت وقعت وإيدى متجبسة، وأمى دخلت تحمينى وساعتها قالت لى إيه ده يا بت، إنت مالك حتعملى زى الولاد كده إنت لازم تطهرى أحسن حتبقى واد* " . والحالة الأخرى كانت قد ولدت في إحدى الدول العربية ولم تجرَ لها عملية الختان ولكن سيدات الأسرة اكتشفن عدم ختانها ليلة زفافها فقمن بذلك، "*أيوه أنا مطاهرتش ما كنتش اعرف يعنى إيه طهارة، أنا أمى ميتة وأبويا عمره ما قال حاجة زى كده، كانوا ستات عيلة جوزى بينضفونى يوم الدخلة ولقوا إنى مش متطاهرة، بعتوا جابوا الداية وطاهرونى ليلة الدخلة وقالوا لى عشان جوزك مايشفكيش كده تبقى زى الراجل معاه.. حسسونى إنى مجرمة عشان ماتطهرتش وإنى مش أنثى وإني راجل.. وبقت الناس تبارك لى وتقولى مبروك إنهم قطعوا لك ليلة دخلتك قبل جوزك مكان يعرف.. وإللى يقول هتتحمل دخلتها ولا طهورها..*".

وتبرر حالات الدراسة تفضيل هذا العمر لإجراء عملية الختان للبنات، نظراً لأنه يكون عادة قبل مرحلة البلوغ، وقبل أن تحيض الفتاة وتشعر بأنوثتها وببعض رغباتها الجنسية، "*هو السن بتاع الطهارة بتكون البنت يادوب حتبقى آنسة فبيلحقوها* " ، "*أكبر من كده ممكن تتعب وتتعبنا معاها وتفهم وتعارض*" ، " *عشان في بداية الـ١٣ سنة أو ١٤ سنة بتجيلها الدورة وجسمها بيكبر ويدوّر وتحس بنفسها فتكون مؤذية.. قبل ماتحس إنها خلاص كبرت*"، "*أصل في السن ده الواحدة بتبتدى تخاف على العيّلة وسمعتها، وتخاف حد يضحك عليها*" ، " *في السن دي وهي بتلعب مع العيال ممكن العيال إللى مش كويسة بيحتكوا بالبنات، وهى مش بتعرف إذا كان ده صح ولا غلط.. بتنبسط من حاجة زى كده وتبقى عايزة تعمل كده ويمكن تحب تكمل.. وعلى بال ما تبدأ تفهم تكون خلاص باظت وخسرت كل حاجة* " ،

" السن ده يعني قبل البلوغ.. بمجرد ما نلمح إن جسمها حيبدأ يبان عليه تتطاهر على طول" ، *" أصل سن ١٠ سنين ده بتكون أعضاءها اكتملت "* ، *" سن العشر سنين صح عشان بعده البت بتبلغ وتجيلها الدورة بتبقى عز الطلب، جسمها بيفرد وتدوّر، وهي قبل كده بتكون خَسّه عَيّلة بقى.. وبعد الدورة بتتخن وتحلو كمان وكمان"* .

على الرغم من إجماع حالات البحث على السن المفضل لإجراء عملية الختان فإن هناك فروقاً قليلة ظهرت بين جيل الفتيات الحالي وجيل الأمهات الكبار. فبعض الحالات غير المتزوجات أو المتزوجات حديثاً وصغيرات السن –لم تبلغ الثلاثينات بعد– أردفن موضحات أن الرأي الطبي مهم في تحديد السن للختان تبعاً لكل حالة على حده من بناتهن، خاصة إذا كانت الفتاة تعاني من ضعف أو قلة البنية الجسمية، *"في رأيي إن سن ١٠ سنوات مناسب جداً لعملية الختان، بس الطبيب هو إللي يحدد ده، لازم يكشف على البنت ويأكد إنها كويسة وتتحمل، ماتكونش ضعيفة أو صغيرة قوى أو عندها أنيميا مثلاً"*، *" أعتقد إن تحديد السن ده يحتاج سؤال طبيب أمراض نسا أو جراحة"*. فهنا ربطت الحالات في العلاقة بين السن المفضل للختان والحالة الصحية للطفلة ضرورية، كما يتضح لنا مدى الوعي الصحي لدى بعض الحالات المتعلمة.

ولم تفضل حالات الدراسة تأخير سن الختان عن هذه المرحلة العمرية، نظراً لإدراك الفتيات لأنوثتهن وشهوتهن، ولإدراكهن للألم وشدة الإحساس به، لاعتقاد البعض خاصة من ينتمين لمستوى اجتماعي اقتصادي ثقافي متدنٍ، إن البنت تصير ذكراً مثل الرجل في كلامها وبعض تصرفاتها إذا تم تأجيل قرار إجراء الختان مهما كانت أسباب وضرورات التأجيل، *"لا تتأخر إيه ديه تذكر (تصير ذكراً) يبقى كلامها زى الرجالة، تكلمها تلاقيها راجل يا شيخه دى الطهارة هى إللى بتخليها بت آنسة هادية ورايقة ومؤدبة حتى في كلامها.. مش ترد عليكي بطريقة واطية مش محترمة، معرفش تلاقيها (تجدها) كده أصادك – أمامك – مذكره"*، *" طبعاً مش ممكن تأجيل الطهارة ده خطر جداً جداً على البنات"*، **" لأ لازم تطاهر بدري أحسن، أصل حتة الجلدة دى بتكبر وبعد كده تبقى زى الولاد كبيرة".**

إلا أن البعض ذكر أن هناك بعض الحالات المضطرة لهذا التأجيل، لقد سمعن عنها ولم يمررن بها مثل: *" أسمع إن فيه بنات ماتختنوش وهما أطفال لأسباب كثيرة، زى واحدة كانت ضعيفة جداً ورفيعة وشكلها بيموت، دى كانت ساكنة في شارعنا زمان، وفعلاً مارضيوش يطاهروها لغاية لما بقى عندها ١٥ سنة، بس بعد كده ماتت، وطبعاً ما صدقوا وقعدوا يقولوا لنا دى ماتت عشان ما اتطهرتش، شفتوا انتوا بقى عايشين وحلوين ازاى "* ، *" آه.. كانت صحبتى واتربت في دولة عربية ماكانش فيها حاجة اسمها ختان، ولما كبرت ورجعت لمصر.. هى نفسها طلبت من أمها تختنها أصلها حست إن الجزء ده من جسمها بيضايقها فعملتها وهى كبيرة "* . وهناك حالة أخرى تم تختينها بالفعل وهي طفلة صغيرة، ثم أجرته مرة أخرى

بعد زواجها وإنجابها طفلها الأول، وهي حالة سمعت بها إحدى مفردات الدراسة من صديقاتها: *" لا يمكن تأخير الختان ده خالص، يمكن بس لما تكون البنت نحيفة أو ضعيفة أو صحتها تعبانة شوية، بس إنما لحاجة تانية لأ "* ، *"لأ ما أظنش إن فيه عيلة عايزة تطاهر بنتها وما تطهرهاش بدري طالما الموضوع حيتعمل يبقى وهى صغيَّرة أحسن، إلا ممكن أهل ما يطهروش بنتهم وبعد كده لو شافوا عليها حاجة، أو شافوا إن مشاعرها خفيفة، أو بتتأثر بأى حاجة تشوفها أو تحسها، أو بتتكلم مع الشباب بشكل مش كويس، أو بإلة – قلة – أدب، يبقى يطاهروها في أى وقت وهى كبيرة عشان يبردوها".*

مما سبق يتضح أن قوة العادة الاجتماعية تمارس ضغطها على أفراد المجتمع، خاصة إذا ما تم تنبيههم من قبل أفراد المجتمع الموثوق فيهم، أو من شعروا بتأثيرهم عليهم خاصة إذا ما شعروا بنبذ الجماعة لهم حتى وإن كان على مستوى استنكار عدم إتيان الفعل.

٣- القائم بعملية الختان

كان عادة ما تقوم بإجراء الختان القابلة "الداية" أو النساء العجائز اللاتي يحظين في المجتمعات القروية والقبلية بالاحترام والتوقير، هذا بالطبع بجانب حلاق القرية أو الحي "حلاق الصحة" وهو ما كان يطلق عليه قديماً. وحديثاً شارك هؤلاء في إجرائها الممرضة، والحكيمة الصحية، وبعض الأطباء. وفي كل الظروف –عدا القائمين بها حديثاً– يكون القائم بهذه العملية مفتقداً لأية مهارة جراحية أو إسعافية، غير مدرب تدريباً طبياً، وغالباً تتم إجراء عملية الختان في ظروف غير صحية أو على الأقل غير مناسبة أو آمنة، وباستخدام أدوات غير صالحة، غير طبية، سيئة وضارة كسكين ربما صدئ أو شفرة حلاقة (موس) أو مقص، أو قطعة زجاج، مما له عظيم الضرر على الفتاة وتلوث جرحها، وربما عدم التحكم في إتقان الجراحة ذاتها.

إن سمات القائم بعمليات الختان وهيئته الجسدية وقسمات وجهه ومواصفاته الذاتية لا تمحى من ذاكرة الفتاة، فهي تعد عاملاً مصاحباً لذكرياتها يثير الفزع والرهبة لدى الضحايا الصغيرات، فغالباً ما يكون متجهماً، ذا قسمات شديدة الغلظة والقوة، وترسم الجدية الصارمة على وجهه، ولا يتحدث إلا وقت الضرورة وغالباً ما يكون ذلك لإرهاب الصغيرة الخائفة الرافضة، وهو ما يسهم إلى حد كبير في تضخيم التعقيدات النفسية المصاحبة للعملية وما يحدث بعدها.

وعن مواصفات القائم بالختان دون الطبيب عبرت إحدى الحالات قائلة: *" كان تمرجي معروف في المنطقة كلها تقريباً هو إللى مختن كل بنات المنطقة، وبيقولوا إنه شاطر قوى، وبيشتغل في مستشفي حكومى. أنا مش قادرة أنسى صورته وشكله لغاية دلوقتى.. كان أسمر وطويل قوى وملامحه وحشه وحادة وحواجبة كبيرة وتقيلة، شكله كان بيخوف، عارفة فيه*

ناس كده لما تشوفيهم تحسي إنهم قاسيين في غلظة في قلوبهم، أو ما عندهمش قلب.. أهو ده كان كده.. هو فعلاً حيوان قلبه جامد ومبيهموش الصريخ ولا الصويت "ربنا ينتقم منه" – وضحكت وقالت – هو فعلاً انتقم منه لإني سمعت بعد يمكن ١٠ أو ١٥ سنة إنه اتحبس وقبضوا عليه أصله طاهر واحدة وماتت منه بعد ما نزفت كتير فاتحبس.. دا أنا من يومها بأكره الشنط إللي على شكل الصندوق، عشان كانت في إيده شطنه العدة "انشاله يتعد في نار جهنم ويتحرق.." تتصوري أنا قلبي نضيف قوي مع كل الناس إلا مع الزفت ده منه لله مش قادره بعد العمر ده أسامحه أبداً". أعتقد أن هذا الحديث ليس في حاجة إلى تعليق يوضح مدى لوعة هذه السيدة ومدى الضرر الذي أصابها وربما العقدة النفسية التي مازالت مترسبة لديها من جراء هذه الممارسة.

كما اتفقت المواصفات مع كل القائمين بعملية الختان من غير الأطباء في بعضها، وإن كانت لم تجتمع جميعها في حالة أخرى مثل السابقة. "***كانت حكيمة شاطرة من المستشفى، كانت زى نبوية إللي في مسرحية الدبور، طويلة وتخينه.. هجمه كده وشكلها يخوف، دى دايه شكلها استغفر الله العظيم على منظر بوزها.. مكشرة وماتعرفش تضحك أبداً ولابسه أسود في أسود، كنت حاسة إنها مغسّله مش دايه.. حطت رجلها بس على رجلي عشان تكتفني حسيت إنها اتكسرت ومن خوفي من شكلها ماتكلمتش خالص***". وبالطبع من أجريت لهم هذه العملية لدى أطباء، لم يتذكروا مواصفات سيئة للطبيب، أو سماته السيئة مثل الآخرين، بل معظمهن لم يتذكرن أي تفاصيل لهذه الممارسة.

وهناك طريقتان(*) لإجراء العملية إما أن يتم طرح البنت على الأرض أو فوق ما يشبه المنضدة أو السرير، ويتم شل حركتها بواسطة امرأة قوية أو أكثر، أو أن يجلس القائم بالختان على كرسي مقابل له كرسي آخر –يجلس عليه مساعد له– سواء أكان المساعد له شخص يأتي معه، أو امرأة من أهل أو جيران الفتاة أو من الرجال. وتجلس الفتاة على رجليه ويثني رجليها لأعلى ويمرر كل يد لها من أسفل ركبتها ويقوم اثنان آخران –غالباً ما يكونان الأم والأب، أو الأم وإحدى النساء– بمسك يدي الفتاة، كل بواحدة من يديها ويجذبها للخارج بقدر الإمكان كي يسهما في التباعد التام بين ساقي الفتاة، ويقوم من يُجلس الفتاة على رجليه بالتباعد بين رجليه ويستخدم يديه في التباعد بين الشفرتين الكبيرتين للعضو التناسلي للفتاة، حتى يسهل على القائم

(*) وهما الطريقتان التي لاحظتهما الباحثة أثناء حضورها لعمليات إجراء الختان لبعض الفتيات خلال إجراء الدراسة الميدانية، فالطريقة الأولى لاحظتها في منزل إحدى الفتيات التي أجري لها الختان على يدي داية، والطريقة الثانية شاهدتها الباحث في أحد بيوت الأسر القائمة بالختان وقت إجراء الدراسة الاستطلاعية، ومرة أخرى في منطقة الإمام الشافعي، وبالتحديد بجوار المسجد في كشك "عم منعم" وهو حلاق صحي، يقوم بإجراء ختان الإناث في الكشك، وهو مشهور جدا بهذه الممارسة، وغالباً ما يكون المساعد له رجل قوي البنية، يقول المساعد : *الحمد لله بقالي ٣٠ سنة بساعد عم منعم، عمر ما بت فلفصت مني ولا قدرت عليه، دوول بيبقوا زى العصافير بين إيديه عمر ما واحدة اتعورت عشان اتحركت ولا مقدرتش عليها..*" حيث إنها طريقة معتادة ومتكررة.

بالختان إبراز عضو الإحساس أكثر، وهو البظر. وغالباً ما تستغرق هذه العملية من ١٠-٢٠ دقيقة وفقاً لمدى انصياع الفتاة ومقاومتها، ودقة وخبرة القائم بالعملية، وغالباً ما تتم هذه العملية دون أى نوع من المخدر، وبعدها يقوم القائم بها "بكبس" الجرح إما بلبخة من الأعشاب(*) أو من الرماد الناتج عن الاحتراق(**)، غير أنه الآن حديثاً يقوم هؤلاء باستخدام بعض المطهرات الطبية كالميكروكروم، والديتول أو السافلون، ثم يتم إيقاف النزيف بوضع قطعة من القماش أو الشاش، وحديثاً في أواخر التسعينيات بدأ يستخدم بعض ممارسي الختان الثلج كعنصر مخدر من شدة البرودة لمكان إجراء العملية، فقد تبين من الدراسة الميدانية أن إحدى الحكيمات الصحيات تقوم بالتخدير عن طريق التبريد؛ حيث تقوم بوضع قطعة من الثلج على موضع الختان لدقائق، ثم تجرى العملية بعد ذلك دون أن تشعر الطفلة بأية آلام وقد ذيع صيت هذه الحكيمة بأنها لا تؤلم الفتيات " ***إيدها خفيفة وريحها خفيف على البنات والعملية بتبقى سهلة، ووشها سمح على العيال عمر ما عيّلة نزفت في إيديها***"(***). وطبعاً يرجع ذلك الفعل القابض لاستخدام، الثلج بمعنى أكثر علمية فهي تقوم بالتخدير بالتبريد الذي يقوم بدوره بقبض الأوعية الدموية فيحول دون نزف الأوردة، وقد أكد الأستاذ الدكتور "أحمد أمين" هذه العلومة (****).

وربما تعكس هذه الممارسة الأخيرة "**التخدير بالتبريد**" فكرة حديثة مطبقة على ممارسة شعبية قديمة، فهي حداثة وعلمية الفكرة وشعبية الممارسة والتطبيق، بحيث يتضح ذلك في تداخل ممارسات الطب الشعبي والرسمي معاً ليس على مستوى الممارسين الشعبيين فقط؛ وإنما الممارسين الرسميين أيضاً، ففي إحدى حالات الدراسة، وهي تفضي خبرتها مع ختانها وختان الأخريات قالت: " ***أنا سمعت إن بنت خالتى الصغيرة اتختنت من غير ما تحس بأى ألم وهما بيعملوا لها الطهارة ،وقتها قعدت تضحك، بس بعدها قعدت تعيط زيّنا بالضبط من الألم، أصل إللى طاهرها دكتور جارهم جالهم البيت وقال لأمها عايز حتة تلج، حتى خالتى يومها قالت له ليه هى البت سخنة ولا إيه – على فكرة – لو عيانه النهارده سيبها وتيجى يوم تانى تتطاهرها، ضحك وقال لها لأ دى زى الفل وكويسة وعشان تقضل كده وماتحسش بأى ألم هاتى التلج..***".

وتكشف بعض مواقف ممارسة الختان عن تناقض قيمي يتضح من القول التالي: " ***مفيش حد كان موجود في الشقة غير الراجل التمرجى ده إللى عامل زى عشماوى إللى جه يطهرنا، وراجل تانى جارنا إللى فوقينا نزل عندنا عشان يمسكنى وأنا بتطاهر، ده راجل طويل قوى***

(*) ومجموعة من الأعشاب القابضة للأوعية والمخدرة في نفس الوقت وهى تباع لدى العطارين تحت مسمى "أعشاب الطهارة" وهي تعجن بماء وخل، أو ماء وليمون.

(**) كما يتم ذلك غالباً في الريف باستخدام رماد الفرن الساخن الذي يقوم بمثابة الكي للجرح نظراً لشدة سخونته، والتسكين للألم وغلق المسام النازفة.

(***) من واقع حالات الدراسة الميدانية.

(****) أكد هذا التفسير علمياً أ.د. أحمد أمين مصطفي حسين أستاذ النساء والولادة، بكلية طب القصر العينى من خلال إحدى المقابلات الميدانية.

وتخين جداً جداً، وفيه صحة جامدة مسكنى مسكة جامدة قوى ماعرفتش افلفص منه ولا مرة وهو مكتفنى عشان ماتحركش... وأمى طلعت قعدت فوق مع مراته عشان ماتسمعنيش وأنا باصرخ.. وبابا عادى كان في الشغل.."

ويدل الحديث السابق على تناقض قيمي –في رأيي– فإذا كان الغرض من إجراء عملية الختان وفقاً لمعتقدات وتصورات أسر المبحوثات هو الطهارة وتقليل الشهوة وصيانة الفتاة وحمايتها من أي إثارة والمحافظة على عذريتها، فكيف يتم عرض جسد الفتاة وأعضائها التناسلية لرجل غريب عنها –التومرجي أولاً– وإن كان يؤدي دوراً وظيفياً وفقاً لمعتقداتهم، ثم هذا الرجل الآخر الجار.. وكأن كلا من الأب والأم يقرر الفعل ويلقي بملابسات الجرم ومسئوليته على الآخرين.

٤- مكان الختان والمظاهر الاحتفالية به

أما عن المكان الذي تتم فيه عملية الختان فقد ظهر البعد الطبقي والثقافي كعامل فارق في المكان، ففي الشرائح الاجتماعية العليا يتم ذلك غالباً في عيادة الطبيب، إلا أن قلة من العينة من تعاملت بهذا الشكل وكلهن من الجيل الحالي للبنات وللأمهات الصغيرات، بينما باقي أفراد العينة المنتميات لشرائح الطبقة الوسطى والدنيا فعادة ما يتم ذلك في البيت والمقصود به بيت الأسرة، وحالتان فقط من حالات الدراسة تم ختانهن في بيت الجدة للأم. ويتضح ذلك من أقوالهن: "***أنا اتطاهرت في بيتنا***"، "***في بيتنا الداية هى إللى جت لنا***" ، "***ده كان في بيت ستى أم أمى***".

وعما صاحب هذه الممارسة من **المظاهر الاحتفالية**، تمثل ذلك في بعض الحالات التي تنتمي إلى الأوساط الدنيا، وساكني الأحياء الشعبية ومن لديهن علاقات جيرة متداخلة، فإن النساء يخبرن بعضهن البعض بفرحة بإتمام هذا الحديث لبناتهن، وربما يطلقن الزغاريد، وبعضهن أيضاً يقمن بالزيارة والمباركة لأهل الفتاة، ودفع النقطة لأم الفتاة، أو للفتاة ذاتها، كما يفعل ذلك بعض أقارب الفتاة. "***ماكانش فيه أي احتفال ولا حاجة، جارتنا نزلت نقطّت أمى، وباستنى وقالتلي مبروك خلاص كبرتى***" ، "***جت خالتى بالليل وقالتلى ما تعيطيش أنا جبتلك حاجات حلوة وخدى الفلوس دى كمان اشترى بيها إللى إنت عايزاه، مفيش غير أمى حمتنا بالليل أنا واخواتى البنات، والصبح قبل الطهارة لبستنا هدوم جديدة وكنا فرحانين بيها لغاية مادخلنا للجزار وقلنا لها خدى الهدوم وسيبينا نخرج***".

بينما في الأوساط الاجتماعية الوسطى والعليا لم يتضح من العينة إقامة أي احتفال أو استعداد، "***إحنا عندنا في العمارة أو العيلة ماحدش بيعرف حاجة عن حد***". وحالة واحدة تلقت تدعيما ماديا من والدها مكافأة على انصياعها بعدم الصراخ، أو التألم بصوت؛ "***صِعِبْت على***

بابا لإن أنا كنت باعيط بدون أى صوت، فضل يطبطب علىّ وبعدين جاب لى سلسلة ذهب، وقالى عشان إنت اتحملتى وماصرختيش".

واجتمعت آراء الحالات على أنهن لم يعلمن بميعاد الختان إلا في نفس اليوم قبل العملية بساعات، ولم يعلمن بأي تفاصيل لهذا، لدرجة أن إحدى الحالات اعتقدت إنه شيء جميل ومفرح، "*قالوا لى إنت هتطهري إنت واختك النهاردة قعدت أغنى وأطنطت وكنت مبسوطة جداً كأنى حاخرج أو اتفسح.. عيِّله بقى ومش فاهمه.. وطبعاً هما اتعمدوا مايفهموناش أى حاجة خالص*".

وهناك حالة واحدة لسيدة تبلغ الـ٤٦ عاماً ذات أصول أسرية صعيدية، قد تم إجراء الختان لها هناك، كان لها مظاهر احتفالية مختلفة "*دول جم بالليل وعملوا لى حنة في إيدى ورجلى وقلت لهم أنتوا بتعملوا لى ده ليه قالولى أصل إحنا حنعمل لك حاجة حلوة عشان تكبرى بسرعة وتبقى عروسة، ولبسونى جلبيه بيضا جديده.. ويوم السبوع عملوا فتة ولحمة ورز بلبن وجم عندنا ناس كتير من الجيران وأهلنا كمان*". وهنا تتضح الفروق الاحتفالية الثقافية بين المجتمعات المحلية المختلفة.

وعلى الرغم أنه لم يحدث بين حالات الدراسة أي ختان **جماعي** إلا في أحد أشكاله فقط وهو "**الختان العائلي**" ختان الفتيات متقاربات السن في الأسرة الوالدية الواحدة، فتختن الفتاة وأختها القريبة منها في العمر فقط. "*أيوه أنا اتطهرت وبعدي أختى الصغيرة*" ، "*أنا وأخواتى الثلاثة البنات اتطهرنا في يوم واحد.. مش قادرة أنسى صراخنا كلنا في اليوم ده ولا أما يكون مات لنا عزيز*".

أما باقي حالات الدراسة فقد تم ختانهن بشكل فردي، كل على حده، وعللت إحدى الحالات هذا بمعتقد ثقافي قائلة: "*لأ طبعاً كل واحدة كانت بتتطاهر لوحدها وفي بيتها، عشان ميشهروش بعض، ولو كنا مثلاً أنا وأختى عايزين نطاهر بناتنا، نجيب الراجل عندى، وينزل يروح لأختى في بيت تانى، والبنات ماتشوفش بعض غير بعد أسبوع عشان ميشهروش بعض، أصل ده يأثر على الخلفة بعد الجواز*". وليست المشاهرة في ذلك فقط، فقد ذكرت إحدى الحالات أن هناك بعض الأشخاص لهم ظروف خاصة ويحظر دخولهم على هؤلاء البنات قالت معبرة عن ذلك "*هو مفيش أى حد بيجى ساعة الطهارة، بس لا يمكن تدّخل أى واحدة عليها الدورة، أو تكون نفّسه – حديثة الولادة – أو راجل لسه حالق، أصلهم يشهروا البنت إللى مطهرة وتبقى زى البيت الوقف عمرها ماتشوف الخلفة*"، *يعنى لوحد دخل على إللى مطهره بحتة لحمة نيه، أو فراخ مدبوحة طازة، أو دخلت عليها واحدة عندها ضهرها – تقصد الدور الشهرية – أو نايمة مع جوزها ومش نضيفة تشهرها.. تبقى الواحدة بعد ما تتجوز مش عارفه تخلف أبداً*".

ورغم اعتقاد بعض حالات المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتدني بهذا، إلا أن إحدى هذه الحالات تعترض على هذا المعتقد قائلة "***أنا فاكره كويس قوى زى ما يكون النهارده جه بابا حالق ثانى يوم الصبح، ودخل بسلم علىّ قبل ما ينزل شغله ويطمن، وصرخت ماما فيه وقالت له حرام عليك إنت ربنا حيحرمك من ولاد بنتك، وقعدت تزقه – تدفعه للخارج – بره الأوضه وعماله تقوله حرام عليك كده ليه تضرها دى بنتك يا شيخ، وقعدت فترة خايفة وتروح تسأل شيوخ عن كده.. ومرت الأيام واتجوزت وخلفت ويوم خروجى من المستشفي جوزى راح حلق وجه عشان يدخل الشقة وقفت له ماما وقالت له روح أى حته لغاية بكره، ماتدخلش على البت كده، وقعدت تصرخ لما نشف دماغه وأصر يدخل وتقوله حرام عليك ليه تأذيها، وهو قعد يقولها حرام كده يا ماما ده شرك بالله وخرجت يومها أهدى الموقف وطبعاً صمم ودخل الشقة، وقعدت أفكر ماما وأقولها فاكره يوم الطهارة وإللى حصل.. والحمد لله خلفت وكله تماماً دى خرافات.. قالت لنا أهو بقى إحنا طلعنا لقينا أهلنا بيعملوا كده وخلاص.. دى أصلها عاداتنا وتقاليدنا إتربينا عليها، حتى لو كنا ساعات مش بنصدقها من جوانا.. بس برضه لازم نعملها زيادة تأكيد لتكون بجد***". هذا إن دل على شيء إنما يدل على قوة تحكم العادات والتقاليد في سلوكيات الأفراد حتى مع إعمال العقل، ومع البراهين التي تضحد صحتها إلا أن من الصعب التخلي عن تصديقها وممارستها.

٥- توقيت الختان

أظهرت تحليلات المادة الميدانية أن **توقيت عملية الختان** عند بعض أفراد عينة الشريحة الدنيا يمثل عنصراً مهما من عناصر موقف الختان، وذلك تيمناً وتفاؤلاً ببعض الأيام والتواريخ، وغالباً أيضاً لعدم مشاهرة الفتاة، إلا أنهم اختلفوا جميعاً بل وتناقضوا في تحديد هذا التوقيت، كأن يكون أول أيام الشهر الهجري أو آخره أو في الأشهر القمرية. وتم التعبير عن ذلك في أقوالهن:

"***زى ما قلتلك فيه ناس بتعمل الختان في أول الشهر الهجرى بس، ده عشان البنت ما تتشهرش.. يعنى نخاف لما تتجوز ماتخلفش***".

وعلى خلاف ذلك كانت إحدى حالات الشريحة الوسطى: "***أنا سمعت من الكبار إنه يفضل البنت تتطاهر قبل الشهر الهجرى ما يهل بيومين عشان يطلع عليها الهلال وتشوفه يحفظها وماتتشهرش محدش بعد كده يقدر يشاهرها مهما عمل إيه***".

"***أيوه إحنا بنطاهر البت في آخر الشهر الهجرى.. عشان محدش يشاهرها.. بس عايزه أقولك حاجة.. في الحكاية دى إنت وضميرك يا بنتى لو سيباها على الله بتفوت بس أقول إيه إحنا إتعودنا على كده بس أنا شفت إن مش كل الناس بتعمل كده في عيالها وربنا بيحميهم برضه***".

كما أجمعت حالات البحث جميعاً على عدم ارتباط ختان البنات بأي من المناسبات الاجتماعية أو الاقتصادية، أو أية أحداث عائلية، والبعض منهن قال إن ختان الذكور فقط يمكن أن يرتبط في بعض قرى الريف والصعيد بالموالد أو الأعياد على خلاف ما يمكن أن يحدث مع البنات، غير أنه غالباً ما يتم في أشهر إجازة المدارس صيفاً، حتى لا يتم تعطيل الفتيات عن الدراسة، نظراً لعدم قدرتهن على الذهاب أو المجيء حتى يندمل الجرح.

وعن **الجزء الذي تم استئصاله**، لم تدرِ معظم الحالات إلى ما كان مآله، غير أن البعض الآخر أجمع على وضع هذا الجزء في شاشة بيضاء وربطه على اليد اليمنى أو تحت الإبط حتى سابع يوم، ثم القيام بإلقائه في مياه جارية وهذا أيضاً بغرض عدم المشاهرة، فالماء في المعتقد الشعبي رمز الخير والنماء منه الخلف الصالح، "***ولا حاجه حطوه في حتة شاشة وربطوه على إيدي وكان مضايقني.. وبعد سبع تيام رميته في الزبالة وزعقولي جامد وخدوه ورموه في البحر وقالوا لازم كده إنت عايزه مايبقاش عندك عيال لما تكبري***"، "***محدش قالي حاجة عن الحتة ديه.. أنا فاكره إنهم رموه في البحر وقالوا لازم يترمى في ميه جارية وإلا عُمرك ما تشوفي العيال***".

أضرار وعواقب الختان

من المسلم به –في رأي الباحثة– أن الفتاة التي تجرى لها عملية الختان إنما تعاني طوال حياتها من بعض المضاعفات والعواقب وربما التعقيدات الطبية التي تستلزم معها بعضا من الرعاية الطبية والنفسية وربما التدخل الجراحي في أحيان أخرى، وهذه المعاناة تختلف في شدتها وطول مدتها وفقاً لبعض الظروف والملابسات ونوعية الختان، وكيفية إجرائه وما تعرضت له من تلوث. وترتب على عملية الختان عواقب ومضاعفات، بعضها فوري يظهر على المدى القصير وبعضها الآخر تعاني منه على المدى الطويل، فربما تظل المعاناة مستمرة على المدى الطويل، مثل المعاناة أثناء العلاقة الجنسية، أو أن تظهر عواقبه فجأة مثل العقم وصعوبة الحمل أو في أثناء الولادة[(١)].

فعلى **المدى القريب** نجد: أن النزيف كان أمراً شبه حتمي الحدوث في معظم حالات الدراسة، إلا أن مدته اختلفت من حالة إلى أخرى، فقد تباينت ردود أفعال الحالات وأمهاتهن عند حدوث النزيف، وتأرجحت من عدم المبالاة إلى الخوف والذعر من الموت، ومن ترك الفتاة دون بال لهذا النزيف إلى نقلها للمستشفى أو الطبيب، خاصة أن بعض الحالات اعتقدن أن هذا من ضرورات الممارسة، وتم تبرير ذلك لهن من قبل الأم أو الممارس الشعبي لهذه العملية بأن "***قالولي يومها أصل ده دم فاسد كل ما نزل من جسمك معناه إن الموضوع كويس وحيخلص***

(١) محمد فياض، البتر التناسلي للإناث، ختان البنات، ط١، دار الشروق، مصر، ١٩٩٨، ص٣٠.

جسمك من سموم ممكن تموتك"، وفي حالة أخرى قالت الأم "***الحمد لله.. بعد الدم ده ما يخلص حتبقى كويسة وتكبرى وجسمك يدَّور، ماتعيطيش وقولى الحمد لله إنه ماتكتمش في جسمك.. دا لو ماكناش طاهرناك كان عمرك ما تكبرى ولا تتجوزى عشان الدم ده عمره ما كان حينزل منك إلا لما تتطاهرى***".

فنجد أنهن تعاملن مع النزيف كأنه من متطلبات الموقف، وأنهن لم يحدث لهن أية مضاعفات، فإحداهن قالت " ***لأ الدم ده شئ عادى وكل ما تكتر كميته كل ما كان ده شئ صحىّ.. بس أنا ما حصلتليش أى مضاعفات دا أنا كنت زى القردة*** " . والأخرى اعتبرت أن عملية التغذية المتعمدة في هذه الفترة كانت خطا دفاعيا أمام أية مضاعفات.. "***لأ.. لأنهم كانوا بيأكلونا كويس قوى.. فراخ وكبده كتير وأرانب، كانوا بيأكلونا كويس عشان متحصلش المضاعفات ديه***". ولم تدرك تلك الحالات حقيقة الأمر إلا بعد أن كبرن وأدركن الحقيقة.

وهناك حالات أخرى عبرن عن ذلك النزيف بقولهن: "***بعد كام يوم كده، نزل منى دم كتير قوى قوى، شافتنى امى قعدت تصرخ واتسرعت وجريت نيمتنى على السرير، وقالت لى اوعى تتحركى، وراحت تجيب التمرجى إللى ارتكب الجريمة ديه فيَّه، قعد يحط لى مراهم كتيرة ويفتح أمبول حقنة إزاز وكبها على الجرح.. قعد معايا فترة كبيرة.. المهم الدم وقف بس بعد لما دمى ودم أمى نشف.. وبعد كده سمعت عن حالات كتيرة حصلها نزيف كتير بعد ختانهم من منطقتي، ويمكن يكونوا عملوها عند البيه التمرجى إللى عملها لى.. وإللى فاهم نفسه إنه دكتور فاهم وهو ولا فاهم ولا حاجة.. على فكرة الموضوع ده زود ضيقى وكرهى لفكرة الختان دى.. وحاسة إنها ملهاش أى لزمة غير العذاب بس***".

وربما يعود هذا النزيف لعدم تخصص القائم بالختان، فهو حكيم في مستشفى حكومي وليس طبيبا جراحا. وإذا كان هذا النزيف ربما قد أثر صحياً على صحة الطفلة وأدى إلى إصابتها بالأنيميا كما قالت، إلا أنه يمكن أن يؤدي بها لصدمة نفسية، أو عقدة نفسية " ***طبعاً حصلى مضاعفات أولها النزيف، إللى ما وقفش إلا بعد ما روحت للدكتور، بس دى أهون الأضرار.. لأن ده أثر جداً على حالتى النفسية، فضلت فترة طويلة مش قادرة أنسى المنظر، عندى حالة قرف مستمرة ومنعت الأكل وخاصة كل اللحوم والطيور، وأى حاجة لونها أحمر وعييت ورحت المستشفي وركبوا لى محاليل، وبعدها بفترة طويلة افتكرت إنى نسيت القصة خلاص.. بعد ما حملت وجه وقت الولادة لقتنى بأعيد القصة من تانى بعد الولادة، بس المصيبة إنى ماعرفتش أولد طبيعى وخدت فترة طويلة.. وكل ما يجىّ الطلق وأتوجع.. افتكر منظرى وأنا زى الدبيحة والدم بينزف منى.. لدرجة إن الطفل إترفع تانى من الحوض بعد ما كان نزل والدكتور يومها قال لأ دى حاله مش طبيعية وإدانى مهدئ بس بعد كده تعبت جداً وولدنى قيصرى، لما خاف على الجنين يموت، وبعد ما خفيت نصحنى أروح لدكتور نفسانى عشان العقدة ديه***".

فغالباً ووفقاً لرأي أطباء النساء والتوليد "أنه مع النزيف الشديد ربما تحدث صدمة عصبية، وغالباً نفسية، خاصة أن العملية عادة ما تتم بدون مخدر، كما يكون أيضاً لفقد الدم بكميات كبيرة سبب في ذلك"(١). وقد أكد *هذا الرأي أطباء النساء والتوليد من خلال مقابلات الدراسة الميدانية.*

كما أكد بعض أساتذة علم النفس وأطباء الطب النفسي من خلال مقابلات الدراسة الميدانية المشاكل النفسية المترتبة على الختان عموماً، وعلى تصوراتهم حول الختان، والجزء الذي تمت إزالته، يتسبب الختان في عدد كبير من المضاعفات والمشاكل النفسية. ومن نتائج إحدى دراسات الماجستير النفسية(٢)، أن المشكلات النفسية عديدة للختان، وخاصة إذا تمت هذه العملية في سن تسمح للفتاة فيه بقدر من الإدراك والوعي لكل ما يحدث لها، خاصة ما يسببه لها من الإحساس بالقهر والقمع والشعور بالنقص، لأنها تشعر أن هذا العضو الذي تم بتره من جسدها "سُبة" يجب التخلص منه، مما يؤثر على اعتزازها بكرامتها وإحساسها بأنوثتها. حيث يقنعون الفتاة –أو تتخيل هي ذلك– أنهم إنما يقتطعون منها جزءاً فاسداً قذراً لن يسعد بوجوده إلا الشيطان، ويجب أن تتطهر بهذه العملية، فالختان إحساس بالمهانة للطفلة بشكل يعجز أي رجل أن يتخيل مدى ألمه عليها حتى مع صغر سنها. فالختان –وفقاً لرأي د. محمد فياض– يصيب الفتاة في وجدانها، ويرسب في أعماقها إحساساً بأنها مخلوق عاجز عن الفضيلة من تلقاء نفسه، ولابد أن نتدخل نحن لنساعده ونجبره على الفضيلة(٣)، ولا يدرك المجتمع أن هذا الإحساس يمكن أن يتحول في المستقبل إلى تيار جارف بالغضب أو يصبح إحساساً بالدونية، وفي كلتا الحالتين تختفي معه المشاعر الفطرية بالطفولة، ثم بالأنوثة، وتختفي البراءة والتلقائية، لتعطي فرصة للعقد النفسية والبرود الجنسي في الظهور. وفي إحدى المقابلات مع د. أحمد عكاشة أستاذ علم النفس أكد اشتراكه في حل العديد من المشكلات النفسية الناتجة عن الختان والمسبب لها والتي ربما في ظاهرها تكون بعيدة عن الختان كل البُعد، وبعد عديد من الجلسات يكتشف أن الختان هو سببها الأساسي والمباشر. كما أكد احتياج مثل هذه الحالات لعلاج نفسي طويل لإزالة التأثيرات النفسية السيئة من ذهن الفتاة. ولفت الانتباه إلى أن بعض الحالات لا يصلن إلى الشفاء التام، نظراً لأنهن يحتجن إلى علاج سلوكي وبيئي بجانب العلاج الطبي –وهو غير متوفر في ثقافتنا الشرقية–، وتعديل في كثير من الاتجاهات والسلوك، ولكن لرسوخ بعض المعتقدات الثقافية لمدى طويل من الزمن، ولقوة المعتقد فغالباً لا يصل العلاج بالضحية المريضة للشفاء، وتظل تعاني طوال عمرها من جراء جريمة الطفولة.

ومن **المشكلات طويلة الأمد** أيضاً لعملية الختان، غير المعاناة النفسية، المشكلات الجنسية بين الأزواج والتي ربما تبدأ من أوهام ليلة الزفاف لتصل إلى الممارسة الجنسية ذاتها. وقد

---

(١) خالد منتصر، الختان والعنف ضد المرأة، مرجع سابق، ص٥٧٠.
(٢) محمد عبدالحميد فرحات،دراسة مقارنة بين اتجاهات الأمهات المتعلمات وغير المتعلمات نحو ختان الإناث،أطروحة ماجستير، جامعة عين شمس، معهد الدراسات العليا للطفولة،القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٦٠.
(٣) محمد فياض، البتر التناسلى للإناث، مرجع سابق، ص٦٢.

أجمعت حالات الدراسة المختتنات، وعلى اختلاف مستوياتهن الاجتماعية أنهن تعانين من برود جنسي، إما بإحساسهن والحكم على أنفسهن أو سماعهن ذلك من أزواجهن؛ إما بتفهم أو بإهانة لإنسانيتهن وأنوثتهن. وقد عبرت الحالات بأقوالهن "*الختان ده مرحمنيش من عقدة، من الألم، والنزيف وكمان كملت بعدما اتجوزت، وهما كانوا مدخلين في دماغي إن المتختنة دي هي الست إللي تملي عين جوزها.. ومن أول ليلة وحياتك وأنا مابحسش غير بكل ألم وقرف وإهانة، عمري ماحسيت إني سعيدة ولا عوزه الموضوع ده*"، "*أنا بأحس كإني شوال رز نايم، أو أرض بتتجرف.. كل إللي باحسه ألم في ألم، وباعمل اني مبسوطة.. على فكرة أنا وجوزي بنحب بعض جداً، بس مش مرتاحين أبداً بسبب برودي، وهو متفهم جداً وبيقولي طهارتك السبب.. إللي عملها لك كان أعمى، ولا كان بينتقم مني أنا*"، "*أنا مشكلتي كانت مشكلة، كان ديماً جوزي يتهمني بالبرود وإن أنا مش متفاعلة معاه، مع إني كنت باعمل كل حاجة ممكن تتعمل بس ما اكدبش عليكي لغاية ما نوصل للجماع وماكنتش باحس بأي حاجة، وأنا بقيت مابحبش العلاقة دي أبداً، ولما سألت دكتور النسا إللي باروحله قالي ده من آثار الختان.. هو بيعمل كده وشرح لي*"، "*والله أنا عمري ما حبيت العلاقة الزوجية، رغم إني بحب جوزي جداً وقبل الجواز كنا بنتمنى اليوم إللي هيجمعنا فيه سرير واحد بس بخسارة بدأنا تقريباً نكره بعض ونكره اليوم ده، بس الموضوع ده لأ مش بحبه، أصلي مش باحس بأي متعه فيه، بل بألم شديد جداً وعرفت بعده كده من الدكتور إن الراجل قطع جزء كبير في عملية الختان و إللي خلاني باردة ومش باحس بأي حاجة أو أي متعة مع إن ممكن أثار، بس ما باحسش بعد كده*".

وهذه الحالة تؤكد لنا أن البظر عضو إحساس وليس العضو الأوحد للإثارة أو الرغبة، فغالباً الرغبة تكون من العقل، وأماكن الإحساس في جسد المرأة هي التي تبعث بأوامر عصبية للمخ لتشارك هذه الرغبة في الإحساس. وهذا عكس الاعتقاد الثقافي الشائع كأحد أسباب الختان، وهو التهذيب، بل القضاء على الرغبة الجنسية والحفاظ على الفتاة من أية إثارة ناتجة من العضو المبتور، فالختان هنا نجده لا يقضي على الرغبة ولا الإثارة التي يمكن أن تنتج عن حاسة النظر، أو السمع، أو الشم أو اللمس، وإنما يقضى تماماً على الإحساس ويحرم كل امرأة مختتنة من متعة الجنس التي شرعها الله، من وجهة نظر الباحثة. كما أكد ذلك أطباء النساء والولادة، والأطباء النفسيون –من خلال مقابلات الدراسة الميدانية– موضحين أن الهدف الحقيقي من الختان ومقصده الأساسي هو حرمان الأنثى من حقها في المتعة الجنسية. ونجد تدعيماً وتوضيحاً أكثر لوجهة النظر هذه في الجزء الخاص بتفسيرات وأسباب إجراء الختان.

تأرجح موقف الزوج من ختان زوجته بين راضٍ بحاله، وذلك لأن أخواته البنات، وبنات عائلته مختتنات، "**فليس باليد حيلة**"، "***دا أمر مفروغ منه حنعمل إيه كلهم كده.. طبعاً كل البنات إللي ممكن الواحد يتجوزهم كده.. بس الواحد ملقاش ده بره..أيام الصياعة كانت البنات..***

وبتحس بالواحد كويس.. وتحسسه إنه راجل ملو هدومه " (*). وهناك من لديه اتجاه رفض سلبي، متمثل في الإهانة الدائمة لزوجته، " ***إيه نايم جنب مخدة، يا شيخه دا أنا بقيت ولا المراهقين إللى ملهمش ست***". وجميع المختتات أقررن بأن هذه الجملة، التي توحي بأنها "مخدة" بلا إحساس، قد سمعتها أكثر من مرة خلال علاقتهن الجنسية بأزواجهن.

كما أجمعن أنهن لم يعرفن ذروة الإحساس الجنسي أو النشوة أو الرضا عن الجنس، أو الاستمتاع به أو إرضاء أزواجهن خلال حياتهن، لحد أصبحت معه العلاقة الجنسية الفعلية لا تستمر إلا دقائق معدودات حتى يقضي الزوج رغبته البيولوجية فقط، وأصبح هذا هو هدف معظمهن وغالبية أزواجهن، حتى أصبحت بعض الحالات تمارس العادة السرية بعد انتهاء أزواجهن، ليشعرن ببعض الإحساس بالمتعة، إلا أنه في الغالب ينتهي الموضوع بإحباط جنسي أكثر منه متعة، كما أن أحد الأزواج لجأ لطلاق زوجته لهذا السبب.

فإحدى الحالات وبعد أن مرت بتلك المراحل السابقة أقنعت زوجها بالذهاب معاً لطبيب أمراض نساء اعتقاداً منهما في بداية الأمر أن بها مرضاً وله علاج. وحاول الطبيب من خلال بعض التعليمات لكليهما، إلا أنه في النهاية أرشدها لطبيب نفسي ليصل بهما لدرجة من الإرضاء النفسى في حدود الإمكانيات الفسيولوجية المتاحة لكل منهما، إلا أنه بعد عديد من الجلسات الفردية، والجماعية لهما معاً، لم يتغير الحال، وحينما ساءت حالة كل منهما النفسية من جراء ما أصيبا به من إحباط جنسي، ترجمه كل من الطرفين بأنه فشل ذاتي وتم الطلاق بينهما. ومر على انفصالهما أربع سنوات، والحالة لم تتزوج حتى الآن وتكون لديها اتجاه رافض للزواج خوفاً من فشلها مرة أخرى على إقامة علاقة جنسية ناجحة، وترسب داخلها إحساس بأنها امرأة منقوصة غير صالحة للزواج. وما زاد من هذا الإحساس لديها أن الزوج أقدم على الزواج مرة أخرى عن طريق زواج تقليدي من فتاة لا يعرفها، إلا أن شرطه الأوحد أن تكون فتاة غير مختتة، ووفقاً لحوار حالة البحث أنه يعيش في سعادة واستقرار.

ويؤكد هذا **د. يسرى عبد المحسن** في إحدى مقابلات العمل الميداني قائلا: "إن الجرح النفسى في عملية الختان أشد إيلاماً وقسوة من الجرح العضوي، والصدمة النفسية الأولى –وقت الختان– والثانية في فشل المرأة في الاستمتاع بالعلاقة الجنسية بسبب ختانها، أو وفقاً لتصوراتها بفقدها أنوثتها وأنها امرأة باردة، يشوه مفاهيمها ويصيب وجدانها بجرح وعقدة نقص يتفاعلان معاً، مع وجود زوج يتمتع بكل القيم السلبية للرجل الشرقي، فتكون النتيجة أنها تتعامل مع الزوج بمنتهى الخوف أو بمنتهى البرود.. وللأسف هي حالات تصادفني كثيراً وتتردد على

(*) قول زوج إحدى الحالات.

عيادتي تلتمس العلاج والمساعدة "(*).

كما أن هناك زوجين فقط قررا وأصرا على عدم ختان بناتهما بعد أن عاشا تجربة "العذاب الجنسي المطلق"، غير أن الغريب في الأمر هو إصرار النساء على ختان بناتهن وكأنهن ينتقمن من بنات جنسهن بإعادة معاناتهن وفعل ذلك ببناتهن، وهذا يؤكد مقولة إن الختان نوع من العنف تمارسه النساء على النساء، وأن الأمهات هن الفاعلات الأساسيات في هذا الشأن(١).

وكان لعامل **التعليم والتثقيف** دور في محاولة معالجة الأمر بين الزوجين وذهابهما إلى الطبيب النفسي دون حذر أو تردد أو عدم اقتناع، كما كان أيضاً للمستوى الاقتصادي المرتفع دخل في ذلك، بمعنى أن في مقدرتهما المادية دفع ثمن جلسات العلاج السلوكي والنفسي الطويلة التي امتدت لقرابة سبعة شهور.

هذا على خلاف الحالات السابقة، والتي تكوَّن لديها اتجاه سلبي نحو المشكلة الجنسية ولم يتدخل العامل الاقتصادي كعامل حاسم، لأن هذه الحالات تنتمي لشرائح اقتصادية مختلفة، ولم يُظهر البحث اختلافاً في استجابتهن لهذا الشأن، كما أنه أيضاً لم يظهر العامل التعليمي كعنصر مؤثر في هذا الصدد، وإنما كان المعتقد الثقافي هو المسيطر والفاعل في هذا الموقف، فبسؤالهن عن سبب عدم لجوئهن لأطباء نفسيين أو إقامة حوار مع طبيب النساء في هذا الشأن، كانت إجابتهن تحمل معنى واحداً، وهو أن هذا أمر شخصي وسري يُحرَم الحديث فيه، باعتباره إفشاءً لأسرار زوجية، وأن الطبيب النفسي غير فعال في هذا الشأن، حيث إنه "***دكتور مجانين وبس***"، "***ذا بيعالج المجانين وإللي مفيش منهم رجا***"، "***طب مال حالتنا ودكتور المجانين***". أظهرت أقوالهم الاعتقاد القديم في الطبيب النفسي، والخوف من الوصمة التي سترتبط بهن، بسبب لجوئهن للطبيب النفسي.

الختان والعفة

حول علاقة ختان الأنثى بعفتها وصيانتها لشرفها والمحافظة على عذريتها –وهو الزعم الشعبي المبرر لإجراء الختان– فقد أظهرت المستويات الدنيا من حالات الدراسة المختتنات أن هناك علاقة قوية بين التختين وبين حفظ العفة والشرف والتحلي بالفضيلة، وهنا ظهر فارق السن واضحاً، والتعليم والتثقيف، كعوامل مؤثرة في آرائهن، فكلما تقدم السن بالمبحوثات –في الفئة العمرية ٤٥ : ٦٠– كن أميل لإيجاد هذه العلاقة، وكلما قل المستوى التعليمي لحالات الدراسة حتى ظهرت الأمية، كان الاعتقاد أرسخ في مثل هذه العلاقة، بينما كلما صغر سن

(*) هذا رأي الأستاذ الدكتور. يسري عبد المحسن، الطبيب النفسي من خلال إحدى مقابلات الدراسة الميدانية.

(١) فيونا كارسون .النسوية والجسد، في:النسوية وما بعد النسوية، مرجع سابق، ص١٨١.

المبحوثة -خاصة الفئة العمرية من ٢٠ - ٣٠ عاماً- وارتبط ذلك بدرجة من التعليم المتوسط أو ما فوقه كان الرفض واضحاً لإيجاد مثل هذه العلاقة بين إجراء الختان والعفة، حيث أظهرت نتائج آراء المبحوثات في دخولهن في علاقة عاطفية وحسية مع الرجال، تساوياً في الاستجابات بين المختتنات وغير المختتنات ولم يكن هناك فروق تذكر، حتى إن إحدى المختتنات من حالات الدراسة كانت قد فقدت عذريتها -غشاء بكارتها- مع شاب كانت تجمعها به علاقة حب عاطفية وتحولت لعلاقة جسدية جنسية، وهذا ما يؤكد عدم الارتباط بين عملية الختان والعفة، أو العكس وإن كنا لا يمكننا التعميم من حالة، إلا أن الحالات الأخرى تؤكد ذلك، وقد أكدت المختتنات أهمية التنشئة الاجتماعية للفتاة والتربية والتمسك بالدين، حيث إن الختان كإجراء بعيد كل البعد في المسئولية عن التزام الفتاة أو انحرافها.

وقد أظهرت الدراسة الميدانية، بل أكدت عدم وجود علاقة إيجابية بين الختان والحفاظ على العذرية -السلوكية والبيولوجية- أو العفة بالدرجة الأولى، أو حتى أقل مستويات الحياء والخجل واحترام النفس، فإذا كانت كل هذه الفضائل لا علاقة لها بالختان، وعليه فالختان على أرض الواقع لا يغير آلية فعلية للحفاظ على عذرية الفتاة، أو لضبط جسد المرأة، ربما فقط للتحكم فيه وفي استمتاعه بالعلاقة الجنسية. غير أنه ربما تكون العلاقة سلبية بين الختان والعفة في بعض الحالات مثلما أكد ذلك الأطباء النفسيون.

فبالرجوع إلى مجموعة من أطباء النساء والتوليد، سواء بالمقابلات الشخصية أو بالرجوع إلى آرائهم من مصادر مختلفة، أجمعت آرائهم على خطورة ختان الإناث، فإذا كان يتم بمقتضاها استئصال جزء مهم من الجهاز التناسلي، وهو العضو المسئول عن أقصى إحساس بالمرأة، بهدف التقليل من الرغبة الجنسية، والمحافظة على عفة الأنثى، فثبت خطأ هذا الاعتقاد، حيث لا يقضي الختان على اشتعال الرغبة الجنسية فقط، بل في النهاية يقتلها وربما يبترها كلية ويجعل إتمام العملية الجنسية لدى المرأة في غاية الصعوبة وربما يجعلها رافضة لها، كما يصيبها ببرود جنسي، ويمكن أن يؤدي هذا الفعل لرد فعل عكسي.

فبدلاً من تهذيب مشاعر الفتاة والمحافظة على عفتها، يجعل الفتاة لا تحترم جسدها وتجعله ملكاً مؤقتاً لرجال كثيرين لتثبت لذاتها أنها أنثى غير منتقصة، وتتمتع بكامل حريتها ورأيها في إقامة علاقات محرمة ومتعددة مع رجال كثيرين، كما حدث مع إحدى حالات الدراسة، فعبرت قائلة: "***لا دا كلام فارغ.. أنا دلوقت بأقول إن السبب إن ليَّ علاقات كثيرة من صغرى لإنى اتطاهرت كبيرة ١٠ سنين تقريباً وكنت طبعاً عرفت يعنى إيه إحساس جنسى، كنت بأتحسس المنطقة دى وبأحس إنى مبسوطة قوى وأول أمى ما حست بكده طهرتنى، ومن بعدها كان ابن الجيران بيحبنى وكان مراهق وأول مرة قرب منى ومد إيده على المنطقة دى، حسيت ساعتها بنفس الإحساس اللى كنت بأحسه زمان، وإن أنا مبسوطة وعايزه دا على طول وكمان وكثير، ابتديت أسيب له نفسى وأعيش الإحساس ده وبدل إيده أصبح احتكاك من فوق الهدوم، وبعدها***

طبعاً تطور طبيعي من غير هدومي، وبعد كده كنت أنا وهو من غير هدوم.. ومن يومها حسيت إن ده إحساس من حقى همَّ سرقوه منى وحرمونى منه بطهارتى وطبعاً بعد شوية كبرت وعرفت يعنى إيه واحد عايزنى وأنا عايزه الإحساس المغتصب منى ده.. من حقى أرجعه وأحسه.. كنت في كل مرة أعرف حد أو أحب حد وأمارس معاه المداعبات دى اللى تطورت بعد كده – بعد زواجها وطلاقها في المرة الأولى – إلى علاقات جنسية كاملة إنى بانتصر على أمى وعلى العادات والتقاليد والشرف وكل المسميات الهبلة اللى خلتنى أفقد أجمل إحساس فطرى في الدنيا، دا إحساس ربنا خلقه فينا، لو عايز يحرمنا منه خلقه من الأول ليه، كنت كل مرة أكدب فيها على ماما وبابا وأنا خارجه أقابل حد ويصدقوا كنت بأحس بالفخر، وأقول لهم أشربوا ما ده نتيجة اللى عملتوه فيه، وعمرى ما ندمت، أصل أنا مش بنت وحشة، أبداً كل ده كان تحت شعار المشاعر والأحاسيس، يا إما حب بينا أو إعجاب، أو ساعات كنا إحنا اللى الاثنين عايزين نعيش إحساس معين للحظات وبس.. أنا كنت بأمارس حقى في الإحساس، ويمكن في الانتقام من اللى اتعمل فيه".

ولا أجد تعليقاً أبلغ من كلمات وألفاظ الحالة سواء لسردها أو لتحليلاتها الشخصية، كرد على المدافعين والراغبين في إجراء عمليات الختان، فإذا كانت ممارسة تتم بدافع المحافظة على عفة الفتاة وعذريتها وشرفها وشرف العائلة، فإن هنا كان السبب في دحض كل ذلك، فهي قد فقدت عفتها وأصبحت مستباحة لكل طالب، دون أن تفقد عذريتها في البداية، على المستوى الفعلي وإن كانت قد فقدت عذريتها السلوكية المعنوية، وفقدت حياءها وخجلها، في سبيل إحساسها بأنوثتها وغريزتها، وظلت في نظر عائلتها ومجتمعها ومعارفها، رمزاً للطهر والنقاء والعفة والشرف..

وفي قول حالة أخرى: " *المصيبة أنه كان بيضَّرب بى المثل في الشرف والعفة، ومايقدرش حد يتكلم علىّ نص كلمة، وبابا وماما وأخواتى كانوا فخورين بيه وطبعاً يوم جوازى شرفت أهلى لما تأكدوا من صيانة شرف عيلتهم وعشان المجتمع والناس وأهلى طبعاً كانت علاقتى بخطيبى مختلفة ولم يحس بأى حاجة، بس لما كان جوز تقليدى، مقدرش يريحنى ولا يرضى غريزتى ولا عرف ولا مرة يحسسنى إنى أنثى، وكان بيقولى معلش أنا مقدر إنك مختنة والبرود ده طبيعي طبعاً بس حاولى، وطبعاً أنا ماكنتش كده مع غيره .. بعد فترة اطلقت لأنى مقدرتش ورجعت لأصحابى مرة تانية .. وبرضه مش ندمانه ..".*

وهنا يجب أن ننتبه لوجود فروق ثقافية بين العذرية البيولوجية المتمثلة في غشاء البكارة، والعذرية السلوكية التي ترسم حدودها بعض القيم المجتمعية مثل الحياء والخجل والأدب والعيب والشرف والعفة التي تتضح من خلال سلوكيات الفتاة، حيث تضع لها حدود المسموح لها، والممنوع عنها. وهو ما تطرقنا له في موضع سابق.

ختان الإناث.. رؤية مستقبلية

اتضح من نتائج البحث أنه رغم أن بعض الأسر قد تخلين عن ممارسة هذه العادة طواعية إلا أنه تم ذلك ربما بعدم اقتناع كامل بتركها حيث يتأكد هذا المعنى عند حدوث أزمة أو مشاجرة (عائلية أو غير ذلك). فسرعان ما تظهر أهمية العادة مما يدفع تاركها إلى معايرة أقرب الناس إليه على تركها، كأن تعاير الأخت أختها على عدم إجراء الختان لبنتها.. وكأن عدم الختان سبة أو وصمة عار– أو صفة منتقصة لصاحبتها، ورغم أن الأخت –الأم– هي نفسها التي اتخذت قرار التخلي عن الممارسة، إلا أنها تنتابها حالة غضب ويساورها الشك في صحة ما اتخذته من إجراء مع ابنتها وتخليها عن هذه العادة الاجتماعية.

مما يعكس معه أن العادة الشعبية هي بالفعل قوة معيارية، وظاهرة مجتمعية سائدة تتطلب معها الامتثال الجماعي لها بل والطاعة الصارمة، فهي قوة معيارية تستمد سلطتها تاريخياً واجتماعياً –مجتمعياً– وثقافياً من المجتمع، فالعادة الشعبية تستمد استمراريتها من تمسك الأفراد للامتثال لها، ولأنواع السلوك الشائعة عند الجماعة، كما تعيش على ضغط الرفض الجماعي لمن يخالفها(١).

واعتبار الختان عادة شعبية متوارثة عبر الأجيال المختلفة، يتمتع فيه التراث بقوة قاهرة تفرض على الخارجين عن ممارستها هجوماً، وتعرضهم لسخرية الجماعة. كما يرجع بقاء هذه الممارسة واستمرارها ووفقاً لآراء إميل دوركايم(٢)، من خلال انتشارها وعموميتها في المجتمع، ما يعطيها قوة قهرية وجبرية تمارس على الأفراد، وتلقى بالجزاءات والتي يخشاها الأفراد في حالة امتناعهم عن ممارسة هذه العادة الشعبية.

وربما هذا التفسير السابق وراء آراء بعض الحالات اللاتي عانين أشد المعاناة من جراء ختانهن، إلا أنهن أكدن قيامهن بختان بناتهن في المستقبل، غير أن ما اختلف فقط، هو أن تتم الممارسة على يد طبيب جراحة متخصص، وليس على يد رجل شعبي، أو ممرضة أو حكيمة.

غير أن ذلك لا يمنع أن غالبية المبحوثات الآخريات أكدن عدم تختين بناتهن في المستقبل مؤكدات حبهن لهن وعدم إمكانية تعرضهن للإيذاء، وحرمانهن من الاستمتاع الجنسي، ومشيرات إلى محاولة تربيتهن التربية السليمة، وتوعيتهن على المحافظة على أنفسهن، وتربيتهن

---

(١) إيكه هولتكرانس، قاموس مصطلحات الإنثولوجيا والفولكلور، ترجمة: محمد الجوهرى، وحسن الشامى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢.

(٢) نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع – طبيعتها وتطورها، ترجمة: محمد الجوهرى وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص١٧٦.

التربية الدينية الصحيحة، والتي تقوم على معرفة الحلال والحرام، وعلى الثقة في النفس، واحترامها. وجاء هذا الرأي من غالبية المبحوثات الصغيرات سواء غير المتزوجات أو المتزوجات -الفئة العمرية من ٢٠ – ٣٥- وهذا الرأي لم يظهر فيه اختلاف المستوى الاقتصادي الاجتماعي كعامل مؤثر في ذلك. فلا توجد فروق بين المستويات المختلفة، بينما تدخل التعليم ليصبح عاملاً حاسماً في الرأي ومعه كانت الثقافة المتداولة، من التعرض لوسائل الإعلام، وقراءة الجرائد، وازداد البعض بقليل بحضور بعض الندوات التثقيفية.

وقد عبرت الحالات عن هذا الرأي الرافض للختان لهن أو لبناتهن بالأقوال التالية، ورأين أنه ممارسة غير ضرورية:

"ده فعل غير ضرورى بالمرة. فتربيتى لبنتى ومعرفتها الحلال والحرام من الأول هو ده اللى حيكبح زمام الشهوة عندها، وأعلمها الرياضة" ، "طبعاً مش حأختن بنتى لأن الختان ده أنا ماشفتش منه غير كل خسارة وتعب، مش كفاية إن الواحدة بتخسر أهم مشاعر ممكن تحس بيها، حسبى الله في كل أسرة بتعرض بناتها للإهانة دى " ، "أنا كنت موافقة على إنه شئ بيقوله الدين، وده اللى مسكتنى، لكن لما عرفت إن الدين برئ من كل شئ يؤذى مشاعر الإنسان مش ممكن حأعمله لبنتى" ، "لأ .. لأ أنا مش راضية عن العدوان اللى اتعمل فيه، ومش حأعمل لبنتى العملية دى خالص حتى لو حاربت الدنيا كلها والناس أو حتى اتطلقت"، "أنا لا أعتقد إنى حأعمل الختان لبناتى، أصلى مش معتقده فيه خالص عشان أنا حأربى بناتى كويس إن شاء الله وسوف أحافظ على تربيتهم تربية دينية إسلامية، ومعرفتهم بالعيب والحرام وكل حاجة، وحأكون صاحبتهم وحأكلمهم كتير عشان أكسر الحاجز اللى بيكون بين الأم وبنتها، وحعرفهم كل حاجة في الدنيا عشان أوعيهم عن تفهم" ، "أنا حامل ولو رزقنى ربنا ببنت مش ممكن حطاهرها أبداً لأن أنا إنسانة مش وحشة زى كل رجالة عيلتنا، اللى وفقوا الستات على المصيبة دى " ، "طبعاً أنا رافضة إللى أهلى عملوه فيّه وأنا صغيرة، ومش راضية عنه، ورافضة تماماً إنه يتعمل في بنتى، إذا كان كله عيوب وماقيهوش ولا ميزة غير العقد النفسية والإحباط والبرود الجنسى، وكره العلاقة الجنسية وكل حاجة وحشة جدا يبقا أعملهولها ليه بقىّ ".

غير أن هناك بعض الحالات تأرجحت بين القبول والرفض، فبعد الممارسة والمعاناة لسان حالهن يرفض ممارستها لبناتهن، لكن قوة العادة الاجتماعية وضغطها والخوف من الخروج عليها، جعلهن يقبلن لكن بشروط، كأن يؤخذ فيها رأي طبي أولاً، ثم يفعلن ما يقره أو يراه، فإذا رأى أن البنت تحتاج لإجراء مثل هذه العملية، فتكون على يد جراح متخصص.

"لما تبقى بنتى عندها ١٠ ولا ١١ سنة حوديها للدكتور يكشف عليها ويحدد إذا كانت تحتاج العملية دى ولا لأ، وإذا قال لأ، والله ما حأعملها ولا حيهمنى رأى أمى ولا حماتى ولا

حتى جوزى .. مش كفاية"، "أنا خت بنتى مع جارتى وبنتها ورحنا للدكتور كشف على العيال وقال لنا لأ الاتنين مش محتاجين طهارة، أنا فرحت وسكت - الكلام ده كان من ٥ سنين - بس جارتى بعد شوية خدتها تانى وراحت لواحد تانى وطهرت بنتها، ولما سألتها ليه عملت كده قالت لى: دى الطهارة ديه لازم للبنت أمال إيه عشان تبقى كويسة إحنا اتولدنا وأهلينا علمونا كده، وكل العيلة كده اشمعنى دى بقى".

وهناك قلة مازالت القوى المعيارية للعادة الشعبية ضاغطة ومسيطرة على أفكارهن، فقد أعلن رغبتهن في استمرار ممارسة هذه العادة "الختان" على بناتهن جميعاً، وعبرت إحدى الحالات عن رأيها قائلة: "*أنا لومعايا عشر بنات حطاهرهم*"، "*أيوه حطاهر بناتى، برغم إنى تعبانه مع جوزى، لكن لأ حطاهرهم وماتسألينيش ليه، أصلها عادة طلعنا على كده ولا يمكن نغيرها*".

وفي النهاية ترى الباحثة أن السبيل الأمثل لمواجهة هذه العادة الثقافية الشعبية، والقضاء عليها هو نشر الوعي الصحي والتثقيف الطبي، والوعي الديني الصحيح لكافة فئات المجتمع على اختلافاتها الثقافية والتعليمية والاقتصادية والصحية، وتفاوت نوعية الحياة، سواء جيل الأمهات والأباء منهم، أو جيل الأبناء خاصة البنات منهم؛ -والذي بدأ يتحقق في جزء يسير منه من خلال تطوير بعض المناهج الدراسية المدرسية في بعض مراحل التعليم كتطور مرحلي، كما يوجه نشر الوعي أيضاً لقادة الرأي بالمجتمع كرجال الدين، والأطباء، والقائمين على رسم السياسات، ومشرعي القوانين المدنية. فقضية ممارسة الختان أعتبرها معضلة ثقافية، فلا تواجّه بسن قوانين المنع والتجريم، وإنما بجانب تلك القوانين يجب أن يواكبها تثقيف متكامل، طبي وديني، واجتماعي ثقافي جنسي، فالمجتمع المصري الآن في حاجة ماسة لنشر الثقافة الجنسية لكل فئاته المختلفة، ولكن الثقافة الجنسية التي تتفق وثقافة مجتمعنا، حتى يؤدي في النهاية إلى تخلي الأسر المصرية عن إتيان هذه الممارسة بقناعة تامة، وكما حدث في إحدى قرى محافظة المنيا بصعيد مصر.

الفصل السابع

ثقافة العذرية في المجتمع المصري

الخطاب والتجليات

الفصل السابع

ثقافة العذرية في المجتمع المصري

الخطاب والتجليات

خطاب العذرية

- معنى العذرية
- الألفاظ والعبارات الدالة
- الأمثال والأغاني الشعبية

قيمة الشرف

- المفاهيم والدلالات
- الشرف كممارسة
- التراث الشعبي والإعلام والشرف

تجليات العذرية – المظاهر الدالة في:

- السمات الأخلاقية
- الحديث وموضوعاته
- الزي والزينة
- الإيماءات والحركات الجسدية

خطاب العذرية

يتضمن خطاب العذرية المعنى الثقافي للعذرية والألفاظ والعبارات الدالة عليها والمتداولة بين الناس، والفرق بين العذرية البيولوجية للفتاة –والتي يقصد بها غشاء البكارة–، والعذرية السلوكية التي تتبدى في السلوكيات والأفعال والمواصفات، أي في مواصفات الفتاة العذراء، وغير العذراء والسلوكيات المرتبطة بكل منهما، كما يتطرق لأهم الأمثال الشعبية والأكثر انتشاراً وتعبيراً عن عذرية الفتاة أوعن فقدها، وأهم الأغنيات الشعبية المتداولة والمرتبطة بعذرية الفتاة، والتي يتغنى بها في بعض المناسبات والمواقف الشعبية.

معنى العذرية

تحتل العذرية كقيمة اجتماعية في الثقافة المصرية منزلة عالية ذات قوة معيارية ملزمة للأفراد، ومحددة لسلوكياتهم وفق مقتضيات هذه القيمة. وفي محاولة للوقوف على المعنى المتداول بين الأفراد للعذرية، وجدت بعض التداخلات في التعريف الشعبي بين المعنى، ومواصفات الفتاة حاملة الصفة–العذراء– وسلوكياتها. فقد اتفقت جميع مفردات الدراسة؛ وعلى اختلافات مستوياتهم الاجتماعية والطبقية على أن العذرية "تعنى الحفاظ على غشاء بكارة الفتاة"، وهو تعريف قيمة العذرية بمعناها البيولوجي، إلا أن البعض أردف ذلك بتوضيح القيمة في بعض السلوكيات، أو بعض مواصفات الفتاة حاملة القيمة البيولوجية، وهنا حدث تداخل بين العذرية بالمعنى البيولوجي –وهو الأهم لدى الأفراد– والعذرية بالمعنى السلوكي والذي يتبدى في الأفعال والتصرفات حيال المواقف المختلفة، وأيضاً في التحلي ببعض المواصفات والقيم الأخرى المدعمة لهذه القيمة مثل الشرف والعفة والالتزام والفضيلة والحياء والخجل.

وقد اتضح ذلك من أقوال الحالات مثل: ***العذرية هي وجود غشاء بكارة سليم في البنت***"، ***العذرية هي الفطرة، هي غشاء بكارة البنت***"، ***العذرية هي البنت اللي متجوزتش، هي بنت البنوت المحترمة الكويسة المحتفظة بعذريتها، يعني بغشائها، يعني مقفولة محدش قرب منها***"، "***يعني البنت المحترمة المؤدبة***"، "***العذرية يعني هو سلوك البنت المؤدبة الخجولة المكسوفة، اللي محافظة على نفسها***"، "***العذرية دي يعني البنت البكر لسه***"، "***العذرية يعني البنت اللي على براءتها ماتعرفش يعني إيه حب، ولا جنس، ولا راجل***"، "***العذرية يعني البنت العذراء، والعذراء هي البنت اللي لسه متجوزتش وهي البنت المؤدبة اللي قادرة تحافظ على نفسها من الغلط***"، "***العذرية طبعاً هي غشاء البكارة، بس هي الكسوف والخجل والبنت المؤدبة***"، "***العذرية هي البنت اللي متجوزتش وبتحمل كثير من الأدب والحياء والكسوف هي البنت الخجولة جداً***".

وهناك من حدد معنى العذرية بأصلها الاشتقاقي، فإحدى الحالات قالت ***العذرية دي جت من كلمة عذراء، وهي البنت البكر التي لم يلمسها رجل، وطبعاً نحن ندرك المعنى ضمنياً من***

السيدة العذراء مريم رضى الله عنها، لأنها أنجبت سيدنا عيسى بدون أن تفقد عذريتها أو يمسها بشر، وهي رمز الطهارة والنقاء"، "العذرية هي الشرف والشرف مكانه غشاء البكارة وهو معنى بيتحدد بسلامة عضو بيولوجي". وإحدى الحالات قد تحدثت عن نوعين من العذرية، أحدهما ذو معنى بيولوجي، والآخر يتحدد وفقاً لبعض المواصفات والسلوكيات : *"هيَّ ليها معنيين، أول واحد هو المعنى الملموس زى وجود غشاء البكارة في البنت، وهو ٣ أنواع: غشاء شبكى ومطاطى ومقفول، وفيه بنات من غير غشاء خالص، والنوع الثانى من العذرية، إن البنت تكون أخلاقها كويسة ، ومن زمان كان بيتقال البنت الكويسة هى العذراء ويقولوا عليها بنت طاهرة، وشريفة، وده طبعاً كان زمان بيتقال على البنت العذراء فعلاً، إنما دلوقت فيه بنات كتير محافظة على غشاء بكارتها، لكن بتعرف ناس كتير وبتعمل حاجات غلط مع الرجالة"، "العذرية إن البنت لازم تحافظ على نفسها بأى شكل من الأشكال يعنى تحافظ على عفتها، يعنى يكون سلوكها سليم وكويس، مش بس غشاءها سليم".*

هنا ظهر **الشرف** مرادفاً لغشاء البكارة -العذرية البيولوجية- إلا أن **العفة** جاءت مرتبطة بالعذرية السلوكية، وسلوكيات الفتاة أكثر من سلامة عذريتها البيولوجية. واتضح ذلك في قول إحدى الحالات: *"...على فكرة فيه بنات كتير بتكون عذراء ومحافظة على غشاء البكارة، لكن مشيهم بطال جداً.. لازم البنت تكون عفيفة في تصرفاتها مش بس شريفة وبكر"*، ولم يتضح أي اختلاف طبقي في تعريف العذرية تعريفاً بيولوجياً، فقد أجمع الكل على أن العذرية مرتبطة بحفاظ الفتاة على غشاء بكارتها، واتضح تأكيد أهمية العذرية السلوكية في الأوساط الدنيا والوسطى وتكاد تختفي في الشرائح العليا. "العذرية هى بنت البنوت المحترمة الكويسة المحتفظة بعذريتها وبكارتها وطريقتها في حياتها، *لكن بقى الناس الأغنياء دول ماعندهمش حياء مش زى الناس البساط اللى زينا، هما عيشتهم عادى يعنى عندهم البنت تدخل وتخرج بمزاجها وتقعد مع شباب، وتنزل وتخرج معاهم وفي أى وقت.. غيرنا إحنا خالص... عيب عندنا البنت تقعد مع حد أو تتكلم في أى كلام ميخصهاش، ومش ممكن تخرج في أى وقت أو مع أى حد، أو يكون لها صحاب".*

الألفاظ والعبارات الدالة على العذرية

بما أن هناك خلطاً بين العذرية كحالة بيولوجية، والعذرية كصفة أخلاقية للفتاة، فقد جاءت الألفاظ والعبارات تحمل وصفاً للفتاة، وما تتمتع به من صفات ربما تختلف بها عن غير العذراء من وجهة نظر بعض الحالات. جاءت الألفاظ إما دالة على عذرية الفتاة البيولوجية، أو الأخرى السلوكية، وقد حاولت الباحثة عمل حصر لهذه المواصفات. فجاءت المواصفات الدالة على **العذرية البيولوجية** كالآتي: بنت بكر – بنت بنوت – بنت شريفة – بنت طاهرة – بنت بشوكها

– بنت مَقْفُولة، وهي كلمات وألفاظ تدل على عذرية الجسد بينما هناك ما جاء من مواصفات وألفاظ دالة على **عذرية الروح والسلوك** منها: بنت عفيفة – بنت بريئة – بنت محترمة – بنت ملتزمة – بنت زي البرلنت – بنت زي الملاك محدش لمسها – بنت خام – بنت خجولة حيّيّة – بنت مقِّفلة – بنت بَيَاضَة خالص. ويمكن أن توصف الفتاة بأكثر من لفظ لزيادة الدلالة.

وقد عبرت إحدى الحالات بقولها: ***"العذرية يعني بنت محتفظة بغشاء بكارتها، يعني شرف البنت ويعني البنت دي بكر، ووردة مقفلة، زي القطة المغمضة، وكلها ألفاظ مش بتدل فقط على احتفاظ البنت بغشاء البكارة ولكن بتدل أكثر على وجود الحياء والخجل والالتزام الخلقي داخل هذه الفتاة وخاصة الحياء"***. ولم تظهر فروق طبقية أو ثقافية في آراء ومعاني العذرية بين مفردات الدراسة.

وقد أكد كثير من الحالات على عذرية الروح والسلوك والأخلاق، حيث إن هذا هو ما يظهر للناس وللآخرين وهو المسئول عن ***"السمعة"*** وهي السيرة التي يرغب فيها الأفراد، كما أن من ثقافة الشعب المصري الاهتمام بما يقال ويثار بين الناس، وفكرة الآخرين عن الشخص وعن سلوكه، وقد أكد ذلك أقوال بعض الحالات، ***"الصيت ولا الغنى"، أهم حاجة هو رأى الناس وكلامهم، وعلى رأى المثل "يعرفوا طُهرى بره، وأنا في بيتى وجوايا نجسة"، "بيتقال دايماً البنت ديه عفيفة، دى طاهرة دى شريفة وملتزمة، دى مايقدرش يقرب منها حد، وفي رأيى إن فيه بنات بيتقال عليها كده وبتحصل لها مشكلة ويعتدى عليها واحد وتفقد بكارتها، لكن هى في الأساس سلوكها كويس، هى فعلاً بتتأثر بالموضوع ده نفسياً لكن بتعمل نفس سلوكها قبل الحادث، وأى واحد يشوفها بعد الحادثة ومايعرفش عنها حاجة يقول عليها بنت كويسه، وزى الدهب وسلوكها وتربيتها متغيرتش، وتحس إنها عفيفة ومؤدبة"***.

وهنا تأكيد على عذرية السلوك والأخلاق، ومن ثم التأكيد على عملية التنشئة الاجتماعية السليمة، واعتبارها الأساس في قضية العذرية؛ ***"بيقولوا إن البنت دى مؤدبة ومحترمة، وشريفة، وسلوكها كويس ولا لأ، مش بيقولوا محتفظة بغشاءها ولا فقدته... لأن محدش بيكون عارف الموضوع ده، وهما ليهم اللى بيظهر لهم من تصرفات إنما الباقى ده بتاع ربنا، وربنا حليم ستار"***.

الأمثال والأغاني الشعبية

يزخر التراث الثقافي بالعديد من العناصر الثقافية التي تعمل على تدعيم قيمة العذرية والحفاظ عليها والإقبال على الامتثال لها، وتتوعد الخارجين عليها بأشد أشكال العقاب، مثل الأمثال الشعبية وبعض الأغاني الشعبية المتداولة التي تعمل على ترسيخ القيمة لدى الأفراد، وبعض المقولات المرتبطة ببعض العناصر الثقافية –والأدبية– الآخرى. فمن الأمثال الشعبية

التقليدية والمستمرة منذ فترة زمنية طويلة وحتى الآن ما يلي:

"شرف البنت زى عود الكبريت ميولعش غير مرة واحدة"

"خد الأصيلة ولو كانت ع حصيرة"

"خد الشريفة ولو نمت على الحصيرة"

"اقلب القدرة على فمها تطلع البنت لأمها"

ولم تكن أمثال شعبية فقط بل أيضاً بعض العبارات الدالة والمعبرة والمأخوذة من سيناريوهات بعض الأفلام العربية المصرية، أو بعض المسلسلات. *"أحسن من الشرف مفيش"*. أو المأخوذة من الأدب والشعر، مثل ***"لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يُراق على جوانبه الدم"***.

تداولت بعض الأغاني الشعبية الخاصة بالأفراح والزواج بين الأفراد، كتعبير عن عذرية الفتاة ومحافظتها على شرفها وشرف عائلتها، وأيضاً كمحفز للفتيات بالمحافظة على عذريتهن، مثل:

"قولوا لأبوها إن كان جعان يتعشى... الدم ساح وغرّق كل الفرشة"

"يا حلوة يا بلحة يا مقمعة شرفتى إخواتك -أو أعمامك- الأربعة"

"على السرير الهمبكة... البنت شرفت أهلها"

وعادة ما تُغنى مثل هذه الأغنيات بعد أن تثبت عذرية الفتاة في يوم زفافها، فهي أغنيات تدل على فخر الأب والأهل بصيانة بنتهم لشرف الأب والعائلة. كما تدل أيضاً من جهة أخرى على مدى امتلاك الأب والعائلة لهذا الشرف -والمتمثل في العذرية البيولوجية للفتيات- وأنه حق يجب الاطمئنان عليه، ليُسلّمْ هذا الحق بعد ذلك وإن كان بشكل غير فيزيقي للزوج. وسوف نناقش قضية الشرف في موضع آخر.

كما نجد أن بعض الأمثال الشعبية والمأثورات يُنذر بأشد أشكال العقاب على من تتهاون في الامتثال لهذه القيمة أو من تفرط في عذريتها -من منطلق شرف العائلة- فيتوعدها بالقتل، كما أن هناك بعض المقولات المحفزة على الارتباط بمن تتمتع بسمعة طيبة وأصل كريم دون المستوى المادي المرتفع *"خد الأصيلة - الشريفة - ولو كانت ع الحصيرة"*.

ويلعب **الشرف** قيمة مهمة لدى كافة المستويات الاجتماعية كل من منظوره الخاص للشرف، وتكثر الأمثال والأغاني الشعبية المرتبطة بالعذرية والشرف كلما تدنى المستوى الاجتماعي الاقتصادي، وتندر كلما ارتفعنا إلى المستويات العليا، ومصدر خبرتهم في هذا الصدد هي الثقافة السمعية مما يقال وينتشر في المستويات الدنيا فقط ويتغنى به في أفراحهم.

قيمة الشرف: المفاهيم والدلالات

تعريف الشرف

تعتبر قيمة الشرف من أهم القيم الاجتماعية التي تحافظ على وجودها في المجتمع الشرقي، فهو دليل على عفة البنت ونقائها، والذي بدوره هو شرف الأب والعائلة، وشرف المرأة هو الصداع النصفي المزمن لمجتمعاتنا العربية، وينحصر مفهومه حتى يصل إلى مجرد نسيج واهٍ يسمى "غشاء البكارة".[١]، وما العذرية إلا إثبات بيولوجي مادي واضح على محافظة الفتاة على نفسها وعلى سمعة عائلتها شرفها.

ويندرج الشرف كقيمة ضمن القيم الأخلاقية التي ترتبط بكثير من المتغيرات الاجتماعية والجنسية والاقتصادية، فهو ثابت الجذور في البناء الاجتماعي. ولقيمة الشرف كثير من المعاني المتباينة، منها ما يشير إلى طهارة الفتاة وعفتها في محيط الأسرة والمجتمع، ومنها ما يشير إلى الوضع الطبقي أو التدرجات الاقتصادية. وعلى الرغم من أهمية البعد الجنسي والبعد الطبقي في فهم قيمة الشرف فإن هذين البعدين لا يعبران بشكل كافٍ عن هذا المعنى الدقيق لهذا المفهوم الغامض. وكان لعلم الاجتماع الغربي رؤية خاصة في تناول قيمة الشرف بالتحليل والتفسير، إذ انتقلت هذه القيمة من نطاق الرومانسية إلى نطاق الشخصية والفعل الأخلاقي.[٢]

ومن هنا أعطى الاجتماعيون لقيمة الشرف بُعداً اجتماعياً يمكن الوقوف عليه من خلال الأنشطة والأدوار التي يقومون بها داخل النظم والحياة اليومية، أي أنهم نظروا إليه بعبارة أخرى كخطاب أو معيار أخلاقي يتداول بين الناس. والشرف الشخصي جزء مهم من الشرف الاجتماعي فالجماعة والتقويمات الجماعية هي التي تمنح الشرف لشخص دون غيره.

وإذا حاولنا تحديد الشرف كمفهوم لُغوي فقد ورد في "مختار الصحاح" أنه "العلو والمكان العالي وجبل مشرف أي عالٍ، ورجل شريف والجمع شرفاء وأشراف".[٣]

والشرف يمثله شعور شخصي قوي بالكرامة المقبولة اجتماعياً أو السلوك المقبول اجتماعياً فهو حالة من الاستقامة غير الملموسة، وهو مجموعة من القواعد الأخلاقية لكل من الرجل والمرأة، وهكذا يعد الشرف أساساً للمقياس الأخلاقي للفرد وخاصة المرأة، ولا يقتصر المفهوم

---

١) خالد منتصر. شرف المرأة والخطاب الديني، في: جرائم الشرف:نظرة تحليلية ورؤى مستقبلية، مركز قضايا المرأة المصرية، القاهرة،٢٠٠٢،ص ٤٣.

(٢) وهدان محمد رشاد. القيم الأخلاقية في المجتمع المصري، دار النصر للتوزيع،١٩٩٥القاهرة،ص ص ١٨٩-١٩١.

(٣) عبدالقادر الرازي. مختار الصحاح، ترتيب: محمود خاطر، دار المعارف، القاهرة،١٩٧٣،ص٣٣٥.

على الفرد فقط، بل يمتد في المجتمع الأكبر من خلال عضوية الفرد، فشرف الفرد هو شـرف جماعته القرابية وشرف مجتمعه المحلي ومجتمعه الأكبر، وربما تتسع الدائرة لتصل إلى شرف المجتمع العالمي.(١)

موقع الشرف، موضع العذرية

تعرف "**العفة**" لغوياً بأنها الكف عما لا يحل ولا يجمل. قال "الجرجاني" في التعريفات إنها هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة، والخمود الذي هو خمول لها. فالعفيف من يباشر الأمور وفق الشرع والمروءة(٢). وفي تهذيب الأخلاق لـ"ابن مسكويه" أنهـا "وسط بين رذيلتين وهما الشهوة وجمود الشهوة. وأعني بالشهوة الانهماك في اللذات والخـروج عما ينبغي، وأعني بجمود الشهوة وخمودها السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة الجميلـة التي يحتاجها البدن في ضروراته وهي ما رخص فيه صاحب الشريعة والعقل".(٣)

ويعلق البعض على موضوع **العفة** بقوله "إن الحب والعفة كلمتان مترادفتان فلنكـرر هـذا القول لأولادنا ولا سيما حين يبلغون من العمر مبلغاً يسمعون فيه بجاحـة السـاخرين الـذين يزعمون أنه ليس في الدنيا ما يسمى بالحب العذري. تقع العذرية -مكان العفة وموطنها في نظر الكثيرين- في موضع أو موقع ضمن أعضاء المرأة التناسلية، متمثلة في غشاء البكارة، وهـو عبارة عن غشاء يتمزق من خلال العلاقة الجنسية الأولى التـي تمارسـها الفتـاة، حيـث إن الممارسة الجنسية تمزق هذا الغشاء كبداية أول علاقة جنسية".(٤)

وتعني **العذرية** بالنسبة للفتاة ولعائلتها الدليل القطعـي علـى صـحة أجـواء التنشـئة الاجتماعية والدينية التي تعيش فيها الفتاة، وكذلك فهي تعني أن الفتاة قد اسـتطاعت أن تحـافظ على نفسها من مخاطر كثيرة.. من هنا تحاول الفتاة المحافظة على طهارتها وعفافها عن طريق الاحتفاظ بغشاء البكارة.

غشاء البكارة

هو ذلك الغشاء المخاطي الرقيق الذي يقفل فتحة المهبل، وقد يكون حلقياً وفتحته في الوسط أو هلالياً أو غربالياً ونادراً ما يكون مطاطياً أو جامداً يصعب قطعه، أو مسدوداً انسداداً كاملاً، ويتمزق غشاء البكارة أثناء الجماع الأول وتوجد بقاياه حول فتحـة المهبـل كزوائـد غشـائية

(١) آمال عبد الحميد. القيم الأخلاقية: دراسة متعمقة لقيمة العفة والشرف، المرجع السابق، ص ٢٥١.
(٢) محمد أبو بكر الرازي. معجم مختار الصحاح، مرجع سابق، ص ٤٤٣.
(٣) محمد رضا أفندي. العفة والزواج، ط١، مطبعة اليقظة، القاهرة، ١٩٢٣، ص٥.
(٤) آمال عبد الحميد. مرجع سابق، ص ٢٧.

مخاطية[1].

البكارة الاصطناعية

لمصطلح البكارة أبعاده الطبية والاجتماعية والقانونية والنفسية، فهو مصطلح اجتماعي ديني في المقام الأول بالنسبة للمجتمع المصري، فالدين ينص على بكارة الجنسين قبل الزواج، فقد أكد على البكارة كمرادف لعفة المرأة قبل الزواج Chastity، أما من الناحية الاجتماعية فالبكارة لها أعراف في إشهارها، كما أن لها تقاليد اجتماعية لحمايتها وإظهارها.. فعرض الثياب الداخليـة، وبعض الأقمشة التي ترتديها المرأة ويستخدمها الزوج ليلة الزفاف كعرف سـائد فـي الريـف المصري يمثل عادة ثقافية من عادات الزواج تُبرز الطابع الاجتماعي للبكارة، بالإضافة إلى أن المآسي والفضائح التي تعيشها بعض الأسر التي تكون بكارة العروس فيها محل شك تشير أيضاً إلى البعد المتسبب في وجود "البكارة الاصطناعية".

من الناحية الطبية، لما كانت البكارة تطلق كمرادف لمصطلح غشاء البكارة الذي لا يُفض إلا في ليلة زفاف الفتاة بمعرفة زوجها، فقد يلجأ البعض إلى إجراء عملية جراحية لمحو آثار حياة جنسية سابقة قبل الزواج، وهنا يقوم الطبيب بصناعة غشاء يغطي مهبل المرأة لتحقيق مرادفات اجتماعية وهي الشرف، والعفة، والبكارة.[2]

إعادة العذرية

هناك نوعان من العمليات الجراحية والتي تُجرى لإعادة عذرية الفتاة وهما إرجاع مؤقـت، وإرجاع دائم، وتسمى العملية "كشكشة لبقايا الغشاء المقطوع"، ومدة هذه العملية يـوم واحـد أو يومان على الأكثر. أما العملية الثانية وهي الدائمة فتسمى "ترقيع الغشاء" ويتم بأن يأخذ الجراح جزءاً من أنسجة المهبل ويعيد ترقيعه مرة أخرى في موضع الغشاء. والواقع أن إعادة غشـاء البكارة كما هو معروف عملية يجب أن تتم تحت إشراف قانوني وموافقة من القانون في ظروف خاصة مثل حالات الاغتصاب مثلاً. وقد يتصور الجهلاء أن وجود غشاء البكارة سليماً هو دليل العفة، وهذا غير صحيح على إطلاقه فالغشاء المطاطي لا يتهتك أثناء العملية الجنسية. كما يمكن أيضاً أن يتمزق الغشاء في الصغر بسبب رياضة عنيفة أو نتيجة لحادث معين، أو نتيجة ممارسة العادة السرية، وكل هذه الأسباب تؤدي إلى تهتك غشاء البكارة ولا تمـت بصـلة لموضـوع العفة.[3]

نستطيع الآن أن نجد آراء كثيرة ومتعددة حول معاني الشرف ودلالته لكنهـا ليسـت آراء متناقضة أو متنافرة فكلها تدور في فلك العفة، والطهارة، والعذرية، والبعض يجد الشرف متمثلاً

---

(1) Leon Speroff, Robert H. Glass. Clinical Gynecologic Endocrinology, Op.Cit., P.861.

(٢) إلهام فراج. الانحرافات الأسرية في المجتمع المصري، مرجع سابق، ص١٨٥-١٩٠.

(٣) كمال مرعي.الرجل والمرأة والجنس، ط٣،مطابع الأخبار،القاهرة،١٩٨٦،ص٢٤.

في معاني النقاء، والوضوح، والاستقامة، والحشمة، والتمسك بأصول الدين. وبوجه عام فالشرف في نظر غالبية الأفراد هو فضيلة أخلاقية، ومن أقوال إحدى الفتيات *"الشرف من الكلمات التي نرددها في حياتنا اليومية فهي كلمة تضم أنواع كثيرة من الشرف مثل شرف المهنة وشرف الكلمة، وهناك الشرف الذي هو بمعنى العرض وهو موضوع يرتبط بشرف البنت، وتختلف الآراء حوله بين سكان الريف والحضر، المتعلمين وغير المتعلمين، الرجال والنساء، البنات والسيدات"*

وتعتبر **العذرية** من أهم الصفات المرغوب فيها عند اختيار الزوجة لدى الحضريين والريفيين على السواء، حيث نجد أن العذرية من أهم محكات الاختيار للزواج، ومن أهم القيم المتعلقة بالاختيار وأشار البعض إلى أن أهمية العذرية (الزواج من بكر) قد ترجع إلى عامل ديني حيث أوصى الرسول (ص) باختيار البكر للزواج، أيضا لعامل ثقافي وهو مراعاة للتقاليد، والراحة النفسية للرجل ليكون أول شخص في حياتها.(١)

ونسمع دائماً المثل الدارج على لسان العامة والقائل *"شرف البنت زى عود الكبريت ما بيولعش غير مرة واحدة"*، وكثيراً وإلى الآن ما يخشى الناس من أن يرزقهم الله البنات ويرددون *"إن خلفة البنات تجلب العار"*. وبوجه عام هناك بعض الكتابات التي تحدثت عن نمط العلاقة بين الفتى والفتاة في إطار المجتمعات الفقيرة والغنية وهناك معايير مختلفة للنظر إلى قيمة الشرف عند الأفراد.(٢)

الشرف كممارسة

يري البعض أن مدلول الشرف، يختلف من الريف إلى الحضر عنه عند البدو، غير أن هذا الرأى ينضوي على قدر من العمومية قد يخرج النقاش فيه عن نطاق دراستنا. غير أن النقاط المهمة التي أجمعت عليها غالبية الآراء والكتابات أن قيمة الشرف في الريف وصعيد مصر تأخذ أشكالاً متزمتة ومتعصبة بداية من المظاهر والتقاليد التي يتبعها الأفراد في حياتهم اليومية وفي سلوكياتهم، مثل منع الاختلاط بين الجنسين، وانتهاءً بالقتل كمقابل للتفريط في الشرف، فبينما انتشرت ظاهرة الـBoy Friend للبنت، والـGirl Friend للولد على أنها ظاهرة طبيعية في جامعات ومدارس الحضر الآن، نجد أن البنت في الصعيد قد لا يسمح لها أن تقابل أقرباءها الذكور بوجه سافر، هذا بخلاف العادات التي تمارس في ليلة الزفاف أو ما يطلق عليها "الليلة الدخلة" أو "الدخلة البلدي". ففي بعض قرى وصعيد مصر يجتمع بعض النسوة من الأقارب

(١) سامية الساعاتي. الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي، ط١، الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٢، ص ص ٩٨-١٠١.
(٢) سامية الساعاتي. الحياة اليومية لفقراء المدينة: دراسات اجتماعية واقعية، الأنجلو، القاهرة، ١٩٩٥، ص ص٢١٧-٢٢٢.

ومعهم الداية في حجرة العروسين، ووظيفتهن تهيئة العروس لعملية فض البكارة، وعندما يعلن العريس الدخول يُغلق الباب الذي يقف أمامه عدد كبير من شباب البلد، وتقف خلفه إحدى النساء، وعندما تدق الباب يصيح الشباب صياحاً مستمراً على شكل موال لا معنى له والغرض منه فقط إحداث ضجة تعلو على صراخ العروس، وبعد إتمام فض البكارة يُفتح الباب وتخرج منه سيدة حاملة منديلاً مخضباً بدم البكارة وتلوح به، وعندئذ تُقدم التهاني إلى والد العريس وجميع أفراد العائلتين، وأحياناً يضطرب العريس في لحظة فض البكارة وتقوم الداية بهذا العمل نيابةً عنه وفي ذلك إهدار لرجولته.(١)

وإلى الآن تحاط عملية فض البكارة بالعديد من الممارسات التي ترمز إلى قيمة الشرف والعفة وأحياناً يتم حث العريس بالغناء الذي يردده الواقفون خارج حجرة العروسين مثل:

"شد حيلك.. أجيلك أنا"، *"يا عريس يا لَخمة.. إبقى كُلك حتة لحمة"*، وبعد الانتهاء من عملية فض البكارة وإشهارها تطلق الأعيرة النارية في الهواء، وتدوي الزغاريد عند التلويح بالمحارم الملوثة بالدماء في الهواء، وهو إشهار الحفاظ على الشرف، وهذا هو جوهر عملية إشهار البكارة، وفي أثناء ذلك تردد الحاضرات من أهل العروس الأغاني مثل:

الله يبيض ضناكي .. بيضتينا

هاتو دم الفليحة .. فرجونا عليه

أحمر زى التفاحة .. يا ما شا الله عليه

ومنها أيضاً:

قولوا لأبوها إن كان جعان يتعشى

وإن كان شبعان يحط ف إيده مقشة

دم العروسة غرق لينا الفرشة

ويطلق تعبير "**أخذ العرض**" أو "**أخذ الوش**" على عملية فض البكارة لدى بعض قبائل شمال سيناء؛ حيث تتم بشكل عنيف نظراً لمقاومة العروس للعريس إلى حد قد يصل إلى ضربها بعصا حتى تمتثل له(٢). وفيما يتعلق بالفرق بين الدخلة في المناطق الريفية والحضرية، فهناك نوعان من الدخلة:

- **الدخلة البلدي**، وتختص بالمناطق الريفية وتتوقف على المستوى التعليمي لكل من الزوج

---

(١) محمد عاطف غيث. دراسات في علم الاجتماع القروي، دار النهضة ، القاهرة،[د.ت] ص ص ١١١-١١٢.

(٢) نبيل صبحي حنا. المجتمعات الصحراوية في الوطن العربي، الطبعة الأولي، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤ ص ١١٢ .

والزوجة، وتضم شهودا من أهل الزوج وشهودا من أهل الزوجة وشخصا مختصا "الداية".

- **الدخلة الإفرنجي "الحضرية"**، والتي تختص بالمناطق المتحضرة وتنتشر بين فئات المتعلمين، ففي هذه الدخلة يتم الجماع الشرعي بين الزوج والزوجة، ويتأكد هنا الزوج من عفاف زوجته، وتتأكد الزوجة من قدرة زوجها على المعاشرة الزوجية.

أما في **المجتمع المغربي** على سبيل المثال فتتم هذه العملية بشكل مختلف عن المجتمع المصرى، فبعد دخول العريس على عروسه يخرج الثوب الأبيض وعليه بعض قطرات الدم ويسلمه لأحد الأفراد الذي يلقى به بدوره وسط النساء اللاتي يقمن بانتظاره على أحر من الجمر وإظهاره لجميع الحاضرين، وتتخطفه النساء والفتيات، وترقصن به، وخاصة أهل العروس إعلاءً لمكانة العروس وأهلها لأنها برهنت على شرفها، وبعد فض البكارة والإعلان أمام الحاضرين يُحمل هذا الثوب إلى منزل والدة العروس والتي تعيده بدورها إلى بيت العريس مرة أخرى، ثم يعلق فوق أحد الجدران في البيت حتى يراه كل من يدخل هذا البيت"(١).

وتتم هذه العملية في **مجتمع غرب أسوان** في مصر في ليلة الزفاف ويقوم بها العريس بنفسه ولا يتم إشهار البكارة علناً، إلا أن أهم التقاليد المعروفة في ليلة الزفاف أن يقف شقيق العروس على باب غرفتها ويحاول منع العريس من دخولها، وبعد محاولات من العريس يقبل أخوها دخوله بعد أن يدفع له العريس مبلغ خمسين قرشاً، كذلك تعرف عادات الزواج هناك ظاهرة "فلوس الرضوة" وتتلخص في أن العروس ترفض أن يقترب منها العريس بعد فض البكارة قبل أن يعطيها سلفاً مبلغاً من المال، وهو يدفعه عادة من النقوط الذي جمعها ليلة الفرح محاولاً استرضائها، وإذا لم يعجبها المبلغ تظل على رفضها بحيث يجب أن يزيده حتى ترضى وتسلمه نفسها، لهذا سُميت فلوس الرضوة أو فلوس النطق، وتظل إحدى قريباتها بالباب (غالباً خالتها) حتى تحصل العروس على فلوس الرضوة فتعطيها لها لتسلمها إلى أمها.(٢)

تعتبر عملية الدخول بالعروس وفض البكارة في **المجتمع السعودي** من العمليات الأساسية في الزواج، وتعتبر البكارة من أهم مقاييس الشرف عند المهاجرين، ولهذا تفتخر عائلة الفتاة عند سماعهم بفض بكارة ابنتهم من قبل زوجها ويحتفظ أهل العروس بقطعة من القماش المصبوغ بدم البكارة وعندما يعلم الشباب بالخارج بالزواج يطلقون الأعيرة النارية إشهاراً (لبياض الوجه)، ونلاحظ هناك أن إزالة البكارة له معنى آخر فهو يدل على الرجولة الكاملة ويظهر هذا في نكاتهم وسمرهم حول هذا الموضوع، وإذا لم يقم الشخص بعمله هذا فإن ذلك يقلل من منزلته

---

(١) أحمد النكلاوي. الإنسان والتحديث:قضايا فكرية ودراسات واقعية، ص١١٧

(٢) محمد الجوهري. الأنثربولوجيا: أسس نظرية وتطبيقات عملية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧،ص ص٢٧١-٢٧٣.

ورجولته في اعتقادهم.(١)

ومن المألوف أيضاً في **السعودية** أن تتم عملية فض البكارة بعد ليلة الزفاف بيومين أو ثلاثة حتى يألف العروسان كل منهما الآخر. ويقوم العريس بفض البكارة بنفسه سواء في مجتمع القرية أو المدينة، ويعد هذا انعكاساً للثقافة العامة، ويتم الإعلان عن هذه الممارسات بصورة غير مباشرة يلعب فيها السلوك الرمزي دوراً كبيراً.(٢)

والجدير بالذكر أن ما يميز المجتمعات أبوية النسب أنها تتوقع من النساء أن يحافظن على بكارتهن حتى الزواج ويتوجب على الزوج أن يطلق زوجته حين يجدها عند الزواج قد فقدت بكارتها. وكثير من المجتمعات الإفريقية تنظر للعلاقات الجنسية قبل الزواج باعتبارها مشروعة ولكنها تفرض ألا تصل إلى الجماع الكامل الذي يسبب الحمل، ويرجع سبب ذلك إلى أن هذه المجتمعات ترفض الحمل بدون إذن يمنحه الزواج، كما أن العلاقات الجنسية نفسها تحتاج إلى إقرار اجتماعي.(٣)

ونخلص من هذا بأن لكل مجتمع إنساني قواعد تحدد وتحكم العلاقات الجنسية فيه، كما أن الممارسات الاجتماعية للشرف تختلف من مجتمع إلى آخر ومن مستوى اجتماعي أو طبقة اجتماعية إلى أخرى، أي أن هناك عاملين أساسيين يحكمان هذه الممارسات هما: البعد الجغرافي الثقافي، والبعد الطبقي.

التراث الشعبي والإعلام وقيمة الشرف

يزخر تراثنا الشعبي بالعديد من الأمثال والأغاني والحكايات التي تؤكد قيمة الشرف ودوره في المجتمع ومن هذه الأمثال ما يلي:

" دُور مع الأيام إذا دارت، وخد بنت الأجاويد ولو بارت "

" العزوبية ولا الجوازة العِرة ."(٤)

" إن كان بدك تصون العرض وتلمه.. جوز بنتك للي عينها منه "(٥)

" اللي تحت الطرحة ملهاش فرحة "

(١) عادل عبد الحسين. صراع القيم الحضارية:دراسة أنثربولجية على سكان ضاحية الثورة،رسالة ماجستير غير منشورة، ١٩٦٨، ص٢٣٥.
(٢) أحمد عبد الإله عبد الجبار. عادات وتقاليد الزواج، جدة، ط١٩٨٣،١،ص ص٢٠٠-٢٠١.
(٣) لوسى مير. مقدمة في الأنثربولوجيا الاجتماعية، ترجمة:شاكر مصطفى، ط٢، دار الشئون الثقافية، القاهرة، د.ت.، ص٩٧.
(٤) ثريا إبراهيم علي. العروس تزيينها وتجميلها في التراث الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، ١٩٩٥،ص١٩٠.
(٥) وفاء الخناجري.الأمثال الشعبية في حياتنا اليومية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٦،ص٢٩.

" يا مخلفة البنات يا شايلة الهم للممات "

ومن الأمثلة والمقولات الشائعة والمنتشرة في وسائل الإعلام:

" أحلى من الشرف مفيش "

" لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم "

" ادبح لها القطة في ليلة عرسها "

" شرف البنت زى عود الكبريت "

"الراجل إذا زنى سيف وانجلى..أما البنت فشرفها عود كبريت يولع مرة واحدة بس"

وإذا تناولنا المثل السابق تحديداً بالتحليل لوجدنا أنه يعكس صورة من صور التميز النوعي بين الذكر والأنثى في المجتمع الشرقي، ومن ثم يعكس صورة الجسد في ارتباطه بقيمة الشرف وتمييزه بين الجنسين. وفيما يلي مجموعة أخرى من الأمثال الخاصة بالعذرية والتي ترتبط بقيم الشرف: *" إللي تغوي الشاب الجميل تدفع ثمن كتابة الورقة من عندها "*

" إلبسي واقلعي خف.. لما ما يبقاش في الدنيا ولا خف "

" لا اتجوزت ولا خلي بالي.. ولا أنا فضلت على حالى "

" ألف كتاب ولا زلة "

" يا واخد المره يا مسخرة "

" إخفوا طهوركم واشهروا جوازكم "

" الرجال عابت والستات سابت [(١)]

"اتغربي واكدبى "

" اتغندري وقولى مقدري "

" أخته في الخمارة وعامل أمارة "

" إدلعي يا عوجة في السنة السودة "

" ايش يعمل الترقيع في التوب الدايب "

" دموع الفواجر حواضر " " موت البنت سترة " [(٢)]

---

(١) إبراهيم أحمد شعلان.الشعب المصري في أمثاله العامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢،ص ص٩٣-١٠٤.

(٢) أحمد تيمور باشا . الأمثال العامية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٦،ص ص ١٠-٢١، ٤٨.

من أهم الروايات التي يذكرها الشباب والمرتبطة بموضوع شرف البنت رواية "دعاء الكروان" لعميد الأدب العربي "طه حسين"، والتي تحولت إلى فيلم سينمائي بعد ذلك. ففي هذه الرواية تتعرض "**هنادي**" بطلة الرواية للخداع ويُغرر بها مهندس الري الذي كانت تعمل خادمة لديه، فيكون جزاؤها القتل ومحو العار على يد خالها وذلك وفقاً لتقاليد قومه وثقافة مجتمعه (بني وركان). وهكذا نجد أن قيمة الشرف في المجتمع العربي لها مكانة عليا منذ القدم، وتدفع ثمنها الفتاة التي تفرط في عرضها وشرف عائلتها، وقد جاء على لسان بطلة الرواية "**آمنة**" شقيقة "**هنادي**" البطلة ***"اللي تفرط ملهاش غير القتل"***، وفي هذا القول إيجاز لكل ما تعاني منه الفتاة العربية في المجتمعات الشرقية، فهي التي تتحمل العقاب وحدها لأنها أنثى، تحمل شرف عائلتها ورجال هذه العائلة، وفي هذه الرواية فالفتاة "هنادي" تحمل أيضاً شرف مجتمعها القبلي وهي التي قُتلت ولم يعد لها وجود، ولم يعد يذكرها أحد سوى شقيقتها، وكأن محو جسدها موضع الخطيئة ما هو إلا رمز لمحو العار الذي لحق بالعائلة، أما الرجل الذي غرر بها فقد أحب غيرها وتناساها بمجرد أن اختفت. وهذا لا يمثل المجتمع القبلي فقط، وإنما توجد حوادث قتل أخرى متفرقة لمحو العار في المجتمعات الحضرية والريفية.

تجليات العذرية

تتبدى مظاهر العذرية في بعض الظواهر المرتبطة **بالحديث والحوار**، وما يتضمنه ذلك من موضوعات متاحة وأخرى يعد الخوض فيها محظورا، وأسلوب الحوار، وطريقته ومصاحباته من حركات وإيماءات معبرة ودالة أو غير دالة، كما ترتبط أيضاً بمدى الحرية في الحوار ببعض الموضوعات مع أشخاص بعينهم، وموضوعات أخرى يُحظر الحديث فيها أمامهم أو أمام غيرهم. كما تتبدى في بعض **المظاهر الجسدية العضوية**، وما تشمله من بعض الحركات الجسدية والسلوكية، والمرتبطة بالعذرية، والأخرى الدالة عليها أو الدالة على فقدها.

أولاً: في الحديث والصوت

هناك بعض المظاهر الدالة على عذرية الفتاة والتي يمكن أن تُلاحظ من مواصفات الفتاة، وقد حددت حالات الدراسة هذه المواصفات منها ما **يرتبط بالصوت**؛ كالصوت الهادئ غير المنفعل، والصوت المنخفض، والذي يتسم بالحياء " ***البنت العذراء لازم يكون صوتها واطى وهادى..***". كما أن مخارج ألفاظها يجب أن تكون واضحة بعيدة عن التدلل سواء بترقيق مخارج الحروف أو بالضغط على نهايتها وتوضيحها، "***لازم يكون كلامها واضح مش بتتدلع في كلامها.. وتمط في آخر حرف من الكلمة***"، "***كلامها يبقى دوغرى مش بتتمرقع في كلامها***

وتقول كل كلمة بدلع يلفت النظر ليها.. أو يحبب فيها الشبان، كده زى النسوان المجربة..".
وهناك بعض المواصفات الأخرى والتي ترتبط ببعض السمات الأخلاقية، كالأدب، والخجل والحياء، والانطواء، *"لازم تكون بتتكسف في كل حاجة في حياتها، تتكلم بكسوف وحياء وتحس إنها حتموت من الخجل"، "تحسى إنها مكسوفه من كل حد يكلمها"* ، *"تبقى محترمة وهادية ومؤدبة وخجولة"، "تكون هادية، وتحسى إنها وحيدة عايشة جُوه نفسها"، "البنت اللى متجوزيتش – العذراء – لازم يتحرم عليها الكلام في بعض الحاجات، يعنى ما تتكلمش مع حد في الجواز، ولا في إللى بين الراجل ومراته، ولا تتكلم مع ست مجوزة، أصلهم ماعندهمش خشا ولا احترام في كلامهم"، "يجب أن تتحاشى الحوار في العلاقات الجنسية، وكل ما يخص أمراض النسا، والولادة، والزواج، وأمور الحمل، والاعتداءات الجنسية، والاغتصاب"* ، *"لازم ماتتكلمش في أى موضوع جرئ أو مكشوف... طبعاً لأ لأنها بنت".*

إلا أن نفس الحس الشعبي الذي وضع محظورات أمام موضوعات الحوار والحديث للفتيات العذراوات، هو نفسه يتراجع ليعترف ضمنياً أن هناك تجاوزات خفية على ما تبثه التنشئة الاجتماعية في نفس الفتاة من قائمة الممنوعات والمحرمات، حيث إن هذا الالتزام الظاهري يخفي وراءه عالماً خاصاً –حدوده الفضول والكلام– هذا من وجهة نظر بعض حالات الدراسة خاصة الأمهات منهن *"ماتقدرش طبعاً تتكلم في الكلام ده قُدام أبوها وأمها، أو أى حد من أهلها.. لكن ممكن تتكلم في الحاجات ديه مع واحدة صاحبتها تكون زيها"* ، *"البنت متقدرش تتكلم في المواضيع ديه قدام أمها أو أخواتها الشبان، لكن ممكن تتكلم في المواضيع ديه مع صديقتها في المدرسة، أو الجامعة، أو حتى في الشغل.. لكن حد من أهلها لأ مش ممكن تتكلم في الحاجات دى قدامه دا كان قتلها"* ، *"حتى لو البنت اتكلمت في الموضوعات دى، إللى عيب تتكلم فيها من باب الفضول وحب الاستطلاع على إللى إحنا على طول بنقولها عليه عيب، وقومى من هنا ماتقعديش تسمعى كلام الستات، بيبقى ده مع أقرب صحباتها – صديقاتها – ليها بس".*

بينما كان لأفراد العينة من البنات غير المتزوجات رأي آخر، حيث يوجدن لأنفسهن عالماً سرياً يتم فيه الحديث في كل الموضوعات الممنوعة، ويأتين ببعض السلوكيات الممنوعة أسرياً وذلك في غفلة من الرقابة الأسرية. ***"لأ أنا باحس إن عندى ازدواجية في الشخصية، قُدام ماما كل حاجة ممنوعة وعيب، وبلاقى نفسى طفلة بتتكسف ماتقدرش تتكلم بصوت عالى، ولا تحط إيدها في وسطها، ولا تسأل عن أى حاجة بتصنفها ماما كلام عيب، وموضوعات عيب الكلام فيها.. إنما مع أصحابى وصديقاتى باحس إن أنا واحدة تانيه من حقها تعيش وتتكلم وتسأل في كل حاجة، وبنتكلم في كل المواضيع، وطبعاً بنقرأ في كل حاجة ونتناقش، ولو واحدة ليها واحد صاحبها بتيجى تحكى لنا كل إللى بتعمله وباحس إن أنا إنسانة واثقة من نفسى، ولىّ الحق في***

الحياة وفي المعرفة " ، *"لأ ماما دى طيبة.. حاسة إن أنا العيلة إللى عندها ٧ سنين، إللى ماتعرفش حاجة في دنيتها غير مامتها وبس.. وطبعاً أنا عرفت كل حاجة في الدنيا يمكن أكتر من ماما.. بس طبعاً من وراها والبركة في صحباتى وبنات خالتى الأكبر منى".*

ومواصفات أخرى ترتبط بموضوعات الحديث، حيث يمنع على البنت الدخول في حوارات خاصة بالجنس أو الزواج أو العلاقات الزوجية، حتى وإن كان بهدف الثقافة أو العلم، وقد عبرت بعض حالات المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الدنيا وبعض المتوسطة عن هذا الرأي بأقوالهن: *"البنت العذراء ماتتكلمش أبداً عن العلاقات الجنسية بين الراجل ومراته "* ، *"وكمان العذراء مابتتكلمش في الجنس أبداً عشان إيه تتكلم في الحاجات ديه"، لى ماتتكلمش أبداً في الكلام العيب ولا الخارج عن حدودها.. يعنى ماتتكلمش في كلام الستات الجريئة المجربة وقلة الأدب "، " طبعاً العذراء ماتعرفش يعنى إيه حب ولا جنس ولا الكلام الفارغ ده.. تبقى تتكلم فيه ازاى "*.

وقد يتطرق الأمر إلى الشك في عذرية من تتحدث في مثل هذه الأمور *"لكن فيه بنات مش كويسة بتقعد تسأل عن العلاقة بين الراجل ومراته وإيه إللى بيحصل.. وازاى بتحس، وتلاقيها جريئة كده في الكلام ومش بتتكسف وبجحه، دى بقى تقلقى منها وتخافي.. أصل ممكن يكفينا الشر تكون مش عذراء ومخبية، أو على الأقل جربت كل الكلام ده، أصل إللى بتجرب بتبقى عينها قويه، وبجحه، مش مكسوفة كده وفي حالها "* .

هذا على خلاف آراء حالات المستوى الاجتماعي الاقتصادي المرتفع ومثقفي الشريحة الوسطى، اللائي يُسمح لهن بالحوار والمناقشة في بعض الموضوعات التي حُرّمت على فتيات المستوى الأدنى، وذلك من منطق العلم والثقافة، واستقاء المعلومات الصحيحة *"لأ طبعاً من حقها تسأل في كل حاجة وتتكلم في أى موضوع، عشان تبقى على علم وثقافة ومتفتحة "، أصلها لو أنا ما سمحتلهاش بالحديث ده معايا، حتعرفه من بره وممكن تكون المعلومات دى مشوهه وخاطئة وحتترسب في نفسيتها بعد كده ممكن تعمل لها مشاكل" ، "لازم تتكلم طبعاً في كل التابوهات إللى بتحرّمها ثقافة المجتمع، إذا كنا بنعرضهم لكل أنواع الانفتاح الثقافي والاحتكاك الثقافي وبنسمح لهم بالخروج والسفر كمان، ونيجى نقول بعد كده لأ عيب الكلام ده.. دا يبقى تخلف "، "بالعكس الثقافة مطلوبة، وخصوصاً الثقافة الجنسية مهمة جداً جداً اليومين دول"*. كما أن في المستوى المرتفع غالباً ما تكون الأم صديقة لابنتها، لاغية حواجز الممنوعات والتابوهات، في علاقة قائمة على الاحترام، فيسمح لها بالحوار والمناقشة في موضوعات شتى، وهذا على خلاف المستويات الأدنى.

ثانياً: في الزي والزينة

يعتبر الزي وزينة الجسد أحد العناصر الثقافية المشاركة في تحديد هوية الفرد، وتتنوع أشكال الزي وفقاً لاختلاف المستويات الاجتماعية، وتنوع المواقف المجتمعية، كما يعتبر نمط وشكل الزي في دلالته على المستوي الاجتماعي الإقتصادي دالاً أيضاً على العذرية السلوكية للفتاة، كما يعطي انطباعاً مجتمعياً شعبياً على العذرية البيولوجية.

ففي المستوى الاجتماعي الاقتصادي المرتفع وبعض شرائح المستوى المتوسط نجد أن على الفتاة العذراء أن تعيش المرحلة العمرية الخاصة بها، لتشعر بأنوثتها، وربما تظهر بعض ملامح جسدها، فعليها أن ترتدي الملابس الكاجوال، والموضة السائدة، حتى وإن كانت تكشف عن بعض جسدها، كالبطن أو الظهر، أو جزء كبير من الأرجل كما أن ثقافتها تبيح محظورات الطبقة الدنيا، من وضع الماكياج وخاصة أحمر الشفاه، الذي تعتبره بعض نساء الطبقة الدنيا، إعلانا جنسيا صارخا، أو إعلانا عن الزواج. ***"أنا دايماً باضرب بنتى لما بتحط مكياج وهى رايحة الجامعة، وخصوصاً الرووج الأحمر، هى رايحة تتعلم ولا تعلق عريس "*** ، ***"لأ دا تحطه بعد ما تتجوز لجوزها، مش تعمل إعلان عشان تتجوز "***.

بينما في الشرائح العليا وبعض الوسطى التي تحاكي ثقافة الشرائح العليا، نجد أن هناك تحفيزاً على ارتداء ما يتماشى مع الموضة، ويتضح ذلك من أقوال حالات الدراسة: ***"لأ أنا باشترى لبنتى لبس آخر موضة، أمال حتعيش سنها إمتى "*** ، ***"لأ أنا باحب افرح ببنتى وألبسها كل حاجة جميلة، حتى لو كانت بطنها عريانه، باحب اشوفها بنوته أمورة زيها زى كل صاحباتها في النادى "*** ، ***"طبعاً تلبس كل حاجة وأى حاجة أنا مربياها كويس، وعُمر اللبس ما يقول عن صاحبته كويسه ولا وحشه.. دا تخلف "*** ، ***"أنا إللى دايماً أقول لبنتى حطى مكياج خفيف، عشان تحس إنها كبرت بقى، وتعمل شعرها طبعاً عند الكوافير.. إيه يا اخوانا ده علامة الاهتمام بالنفس من لبس ومكياج وشعر وجمال أما العذرية.. دا موضوع مش مطروح أصلاً"***.

وترغيباً في الاهتمام الشخصي بالتزين والتجميل، فيتم شراء وسائل ذلك من أدوات للتجميل ومساحيق، وكريمات لتليين الجلد، وتحسين شكل الشعر، والاهتمام بالذهاب لمُزين الشعر بشكل دوري ومستمر وهو ما يخالف **الطبقة الدنيا** التي عادة ما تفعل البنت فيها ذلك إما في غفلة من رقابة أمها، أو بعلمها ولكن بغير رضا أو بقناعة غير تامة، وتحت ضغط من ابنتها أو بدافع الحب فقط للابنة. وغالباً ما يتم ذلك بشكل غير دوري وإنما في المناسبات الاجتماعية، وبعض الأوقات المستثناة.

ثالثاً: في الإيماءات والحركات الجسدية

إن شكل حضور الجسد إنما يلعب دوراً أساسياً ومؤثراً في عملية التفاعل الاجتماعي، كما أن بنية الجسد وما تحويه من بعض الجوانب الجسدية المتعلقة بالجمال والقبح، بالطول والقصر، بالنحافة والبدانة تؤثر أيضاً على عملية التفاعل؛ حيث يتحول الجسد إلى قوة في ذاته، ليس ذلك فقط بل إن ما يتمتع به الجسد من حركة أيضاً سواء في طريقة الجلوس، أو تمايلات الجسد أو الإيماءات السريعة المتواصلة أو البطيئة المفردة بالرأس مثلاً تلعب دوراً كبيراً في التأثير على مسار التفاعل وفاعلية الحوار، حيث تكون مدعِمة للتواصل اللفظي، أو مُوحية، أو تجعل الحديث غير فعال وتلعب دوراً في كف الحديث[1].

بما أننا نتناول العذرية هنا كقيمة اجتماعية، فإنها تتداخل معها وتحددها بعض القيم الاجتماعية الأخرى المرتبطة بها، كالحياء والخجل والعيب والفضيلة والشرف والعفة. فإن كل ما يتصل بهذه القيم –والتي يمكن أن نطلق عليها مع بعض التحفظ قيماً فرعية متصلة ومؤدية إلى قيمة أصلية هي العذرية– من سلوكيات تؤدي إلى الامتثال أو الانحراف عنها، ينعكس بالضرورة ويُدلل على مدى الامتثال لقيمة العذرية والشرف، والحفاظ عليها، أو مدى الانتهاك لهذه القيمة وربما رفضها أو فقدها.

ويتبدى ذلك في بعض **الحركات الجسدية** السلوكية، المرتبطة بطريقة جلوس الفتاة، أو أسلوب المشي، أو شكل وطريقة وقفتها، أو في بعض الحركات الخاصة باستخدام الفتاة للأيدي في الحديث، أو التواصل الجسدي عن طريق الأيدي، ففي شكل الأيدي وطريقة استخدامها في الحوار ودلالاتها الاجتماعية، ووظيفتها في الحوار، تكون تعبيراً عن شكل من أشكال التواصل الجسدي أثناء الحوار، وخاصة إذا ارتبطت بطرف ذكوري في الحديث، فإن هذا خير دليل على عدم أدب الفتاة، وعدم حيائها أو خجلها، وعدم امتثالها لقيمة العيب، ومن ثم فإن سلوكياتها تتفق ومعتقدات المستوى الاجتماعي الاقتصادي الذي تنتمي إليه، والآخر الذي تصدر سلوكياتها في نطاقه. ففي المستويات الاجتماعية الدنيا وبعض المستويات الوسطى، يكون ذلك دليلاً على عدم الالتزام والتشكيك في سلوكياتها وتنشئتها، وتنسب هذه التجاوزات في هذا السياق إلى احتمالية

---

(١) أحمد زايد، خطاب الحياة اليومية في المجتمع المصري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ص ١٥٥-١٥٦.

التجاوز أيضاً في الاحتفاظ بقيمة العذرية، أو ربما انتهاكها دون فقدها. "*البنت اللى مش كويسة أو اللى مش بنت تتعرف من طريقة وقفتها، ومن حطها لإيدها كتير على إيد اللى بتتكلم معاه وبتقعد تشوح بإيدها وهى بتتكلم، وتحرك صوابعها كتير.. طبعاً دى بتبقى مش متربية ومعندهاش مشكلة تعمل أى حاجة بقى..*"، "*طبعاً البنت العذراء بتكون خجولة في كل حاجة صوتها، نظرتها، كلامها، ضحكتها، وطيبة وهى عبارة عن ابتسامة، صوتها واطى جداً، نظرتها مكسوفة وقفتها ملمومة وبعيدة عن اللى واقفة معاهم، ومابتستخدمش ايدها في الكلام، وحتى لما تقعد، تلاقيها قاعدة في حتة صغيرة من الكرسى على جنب، ورجليها ملمومة، وكأنها بتحاول تخبى نفسها.... طبعاً هى دى البنت المؤدبة، اللى أكيد بتكون عذراء، وخصوصاً وهى ماشية بتكون زى العسكرى، مش بتتأصع ولا بتدلع*" .

فقد تدل بعض الحركات الجسدية على مدى خجل الفتاة وحيائها ومنه في المعتقد الشعبي لبعض الفئات الاجتماعية يكون دليلا على عذريتها البيولوجية، بالتالي يتضح ذلك في سلوكياتها أو ما أسميناه **بمظاهر العذرية السلوكية الظاهرة**. وذلك يؤكد كلما قلت الحركة وضاق نطاقها بدءاً من استخدام بعض أعضاء الجسد في الحركة، كالأيدي والأذرع والأرجل، ونهاية بحركة الجسد ككل في فعل كالمشى، كما أنه كلما كانت حركة الجسد بشكل طويل ومستقيم دون التواءات كلما دل ذلك على عذرية الفتاة وأدبها، خاصة في أثناء المشي الذي عادة يكون دون أدنى تمايلات أو تدلل، وغالباً ما تطالب الفتاة في تنشئتها بكل هذه السلوكيات حتى تحدد لها طريقة وضع أرجلها بجوار بعضها. "*ماما دايماً كانت بتقولى البنت الكويسة وهى قاعدة تضم رجليها وتبقى لاصقة في بعضها*" ، "*ياه دا أنا ياما اتعاقبت من طريقة مشيتى، وخصوصاً قدم رجلى اللى لازم يكون اتجاهه للأمام أو للداخل وياويلى لو كان لبرة – للخارج – كانت ماما وخالاتى يقولولى انت مالك كده عاملة زى الست (المجوزة) إعدلى رجلك، دى المشية دى تشبهك، وتخليكى سهلة في عنين الشبان*" .

فعلى الفتاة العذراء دائماً البعد عن المدلول الرمزي الأنثوي للحركة والسكون، كدلالة على محافظتها على عذريتها. كما يسود المعتقد الشعبي أن من تباعد بين أرجلها أثناء المشي، أو من تتجه قدمها أثناء السير للخارج فهي فاقدة لعذريتها –سواء داخل نطاق الزواج أو خارجه– فهي تعتاد على مثل هذه الطريقة في المشي، وتعلل إحدى الحالات السبب قائلة: "*بتهيئ لى إن البنت بعد العملية الجنسية – غير المتكاملة– أو بعد فض غشاء البكارة بيكون عندها شوية التهابات وبتحتاج لعلاج عشان تخف، وطبعاً مابتقدرش تروح لأى حد تسأله حتى لدكتور عشان في الغالب أسرتها ماتعرفش، فده بيسبب لها ألم ومشيتها بتتغير، وبتمشى فاتحة رجلها شوية زى ما تكون معوقة كده، ولما تسألها مالك تقولك متسلخة شوية، وبعد كده بتتعود على المشية دى*".

وينساق الاعتقاد الشعبي ليحدد بعض الملامح والمظاهر الجسدية للفتاة التي تعبر عن فقد

عذريتها؛ حيث يوجد علاقة بين كبر حجم ثدي الفتاة وبين تساهلها سلوكياً مع الذكور ومن يتشكك في سلامة عذريتها، ويؤكد الحس الشعبي ذلك بأقوال حالات الدراسة: "*أنا أعرف طبعاً إن اللى ليها خبرة جنسية مع الرجاله والشباب أو حتى لما تتجوز.. إنه بيكبر حجم صدرها بشكل ملحوظ وتلاقى جسمها ردت فيه الدموية وتخنت شوية، ومعظم الناس عارفة كده وبتلاحظه* " ، " *أنا عارفة ده طبعاً بيبان على الصدر أول حاجة تلاقى البنت صدرها كبر فجأة وبشكل ملحوظ، وكمان تلاقى شفّتها التحتانية كبيرة، طبعاً برده كبرت عن الأول* ". وتؤكد ذلك إحدى حالات الدراسة من كبار السن: "*أيوه أنا أمى كانت بتقولى زمان وأنا صغيرة بعد ما بلغت -كنا قاعدين في البلد إعملى كل حاجة واسمعى الكلام الحلو من الشباب بس أوعى يقرب من هنا- وتقصد المنطقة التناسلية – ومن صدرك لأحسن العضلة تفك وصدرك يكبر وتبقى فضحتيك بجلاجل... كنت بأسمع الستات تقول لبناتها إوعى تخليه يلعب في صدرك لأحسن دى فضيحة وكنا بنعمل كل حاجة بس بنخلى بالنا إن إحنا نكون بنات وما يلمسش صدرنا عشان ما حدش يعرف..*" ، " *عايزة أقولك إن أكتر حاجة بتبان في البنت اللى مش كويسة إن صدرها بيكبر وشّفيتها اللى تحت بتبقى مدلدلة وكبيرة.. واحنا طبعاً بنعرفها بالخبرة* ". وينتشر هذا الرأي في الحالات ذات الأصول الريفية، وفي بعض حالات المستويات الاجتماعية الاقتصادية الدنيا، كما لم ترَ بعض الحالات أي ارتباط بين المظاهر الجسدية وبين التعبير عن سلامة العذرية أو فقدها.

هذا على خلاف معتقدات المستويات الاقتصادية والثقافية المرتفعة والمتوسطة، والتي لا تلقي بالاً لهذه السلوكيات "*يعنى لو بنتى قعدت على أيد الكرسى تبقى قليلة الأدب، ولا لو حطت رجل على رجل طبعاً لأ دا تخلف* "، " *الزمن اتغير وكل ده كنا بنسمعه زمان الموضوع ده عمره ما كان بيتاخذ بالشكل ده* "، "*على فكرة مش شرط أبداً إن اللى سلوكياتها العادية خجولة ومؤدبة تكون فعلاً كده ياما الواحد بيتخدع من الشكل .. الرك عل المضمون*".

لقد أكد الواقع المعاش هذا القول الأخير، فإحدى حالات الدراسة ممن فقدن عذريتهن البيولوجية، في أثناء المداعبات الجنسية المندفعة مع الحبيب، كانت ممن يُشهد لهن بحسن الأخلاق، والأدب، والسيرة الحسنة وحُسن التنشئة والتربية، وكان يُشهد لوالديها بحسن تربيتها، ويُضرب بها المثل في الحياء والأدب والأخلاق، وبعد فقدها لعذريتها ظلت سلوكياتها كما كانت سابقاً وظلت هكذا من وجهة نظر الآخرين، وهم على غير دراية بما حدث بها، وهذا يثبت أنه ليس شرطاً أن الاتسام بمثل هذه الصفات والأخلاقيات يكون دليلاً على سلامة عذريتها البيولوجية، ودلالة على أنها عذراء. كما أن عكس هذه المواصفات أيضاً ليس دليلاً على عكس المقولة.

مما سبق نجد أن في الحضور الجسدي للفتيات ودوره في التواصل والتخاطب وما يرتبط به من مظاهر دالة على العذرية، إنما ينتج عنه شكل من أشكال التمايز الطبقي، فعلى الرغم من تواجد الطبقات داخل إطار ثقافي مصري عام، وتعرضها إلى نفس المؤثرات الثقافية، إلا أن الطبقات في مصر يبدو وكأنها تشكل عوالم منفصلة يحاول كل منها أن يدعم حدوده ويعمل على تمييز هويته بأشكال سلوكية مختلفة تعتمد في جزء منها على الحضور الجسدي.[١]

---

(١) أحمد زايد، مرجع سابق، ص٩٤.

الفصل الثامن

العـــذرية بين المحافظة والفقد

التنشئة.. أساليب المواجهة

الفصل الثامن

العــذرية بين المحافظة والفقد

التنشئة.. أساليب المواجهة

التنشئة على العذرية

- معلومات عن القيمة ومصادرها
- النصائح والتوجيهات
- ممارسات الحفاظ على العذرية

الفقد والانتهاك وأساليب المواجهة

- التفضيلات الثقافية والتجاوزات السلوكية
- انتهاك العذرية السلوكية الظاهرة
- فقد العذرية البيولوجية
- أساليب المواجهة والتحديات

التنشئة على العذرية

تحتاج القيمة لكي يمتثل لها أعضاء المجتمع الجدد –الأبناء الأطفال حينما ينتقلون من مرحلة الطفولة إلى البلوغ خاصة الإناث منهم– إلى بعض أساليب التنشئة الاجتماعية الملقنة للقيمة، والمدعمة لها، بل والمحفزة أو المحببة للامتثال بها. والعذرية كقيمة تحتاج إلى هذا فمنذ أن تعي الفتاة لهذه الكلمة ومدلولاتها الاجتماعية فتبدأ الأم وبعض الأخريات في بث بعض النصائح والتوجيهات التي يتم تلقينها للفتاة، إما بشكل مباشر وصريح وعادة يكون في المستويات الاجتماعية الاقتصادية الأدنى، أو بشكل مستمر غير صريح في المستويات الأخرى، وتبدأ صياغة مجموعة من الممنوعات السلوكية للفتاة، وبعض التعديلات السلوكية الأخرى لها، سالكين في ذلك منطق تخطي الفتاة لمرحلة الطفولة، وبداية أولى مراحل الأنوثة والنضج. طالبين وآملين منها الالتزام بهذه القواعد السلوكية الجديدة، في مقابل وضع بعض أشكال للعقاب في حالة عدم الالتزام بهذه القواعد أو الخروج عنها، وبالطبع هذه القواعد والنصائح وأشكال العقاب المواجهة للخروج عنها تختلف من حيث الشدة والصرامة والالتزام من مرحلة عمرية إلى أخرى من مراحل حياة الفتاة.

وقد أكد دور التنشئة الاجتماعية وأهميتها في حياة الفرد وفي استدماجه في النسق القيمي، وفي تحديد قيمه لقواعد السلوك وتضبيط جسده، بعض العلماء مثل "دوركايم" و"بارسونز"؛ حيث تلقن القيم للفرد ليتعلم القواعد التي يجب عليه الامتثال لها والسير وفقاً لها، وتبدأ العملية منذ الصغر وتستمر إلى ما بعد الزواج مما يرسخ القيمة داخله وتصبح قاعدة معيارية يُرد إليها كل فعل وسلوك له.

معلومات عن القيمة ومصادرها

قد كشفت الدراسة الميدانية أن الفتيات غالباً ما يسمعن لكلمة العذرية في سن صغيرة وهن أطفال سواء من أحاديث الكبار أو من خلال المسلسلات والأفلام التي تعرض على شاشات التليفزيون، غير أنهن بدأن في الوعي بمعنى وقيمة العذرية إما في مرحلة البلوغ –ويقصد بها بيولوجياً بداية الدورة الشهرية، حيث يُربط بينها دائماً ثقافياً وبين أنوثة الفتاة– أو إذا حدث موقف عارض للفتاة، أو في حالة بداية ظهور بعض المظاهر الأنثوية على جسم الطفلة ليحولها إلى فتاة كبيرة. وقد تعددت المصادر التي عرفت الفتيات عن طريقها كلمة العذرية، فقد تأرجحت بين الشكل غير الرسمي، والموقف غير المرتب أو غير المقصود، وبين بعض المواقف الرسمية، ومصادر المعلومات الرسمية. وقد وضح ذلك من أقوالهن:

"أنا سمعت الكلمة دى كثير وأنا صغيرة.. بس ماكنتش فاهمة يعنى إيه، أنا شفت فيلم زمان اسمه الزوجة العذراء.. وسألت ماما سَعتِها عن العذراء وقالت لى يعنى البنت الأمورة

اللى زيك..".

غير أن الوعي بالمعنى الحقيقي للكلمة جاء في معظم الحالات في مرحلة البلوغ، وكان مصدر ذلك إما الأم، أو الخالة، أو الجدة *"أنا أول مرة سمعت كلمة عذرية وشرف كان عمرى تقريباً ١٤ سنة، ومن خالتى الكبيرة "* ، *" أول مرة سمعت فيها عن كلمة العذرية والشرف كان عمرى ١١ سنة وكنت عند جدتى بأتفرج على فرح عروسة جارتهم، وكانت دخلتها بلدى وخدوا شرفها ولفوا بيه الشارع وقعدوا يرقصوا ويغنوا، وسألت عن اللى بيحصل وجدتى قالت لى، وكمان ماما قالت لى بعدها الموضوع ده..".*

وجاءت دائماً الأم، أو الخالة أو الجدة كمصدر أول للمعلومة حول موضوع العذرية في المستويات الاجتماعية الاقتصادية الدنيا؛ حيث الحديث في معظم المواضيع بوضوح وبلا حياء، وبلا حاجز بين الأم وبناتها، كما أن ثقافة هذا المستوى الاجتماعي الاقتصادي عمادها قيمة الشرف والعفة والعذرية. عبرت أقوالهن كالآتي: *" هو إحنا حلتنا إلا شرفنا "* ، *"لاجاه ولا مال.. ولا حتى الصحة.. لولا شرفنا كنا في الشوارع ضيعين "* ، *"هما بناتنا حيجوزهم غير شرفهم وسمعة أهاليهم "* ، *"هو حيرضى بيها على إيه على تلال المال، ولا قفة الجمال، ولا جاه أبوها وحَسبه.. يا حسرة دا لولا إننا مربينهم على الشرف والأخلاق، وسمعتنا الحلوة.. لولا البنات بتجوز"*. إلا أنه في معظم حالات الشرائح الوسطى والعليا كانت الصديقات. هن أكثر مصادر المعلومات حول هذا الموضوع وبعض المصادر الرسمية، سواء الكتب المدرسية التثقيفية، أو بعض الكتب الطبية ذات الثقافة الجماهيرية –الكتب الشهرية– *"أنا أول مرة سمعت الكلمة دى كنت في المدرسة في إعدادى، وكانت مدرسة الألعاب بتعلمنا نطة الحصان، وجيه دور بنت صحبتى، ومارضيتش أبداً تلعب ولما سألتها ليه؟ قالت إن أمها فهمتها قبل كده إن اللعبة دى بتأثر على البنات وعلى عذريتهم، ولما سألتها عن معنى الكلمة شرحت لى "* *" أنا كنت في تانية إعدادى وكان لسه مجتليش الدورة، وكنا في المدرسة وجت لنا لجنة من الهلال الأحمر، وكانت جايبة معاهم أولويز –فوط صحية– وبيوزعوها علينا، وكانوا جيبين معاهم كتاب فيه كل حاجة، شرحين فيه تشريح الإنثى وأعضاءها التناسلية كلها وطبعاً غشاء البكارة، وساعتها شرحوا لنا يعنى إيه غشاء البكارة، ومكانه فين، وإزاى الدورة بتنزل وبتتكوّن، وكمان شرحوا لنا تشريح العضو التناسلى الذكرى... وكانت دى أول مرة أعرف يعنى إيه غشاء البكارة، وعذرية..."* ، *"أول مرة عرفت معنى الكلام ده من صاحبتى في المدرسة، وهمّ اللى شرحوا لى لما عرفوا إن انا معرفش أى حاجة وقالوا لى يومها يا جهلة، انت هبلة أمال لما تكبرى شوية حتجوزى إزاى "* ، *" اول مرة قرأت عنها في "مجلة طبيبك الخاص" وأنا في إعدادى تقريباً، وسألت واحدة من صديقاتى أكبر منى شوية وفهمتنى اللى مكتوب في المجلة، وبعد كده فضلت أقرأ المجلة دى لغاية دلوقتى ".*

النصائح والتوجيهات

إذا كانت عملية التنشئة الاجتماعية تبدأ منذ الصغر وفقاً لقيمة العذرية والشرف، فإنها لا تنتهي مع مرحلة النضج والكبر، وإنما هي عملية مستمرة تبدأ فقط بإعطاء الفتيات بعضا من النصائح والتحذيرات في هذا الصدد، ثم تتحول بعد ذلك ومع التقدم في عمر الفتيات والانتقال من مراحل الطفولة إلى البلوغ ثم المراهقة؛ إلى قواعد سلوكية صارمة لا تحتمل الرفض أو الخروج عليها، كما تخضع للعقاب في حالة عدم الالتزام بها. وتشمل هذه النصائح بعض التوجيهات السلوكية المرتبطة بالمعنى البيولوجي للعذرية والمتمثلة في المحافظة على سلامة غشاء البكارة، وبعض التحذيرات السلوكية التي تأرجحت من التحذير من ركوب الدراجات، وركوب الخيل، إلى المنع من ممارسة بعض الرياضات العنيفة، كما ضمت تحذيرات تتعلق بأساليب وطرق النظافة الشخصية، وتنبيهات سلوكية تتعلق بأسلوب الجلوس، والمشي، ومواعيد وأسباب الخروج من المنزل، أو الجلوس مع الكبار، أو محظورات لبعض مواضيع الحديث، أيضاً نصائح حول محاولة التحلي ببعض الصفات. وقد عبرت الحالات عما سبق بأقوالهن: ***"دايماً ماما كانت بتوصينى أكون هادية ومؤدبة، وصوتى واطى في الكلام، ومتخليش حد يلمسك أبدا...".***

"ماما دايماً تقولى خلى بالك من نفسك متتكلميش مع حد في الشارع، متمشيش تبصى على الناس، وشك في الأرض وأنت ماشية في الشارع، أقعدى لمّه رجليك، إلبسى بنطلون تحت هدومك.." كانت عمتى دايماً تقولى ماتمشيش مع حد خالص ولا تخلى حد يمسك إيدك ولو أى شاب كلمك ماترديش عليه.." ، "أنا فجأة لقيت ماما وأنا في إعدادى وسافرنا المعمورة.. رايحة زى كل سنة أأجر عجلة زعقت في وقالت لى لأ إنت كبرت ومفيش ركوب عجل، قلت لها ما أنا كنت باركب الصيف اللى فات، قالت لى اللى فات فات، المهم إنك مش هتركبى عجل مرة تانية، ولا حصان، ومفيش كمان لعب في النادى، ولما سألتها ليه؟ قالت أهو كده، إنت عايزة تضيعى نفسك.. وطبعاً وقتها مافهمتش حاجة وقعدت أعيط.." ، "أقعدى بأسلوب محترم، ونزلى رجلك من على إيد الكرسى، لمسى رجلك وإنت قاعدة، غطى رجلك عيب تبقى زى النسوان كده..".

وعن التحذير من بعض السلوكيات المرتبطة بالحفاظ على العذرية البيولوجية، جاءت النصيحة من الخالة إلى ابنة الأخت: ***"كان تقريباً عندى ١٤ سنة، ولقيت خالتى بعد ما خرجت من الحمام، منفعلة وقالت لى إية فتح الشطافة ده كله خلى بالك إن فتح الشطافة جامد هيعورك ويإذيك وده غلط عليك، وخوفتنى وقالت لى ده ممكن يقطع غشاء البكارة، زى ما بيحصل لبنات كتير بقوا مش بنات بسبب الشطافة دى، وطبعاً جوزك مش ممكن يصدق الموضوع ده، وحيقول إنك بنت بطالة مش كويسة... أصل الراجل الشرقى ملهوش دعوة بالحاجات دية مش بيصدق طبعاً***". وإحدى الحالات كانت تعلب تايكوندو منذ الصغر وفجأة واجهت الفتاة معارضة

الأهل ومنعت من ممارسة هذه الرياضة لنفس السبب؛ *" كنت في فريق التايكوندو وفجأة وأنا عندى ١٢ سنة وكنا عند جدتى وعرفوا خلانى بموضوع اللعبة دي ، وفجأة زعقوا لماما، ولقيت مرات خالى بتقولى أصل اللعبة دى ممكن تأثر على عذريتك وفيه بنات كثيرة حصلها كده من اللعبة العنيفة دي ".*

"وبعد الثانوية العامة كنت عايزة أدخل كلية تربية رياضية، وماما يومها رفضت بشدة وبعدها قالت لى إنت عايزة تقعدى جنبى وتعنسى، محدش حيرضا يجّوزك، أصل كلهم بنات بيفقدوا عذريتهم من التمارين العنيفة في الكلية وخصوصاً تمرين فتح الحوض، وبيدوهم شهادات من الكلية بكده، بس برضك الرجالة ما تضمنشى إنها بعد كده ما مشيتش على حل شعرها ".

كل ما سبق من توجيهات ونصائح –على اختلاف نوعيتها– تشترك في سمة عامة أنها واضحة وصريحة ومباشرة، وهي ما تتداول في الشرائح الطبقية الدنيا؛ حيث الحوار الواضح الصريح مباح، على خلاف الشرائح العليا، التي لم يكن بها في أي من مراحل الحياة نصائح صريحة، بل ربما اكتفت بعض الأمهات بتوجيه بعض النصائح الخاصة بالكبر والتخلي عن تصرفات الطفولة، وكأن هذه السلوكيات هي متطلبات مرحلة عمرية، ومن صفات الرقي للفتاة. *"إنت كبرت ولازم ما تخرجيش بقى غير مع ماما " ، " البت الكبيرة هى اللى تبقى هادئة وصوتها واطى، وراكزة، ومؤدبة.." ، "خلاص بقيتى مودمازيل كبيرة كلها كام سنة وماكفيش على عرسانك لازم طريقة لعبك تتغير، ولبسك، وكلامك.. كل ده لازم يتفق مع كبرك، وتبقى عزيزة وعفيفة حتى في كلامك يا قمر.."* هذا على خلاف بعض فتيات هذه الشرائح العليا اللائي لم يتعرضن لأي من التوصيات والنصائح في هذا الشأن *" أنا عُمر ماما ما قالت لى أى حاجة تخص الجانب ده يمكن لما كبرت وبلغت حسيت إنها بتخاف عليَّ اكثر، وما تحبنيش أغيب عنها كتير بس.." ، "أنا عمرى ما حد قالى أى حاجة أو وجهلى تعليمات بدآ..".*

"الحقيقة أنى لم أتعرض لموقف أخذ النصائح من حد في هذه الأمور، حتى والدتى لم تتحدث معى في مثل هذه الأمور أبداً " ، " أنا ماما عمرها ما قلت لى حاجة خالص غير ما تتأخريش بره، متكلميش شباب لفترات طويلة في التليفون وكده وطبعاً بدون ابداء أى أسباب طبعاً من باب العيب الكلام ده حتى لو كان بين الأم وبنتها".

أما فيما يختص بنصائح الملبس والمفترض أن يكون عليها، تعبر إحدى الحالات قائلة: *" كانت ماما تقولى ما تلبيسيش حاجة تبين صدرك، وغطى رجليك، طولى الفستان أو متلبسهش تانى، ما تضحكيش مع الولاد أو الرجالة عشان مايطمعوش فيك وطبعاً كان الكلام ده في مرحلة المراهقة ولم تربطه أبداً بالعذرية ".*

وهناك حالات ذات سمات شخصية أو ظروف خاصة، إحداها لم يستلزم أبداً أية نصائح أو

إرشادات للمحافظة على العذرية، وهي لإحدى الفتيات التي كانت ذات شخصية استقلالية، عدوانية بعض الشيء، ذات احترام واعتزاز لنفسها، تتسم بردود الأفعال العنيفة تجاه أي سلوك لا ترضى عنه، حتى يصل الأمر بها لضرب من يتعرض لها بمعاكسات، أو سلوكيات حتى لو كانت دعابة، مما عفا -مع تلك السلوكيات- الأم من تلك النصائح والتوجيهات، حيث وجدت أن ابنتها لم تهتم بمثل ما تهتم به الفتيات، أو بأنوثتها، بل إنها تحاول جاهدة من نفسها إخفاء كل معالم أنوثتها، وتحاكي الذكور في تصرفاتهم. *" لا أتذكر أن هناك أى نصائح أو عبارات بعينها كانت تقال لى في هذا الصدد.. ربما لسبب في ذلك إننى دائماً وأبداً وأنا طفلة وفي مرحلة المراهقة كنت أقرب إلى الرجالة والأولاد في تصرفاتهم من البنات، يعنى كنت مسترجلة، ولم أدع الفرصة لأى شخص مهما كان أن يتخطى حدوده اللى ترضينى".*

والحالة الأخرى لعبت ظروفها الأسرية دوراً في تلقيها العديد والعديد من التوجيهات والنصائح الواضحة والصريحة، وإن كان هذا يتفق وانتمائها الطبقي حيث إنها من الطبقة الدنيا، *" كانت عمتي دايماً تقوللى ما تمشيش مع حد ولا تخلى حد يمسك أيدك، أو يحط ايده على كتفك، ولو أى حد شاب أو راجل قالك تعالى نروح حته، أو ندخل أى أوضة، أوعى تروحى معاه، أصل أنا من صغرى كنت بأروح مع أبويا في كل حتة وبندخل كل البيوت، أصله كان مقرئ ضرير، كنت معاه في كل حتة بيروحها، وكنت ساعات بأدخل بيوت مفيهاش حريم كلهم رجاله، وبأقعد معاهم بس، فكانت عمتى تقولى دايماً خلى بالك من نفسك ومتخليش حد يمسكك من صدرك، أو تحت منك إوعى حد يجى تحتك أبداً، تحت منك ده شرفك وشرف أبوكى وشرفنا أوعى يابت، عشان لما تتجوزى وتكونى عروسة تتشرف بيكى وأبوكى يرفع راسه قدام الكل. كانت تقعد دايماً تفهمنى، متفوتيش أى فرصة غير لما تقوللى كلام صريح ومباشر يمكن كل يوم وكل ساعة... دا غير الكلام العادى.. لما تلاقى عندى ستات متقعديش معاهم لو فيه نسوان قاعدة معايا، متقعديش ومن نفسك أدخلى جوة.. ومرة لقتنى بندغ لبانة راحت ضربتنى بالقلم على وشى من يومها حرمت أحطها في بقى إلا بعد أما كبرت واتجوزت ".*

مما سبق نجد هنا أن النصائح كانت واضحة وصريحة ومباشرة، وعلى الرغم من أن الحالة وأسرتها تنتمي إلى الطبقة الدنيا، إلا أنه ربما الظروف الأسرية ونوعية عمل الأب وظروفه الصحية هي التي دفعت العمة -وهي هنا تقوم محل الأم، تلعب دورها في تلقين القيمة؛ حيث إن الأم ماتت منذ زمن- أن تحذر البنت نظراً لإتاحة الفرصة للبنت أكثر من غيرها للتعرض للتحرش والمضايقات، كنتاج لظروفها الاجتماعية وظروف والدها العملية والصحية.

اتضح مما سبق أن الاختلاف الطبقي كان عاملاً مؤثراً في توجيه النصائح والعبارات والتوجيهات، فكلما اقتربنا من الطبقة الدنيا كلما ازدادت التوجيهات والنصائح واتسمت بالوضوح والصراحة والمباشرة، وشابهت معها الشرائح الوسطى، بينما كلما اتجهنا إلى الطبقة العليا، اختفت النصائح وندرت، وحين حدوثها تتسم بالعمومية والسطحية والغموض بعض الشيء،

وظهرت "**قيمة العيب**" خاصة فيما يختص بالحوار والحديث بين الأم وابنتها حول هذه الموضوعات. لقد أظهرت حوارات الحالات أن مثل هذه التوجيهات والنصائح مستمرة ومتواصلة منذ الصغر وخلال المراحل العمرية المختلفة وحتى ما بعد الزواج، إلا أنها أظهرت بعض الاختلاف من حيث الشدة من مرحلة عمرية إلى أخرى، فكلما تقدم العمر بالفتاة، وكلما انتقلت الفتاة من مرحلة الطفولة إلى البلوغ فالمراهقة والأنوثة، ثم وهي على أعتاب الزواج، ازدادت النصائح شدة وصرامة، وتحولت إلى قواعد وقوالب ثابتة وليس أمام الفتاة إلا الامتثال لها، فهناك علاقة طردية بين التشدد في التنشئة وبين التقدم في العمر ودخول المرحلة الأنثوية للفتاة.

واتضح ذلك في أقوالهن: *"طبعاً وأنا بنت صغيرة كنا بنلعب مع الولاد، وكانت كل النصائح ما تلعبيش عروسة وعريس مع الصبيان، ولا دكتور،متخليش حد من الولاد يلمسك عشان كده عيب فاهمة، أما في فترة البلوغ والمراهقة، خرجوني من المدرسة المشتركة ودخلوني مدارس إعدادى وثانوى بنات بس، وممنوع تكلمي الولاد، مفيش قعاد مع الصبيان لا جوه، ولا بره، وفي الجامعة كان فيه تحقيق كل يوم عن كل دقيقة مرت عليَّ واللى حصل فيها، ممنوع تقعودى جنب ولد، أو في المدرج تخرجى من باب الجامعة لو زميلك سألك الساعة كام متردیش، وزادت كل الأمور دى لما اتخطبت، كانت نصيحة ماما دايماً، خلى بالك انتى لما تفرطى في نفسك حتى بلمسة أيد مع خطيبك، حيرميك ويعرف إنك بنت سهلة، وحيسيبك، ولما اتكتب كتابى كانت الممنوعات زى مَهِّى، إوعى يلمسك،... وحتى بعد جوازى... فضلت تقولى إوعى تردى على أى جار ليك يسألك ولا يكلمك ده شرف جوزك ولازم تصونيه"*

وفي حالة أخرى: *"واحنا عيال كان كل شئ جميل والممنوع عنا قليل بعد بداية الدورة الشهرية والبلوغ يقعدوا يقولوا البنت كبرت خلاص ويمنعوها تتكلم مع الولاد ويقولوا لأ ده عيب، وفي إعدادى وثانوى يفصلوا تماماً بينهم، وطبعاً في الجامعة بيكون اختلاط وتبدأ الوصايا العشر، خلى بالك كل واحد منهم داخل الجامعة عشان يعاكس البنات، ويمشى مع كل واحدة شوية وبعدين يرميها، إوعى تكلمى حد، ولا تخرجى مع حد، وكأنهم وحوش مش بنى آدمين".*
"كانت النصايح بتكبر كل لما أكبر وكنت حاسة إن كل ما أتغير وأكبر يحسسونى إنى عار وإن عندى وصمة عار اسمها أنثى واسمها إنى جميلة شوية، كل ما أكبر أحس أن القيد بيخنق على رقبتى، والممنوعات بتزيد، كنت كل ما أحس بأنوثتى ونفسى أحس إنهم بيتعمدوا يقتلوا أنوثتى، كنت بأحس إنهم بيحاربوا في طبيعة خلقنى عليها ربنا وكأنهم بكده حيحولوا نوعى، وكانوا بيصوروا لي الولاد والرجالة زى الوحوش الجائعة، حتنقد على كل فريسة اسمها بنت.. يللا منهم لله عملوا لى عقدة من الخنقة اللى كانوا عملينها عليَّ".

"وأنا صغيرة كان عيب نقعد مع الضيوف، ولما كبرت عيب أكلم الولاد نهائياً حتى لو من البلكونة، حتى لو صحاب أخويا، ممنوع الخروج، ممنوع الضحك ممنوع الهزار...".

وتطورت هذه الإجراءات من حيث الشدة إلى أن وصلت إلى رقابة على التنفيذ والالتزام أيضاً بالامتثال بهذه النصائح والإرشادات.

"كنت حاسة إنها مش مكتفية بالارشادات طول النهار والليل، لكن لما كبرت واتخطبت كانت على دماغى على طول، وأنا لوحدى، وأنا مع خطيبى أو مع صحباتى البنات، كانت بتفتش شنطتى، وكتبى ومكتبتى ودولابى وكل حاجة، وتقعد تسألنى عن الحاجة أكثر من مرة عشان تتأكد، وماكنتش مديانى أى فرصة عشان أغلط لدرجة كنت بأقول لها أنا عايزة أغلط واتعاقب زى كل البنات عشان أعرف إن ده غلط بس ما كنش بيحصل " ، "ماما ابتدت تبقى نصائحها وتوجيهاتها صارمة وشديدة لما دخلت المعهد وبقت بتيجى المعهد من غير ما تقولى، وتشوف أنا قاعدة ولا واقفة مع مين أصحاب بنات ولا ولاد دا غير أسئلتها اللى ما بتخلصش، ولما أقول لها ليه كل ده تقولى بأطمن عليك" ، " دى ماما جت في يوم وحرمتنى من صحبتى الوحيدة عشان لاحظت إنها بتضحك بصوت عالى شوية وهى عندنا فى البيت، وخافت علىَّ منها مع إنها بنت كويسة جداً، واحنا صغيرين كانت هى اللى بتقول كده عليها ".

و في حالة آخري .. " بعد البلوغ للبنت بتبتدى المحكمة ، تتحاكم كل يوم وكل ليلة، وهى صغيرة بيدلعوها شوية، وشدوا عليها شوية، ويفوتوا لها شوية، وكل همهم إن حد يضحك عليها ميخليهاش بنت إنما غير كده مش مهم، بيخافوا م الفضيحة إن حد يمشى معاها، ويحسسها بأنوثتها أو بنفسها، أصل البنت سمعة وسيرة ولازم نخاف عليهم" . " أنا كنت مدلعة شوية لغاية ما دخلت الجامعة وتحول الدلع إلى قواعد صارمة عشان دى مرحلة الاختلاط بالشباب، وكل حقوقى انسحبت منى وبدل منها بقت كلمة لأ وممنوع، مفيش رحلات، مفيش تأخير، مفيش أى أصحاب ولاد " .

وكان من الطبيعي مع هذا التشدد في القواعد السلوكية والقيمة التي يريد المجتمع من الفتاة التمسك بها والامتثال لها أن يطرح في المقابل أشكالا من العقاب للخروج عن هذه القواعد أو التمرد عليها أو عدم الامتثال لها.

"أنا كان كفاية علىَّ أمى بتبص لى بس... كنت أعرف أنى أجرمت وارتبك وأبقى مش عارفة أعمل إيه". "ساعات كانت تخاصمنى لدرجة ما تكلمنيش حتى لو تراجعت عن الخطأ واعتذرت لها.. ماكنتش تيجى تصالحنى أبداً أو تتفاهم معايا.. كان لازم أكون غلط وهى صح وتطول الخصام عشان تضمن إنى مش حعمل كده تانى" ، " في أوقات كثيرة كنت بأضَّرب بالخرطوم أو الحزام من ماما أو بابا أو حتى أخويا الكبير لو بس كلمت أى ولد حتى لو كان جارنا، أو لو أتأخرت بره البيت شوية.. المهم لو عملت أى حاجة غير اللى قالوا عليها ". "أولاً: المنع من الخروج، الحرمان من المصروف، الحرمان من الفسح مع الأصحاب.. لحد ما ترجع عن الخطأ اللى عملته أو لحد ما تتعدل من وجهة نظرهم، ولو ماتعدلتش يبقى بتتضرب".

"كانت ماما بتضربنا.. وما تكتفيش بكده كانت بتخلى بابا لما يرجع من الشغل كمان يضربنا ونتعاقب بالحرمان من الخروج لفترة..".

" دا أنا مرة في فرح صحبتى حطيت كحل و أحمر ولما شفيتنى عمتى حبستنى وضربتنى حتة علقة، خلتنى حرمت بعدها أحط أى حاجة في وشي لغاية لما أتجوزت".

لقد تدرجت أشكال العقاب وشدته وفقاً لنوع الخطأ ودرجته، ومدى تكراره، من اللوم والترهيب إلى الضرب والحرمان مما هو مستحب للفتاة، مثل المصروف، الخروج. والحبس بالمنزل لفترة من الزمن. إلا أن هذا لم يمنع الفتيات من الخروج على هذه القواعد والمعايير السلوكية والقيمية في غفلة من رقابة الأسرة في بعض الأحيان.

ممارسات الحفاظ على العذرية البيولوجية

ناقشنا في الفقرة السابقة القيود السلوكية المفروضة على الفتاة في سبيل المحافظة على أخلاقياتها وقيمها والمتمثلة في العذرية السلوكية الظاهرة من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية، للتحلي ببعض الصفات المعبرة عن بعض القيم المصاحبة للعذرية، أو التى تعد مؤشراً على الاحتفاظ بالعذرية البيولوجية والمحافظة على الشرف.

غير أنه على صعيد آخر ومن خلال عمليات التنشئة الاجتماعية نجد هناك بعض المحظورات السلوكية التي تتعلق بالحفاظ على العذرية البيولوجية، سواء ممارسات يمكن اللجوء إليها أو الامتناع عنها تجنباً لانتهاك العذرية البيولوجية أو فقدها.

يقصد **بالعذرية البيولوجية** وجود غشاء بكارة سليم في الجهاز التناسلي للفتاة، وللمحافظة على هذا الغشاء كان لابد من وجود بعض من المعرفة الطبية أو الشعبية لدى الفتيات عن تشريح الجهاز التناسلي للمرأة، مما يتكون، وأنواع غشاء البكارة، ومكان وجوده، وأساليب وطرق المحافظة عليه، وممارسات انتهاكه أو فقده، وأشكال التحذيرات والنصائح والمخاوف التي تتلقاها الفتيات من خلال القائمين على عملية التنشئة الاجتماعية، على اختلاف وتعدد مصادرها، وما ينتج عنه من اضطراب معلوماتي وتشتت، يؤدي إلى تشويه معلومات الفتاة في بعض الأحيان.

أظهرت نتائج البحث الميداني أن معظم السيدات يعرفن بعض المعلومات البيولوجية عن الجهاز التناسلي للمرأة وخاصة غشاء البكارة، وما يحمله هذا الغشاء من قيمة اجتماعية كبرى، ربما تتوقف عليها حياة بعض الإناث، *"أنا عارفه معلومات كثيرة عن غشاء البكارة وأنواعه الثلاثة، الشبكى والمطاطى والمقفول، وعارفة كمان ان فيه بنات ربنا خلقها من غير غشاء بكارة"* ، *" طبعاً أنا عارفه دلوقت كل حاجة عن غشاء البكارة والعذرية، والمهبل والرحم، إنما وأنا صغيرة وأنا بنت كنت فاهمة أن الغشاء ده زى عود الكبريت، وكأنه حاجة رفيعة*

محطوطه كده في المكان ده، ومش ممسوكة من أى جنب ولو إيدى جت في المكان ده، أو أى حد جه ناحيتى حيضيع منى وابقى أنا ضعت معاه، وشرف أبويا يضيع كمان .. وطبعاً دا كان عبط لأن بعد كده عرفت من جارة لينا ممرضة الحقيقة الطبية للموضوع "(*) ، *" طبعاً أعرف معظم المعلومات دى .. ولازم لأنها ثقافة "* .

لقد تعددت **المصادر** التي استقت منها الفتيات معلوماتهن حول هذا الموضوع، فالبعض كانت الأم هي المصدر الأساسي، والبعض الآخر كانت الصديقات وبعض القريبات كبنات الخالات المماثلات في العُمر، وبعض الجارات، كما لعبت بعض وسائل الإعلام دوراً في هذا المجال، حيث ساهمت بعض الأفلام والمسلسلات في التعريف ببعض المعلومات سواء كانت مبسطة بشكل مباشر حول أهمية القيمة، أو ذكر الشيء فقط، مثل *"أصلها مش عذراء"*. *أو "ابوها راسه في الطين أصل فقدت بكارتها"*. وكان لفيلم **دعاء الكروان** للكاتب "طه حسين"، أثر كبير في لفت نظر الفتيات على اختلاف أعمارهن، لموضوع الشرف، وفقد الغشاء، والاعتداء، والحفاظ على العذرية، كما كان له تأثير كبير في رُعب الفتيات من العقاب الذي ينتظر من تفقد عذريتها في إطار غير شرعي خارج نطاق الزواج، فينتظرها القتل كما حدث مع "هنادي" بطلة الفيلم. *"أنا فاكرة شفت فيلم دعاء الكروان وأنا عندى ٩ سنين وكنت مكسوفة أسأل ماما يعنى إيه، وقالت لى بنت خالتى اللى كان عندها ١٥ سنة وعرفت الكلام ده من خالتى، وبعدها قعدت مرعوبة وخايفة أصل كان فيه جارنا أكبر منى وكان بيلعب فية وأنا ماكنتش عارفة حاجة غير إنى مبسوطة وبألعب معاه وبس، وقعدت أعيط أيام كثيرة وقلت له، وهو طمنى.. بس ما عملتش كده تانى وقعدت كل ما بابا أو ماما يزعقوا لى عشان أى حاجة أو يزعلوا منى كنت بأحس إن بابا حيقتلنى.. وفضلت متعقدة جداً من الموضوع ده ومعقدة من أى راجل يحاول يقرب منى حتى لو في الأتوبيس وحتى لما اتخطبت من خوفي ورعبى، خطيبى قالى مرة انت محتاجه علاج نفسى دا موضوع مش طبيعى معاك، وما أرتاحتش إلا بعد يوم جوازى واكتشفت إنى كنت جاهلة، وجهلى ضيع منى أجمل أيام عُمرى "* .

كما لجأت بعض مفردات الدراسة لاستقاء المعلومات من بعض المجلات والكتب المتخصصة العلمية وغير العلمية، والثقافية والأخرى الاستهلاكية المضللة. فقد استحوذت **مجلة حواء** على اهتمام الفتيات، بمقالاتها الطبية والتي تعالج موضوعات الحب والجنس والعادات الزوجية، ومن الكتب الثقافية المتخصصة، كان كتاب **طبيبك الخاص**، الصادر عن مؤسسة دار الهلال، وهو كتاب طبي تكتب مقالاته وردوده واستفسارات قرائه ومشاكلهم بقلم أطباء متخصصين. وهناك العديد من الكتب الأخرى مجهولة المصدر وبأقلام غير متخصصة،

(*) حالة تبلغ من العمر الآن ٤٦ عاما، غير متعلمة، تنتمي لطبقة دنيا، والتصور الأول للعذرية وغشاء البكارة، استقته من والدتها بعد بلوغها في سن ١٢ سنة، وكان الغرض من هذا التفسير للفتاة هو الترهيب والتخويف للمحافظة والامتثال للقيمة الاجتماعية.

والغرض منها فقط الربح، وغالبا ما تحوي معلومات مغلوطة.

ولعب العامل التعليمي والثقافي دوراً في مصادر استيفاء المعلومات، فكلما ارتفع المستوى التعليمي والثقافي للوالدين لجأت الفتيات لمصادر متخصصة، وكانت أيضا هذه المصادر متاحة لديها وفي متناول يدها وبحرية في التعامل معها وقراءتها. وكلما تدنى المستوى التعليمي والثقافي، كلما لجأت الفتيات لكتب ومجلات الجنس رخيصة الثمن والمعلومة، بل والمضللة، مما ساعد على تشويه معلومات الفتاة وبنائها المعرفي في هذا الصدد. *"أنا بداية معرفتى بالحاجات دى كان كتاب اشتريته من بتاع الجرايد من على الرصيف، كان فيه معلومات رخيصة وغلط جداً، وكان هدفه الغريزة الجنسية وبس.."* ، *" أنا كنت في إعدادى، وكانت ماما بتجيب كتاب طبيبك الخاص وبتحب تقراه، وكنت بأقراه في البداية من وراها، ولما حست بدأت تخرجه من أوضتها وتتعمد تقراه في الصالة وتسيبه بعد كده عشان أشوقه وأقراه.. وعرفت منه كل المعلومات عن الجهاز التناسلى، وغشاء البكارة، وأنواعه والحمل وحتى كل حاجة تقريباً عن العلاقة بين الراجل والست". "أنا اللى فتح مداركى وعرفنى كل الحاجات دى هى القراءة وخصوصا مجلة حواء، خصوصاً باب رجال ونساء، دا كان يتكلم عن كل حاجة تخص الراجل وكل حاجة تخص الست، وكمان كل إلى يخص العلاقة بينهم".*

وليس معنى هذا توحيد مصدر المعلومات لكل فتاة وإنما كان هناك مصدر رئيسي للمعلومات، ثم تتعاون معه بعض المصادر الأخرى، فالحديث مع الصديقات كان عاملاً مشتركاً بين كل مفردات البحث، وبالطبع التعرض لوسائل الإعلام بدرجات متفاوتة.

كما أنه حديثا نسبياً بدأت المناهج التعليمية بالمدارس تهتم بتدريس جزء من التشريح البيولوجي لأجهزة جسم الإنسان بما فيه الجهاز التناسلي للمرأة والرجل.

"دلوقتى البنات يتعرف كل حاجة عن المواضيع دى عشان بيدرسوها لهم في المدارس، ويقروها في كتبهم، بيدرسوها في اعدادى، وبعدين في ثانوية عامة علمى بيخدوها بقى بالتفصيل .. وبيكلموهم في المدارس عن الجهاز التناسلى للست والراجل وتركيبه، لكن احنا زمان مكناش بنعرف حاجه عن الحاجات دى خالص عشان عيب وحرام، وتتكسف البنت حتى تسألنا إحنا أو أى حد تاني ".

ممارسات تأمينية للحفاظ على العذرية

لقد استلزمت المعرفة وعمليات التنشئة الاجتماعية -والخاصة بقيمة العذرية- الحفاظ على المعنى البيولوجي للقيمة؛ حيث شكلت القوة المعيارية للعادات والتقاليد المرتبطة بقيمة العذرية، والشرف عاملاً من عوامل الضغط المستمر على الفتيات في المحافظة على ما تحمله بيولوجياً بضم قيم ثقافية إنسانية لا تخصها في ذاتها فقط وإنما تمتد إلى أسرتها وعائلتها الأكبر، فهي

تحمل شرف والدها وإخوتها الذكور وأسرتها بل وشرف عائلتها أيضا، وفي سبيل هذا الهدف كانت هناك ممارسات تُحَدَد مسبقاً للحفاظ على عذرية الفتيات إما بإتيانها، أو الأخرى بالامتناع عنها.

محظورات على النظافة الشخصية

تحذر الأسر خاصة الأمهات الفتيات من إتيان بعض السلوكيات المرتبطة بأساليب وطرق النظافة، بدءاً من النظافة الشخصية اليومية، فيحظر عليهن الاقتراب من هذه المنطقة التناسلية حتى وإن كان لغرض النظافة إلا في أضيق الحدود، فالنظافة نادراً ما تكون بالماء والصابون، وهي نظافة خارجية في أقل الحدود الممكنة، ووصلت هذه القيود ببعض الفتيات لإصابتهن بالتهابات تناسلية نظراً لعدم النظافة، وتطرق الأمر أيضا لوجود محظورات على ذهاب الفتيات لطبيب أو طبيبة أمراض نساء في هذا الشأن، وذلك لأن العرف الثقافي المصري لا يقر ذهاب العذراوات لهذا التخصص الطبي، والذي يعتبر المختص بعلاج السيدات المتزوجات أو الفتيات فاقدات العذرية، وبالطبع كان هذا المنطق والتبرير.. يختص بالفئات والمستويات الدنيا وبعض الوسطى، إلا أن الشرائح الوسطى كان بها بعض المرونة، فمع اشتداد الحالة تضطر بعض الأمهات الذهاب بفتياتهن لطبيب أمراض النساء، أو تخصص جلدية وتناسلية، وكلما ارتفع المستوى الاقتصادي الاجتماعي، يصبح هذا التصرف مطروحاً كحل للعلاج دون تحفظات أو اعتراض.

" أنا مرة جالى إلتهابات شديده وهرش وقلت لماما خادتنى هى وبابا وراحوا معايا للدكتور.. طبعاً كشف على بطريقة مش حنساها طول عمرى .. وإدالى دوا ومسرهم ووسائل تشطيف وارتحت جداً وما حصلش أى حاجة غير كده"، "أنا بنتى عندها ١١ سنة جالها شوية التهابات عشان كانت بتخاف تتشطف كويس، خدتها لدكتور أمراض النسا بتاعى وبعده ارتاحت جداً" ، وعلى خلاف هذا كانت آراء المبحوثات اللائى ينتمين للطبقة الدنيا ، *" أنا كان ليه صاحبتى في المدرسة الثانوية، كان عندها هرش جامد في عضوها التناسلى، واشتكت لى لأنها خافت تقول لوالدتها، وأنا معرفتش أفيدها ومكنتش أقدر أسأل أمى، سألت بنت خالتى أكبر مننا شوية، قالت لى خليها تقعد في ميه سخنة فيها مطهر اسمه بيتادين، وفعلا البنت عملت كده وخفت، على فكرة هى فكرت تروح لدكتورة أمراض نسا لكن خافت لو راحت ولقيت حد من جيرانها أو حد يعرفها هناك يشوفوها ويقولوا عليها إيه، وهى بنت حيفكروا إنها مش كويسة أو غلطت طبعاً".* وعن محظورات النظافة عبرت إحدى الحالات بقولها: *"أنا لما اباستحمى بأنضف نفسى بميه دافيه بس من بره وبأخاف حتى استعمل الصابون، بس عرفت من صحباتى إن فيه بنات بتنضف نفسها بصابون وبليفه بطريقة جامدة وغبية، ودى طبعاً ممكن تفقدها عذريتها.. وفيه ناس بتقعد في طبق غويط فيه ميه دافيه وسافلون وطبعاً دا ممكن يضرهم وهما مش عارفين".*

"أنا كنت بأخاف استحمى وانا بنت، بأخاف حتى ألمس نفسى أو أغسل نفسى بالصابونة، عمرى ما فكرت أقرب للمنطقة ديه كنت بأخاف تيجى إيدى غلط وأضيع.. لما اتجوزت عرفت أن عندى فطريات وبكتيريا طبعاً من الرعب وعدم النظافة في الحقيقة كل ده من الجهل". أما عملية نظافة إزالة شعر العانة، فهي ممارسة ممنوعة ثقافيا على الفتيات قبل الزواج، وربما تكون إحدى آليات ضبط الجسد والحفاظ على العذرية بكبح بعض الأحاسيس والبعد عما يثيرها، كما أن بعض الأمهات تقنع بناتهن أن هذه الممارسة حرام إجرائها إلا مع الزفاف فقط، وكأن هذا ما يمنع الفتاة من أي ممارسات جنسية حتى وإن كانت غير مكتملة أو هكذا تقنع الأمهات أنفسهن. *"المفروض البنت طول ما هى بنت ما تعملش حلاوة خالص لأن ده حرام – وتقصد إزالة الشعر من منطقة العانة – تعمل بس لما تتجوز" . " لأ دى تبقى قلة أدب لو عملت كده قبل الجواز.. ممكن تستعمل المقص بس يا ستى لو الشعر مضايقها قوى" ، " وأنا لسه بنت طلبت من عمتى أنضف المكان ده، صرخت في وشى وقالت لى عيب عليك تربيتى فيك، ممكن تستعملى المقص، الست بس ممكن تنضف نفسها لجوزها، وانت لما تتجوزى، ويكون دا فرصة ليكى يوم الجواز ولجوزك.. وقالت لى ممكن الشيطان لما يلاقى البنت نضيفة يضحك عليها ويخليها تعمل حاجة في نفسها.. أناخفت قوى وقتها وعملت زى ما قالت لى، وعلى فكرة بعدما اتجوزت وخلفت قلت كدة لبنتى وأقنعتها .. أصل خايفة عليها طبعاً وربنا يستر على كل ولايانا "* .

كما ينبه علي الفتاة ضرورة الاقتصاد في استخدام الماء المتدفق من الشطاف، لأنه في اعتقادهم يمكن أن يفقد الفتاة عذريتها، ويتضح ذلك من أقوال الحالات الآتية: *" دى ماما كانت بتقف لى على باب الحمام ولما تسمع صوت شطاف الميه كانت تقولى كفاية كده خلاص.. حتضرى نفسك... وساعات كانت تقولى خلى بالك" ، "عمتى كانت دايما تقولى مانفتحش الشطافة جامد لحسن تضيعي". "بعدما جتنى الدورة كانت ماما تقولى إوعى تستخدمى الشطاف جامد لحسن تبقى مصيبة بقى انت كبرت وخلى بالك من نفسك "*.

محظورات على الألعاب الرياضة

كما تُمنع الفتاة أيضا في المستويات الاجتماعية الاقتصادية الدنيا وخاصة الثقافية من ممارسة الرياضة البدنية بصفة عامة والرياضات العنيفة خاصة. فوفقاً للمعتقد الشعبي بأن من لديها الدورة الشهرية لا تقرب الماء، خاصة لا تنزل إلى البحر للاستحمام أو حمام السباحة، اعتقاداً منهم بأن نزول الماء يمنع نزول الدورة الشهرية، فيعمل على حجزها داخل الرحم مما يشكل ضغطاً داخليا على غشاء البكارة، مما يمكن معه تهتك وتمزق الغشاء عند اندفاع الدم من

جراء هذا الضغط(*). تمنع الفتيات من ممارسة السباحة بمجرد البلوغ، كما يمنع البعض بناتهن من ممارسة الرياضة بشكل عام، والرياضة العنيفة كالكاراتيه، والجودو والكونغ فو، *"أنا لما جتني الدورة وأنا في أولى إعدادي امتنعت من السباحة اللي كنت باحبها وواخدة فيها بطولات، بحجة إنها حتضرني جدا ولو استمريت مش حاعرف اتجوز".*

"أنا كنت بألعب كونغوفو، وماما كانت سيباني بألعب لكن واحدة صاحبتنا فجأة والدتها منعتها من اللعب وقالت لنا لإنها رياضة عنيفة وبتأثر على غشاء البكارة. وأول ما عرفت إن التمرينات العنيفة بتأثر على الغشاء ده كنت هتجنن وكان فيه دايما وسواس عندي من الجهة ديه وكنت مستعدة أعمل أي حاجة علشان أتأكد إني مفقدش عذريتي نتيجة التمارين، أصلها تمارين عنيفة جدا وقاسية وقعدت أسأل صحابي إزاي الواحدة تعرف إنها فقدت الغشاء يقولوا لي بتعرف لما ينزل منها دم، فيزيد شكي أكثر لأن إحنا ساعات بنلعب وإحنا علينا الدورة وممكن ينزل دم اثناءها ومعرفش الفرق بينه وبين دم الغشاء والله كنت حاموت من الخوف.. وبطلت اللعب وما ارتحتش إلا بعد جوازي". "أنا اتمنعت أدخل كلية تربية رياضية، مع أن مجموعي جابها لي، ورحت معهد لأنهم قالوا لي أن البنات اللي في كلية التربية الرياضية نتيجة التمرينات العنيفة والتدريبات الشديدة بتفقد عذريتهم وبيدوهم شهادة بكده عشان لما تتجوز جوزها يصدق إنها بنت كويسة وده السبب، مش إنها غلطت مثلا ولا بنت مش كويسة". كما تمنع الفتاة من ممارسة رياضة الدرجات والفروسية؛ حيث يحذر عليها ببلوغها ركوب الدراجة، وركوب الخيل لما فيها من تهديد وخطر على عذريتها، كما تمنع أيضا من رياضة الجمباز وما يحويه من تدريب على بعض الأدوات، خاصة الحصان والمتوازيان.

محظورات أخرى

إذا كنا قد تحدثنا سابقاً على القيود المفروضة على الزينة والماكياج، للحفاظ على سمعة الفتاة، وعدم اتهامها بالتسيب من ناحية، وعدم تعرضها لبعض المضايقات، أو المعاكسات مما قد يؤدي معه إلى انتهاك عذريتها، فإن هناك بعض القيود المفروضة على نوعية الملابس بغرض المحافظة على العذرية البيولوجية، فهناك قيود على نوعية الملابس الداخلية؛ حيث يعتقد أن الملابس الداخلية ذات التصميمات الرفيعة الضيقة إنما يمكن أن تحدث احتكاكات داخلية مما قد يحدث تهتكاً لغشاء البكارة(**). كما قد تمنع بعض الأسر بناتها ارتداء مثل هذه الملابس اعتقاداً منها أن الاحتكاك الناتج عن الضيق الشديد أو صغر الملابس ربما يعمل على إثارة الفتاة، مما يلفت نظرها إلى هذه الرغبة، فإما أن تمارس العادة السرية، أو أن تكون لها علاقة جنسية مع

(*) وفقاً لمعتقدات حالات الدراسة المنتميات للشرائح الدنيا.
(**) وهي ما تُعرف بموديلات "البكيني"، و"الفرنش كت".

أحد الرجال. وينطبق هذا على لبس البنطلونات الضيقة وخاصة المصنوعة من الجينز، لنفس التبرير والمعتقد السابق؛ حيث يصل الأمر ببعض الأسر إلى تحريم لبس الجينز لبناتها، والقليل منهم تحرم لبس البنطلونات عموما على الفتيات حفاظاً عليهن وعلى عذريتهن.

"أنا بصراحة كل اللى أعرفه أن البنت المفروض متلبسش بنطلون ضيق ويا ريت متالبسوش خالص عشان ده غلط عليها. . بس لحد دلوقتى معرفش غلط ليه". "فيه أمهات كتير بتقول لبناتها ما تلبسش - ملابس داخلية رفيعة عشان ما تدخلش فيها وتأثر على غشاء بكارتها، " اعتقد أن فيه رأى بيقول أن لبس الجينز الضيق بيأثر على العذرية، وقرأت مرة أنه بيأثر على الخصوبة.. بس مش عارفة صحة الكلام ده إيه.. أهو الواحد بيقول من باب الاحتياط برضه". وفي بعض الحالات كانت الأمهات غير محجبات إلا أنهن قد أوضحن لبناتهن أن الدين الإسلامي يحث على اللبس الواسع الفضفاض، -لبس الحشمة- فقد وظفن هذا الاتجاه الديني لخدمة غرضهن في موضوع العذرية، فإن الملابس المتصفة بالحشمة وعدم تحديد ملامح الجسد ربما تمنع انتهاك العذرية المعنوية، وتحمي الفتاة من التعرض لبعض مواقف التحرش الناتجة عن لبس الملابس الكاشفة والعارية والتي يمكن أن تعرضها لمواقف تؤدي لهتك أو فقد العذرية البيولوجية.

كما تحاول الأسر منع بناتهن من **التعرض لمشاهدة بعض المواقف الجنسية**، أو مواقف الحب والغرام، من خلال وسائل الإعلام المختلفة، منعاً لتعرضهن للإثارة الجنسية، وحفاظاً على عذريتهن المعنوية والبيولوجية. وهي تعتبر محاولة من بعض الأسر لم تلقَ النجاح بعد.

فمع تعدد الوسائط الثقافية والإعلامية، والغزو الثقافي، والانفتاح الإعلامي العالمي، ومع انتشار الأطباق الفضائية وقنواتها، ومع سهولة إتاحة الدخول على الإنترنت، وتعدد الأماكن "الإنترنت كافيه" ومع عصر العولمة والحداثة، أصبح ما تفعله بعض الأسر من فرض القيود الشكلية يعتبر درباً من العبث.

"زمان كان مش ممكن نتفرج على أى حاجة من ديه حتى لو كان فيه فيلم وفيه بوسة كانت أمنا تزعق وتقفل التليفزيون، حتى الأفلام اللى فيها استعراض أو رقص، كانت ممنوعة لأنها مسخرة وقلة أدب.. إنما دلوقت مقدرش أمنع بنتى من الفرجة على الحاجات دى، كفاية الدش واللى عملو فينا، والقنوات الأجنبية كل أفلامها إباحية، ولو قفلت التليفزيون، حتتفرج من ورايا عليها، وحتشوف غيرها على الكمبيوتر، أو أسخم منها على النت "، " احنا زمان لو كان الفيلم فيه بوسة مكناش بنتفرج عليه، دلوقت الأطفال بيتفرجوا على الحاجات ديه أصل ده جيل الدش والإنترنت " ، " المفروض إن البنت متتفرجش على أى حاجة زى كده لأن والله العظيم أغلب البوظان بتاع البنات من الأفلام وأغانى الكليبات، والأجنبى اللى فيه كلهم عرايا ".

بينما في الشرائح الاجتماعية العليا لم تكن هذه القضية بنفس الحدة كما في الطبقات الدنيا

وبعض الوسطى، وإنما تأخذ شكلاً أكثر مرونة، فهي لا تُمنع ولكن يفضل عدم تعرض البنت لها، وإن حدث فمن منطلق المعرفة والثقافة فقط. *" المشاهد المثيرة جنسياً، تثير البنت العذراء وغير العذراء كمان لكن ربما هناك بعض النصائح بأن مشاهدة هذه المشاهد ربما تجعلها تأتى ببعض المشاهد العاطفية الساخنة والمشاهد الجنسية بتضع البنت في مرحلة انضج جداً وأكثر تفتحاً، وكلما كانت الفتاة أكثر تفتحاً ونضجاً أصبحت أكثر حرية وانطلاقاً " . " طبعاً مفيش أم بتتعمد تعرض بنتها للنوعية دى، لكن لوحدث ده بالمصادفة خلاص من باب المعرفة، وعشان ماتبقاش جهلة في وسط أصحابها"، "أنا عارفة طبعاً إن كل الولاد والبنات من بدرى قوى وهما عارفين الحاجات دى ويتعرضوا لمشاهدتها وياريت تبقى على المشاهدة وبس " ، " وإيه المشكلة لما تعيش أحاسيسها "*. ومن قول المبحوثة الأخيرة نجد أن بعض أساليب التنشئة الاجتماعية الأسرية ربما تؤدي بالأبناء –وخاصة البنات– إلى الانحراف بعيداً عن القيمة وانتهاكها. وسوف نتحدث عن هذا الموضوع تفصيلا لاحقا.

وقد تمنع بعض الأسر بناتها من شرب **القهوة والشاي والنسكافيه**، وذلك اعتقاداً منهم بتأثيرها على أنوثة الفتاة، وخاصة على عذريتها، ولم تستطع حالات الدراسة تقديم تفسير لارتباط القهوة بفقد العذرية، وقدمن بعض التبريرات غير ذات أساس علمي مثل: أنها تصيب الجهاز التناسلي للفتاة بحالة من الجفاف وتمنع إفرازات المهبل الطبيعية، كقولهن: *"أصلها بتنشف البنت"، " بتنشف البنات ويتعبوا إجوازتهم بعد كده وهما كمان يتعبوا قوى "*، كما يقدمون تفسيراً آخر يؤدي أيضا لفقد العذرية: *" أيوه فيه مشروبات زى القهوة.. أنا كل الناس تقريباً بيمنعونى من القهوة، عشنها بتمص دم غشاء البكارة، والناس كلها عارفة كده " "لا.. القهوة مش ممكن أبدا اسقيها لبنتى أو بنت غيرى، دى بتمص دم الجسم، ودم الغشاء وبعد كده تبقى من غيره وتضيع وتبقى مصيبة"، "ماما دايما تقول ما تشربيش قهوة لأنها بتنشف الدم، وبعدين ما تعرفيش تتجوزى.. ومعرفش دا معناه إيه بس خفت وخلاص "*.

غير أن هناك أسرا وأمهات وفتيات غير مقتنعات بأثر أي من المشروبات أو الأطعمة على موضوع العذرية البيولوجية *" طبعاً ما فيش أى علاقة بين الأكل أو الشرب أو حتى القهوة وبين غشاء البنات " ، " لا أتذكر أى نوع من أنواع الأطعمة أو المشروبات قد منعت عنها أبدا عدا القهوة وكانت جدتى فقط هى اللى تقول كده، دون ابداء أسباب ولكن أمى لم تمانع في ذلك لأن كل هذه الأشياء أوهام ومعتقدات خاطئة "، " لأ.. دا كلام فارغ " ، " لأ ليه يعنى كل حاجة البنات بتاكلها ومفيش حاجة بتحصل للبنات .. الأكل والشرب ملهوش دعوة "*.

وعلى الرغم من إتيان السلوك وفقاً لقوة المعتقد الكامن خلفه، فإن معظم الحالات تنصح بناتها به وهي مقتنعة بخطئه *" أنا بأمنع بنتى عن القهوة – بأثور لما تشربها، مع إنى كنت باشربها من ورا ماما وأنا صغيرة ودا كلام فارغ .. بس أهو زيادة في الاحتياط "*

" أنا عارفه إن القهوة ما بتعملش حاجة في النبات.. يمكن شوية أنيميا.. بس حنعمل إيه آهو طلعنا لقيناهم بيقولوا لنا كده"، "إحنا بنقول مثلاً إن شرب القهوة بيأثر على دم غشاء البكارة لكن تقولى لمين أنا سمعت كده، لكن أنا مش مقتنعة بالموضوع ده، أنا كنت بأشــرب قهوة وأنا صغيرة ومجراليش أى حاجة، وبنتى بتشربها كتير وأنا باقعد أزعــق لهــا عشــان متشربش القهوة.. رغم إنى مش مقتنعة بالكلام دا لكن زيادة حرص برضه وخوف .. هنعمل إيه بس". وإن دل ما سبق على شيء فإنما يدل على قوة العادة الاجتماعية، وقوة المعتقد الثقافي، حتى وإن كان يتنافى مع إعمال العقل والتفكير العلمي.

كما تؤدي المعلومات المشوهة غير الصحيحة عن العذرية، وغشاء البكارة، وعدم الثقافة الجنسية أو الصحية أو الطبية، إلى الاعتقادات الخاطئة، وأيضا عدم مناقشة المعتقد بــل تناقلــه عبر الأجيال دون مناقشته، أو التفكير فيه ربما يؤدي للامتناع عن بعض السلوكيات العادية غير ذات الصلة بالعذرية، والنصح بعدم إتيانها. واتضح ذلك من بعض أقوال الحالات.. *"ممكن كعب رجلك لو تنتيه تحت منك غلط يضيعك"، " أنا بأزعق لبنتى لما بتقعد وتتنى رجل تحــت منهــا وتقعد عليها، أصل ممكن كعب رجلها يجرح غشاءها وتبقى مصيبة سودة تضــيع نفســها " ، "المنطقة دى حساسة جدا، والغشاء قريب لبره قوى مش زى ما انتوا فاهمين، يعنى لو البــت قعدت على أى حاجة من غير ما تاخد بالها، أو كعب رجلها لو تتنيه وقعدت عليه، ممكن مــن غير قصد يضيعها ومين بقى حيصدق ده، وكمان الشطافة بتاعة الحمام لو اتفتحت جامد ممكن تضيعها، وكما لبس الكعب العالى" ، " طبعاً ممنوع تلبس بناطيــل - بنطلونــات - أخوتهــا الصبيان"، "غلط جدا تستعمل حاجات الستات المتجوزة... ملابس داخلية، فوط ... أى حاجــة من دى .*

ويتضح من أقوال الحالات بهذا الشأن مدى التداخل بين ما هو صحيح ومــاهو خطــأ، وبين ما هي عادات صحية صحيحة يجب الالتزام بها، وبين ما هو مغلوط في هذا الموضــوع. وفي رأي الباحثة ربما يرجع الخلط في المفاهيم، وخطأ المعلومات والاقتناع بها لغياب الثقافــة الصحية والجنسية لدى الأمهات وعليه يكون لدى البنات أيضا، مما يضطرهن للجوء لمصــادر معلومات أكثر خطأً، كآراء الصديقات، والكتيبات الخاطئة التي تحوي معلومات جنســية غيــر علمية، تخاطب الغريزة ولا تخاطب العقل بلغة صحية.

فقد العذرية وأساليب المواجهة

التفضيلات الثقافية والتجاوزات السلوكية

وينتج عن مقتضيات القيمة، وما تستقيه الفتاة من سلوكيات وأفكار مهددة دائما للمعنى البيولوجي للعذرية، وما يبثه المجتمع من مكانة مرتفعة للعذراء على حساب غير العذراء (الأرملة – المطلقة) تجعل الفتاة في حالة من القلق والترقب دائما يستدعي معه التأكد من سلامة العذرية البيولوجية، أو غشاء البكارة، فنظراً لما قد تسلكه الفتاة من تجاوزات باسم الحب أو الرغبة أو الغريزة، أو تجاوزات تخالف بعض المعتقدات الثقافية مع توفر قدر كبير من عدم المعرفة أو الثقافة الجنسية، تجعل معظم الفتيات في قلق من أمر عذريتهن، ربما يُشعرهن بميل للتفكير في التأكد من سلامة عذريتهن، وتكتفي بعض الفتيات بهذا القلق وهذه الرغبة في الاطمئنان دون أن تكون لديهم الجرأة على ترجمة هذا القلق إلى خطوات فعلية، كالذهاب إلى مختص النساء للاطمئنان، كما يفعل بعضهن.

ويحفل التراث الثقافي المصري بالعديد من العناصر الثقافية التي تدعم قيمة العذراء، خاصة في تفضيل الذكور الزواج من "البكر"، أي التي لم يسبق لها الزواج وتحافظ على غشاء بكارتها، إذ كان يصاحب ذلك طقوس ثقافية مرتبطة بإثبات العفة والعذرية. خاصة في المجتمعات الريفية وبعض المجتمعات القبلية، وبعض سكان الحضر ذوي الأصول الريفية، فإحدى حالات الدراسة رغم سكناها الحضر في محافظة القاهرة ومنذ أكثر من عشرين عاماً، إلا أنها أصرت على زفاف ابنتها وفقا لتقاليدها الصعيدية، وهي ما تُعرف "بالدخلة البلدي" وقد عبرت عن ذلك قائلة: ***" طبعاً أنا دخلت بنتي بلدى أمال إيه.. عشان أعمامها وأخوالها وأخوها يعرفوا إنها صانت شرفهم، ويرفعوا راسهم في الحتة والبلد كمان "*** وفي قول آخر لنفس الحالة عما اعترى القيمة ومقتضياتها من بعض التغير. ***" أصلهم في البلد بقوا ياخدوا شرف بنتهم الصبح، يروحوا الصباحية وتدخل أم البنت وأم العريس وستات العيلة عايزين المحرمة بتاعت الشرف، ويخرجوه لرجالة العيلة.. مبقاش حد بيستنى ليلة الدخلة، أو الداية تدخل معاهم.. مش كل الناس بتعمل كده، والأنكت بقى إن فيه عرسان يقولوا لأ دى حاجة بتاعتى أنا بس وأنا أتأكدت ومحدش له دعوة.. ودول بقوا ناس مش قليلة بتعمل كده ".***

كما أن في ثقافة المجتمع المصري إعلاء من قيمة العذراء على غيرها، وقد عبرت حالات الدراسة عن تلك الفكرة بأقوالهن: ***" طبعا من زمان قوى وأنا اسمع كل الناس حواليا وأهلى يقولوا .. طبعاً البنت الشريفة لازم تتشرط دى قيمتها عند اللى يقدرها.. دى بنت بنوت". "البنت دى فرحة دى بتبقى حاجة غالية ما اتلمستش قبل كده.. "، " البنت أهلها يطلبوا مهر غالى عشان متأكدين أن شرفهم متصان.... إنما اللى إداست – تقصد من سبق لها الزواج أو فاقدة العذرية – قبل كده أهلها يحطوا في بقهم جزمة وما يتأمروش ".***

وفي ممارسات الزفاف والاحتفال، وأخذ الشرف إعلاءً لقيمة العذرية، والغريب في الأمر أنه مع قناعات الأفراد بهذه القيمة وإيمانهم بها، فإن آراء حالات الدراسة كشفت عن بعض التناقض القيمي، حيث أظهرن أن الشباب الآن ومع الانفتاح لم يعد مصراً على فكرة الزواج من عذراء، إنما يفضل ذلك فقط. " *يستحسن طبعا أتجوز عذراء بس ده مش شرط ضروري* " . "*أنا معنديش مشكلة اتجوز أرملة أو مطلقة.. المهم معهاش عيال.. وحتساعد في مصاريف الجواز وتأسيس الشقة*"(*). "*على الأقل مش حتبقى ليها طلبات كثير زى البنت اللى بتتجوز لأول مرة*"(**).

" *على فكرة أنا الموضوع دا ميهمنيش أبدا.. وماعنديش مشكلة إن اللى حتجوزها يكون عندها تجارب جنسية قبل كده، في جواز أو مع حبيبها خطيبها.. مش مهم.. أصل مش معقول بعد كم الانفتاح اللى عيشينه، وخروج البنت وسفرها وبياتها بره وتسمح لها تحب وتتعرف، وتتفرج على الدش والنت.. وبعد كده لسه بنتكلم في أنها لازم تحافظ على عذريتها.. دا يبقى تخلف* "(***).

"*متهيألى إن الست الأرملة أو المطلقة فرصتها أكبر في الجواز النهارده، أصل الشباب معهوش فلوس، وعايز مهر وشبكة وشقة وجهاز وعفش، وحاجات كتيرة قوى، والزوجة المطلقة أو الأرملة بتوفر له الحاجات دى كلها .. وما بيغرمش كتير مهو ممكن يكون بيحب بنت ونفسه فيها.. لكن ظروفه متسمحش وميتجوزهاش* ".

يتضح من الأقوال السابقة أن هناك بعض الظروف الاجتماعية، والمتمثلة في العامل الاقتصادي، وارتفاع تكاليف الزواج ربما تمثل عامل تغير في مدى التمسك بالقيمة والإصرار عليه، مما يصيب القيمة الاجتماعية ببعض المرونة، ويزعزع رسوخها.

هذا لا ينفي وجود قاعدة كبيرة من الشباب والأمهات مازالت متمسكة بقيمة العذرية، وبالزواج من عذراء، وقد أكدت الحالات ذلك بقولهن: "*أحاديث الرسول تدعو بتفضيل العذراء على الثيب* "، " *الدين كرم البكر وأعلى من شأنها عن المرأة الثيب في كل حاجة حتى المهر، الطريقة إلى بتتجوز بيها، البكر لازم بولى إنما الثيب بنفسها مش مهم* "، " *الرسول فضل العذراء عن الثيب، العذراء بيكون عندها إخلاص ووفاء لزوجها الأول* ". " *أصل معتقداتنا أن البكر بتكون خبرتها قليلة، متعرفش حاجة فجوزها يعودها جنسياً على إللى عاوزه، مؤدبة أكثر من المطلقة وما تنسيش أن المطلقة دايما بتحوم حواليها الشبهات دايماً* ". "*المطلقة في مصر موصومة بالعار .. هى السبب في الطلاق وأطلقت عشان فيها عيب،وإن ما عندهاش*

(*) قول شقيق إحدى الحالات، لديه ٢٧سنة، طبقة وسطى، تعليم عال، أصوله حضرية.
(**) قول شقيق زوج إحدى الحالات، لديه ٣٢ سنة، طبقة وسطى، تعليم متوسط، أصوله حضرية.
(***) هذا رأي أقارب إحدى الحالات، عمره ٢٩ سنة، طبقة عليا، أصوله ريفية، يعمل طبيباً.

وفاء ولا ولاء، ومش مضمونة .. زىما سابت جوزها الأولانى حتسيب التانى والتالت.."، *"لأ طبعاً هما العذارى خلصوا .. وإن خلصوا ما يتجوزش أحسن*"، "*ليه تكون أول بخته وما يكونش أول بختها .. مش ممكن طبعاً*"، "*دا أنا اتبرا – اتبرأ – منه لوبس فكر إنه يقول كده*". وهنا تظهر العذرية كقيمة معيارية تحكم سلوك الأفراد وتتضح في عملية الاختيار للزواج وتفضيل العذراء البكر كزوجة.

وكنتيجة حتمية للتفضيلات الثقافية، ولممارسات إعلاء قيمة العذرية بالمجتمع، وأهمية فض الرجل لبكارة المرأة، وكأنه إثبات رجولي له ولسيادته بشكل علني -حتى وإن تم ذلك بشكل غير علني في الفعل إنما هو بشكل ضمني معلن ومعروف- على المرأة، كان على بعض الفتيات القلق وربما الرغبة في التأكد من سلامة عذريتهن البيولوجية أو أغشية بكارتهن، مما يجعلهن في حالة من القلق والترقب، تجعل بعضهن تحجم عن فكرة الزواج، أو تنشأ فكرة الخوف المرحلي خاصة بعد فترة الخطوبة وقبل الزفاف ولا يعني هذا دخول الفتاة في علاقة جنسية خارج نطاق الزواج، وإنما ربما دخولها في بعض المداعبات الجنسية غير المندفعة، أو علاقات الحب، أو ممارستها للعادة السرية، أو عدم التزامها ببعض التعليمات والممارسات التي أبلغت بإتيانها -أو الامتناع عنها- للحفاظ على العذرية، مثل -كما سبق أن ناقشنا- شرب القهوة، البنطلون الجينز، الملابس الضيقة، التشطيف العميق، أو الشطاف الشديد، أو الرياضة العنيفة، الجلوس الخاطئ إلى آخره من مظاهر السلوك.

هناك من تُتاح لهن الفرصة والشجاعة للذهاب للطبيب للتأكد "*من كتر الرعب اللى ماما كانت معيشهولى من ركوب العجلة وإنها مش كويسة على البنات، انتهزت فرصة إنى رحت مرة للدكتور عشان كان عندى هرش والتهابات تناسلية، وسألته وقلت له إنا خايفة جدا وحكيت له موضوع العجل ده، وإنى خايفة تكون حصلت لى حاجة غلط.. وبصلى الدكتور بعد ما كشف علىّ ولم يعطينى أى انطباع .. الظاهر قال البت دى هبلة*"..

"*أنا فاكرة في جواز أخت جوزى كان عندها شبه انهيار عصبى وكانت بتعيط باستمرار، ولما سألتها مرضيتش تقولى حاجة، بس عرفت بعد كده إنها راحت للدكتورة مع خطيبها، كان مكتوب كتابها على أساس أنها تعبانة شوية وسألتها عن غشاء البكارة بتاعها عشان تطمّن من أثر لعب العيال قبل جوازها وقالت لها: دا موجود وموجود وكمان من النوع المطاطى ومش سهل قطعه أبداً... وأصيبت بحالة بكاء*".

وأخريات لم تكن عندهن الشجاعة بالذهاب للطبيب للتأكد ولكن الرغبة الملحة في التأكد موجودة، ويمنعهن حياؤهن، أو خوفهن "*الصراحة أيوه.. أنا أول ما عرفت إن التمرينات العنيفة بتأثر على الغشاء ده كنت هتجنن وكان فيه دايما وسواس عندى من الجهة ديه وكنت مستعدة أعمل أى حاجة عشان أتأكد إنى مفقدتش عذريتى نتيجة التمارين، خاصة إن أنا وبنات*

خالتى كنا بنلعب كونغ فو وتمرينات عنيفة وقاسية جداً كنت أقعد أسأل طب إزاى الواحدة تعرف إنها فقدت الغشاء وطبعاً بأسأل أصحابى مش أمى عشان مكنتش أقدر أسألها في حاجة زى كده طبعاً.. والله كنت هأموت من الخوف ونقلت قلقى ده لبنات خالتى وكنت نفسى أروح لدكتورة عشان تطمنى على نفسى.. بس كنت خايفة قوى هأقول لها إيه.. لأحسن تفتكر إنى بنت مش كويسة.. وهأخذ معايا مين .. لحسن حد يشوفنى وتبقى مصيبة، وما اطمنتش إلا بعد جوازى".

" أنا كنت حأتجنن من الموضوع دا .. مرة نزلت عليه نقطة دم لوحدها كده بدون سبب ولحد دلوقت معرفش سببها، وكنت مخطوبة وقعدت أعيط وأقول إزاى دا يحصل، وكنت حتجنن ورحت سألت واحدة صاحبتى متجوزة، قالت لى متخافيش هو إنت عملتى حاجة معاه فحلفتلها إنى معملتش أى حاجة وأنا صادقة فعلاً.. كل اللى بنا ماسكة إيد وبوسة على الطاير.. طمنتنى وقالت لى بلاش تروحى للدكتورة وأنا كنت عايزة بس مترددة.. عشان أطمئن .. طمنتنى وقالت لى أن الوحدة عشان غشائها يتقطع لازم تكو نايمة في وضع معين.. وحاجات كتير لازم تحصل ونقطة الدم ديه مجرد دم زايد أو لخبطة هرمونات أو أى حاجة تانية". "بصى أنا طول عمرى ولغاية دلوقت بصراحة عمرى ما فكرت إنى اطمن على وجود غشاء البكارة.. موجود ولا لأ، بس دايما بأشك إنه يكون سليم، أصل أنا مارست العادة السرية كتير، وحبيت وطبعاً كان فيه شوية حاجات كده بينا.. بس ما عنديش الجرأة أروح لدكتور أسأله ".

وهناك –نظراً لضحالة المعلومات الجنسية والثقافية– من تلجأ لفحص نفسها والنظر في المرآة آملة رؤية غشاء البكارة " ***بصى أنا نفسى كنت اتأكد من القصة دى بس طبعاً حياء أى بنت بيمنعها تروح لدكتور أو تلجأ لأى شخص تانى، عشان كده كنت باقرأ كتير في الموضوع ده في الكتب والمجلات، وكنت بأحاول أبص في المرايا على المنطقة دى يمكن أشوف الغشاء وأطمئن***". وإذا كانت هذه الطريقة لا توضح أي شيء ولا تعمل على طمأنة الفتاة إلا أنها تعكس مدى قلق الفتيات في هذا الشأن ونقص الثقافة الجنسية والطبية. كما نجد أن هناك قلة لم يخطر على بالهن هذا الشأن بهذا الإلحاح والشدة "***طبعاً لأ لأنى كنت متأكدة من نفسى لأنى عمرى ما لعبت مع حد، وكنت بألبس بنطلون على طول تحت هدومى، وكنت عاملة زى الكمين اللى موقفين عليه أمين شرطة، ومكنش فيه حد معايا طول حياتى غير أبويا***" إنها حالة مرافقة لأبيها المقرئ الضرير.

وتقودنا الفكرة السابقة إلى الأسباب التي تؤدي بالفتيات إلى القلق على أنفسهن وعلى عذريتهن، خاصة الجسدية منها والتي تمثلت في المداعبات الجنسية والعلاقات الجنسية غير المكتملة، وممارسة العادة السرية، والعلاقات المثلية، إلى أن تنتهي بالعلاقة الجنسية الكاملة لفتيات خارج نطاق الزواج الرسمي، ونستطيع القول –دون أن يجانبنا الصواب. أن جميع حالات الدراسة قد مرت بأحد المواقف السابقة على الأقل ولو لمرة واحدة، إن لم يكن أكثر من ذلك،

وهذا وفقاً لأقوالهن: *"طبعاً هو فيه واحدة ما حسيتش بنفسها مع ولد أو شاب.. مستحيل"*، *" أنا مش ممكن أصدق إن فيه واحدة على وش الأرض مكنلهاش علاقة بولد في يوم من الأيام أو بواحدة صاحبتها .. دا غير بقى العادة السرية اللى منتشرة قوى بين البنات اليومين دول "*. *" على الفكرة البنات بقى ليها علاقات ببعض .. انتشرت قوى الحكاية دى، والمهم إنه بيحسوا أن كده أحسن ما تبقى ليها علاقة بشاب. وبيقولوا إن ده مش حرام، وإنه تفريغ طاقة وإحساس.. ودى مصيبة "* ، *" تعالى اسمعى حكايات البنات وصحابى، كلهم تقريباً بيعرفوا شباب، يحبوهم بقى بيمشوا معاهم، دول بيروحوا يقابلوهم في شقق، ويعملوا معاهم علاقات جنسية وبيناموا معاهم وهما بنات زى ما هم، وبيشجعوا بعض، وبيعايروا بعض لو واحدة مارضيتش أو قالت لهم حرام أو عيب، يقعدوا يقولوا لها حتعملى علينا شريفة و ...."*

وعن المداعبات الجنسية والعلاقة غير المكتملة التي مرت بها حالات الدراسة أو أخبرت عنها *"كمان فيه بنات بيفرطوا في نفسهم لرجالة صحابهم أو بيجبوهم، وفي لحظة شيطان أو من كتر الكلام الحلو اللى بيزنوا بيه في ودانهم بتتوه وتسيب له نفسها كمان "*. *" فيه بنات كتير بيمارسوا الجنس مع شباب لكن من غير ما يهتكوا أو يقطعوا غشاء البكارة يعنى بيمارسوا من بره أو من بين رجليهم.. ودا بيحصل كتير.."*. *" أنا على فكرة من شغلى، اتعرضت زمان لمضايقات وكنت صغيرة وحلوة وعايزه أحس بإن كل الرجالة عيزانى .. وفعلا مشيت مع ناس كتير بس كنت بأريحهم وأمارس معاهم الجنس من بره بس، عشان أفضل شريفه، ومحافظة على نفسى.. مش معنى إنى رقاصة -راقصة- أبقى بنت ... ومش كويسه..لأ دا أنا لازم أحافظ على نفسى عشان لما أتجوز "* ربما تمارس طبيعة المهنة ونوعيتها ضغطاً على صاحبتها في وقت من الأوقات، لكن الفتاة تكيف نفسها وفقا لمتطلبات الوظيفة أو المهنة بما لا يمس الجانب الفيزيقي لإهدار القيمة. ويؤكد ذلك أيضا قول إحدى الحالات والتي تعمل بائعة في المحلات، وخاصة في كافيتريا لوقت ليس بالقليل *" أنا أول ما اشتغلت كنت بأحس بحاجات من الزباين بتضايقنى وبعد كده واحدة زميلتى عرفتنى إنى ممكن آخذ كل حاجة.. فلوس ومتعة ورضا صاحب الكافيتريا ويمكن مكافأة كمان، وأقضى وقت سعيد وما أفرّطش في نفسى، يعنى أكسب كل حاجة وما أخسرش أى حاجة.. وفعلاً كنت بأعمل كده "*.

" دا لعب عيال واحنا صغيرين لعبة العروسة والعريس.. وبنقلد الكبار"، *" كان جارى وكنا بنعمل كده عشان نتبسط "*، *" كان صاحب بابا وكنا بنعمل كده في البحر وكأنه بيعلمنى العوم"*، *" مع ابن عمى لسنين طويلة، على فكرة كنا بنعمل كده وأهالينا برة .. عندهم أمان كبير ويقولوا الولاد زى الأخوات ما يعرفوش أنه مفيش حاجة اسمها زى الأخوات "*.

" كنت باحب ابن خالتى .. حب سنين وبعدها ماقدرناش إلا واحنا في حضن بعض وقعدنا سنين طويلة نعمل علاقة بس هو كان بيخاف علىّ قوى وحافظ على بنت. الله يرحمه كان جوزى الأولانى ". *" كنت في إعدادى وعرفته وهو في ثانوى وكنا بنتقابل كتير وبعدها بقينا*

نروح شقته ومامته بتكون في الشغل وباباه وأخواته في المدرسة، وطبعا احنا كنا بنزوغ من المدرسة وكنا بنعمل مع بعض حاجات صغيرين بس كلها متعة، يعني كنا بنمارس جنس الصغيرين " . " أنا كنت بأحب واحد وكنا بنخرج ونسافر مع بعض وطبعاً من ورا ماما وبابا، وكنا بنعمل كل حاجة وأى حاجة إلا دخول الأعضاء فقط.. ودا عشان المجتمع والناس، ولازم أكون عذراء لما اتجوز والكلام اللى عامل زى السيف على رقبة البنات ". وبالطبع كان لهن ذلك على اختلاف المراحل العمرية بدءاً من الطفولة وألعابها المختلفة من لعبة "عروس وعريس"، ولعبة "الدكتور" الذي يقوم بالكشف على مريضاته، وتمتد هذه الألعاب حتى نهاية المرحلة الابتدائية وربما بداية الإعدادية ولكن عن وعي منهن و خجل أيضا. ومروراً بعلاقات الحب، والعلاقات الجنسية غير المكتملة المتعددة *" فيه بنات بقى شقية بتعرف الواحد عشان بوسة وحضن، وتقابل التانى عشان يحسس عليها وتقابله في أسانسير عمارة يفضلوا طالعين نازلين، وتشاغل واحد تالت عشان نفس المواضيع وبس لا حب ولا حاجة دى شقاوة وغريزة"*، وممارسة العادة السرية والتي غالبا ما تبدأ بمحاولة اكتشاف البنت لأعضائها وغريزتها، ثم تستمر لإشباع غريزة جنسية واحتياج شعوري، لا تجد له منفذاً شرعياً أو غير شرعي، خاصة في ظل القيم الاجتماعية التي تنشأ عليها الفتيات من قيم العيب، والحرام، ويصبح الجنس تابو، لعدم المساس دون إيجاد مخرج ثقافي أو ديني له، خاصة في ظل ارتفاع تكاليف الزواج وتأخر سن الزواج بالمجتمع.. وتضافر ذلك مع التغيرات الاجتماعية السريعة التي يمر بها المجتمع من انفتاح ثقافي، وعصر العولمة والفضائيات ومحفزات الغريزة المتواصلة والمشعلة لرغبات الشباب الجنسية لا تجد الفتيات -وبعض الشباب- متنفسا لغرائزهن غير هذه الممارسة، *" طب اعمل إيه جواز ومش بإيدى، حب .. ماشى بس أنا باخاف ربنا ومش حأغضبه.. أعمل إيه أموت ما أنا لازم برضه أحس إنى عايشة "*. وتمارس الفتيات العادة السرية على اختلاف مستوياتهن الاجتماعية، سواء الطبقية، أو التعليمية، أو الثقافية، أو حتى درجة الالتزام أو التدين *" أنا كان عندى واحدة في المعهد لابسه خمار ومحترمة جداً ومتدينة ومخطوبة، وكانت بتمارس العادة السرية بشراهة - وكانت مختتنة - وكلمتنى بس في الموضوع ده لإنى برضه مختمرة وبدأت تتكلم معايا عن الموضوع ده، وإنها بتمارسها كل يوم مرة على الأقل، وإن ده مش حرام، بس المشكلة إنها كانت خايفة يؤثر على غشاء بكارتها وعلى علاقتها بجوزها بعد كده..."*. وإنما وفقاً لنمط الشخصية وانتماءاتها نجد مبرراً لهذا الفعل يتسق معها.

ويرجع الاختلاف فقط في تبريراتهن لإثبات هذه الممارسة، وفقاً لانتماءاتهن وثقافتهن المختلفة المكتسبة. ويقودنا ذلك إلى مناقشة قضية مهمة تعالج الانتهاك الذي تتعرض له قيمة العذرية والتي تصل إلى فقد العذرية، وسبل مواجهة هذا.

فقد العذرية وهدر القيمة

انتهينا سابقاً إلى تعرض الفتيات لبعض السلوكيات المنحرفة إما إجباراً؛ حيث كنا أطفالاً غير واعين -كما أن هناك أيضاً تعرض البعض لهتك العرض أو لحالات اغتصاب-(*) أو طواعية بالدخول في علاقات انحرافية مع الجنس الآخر لا تقرها ثقافة المجتمع وقيمه، أو مع نفس الجنس في بعض الحالات القليلة -ومن الغريب أن هذه الجنسية المثلية كانت تتهم بالدخول فيها غير المختتنات، وأن عدم الختان يعد سبباً في إتيان هذه السلوكيات الجنسية المنحرفة، وكشف البحث في حدود حالات دراسته أن من تحدثن عن هذه الممارسة ومارسنها بالفعل كن مختتنات- واتضح لنا أن الفتيات يقدمن على إتيان سلوك تهدر معه العذرية النفسية والسلوكية والأخلاقية، والتي تتخطى قواعد السلوك المقبول اجتماعياً مع احتفاظهن بالقيمة البيولوجية للعذرية، وهي محافظتهن على غشاء البكارة سليماً، بحيث لا ينتهك الجانب الفيزيقي، وإنما تخلين عن بعض مقتضيات القيمة، وبعض القيم المصاحبة والمعبرة عن القيمة البيولوجية، كالحياء، والفضيلة، والعفاف، إلا أن هنا يبرز مفهوم *"الحرام"* وقيم *"الحلال"*، إذ تفرض الإناث ضوابطاً على سلوكهن مع الذكور، بحيث يضعن حدوداً للمسموح به لا يتخطينها، فتخطيها يعني تخطي حدود عذريتهن وفقدها، وهذا الحد يسمى *"الحرام"*، والزنا حيث يحدد هذا المفهوم سلوك *"الإيلاج"* فقط، بينما كل ما هو دون ذلك فهو مسموح به ومصرح في إطار العلاقة غير الرسمية بين الجنسين، وهو المفهوم الذي تم إيضاحه من أقوال حالات الدراسة.

وإتيان ممارسة القيمة وفقد العذرية والتي تتحول في هذه اللحظة إلى شرف يجب أن يتم في الإطار الرسمي، الشرعي والقانوني لها، فتتحول إلى ممارسة في الحلال.

انتهاك القيمة وفقدها

غير أن هناك نمطاً آخر يتمثل في من يهدرن وينتهكن القيمة البيولوجية ويفقدن عذريتهن، فقد يبدأن بإتيان تجاوزات بسيطة ثم تتطور تدريجياً إلى أن تصل لهدر القيمة بيولوجيا، سواء تم ذلك في إطار من الشرعية أو خارج هذا الإطار، كأن تفقد الفتاة عذريتها مع خطيبها أو من عقد عليه قرانها وقبل الزفاف إليه، وعلى الرغم من وجود شرعية دينية في حالة عقد القران، فإن هذا الوضع قبل الزفاف إنما يفتقد للشرعية الثقافية والمجتمعية، غير أنه غالباً ما تعجل الأسرة بإتمام الزفاف علناً لتلافي آثار ذلك، ولضمان إتمام الزواج والزفاف.

(*) لم تجد الباحثة ضرورة للخوض في موضوع هتك العرض أو الاغتصاب في هذا المجال على الرغم من أهميته واعتباره أحد أسباب فقد العذرية، غير أنه يعتبر فقد إجبرت عليه ، وفي هذا المجال نناقش فقد العذرية الطواعية حتى وإن تم عن غير قصد أو رغبة في ذاته.

بينما ما يحدث للفتاة من انتهاك القيمة البيولوجية وفقدها فإنما يعتبره المجتمع جرماً في حق المجتمع والثقافة والدين، بل وأفراد ذلك المجتمع خاصة أسرة الفتاة، حيث تتجاوز الفتاة معايير القيم الأخلاقية وتتخطى الحدود المفروضة لها في علاقتها بالرجل، والتي يقرها المجتمع. وغالباً ما يحدث هذا تحت عديد من المسميات المستحدثة، والتي عبرت عنها أقوال بعض الحالات بتعبيرات مختلفة، مثل ***"إحنا مرتبطين ببعض"*** ، ***"إحنا مخطوبين بس مش رسمي"،*** ***"احنا بيننا وعد وقسم بالزواج"*** ***"احنا متجوزين قدام ربنا"*** ، ***"إحنا بيننا ورقة"*** ، ***"إحنا متجوزين عرفي"*** ، ***" إحنا كنا لبسين دبلة فضة"***(*) والتي تعطي جزءا من الشرعية لأصحابها، حيث تعتبر تبريراً يبعث على الراحة بعض الشيء في نفوسهن فيتم تجاوز المسموح به في العلاقة تحت مظلة مفاهيم تغلف القيمة بستار مقنع تبيح معه هذا الانتهاك(1).

وغالباً في مثل هذه الحالات ما تتدرج الإناث في علاقاتها لتصل إلي حدود بعينها في مساحة محددة لا تتجاوز انتهاك القيمة، حيث يكون فقد القيمة –العذرية– ليس هدفاً في ذاته، وإنما يتم ذلك دون ترتيب أو قصد، فيحدث الفقد في لحظة من اندماج المشاعر والأحاسيس وغياب العقل، وقد عبرت حالات الدراسة اللاتي فقدن عذريتهن عن هذه اللحظة بقولهن: " ***لحظة ضعف "***(**) ، " ***لحظة حب عميق جداً .. لحظة دوبان وعشق "***(***)، ***لحظة غاب فيها عقلنا وانفصلنا عن العالم كله .. عيشنا عالمنا .. حسينا بتوحد .. فعلاً إن إحنا واحد .. وما حسيناش باللى عملناه غير بعد ما حصل "***(****) وجاء الفقد هنا كنتاج لعلاقات حب تحولت لعلاقة حسية وجنسية مندفعة.

وترجع أسباب انتهاك وفقد القيمة إلى العديد من العوامل الاجتماعية في مقدمتها علاقات الحب بين الجنسين في مرحلة عمرية لم تسمح لهم بالتفرقة بين المسموح به والمحظور، ولم تمكنهم من التحكم في المشاعر وضبط الشهوة الجنسية، هذا بالإضافة إلى غياب الرقابة الأسرية. ففي الحالة الأولى، الأب متوفى، والأم تعمل خادمة يوميه في منزل، حيث تتغيب معظم اليوم عن المنزل، وأخ يعمل خلال النهار ويستنفد باقي يومه بالجلوس على المقهى، ويترك البنت بلا رقابة. الحالة الثانية، الأب غائب يعمل خارج البلاد، والأم تعليمها متوسط لا تعمل ولكنها غير ذات دراية أو ثقافة، وبناتها تم تعليمهن في مدارس خاصة لغات، وأصبحن يعشن في ازدواجية طبقية، بين مستوى الأسرة المتدني، ومستوى المدارس اللاتي تعلمن فيها، مما جعل الفتاة تحاكي سلوكيات أفراد هذا المستوى المرتفع لزميلاتها، وتتشبه بهن وبما يتنافى

(*) والدبلة الفضة تعتبر في عالم الشباب والفتيات هي خطوة مرحلية للدبلة الذهبية التي تمثل رمزاً للزواج، وهي تعبير عن ارتباط أكيد بينهما، ودلالة على الجدية في العلاقة والأبدية أيضاً، فهي دليل على ارتباط مقدس مستمر تعطي لكل منهما مجموعة من الحقوق والواجبات.(هذا في الثقافة الشبابية).

(1) آمال عبد الحميد. القيم الأخلاقية للمرأة، مرجع سابق، ص ٢٧٠.

(**) الحالة الأولى طبقة دنيا ٢٠ سنة، تعليم ابتدائي، تعمل خادمة ثم بائعة في محل. وسنرمز لها بالرمز (ف).

(***) الحالة الثانية طبقة وسطى، ١٩ سنة، تعليم جامعي. وسنرمز لها بالرمز (غ).

(****) الحالة الثالثة طبقة وسطى شريحة عليا، ١٨ سنة، تعليم جامعي. وسنرمز لها بالرمز (ن).

مع قيمها وقيم تنشئتها، فنتج عنه ازدواج قيمي، جاء نتيجة التقليد والمحاكاة والقدوة المنحرفة، حيث ساندتها صديقة لها –متزوجة عرفياً من شاب عربي، ساعدتها في معرفة صديقه، وسهلت لها شقتهما للقاء– وأعطت لها مشروعية ذلك الفعل. كما أن **التنشئة الاجتماعية** ذاتها يمكن أن تكون دافعاً لخروج الفتاة عن مقتضيات القيمة أو الانحراف عنها والذي قد يؤدي إلى فقدها وهدرها، كأن ينتج عن قصور في عملية التنشئة ذاتها والناتج عن عدم الدراية بأساليب التنشئة الصحيحة، إذ عادة ما يعلم الفرد قطبي العملية، فيرسخ فيه الصواب والخطأ، المسموح والممنوع، وكأنها أحكام قيمية جامدة تصب في قوالب سلوكية لا تتصف بالمرونة ولا البينية. كما تلقن أيضاً على أنها قيم ثابتة غير متغيرة وغير قابلة للتأثر بأي عوامل وافدة أو خارجية، ولذا لم يعلم الفرد خلال عمليات التنشئة الاجتماعية كيفية الوقوف أمام الضغوط الواقعة على الاحتفاظ بالقيمة، أو مقاومة التهديدات الواقعة عليها. وقد أكد *"روس"* أن الفرد ومن خلال تعلمه لبعض السلوكيات التي لا تخضع لوضع أخلاقي محدد، إنما يتعلم أساسيات السلوك المنحرف عن القيم، والذي يتسم بالمرونة[(١)].

كما يمكن أن تتسم التنشئة الأسرية ذاتها بأنها تنشئة منحرفة، وتتمثل في محاولة التقليد الأعمى للثقافات الغربية، فتنشأ الفتيات على الحرية غير المسئولة، فبعض آباء الطبقة العليا وبعض الوسطى، يعملون على تربية بناتهم على التحرر من القيود التقليدية التي توضع على سلوكيات البنات في المجتمعات الشرقية، ويشجعون بناتهم على الحركة والخروج، وحرية الذهاب للنادي والديسكو وحفلات الأصدقاء والسفر للخارج دون أدنى مسئولية ممكنه، فيصبح الجسد في هذه النوعية من التنشئة جسداً حراً لا يمثل أي عبء على صاحبته، بل هو ملكية خاصة قابلة للمداولة غير المشروطة والحركة غير المقيدة أو بما أنه ملك خاص فهو قابل للتصرف والتداول[(*)]. وتجسدت هذه النوعية من التنشئة في الحالة الثالثة. ***"أنا مامى عمرها ما قالت لي رايحه فين أو جيه منين، أو حتى إتأخرت ليه، أو كنت مع مين .. وعمرها ما اعترضت مثلاً على لبس، أنه قصير أو مفتوح، أو الاستومك ليس*** – وهو الملبس ذو البطن العارية – ***أو على تليفونات أصحابى .. دى عمرها ما عرفت مين أصحابى برغم أنهم بيجوا البيت، بس هي كانت واثقة فيَّ أو مشغولة هي كمان بأصحابها وحفلاتها وسفرها .. احنا عايشين في حرية محدش بيحجر على حد، كل واحد له حياته"***.

كما أن من عوامل عدم التمسك بالقيمة قوة تأثير **رفقاء السوء** التي تجُب قوة التنشئة والوازع الديني، خاصة وأن هؤلاء الرفقاء يعدون من مصادر استقاء القيم، وربما مصادر

---

(١) آمال عبد الحميد. مرجع سابق، ص ٢٧٤.

(*) وهو على خلاف تماماً صورة الجسد في الطبقة الدينا ومعظم الوسطى، حيث يمثل الجسد عبئا يجب أخذه في الاعتبار دائما، والعمل على الحفاظ عليه، فهو في مقام الأمانة لصاحبة، يجب رعايته وصيانته، فهو ملكيه غير ذاتية، إنما ملك للأب ثم الزوج وربما بما أن جسد المرأة يحمل شرف الرجال، فهو ملك الثقافة والمجتمع أيضاً.

تدعيمية لها أو انحرافية عنها، فمع **تعدد مصادر القيم** يحدث نوع من الخلل القيمي حيث يمكن أن تتعارض المصادر في درجة قوة القيمة أو في أهميتها، فحينما تؤكد الأسرة أهمية الحفاظ على العذرية البيولوجية وفي سبيل تحقيق هذا يجب اتباع بعض القواعد السلوكية -العذرية السلوكية الظاهرة. والحفاظ على بعض القيم الأخرى كالحياء والخجل، والالتزام بالسلوكيات التي تحقق هذا الهدف، نجد أن جماعة الرفاق والصديقات تسلك مسلكا آخر يحوي أفعالا وسلوكيات مناقضة للقيمة وللتنشئة عليها، بل ويحاولون تدعيم سلوكياتهم لدى الفتاة والسخرية من سلوكياتها التقليدية، ويشجعونها على مسايرتهن في سلوكياتهن والتي غالباً ما تكون مناقضة للقيمة.

" أنا صحباتى كانوا بيشجعونى عشان أقابل الشخص التى اتعلقت بيه " ، " كنت بأروح اخذ صحبتى من بيتها وأروح لحبيبى في بيته وهى كانت معايا .. أهو حماية برضه .. عشان الجيران ما يقولوش بتروح لواحد في شقته لوحدها " ، " أنا لى صحاب كثير بيروحوا مع أصحابهم شقق ويقضوا وقت ظريف " ، " دا أنا كانوا يسمونى العسكرى عشان بنت دوغرى وكانوا بيحاولوا أروح معاهم وأخرج وأسهر.." كما أن الأم ذاتها وتعاليمها وتوجيهاتها، ونمط تنشئتها للبنت له دور كبير في مدى امتثال البنت للقيمة أو الانحراف عنها، فحينما تقوم الأم بامتداح ابنتها وجمالها، وتشعرها بأنوثتها بشكل مبالغ فيه، إنما تعمل على غرس قيم مخالفة للقيم الأصلية، فهي تجعل البنت تتخلى عن قيم الحياء، والعذرية، وتلتفت لقيم أخرى، مما تستلزم معها غرس مفاهيم وعبارات أخرى مغايرة. كما تعمل الأم على تشجيع البنت بتكوين علاقات مع الجنس الآخر من منطلق انتقاء عريس ***"لازم البنت تكلم دا ودا .. يعنى حتعرف الناس إزاى من باب معرفة الناس والدنيا .. وعشان كمان تتعرف وتلاقى اللى يتجوزها". "مهى لازم تفهم الدنيا .. ولا تفضل خام".***

كما أن عدم **التوافق الزواجي** يعد أحد أسباب انتهاك القيمة بالنسبة للزوجة فتحدث الخيانة الزوجية، و**التشتت أو التفكك الأسري** عاملاً أخر من أسباب انتهاك القيمة وفقدها.

كما تعتبر **وسائل الإعلام** من أكثر وأهم الأسباب المدعمة والمؤدية لانتهاك قيمة العذرية، حيث تؤدي لحدوث صراع قيمي، وأخلاقي. فتمثل ما تعرضه من أساليب ثقافية وافدة، ومحاكاة مصرية لها من خلال الإعلانات ومضامينها الإعلامية، ومضامين الفيديو كليب المحلي المصري الشرقي الآن، أو الغربي الوافد، خطراً أكيداً بل تهديداً خطيراً على استقرار النسق القيمي بالمجتمع، حيث تعرض متضمنات ثقافية وافدة متحررة إلى حد كبير عن بعض القيم الشرقية، مثل قيمة العذرية والعفة والشرف، فتبث أفكاراً تعمل على حدوث توتر فكري وتصدع قيمي. وكذلك الحال في المسلسلات الأجنبية وأفلامها. خاصة حيث ظهور المرأة بشكل يخل بمكانتها في المجتمع المصري، كما تظهر بصورة مخالفة أيضاً لواقعها المجتمعي المصري في الإعلانات، وبعض أغاني الفيديو كليب، والتي تقدم المرأة في صورة سلعة قابلة للاتجار والعرض أيضاً من خلال إتيانها لعناصر سلوكية ذات دلالات جنسية تعمل على إثارة الرغبة

لدى المشاهد، إذ تتزين وتتراقص بشكل لافت للنظر ومحرك للغرائز. ولا يقف الأمر على وسائل الإعلام المحلية، فمع انتشار *"الدش"* والأقمار الصناعية الغربية يحدث خلط قيمي لدى الفرد فيزاوج بين قيم ثقافتين، ثقافة أم مقيدة، وثقافة وافدة متحررة، فيحدث لديه خلط ثقافي أمام الغزو الثقافي الهائل الذي يتعرض له ويحيط به من كل الجهات، فيأتي مسلكه في الحياة بطريقة متحررة وافدة بينما ينشأ أبناؤه بطريقة تقليدية نابعة عن ثقافة وعادات وتقاليد وقيم مجتمعة ***" لأ أنا مش معنى إنى غلطت مع حبيبى وعملت كده أني أسمح لبنتي تعمل كده أو حتى تخرج مع حد دا أنا كنت أقتلها.. لأ طبعاً كل ده ممنوع ومستحيل تتحرك من غيرى أو غير ما أعرف".***

ويختلف تصرف الفتيات في بداية الأمر حين المعرفة به والتأكد من فقد العذرية، ففي الحالة الثالثة، لقد توافق التصرف مع أسلوب التنشئة؛ حيث لم يصبها ذعر ولم تقدم على إخبار الأم أو الصديقة أو أي شخص وإنما اكتفت بالتفكير والتصرف مع شريكها ***" تعاملت مع الموضوع بمنتهى العقلانية، أنا كنت في علاقة حب بكامل إرادتي، ومقدرناش نمسك نفسنا أكثر من كده .. ما نكدناش على نفسنا استمتعنا، وكان كل همنا ما يحصلش حمل .. ورحنا للدكتور عشان أعمل عملية ترقيع معاه .. واللي يضحك أني قابلت واحدة صاحبتنا عند الدكتور كانت عملت العملية خلاص، وعملت العملية خلاص وأهو أنا زى الفل دلوقت "، "طبعاً ما جريتش على ماما وقلت لها ولا حاجة .. ولوين لو عرفت ما اعتقدش كان اللي هتعمله واللى أحنا عملناه حيفرق"، " صحبتى لما قابلناها عن الدكتور ما سأليتناش عن حاجة ولا عن مجينا .. بس هي أكيد فهمت .. لأنه دكتور مشهور بإجراء العملية دى .. ومشهور في الشلة "***. وتؤثر التنشئة في ردود أفعال الحالات تجاه الموقف وفي طريقة التصرف كما اتضح من الحالة السابقة. كما يمكن أن تلجأ الفتاة إلى شخصية تتسم بالثقة والصدق و*"التستر"*، تتمثل في الأم، أو صديقة، أو جارة، وفي أحيان قليلة تلجأ إلى طبيب من تلقاء نفسها.

وفي الحالة الثانية، لجأت الفتاة إلى جارة صديقة أمها، مصدر ثقة وحانية وصادقة، وأم ونظراً لثقافة الفتاة الضحلة، فإنها لم تكن متأكدة من فقد عذريتها. ***"أنا كنت معاه .. وحسيت بحاجات غير كل مرة، ولقيت كده نقطتين دم نزلوا صغيرين، قلت له إيه دا قالى ما تخافيش دا أنت لسه سليمة زى ما أنت، وإن الحاجة دي – غشاء البكارة – لسه موجوده فيك، بس أنت غشاءك مطاط ومش بيجى كده بسهوله .. وأنت كده مراتى قدام ربنا .. بعدها أنا حسيت إن علاقتنا بقت سهلة وخفت قلت له مرة ثانيه قالى نفس الكلام ... خفت أقول لأمى، ورحت لواحدة حبيبتها وسرها كله معاها وقلت لها .. طمنينى خدتنى للدكتور وكشف علي وقالى إن أنا ما بقتش بنت بنوت .. صرخت وعيط، وخادتنى جارتنا في صدرها وقعدت تطبطب على .. وقعدت عندها لغاية باليل وقالت لي لازم أمك تعرف .. وقلت لها بقى باليل".***

ففي الحالة الأخرى الثالثة (ن) سمح لها نمط ثقافتها بالتصرف والذهاب للطبيب وإجراء

الجراحة، بينما في الحالة السابقة، الجهل الثقافي والجنسي وتدني المستوى الاقتصادي الاجتماعي، أدى بها إلى الموقف وجعل منها إنسانه عديمة الحيلة، مما جعلها تلجأ لشخصية تتوافر فيها صفات الأم ولكن أقل حدة منها خاصة أنهم أسرة ذات أصول صعيدية. ***"إحنا عندنا الشرف ما يغسلوش غير الدم وكنت خايفه أمي لو عرفت تقتلني أو أخويا"***. بينما في حالة (غ) فإنها لجأت للصديقة " ***صحبتي الأنتيم، مهي اللي شجعتني من الأول على معرفته، وكنا بنتقابل في شقتها"***. والتي كانت مستودع سرها منذ بداية العلاقة، ولم تعلم الأم بشيء إلا بعد ظهور علامات الحمل واضحة عليها.

بينما جاءت آراء وتصورات حالات الدراسة الأخرى بضرورة لجوء مثل هذه الحالات – حالات فقد العذرية خارج نطاق الزواج– إلى الطبيب في بداية الأمر للتأكد من الفقد، " ***إذا كانت بنت تفكيرها زي تفكيري على طول حتروح للدكتور تتأكد ويصرفها***" وحالات أخرى استنكرت أراءها إخبار الأم أو أي فرد من الأسرة " ***ما أظنش أن فيه واحدة من دول حترمي نفسها في التهلكة وتقول لأهلها أو أمها***"، " ***تلجأ لأقرب الناس إليها مين غير أمها أو أهلها، أصل الأهل في المواقف ديه مهما إن كانت درجة ثقافتهم أو نضج تفكيرهم .. والله لو إيه .. الصدمة بتكون أقوى منهم وما يتحددش ردود أفعالهم***" وهذا الرأى أتى من حالة تنتمي للطبقة الوسطى (شريحة عليا) وعلى درجة مرتفعة من الثقافة، بينما كان رأي حالة من طبقة دينا مخالفاً " ***طبعاً تقول لأمها مهما إن كانت هي الوحيدة اللي ممكن تساعدها وتعرف تتصرف .. لأنها في النهاية أمها وتخاف عليها وحتستر عليها عمرها ما تفضحها .. وممكن تحاول تلم الموضوع عشان ما تخسرش بنتها ولا سمعة عيلتها***". وأكدت معظم الآراء ضرورة اللجوء للصديقات، حيث إنهن كن أكثر الناس تفهماً في مثل هذه الأحوال، ويمكن عن طريقهن إخبار من في يده التصرف والعون بعد ذلك.

وعن رد فعل من تم إخبارهم بذلك، فتحكي والدة الحالة الأولى (ف) قائلة: " ***أنا لما بنتي عملت عملتها السوداء ديه لطمت على وشي وضربتها وشتمتها، بس أنا بنتي مكنتش تعرف لما حصل بينهم اللي حصل قالها إنتي لسة بنت بنوت ومكنتش تعرف إلا لما الدكتور كشف عليها راحت صارخه واتخضيت وبقت طول الليل كانت بتعيط وأنا مكنتش أعرف ليه إلا لما لقيتها بتعيط وحاسه أنها عايزة تقولي لي حاجة وخايفه مني .. بعدين أنا قلت لها ما تنامي يا بنتي، قالت لي لأ أنا مش قادرة أنام. أنا عايزه أقولك على حاجة .. أنا رحت مشوار مع واحدة حبيبتك وكشفت وفلان الفلاني – تقصد الرجل الذى كانت على علاقة معه – فهمني إني مراته قدام ربنا وغلطت معاه وفهمني إني لسة بنت بنوت ...... رحت لطمه على وشي وبقيت أعيط وكان أبني الكبير نايم بره، مدريتش غير إني بركت عليها ومسكتها من زورها مدة لدرجة إني كنت حاموتها في إيدي .. وبعدين سبتها خفت لأحسن أخوها يصحى .. تاني يوم حطيت السكينه تحت دماغي، وكنت مستنيه تنام عشان أدبحها .. أصل لو قلت قدام أبني***

حيتسجن فيها وحابقى خسرت بنتى وخسرت أبنى كمان .. غير الفضيحة طبعاً اللـي حتبقى على كل لسان".

أساليب المواجهة والتحايلات

نظراً لما تمثله قيمة العذرية من مكانة مرتفعة في نسق القيم، بحيث تمثل العمود الفقري للقيم الاجتماعية المصرية، خاصة فيما يختص بالشرف، فكان قديماً عقاب من تنحرف عن القيمة وتهدرها، وتفقد عذريتها، أن توارى التراب وتتعرض للقتل، كما يمكن أن تلجأ للانتحار قبل افتضاح أمرها، أما الآن فقد تراجع القتل إلا في بعض مجتمعات أقاصي الصعيد، وأصبحت تتوارى الفتيات خلف بعض أساليب التحايل على القيمة، كإجراء عمليات إعادة غشاء البكارة – البكارة المصطنعة– وهي باللجوء للطب الرسمي، أو أن تلجأ إلى الزواج الرسمي الموثق، أو الزواج العرفي غير الموثق، أو أشكال أخرى من العلاقات تحت مسمى زواج. أو أن تلجأ لبعض التحايلات الثقافية والشعبية وقت زفافها لتوحي لزوجها بأنها عذراء.

- **القتل ومحو العار**

وبالرجوع للإحصاءات القومية عن جرائم الشرف في المجتمع المصري سواء أكانت الفتاة فاقدة للعذرية فعلاً، أم بدافع الشك في سلوكها ***"يتراوح عدد تلك الجرائم بسبب دفع العار ما بين ٤٢ إلى ٦٣ جريمة عبر أعوام ١٩٩٠ إلى ١٩٩٣ من إجمالي الجمهورية. ويبلغ نسبة متوسط هذه الجريمة ٦% من إجمالي القتل على مستوى الجمهورية .. أما عن محافظة القاهرة فتمثل هذه الجريمة نسبة ٨% من متوسط إجمالي جرائم القتل في المحافظة في الأعوام ١٩٩٠ إلى ١٩٩٣"***[(١)]. فالقتل كان أحد سبل مواجهة فقد العذرية لمحو العار الذي ألصقته الفتاة بأسرتها، وغالباً ما يتم القتل على أيدي رجال وذكور الأسرة –كالأب أو الأخ أو الجد أو العم أو الخال أو أبناء العمومة أو الخئولة– كما جاء على لسان حالات الدراسة ***" طبعاً لازم يغسلوا عارهم بالدم"، " يغسلوا عارهم بإيديهم عشان يعيشوا بعد كده رافعين راسهم".*** وغالباً ما كان يتم ذلك في صعيد مصر وبعض المجتمعات الحضرية. فمن خلال الاطلاع على سجلات قضايا النيابة العامة –ذلك أثناء الدراسة الميدانية– والخاصة بجرائم القتل نجد أن جرائم الشرف ومحو العار تحتل نسبة مرتفعة، ففي إحدى هذه الجرائم[(٢)] قام **الأب بقتل الإبنة" *وذلك بسبب سوء سلوكها بعد أن علم بذلك مسبقاً من أمها، وأنه إزاء عدم امتثالها لأوامره طرحها***

(١) آمال عبدالحميد. القيم الأخلاقية للمرأة، ص ٢٨٠.

(٢) قضايا النيابة العامة رقم ٣٥٠١، لسنة ١٩٩٣ ، دشنا، جنايات قنا .

أرضاً وجثم فوق صدرها وأطبق بيديه على عنقها، وكتم أنفاسها قاصداً من ذلك قتلها، ثم حمل جثتها وألقى بها في بئر مهجورة قريباً من مسكنه. وقد تبين أنه قصد بقتلها التخلص من عاره والانتقام لشرفه الذي لوثته المجني عليها بسبب سوء سلوكها وفجورها وخروجها عن طوعه ."
وفي جريمة شرف أخرى مشابهة ، "*وما أن علم المتهم –الأب– بحمل ابنته سفاحاً حتى ألقى التراب على وجهه، وامتنع عن الطعام والشراب لعدة أيام متتالية همّاً وكمداً وخزياً من العار الذي أصابه بسبب فعلة ابنته الشنعاء؛ وقد تربص المتهم خروج الجميع من الدار يوم الحادث عدا المجني عليها، ثم أشعل النار فيها قاصداً من ذلك قتلها محوا لعاره، وقيدها من يديها وترك النيران تلتهمها ثم خرج إلى حظيرة الماشية، ومكث فيها حتى تأكد من وفاتها ثم توجه إلى الشرطة للابلاغ عن جريمته* "(١)

وفي حالة أخرى قام **أبناء العمومة** بقتل ابنة عمهم لمحو عارهم حين حملت سفاحاً "*لقد تعاون الجناة الثلاثة في قتل امرأة مستها أقاويل تتصل بشرفها وذلك بأن بيّتوا النية، وعقدوا العزم المصمم على قتلها، فقد عُيروا بالمجني عليها بعد حملها سفاحاً، فأجمعوا إرادتهم على قتلها هي ووالدتها لإخفائها عنهم فسق ابنتها، وأعدوا لهذا الغرض سكيناً وساطورين وفأساً، واتفقوا فيما بينهم على خطفها واصطحابها إلى المكان المتفق عليه، فتربصوا بالمرأة الزانية حتى إذا حملتها إليهم السيارة التي اختطفتها، بادرها أحدهم بضربها بساطور على رأسها ورقبتها، وأكمل باقي المتهمين مسلسلهم الإجرامي بالإجهاز عليها ثم إخفاء جثتها بعد تقطيعها وإلقائها في مسقاة للمياه.*" .(٢) من سرد جرائم الشرف السابقة نجد أن شرف الأنثى إنما هو شرف الأب وشرف العائلة ورجالها.

غير أن حالات الدراسة قد لجأن إلى حلول أخرى لمواجهة الفقد تمثلت في الزواج العرفي أو الرسمي، أو إتيان بعض الإجراءات الطبية والتي تتمثل في عمليات إعادة غشاء البكارة، أو إجراء الإجهاض.

- **الزواج**

ويعتبر الزواج أحد سبل مواجهة مشكلة فقد العذرية، سواء كان نمط هذا الزواج موثقاً أو عرفياً، وغالباً ما يكون الزواج حلاً يسيراً بدون مشاكل أو تهرب من جانب الرجل في معظم حالات الفقد بين المخطوبين أو في حالات عقد قرانهما، فيتم الإسراع بالزواج وربما بتقديم بعض التنازلات من جانب مطالب الزواج وتأسيس شقة الزوجية، وفي أحيان أخرى يتم ذلك ببعض التوسلات من الفتيات، حيث إن الفتاة هي المضارة الأولى في الموضوع، ويعتبرها

(١) قضايا النيابة العامة رقم ٥١٥٨، لسنة ١٩٩٧ ، جنايات قنا .

(٢) قضايا النيابة العامة رقم ٤٥٢١، لسنة ٢٠٠٠، جنايات قنا .

الشاب هي المخطئة الأكثر إثماً وعليها تحمل التبعات حتى وإن كان يجمعهما الحب، أو علاقة رسمية، غير أن الثقافة الشرقية دائماً ما تدين الإناث على حساب تبرئة الرجال، حتى إن القانون المصري في حالات الزنا، يعتبر الفتاة هي المدانة، ويتعامل مع الرجل على أنه شاهد[1] على الواقعة وغير مدان، وهو ما يتفق والنظرة المجتمعية للمرأة دائماً على أنها أصل الأثام، وعليها يقع عبء شرف الأسرة والرجل وربما المجتمع بأكمله.

وغالباً في مثل هذه الحالات ما يلجأ أهل الفتاة إلى الاستعانة ببعض الأفراد أو بشخص من مواصفاته الحكمة والحزم، ومشهور عنه قوة الشخصية والتقوى أو شخص ذي نفوذ وسلطة وإذا فشلت مساعيه ربما يتم اللجوء إلى شخص يتصف بالقوة أو البلطجة أو أن يقوموا باللجوء في نهاية الأمر لإبلاغ الشرطة، وإن كان الكثيرون لا يقومون باللجوء لهذا الاختيار الأخير خوفاً من الفضيحة، والعار، ومحاولة للمحافظة على السمعة.

وقد لجأت والدة **الحالة (ف)** إلى إحدى جارتها وصديقتها الحميمة، وهي نفس الشخصية التي لجأت إليها الفتاة حينما فقدت عذريتها، وهي من صاحبتها للطبيب للتأكد من فقد العذرية، ولبذل مساعيها لإقناع الرجل للزواج من الفتاة.

" كنت حاموتها في الأول وبعد كده لما رجعلي عقلي، الست جارتي حبيبتي راحت كلمته جامد والتاني قال لها .دى غلطتي وأنا حاصلحها زى ما أنتم عايزين، وطبعاً عشان ما حملتش كان لازم أستر عليها وألم الموضوع حتى عن أخوها الكبير وأعمامها والجيران وكل الناس أصل لو معملتش كده مش حينوبني غير فضيحتنا هنا وفي الصعيد والعيال إخواتها حيشيلوا عارها .. ومدام حيصلح غلطته أحاول أنا ألم الموضوع أحسن من الفضايح، دا ربنا أمر بالستر .. والحمد لله حبيبتي دى عرفت تقدر عليه وتخليه يجى يتقدم لأخوها .. صحيح كل حاجة اتعقربت بعد كده بس المهم اتجوزها رسمى في الأخر".

أما في حالة (غ) فكانت العقبات أكثر، حيث الأب يعمل في دولة عربية، وغير متواجد، والشاب نفسه يحمل جنسية عربية غير مصرية؛ حيث ترفض معظم الأسر المصرية زواج بناتهن من جنسيات مختلفة غير الجنسية المصرية، ***" ابن بلدها أولى بيها"، اللي تعرف عاداته زينا أحسن من اللي متعرفوش "، ابن بلدها حيصونها مش حيهينها مهما إن كان"، متعرفش دا ممكن يعمل فيها إيه "***. وقد اكتشفت الأم حمل ابنتها، ولولا ظهور علامات الحمل الفسيولوجية الواضحة بعد أن تخطى حملها الشهر الرابع، ما علمت الأم من أمر ابنتها شيئاً، وبعد تخطي الأم للصدمة الأولى، وعقاب البنت بالضرب والإهانة والشتيمة، وهروب الابنة والذهاب إليه بعد قيام الأم بحبسها في المنزل إلى أن يفصل الله في أمرها، لجأت الأم لرجل فاضل مشهور عنه الحكمة والحزم والثقافة والعلم والتدين، وتقابل مع الشاب وبعد مناقشات وأيام

---

(١) المادة (١٧)، قانون العقوبات المصري.

كان الشاب يصر خلالها أنه متزوج عرفياً من الفتاة وهذا يكفي، وباطلاع هذا الرجل على ورقة الزواج العرفي، اكتشف أنها غير موثقة، والشهود عليها هم صديق الشاب وصديقتها وهذا يتنافى مع الشرع ومع القانون المدني، وانتهى الأمر مع الشاب على ضرورة أن يتقدم إلى والد الفتاة، كأي شاب يتقدم لفتاة يطلب زواجها. وتدخل هذا الرجل مرة ثانية في إقناع والد الفتاة حينما تقدم الشاب له بالموافقة وعمل على تذليل كل العقبات في هذا الصدد حتى تم الزواج الرسمي. في نفس الأثناء ودون علم أحد اصطحبت الأم ابنتها إلى خالتها في الإسكندرية حيث أجرت لها عملية إجهاض بعد أن تخطى جنينها شهره الرابع، ورفضت عملية إعادة الغشاء لها. ***"لولا الحاج .. ما كنتش عرفت أجي ولا أروح معاها، أصلها دايما بتحسسني إنها مثقفة وفاهمة كل حاجة أكثر منا، وبعدين المدارس الفرنساوى اللي اتعلمت فيها خلتها تعيش عيشة تانيه وعندها طموحات كلها مادية .. هو الحاج .. اللي خلاه يتجوز البنت ولولاه ما كنتش اتجوزت .. دا لو أبوها كان عرف والله كان قتلها وقتلني معاها .. دا أصله صعيدى والشرف عندهم أهم من ضناهم .. ربنا يكرم الحاج ويسترها عليه وعلى أهل بيته لولاه .. كنت قعدت بنتي جنبي وقعدت بعارها .. دا أنا جالي الضغط والسكر بعد عملتها السوده دي".***

في الحالتين السابقتين كان الزواج الرسمي هو الحل، خاصة أن كلا من الفتاتين كانت على علاقة حب بالشاب، وإن كانت هناك عوامل أخرى تضافرت مع الحب مثل التطلع المادي والثقافي في الحالة (غ)* والتطلع لحياه كريمة مستقرة خالية من الأعباء المادية في الحالة (ف) ***"عشمني بالحياة الكويسه والفلوس، واهتم بيه وحبني، وحسسني لأول مرة في حياتي إني ست وعايز يعمل لي أي حاجة، مش أنا اللي أخدم الست وأعمل لها كل حاجة .. قلت أرتاح من الخدمة في البيوت وأتجوز ويريحني ويستتني"***. على الرغم من أنه أكبر من ضعف عمرها، ومتزوج وله زوجه وأبناء، إلا أن حرمانها من عطف الأب وشدة إخوتها، وقسوة حياتها وعملها وقلة معرفتها وخبرتها، جعلتها تلقي بنفسها لأول مصدر حنان أياً كان غرض أو درجة صدقه.

غير أن **الزواج العرفي** -غير الموثق- يعتبر أحد الحلول المطروحة لمجابهة المشكلة خاصة بعد انتشاره في ذاته على خلاف أنواعه، حيث عرفت المجتمعات أنواعاً من الزواج غير الرسمي (غير الشرعي) انطوى تحت لوائها الزواج السري، والأشكال المستحدثة من زواج المسيار، وزواج الشغار(أو البدل)، وزواج المتعة، وزواج الهبة، وغيره من الأنواع الأخرى غير المنتشرة[1]. والزواج العرفي Common-Low Marriage، هو الزواج الذي يضع للعرف في تنظيمه أكثر من تقيده بالقوانين المدنية، فالعرف في اللغة: هو ما تعارف عليه الناس

(*) كان لمتغير التعليم الخاص بالوالدين هنا أثرٌ بالغ في إحساس الفتاة بأفضلية تعليمها وثقافتها عن والديها.

(1) Golden son, R.M & Anderson, k.N., sex: A to z, New york, world Almanac, 1989, p. 107.

في عاداتهم ومعاملاتهم(١). ويعرفه رجال القانون بأنه الزواج غير الموثق الذي يتم بإيجاب وقبول بين الطرفين -الزوج والزوجة- من خلال ورقة عرفية، وغير موثق أو مسجل على يد مأذون في محكمة الأحوال الشخصية أو في الشهر العقاري(٢). ومع تفشي ظاهرة الزواج العرفي بين الشباب وفي المدارس والجامعات، ومع الاهتمام المتزايد بدراسة الوقوف على عوامله وأسبابه، والمشكلات التي تترتب عليه، ظهرت أشكال متعددة من الزواج العرفي اتخذت بعض الصور منه، **فالصورة الأولى** وتتمثل في النوع المنتشر والمتداول بين الشباب هو الذى يتم فيه عقد الزواج العرفي بين شاب وفتاة من خلال ورقة عرفية بإيجاب وقبول من الطرفين، وبحضور شاهدين -سواء أكانوا مستأجرين أو من أصدقائهما- يوقعان على العقد العرفي، وغالباً ما يكون هذا في نطاق معارفهما المقربين فقط، إذ غالباً ما يتم في سرية تامة. أما **الصورة الثانية** فيتم فيها الزواج من خلال كتابة عقد عرفي بتوقيع وإيجاب وقبول الطرفين فقط ودون شهود أو حضور ودون إعلان أو إشهار، ونطاقه البشرى الزوجان فقط(٣) وهو الزواج السري.

كما تم استحداث بعض الأشكال من هذا الزواج اختفى معه شكل العقد أو الورقة العرفية، واستحدثت صور أخرى **كالزواج المسجل** على شرائط كاسيت، أو فيديو، أو من خلال SMS وهي رسائل التليفون المحمول المقروءة أو الصوتية. وتعد هذه الوسائل بدائل للورقة العرفية، وإستحداث أسلوب به كثير من تحايل الشباب على الورقة العرفية التي اعتبرت -في بعض الحالات- إثباتاً قانونياً في رفع دعوى التطليق من الزواج العرفي(٤). كما استحدث من صور الزواج العرفي **زواج الدم**، ويتم فيه جرح كل من الشاب والفتاة في أحد أصابعهما، ويخرجان دمهما معاً فيمتزج دمهما، ويكون هكذا قد تم الزواج بهذا العقد ويعيشان كالأزواج بعد ذلك.

وأخيراً هناك ما يسمى *"زواج الهبة"* ويبنى على أن يهب كل من الشاب والفتاة نفسه للآخر، بعبارة *"وهبتك نفسي"* تردد من كل منهما، وبمقتضاها يصبحان زوجين ويتم الزواج(٥). وقد عبرت حالات الدراسة الميدانية عن هذا الزواج العرفي في نطاق انتشاره بين طلاب المدارس، وهو أحد أشكال هدر قيمة العذرية وفقدها " ***أنا أعرف بنات كثير من صحابي متجوزين عرفي، وبيخدوا حبوب منع الحمل عشان ميحملوش وأهاليهم يعرفوا .. ومش عارفة لما يحبوا يتجوزوا قدام أهاليهم حيعملوا إليه*** " هذا القول لفتاة تبلغ من العمر ١٥ سنة، وهو ما ينبئ عن كارثة قيمية في المجتمع المصري؛ حيث إن مستقبل قيمة العذرية والشرف

(١) مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٦١٧.
(٢) فارس عمران. الزواج العرفي وصور أخرى للزواج غير الرسمي، ط ١، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٧.
(٣) المرجع السابق. ص ٢٠.
(٤) جريدة الأهرام. أحمد المجدوب، ع ٢٣ يناير، ٢٠٠٤، ص ٣٩.
(٥) معتز سيد عبد الله، جمعة سيد يوسف. الزواج العرفي واقعة وآثاره النفسية والاجتماعية، ط ١، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٥٣.

أصبح غير مستقر كما أن مقولة استقرار قيم المجتمعات ومناهضتها للتغير الاجتماعي على المدى القصير أصبحت في حاجة إلى إعادة قراءة بحثية ومجتمعية. وذلك وفقاً للتغيرات الثقافية والاجتماعية السريعة التي تعتري المجتمعات.

على الرغم من أن هذه الأنواع من الزواج، غير الموثق وخاصة ما تصالح عليه المجتمع بتسميته زواجاً عرفياً، منتشرة بشكل خطير، وربما مبالغ فيه من قبل القائمين على السياسات، وعلى الرغم من أن الوثيقة العرفية تم الاعتراف بها قانونياً في حالة رفع دعوى طلاق، ومعترف بما يترتب عليه من ثبوت نسب تضافراً مع الثورة العلمية الحديثة في تحليلات الجينات الوراثية، وتحليل الحمض النووي DNA، إلا أن الزواج العرفي غير معترف به مجتمعياً، ولا يزال سبة وربما سقطة اجتماعية في حق مرتكبيه خاصة إذا ما كانا صغيرين، فكلما تم ذلك سابقاً للزواج الرسمي، وفي مرحلة عمرية صغيرة، نفر منه المجتمع ولم يحظ بقدر من الاحترام المجتمعي، وهذا على عكس إذا ما تم من خلال الأرامل والمطلقات، فإذا ما أقدمن على الزواج العرفي، على اختلاف الأسباب التي دفعتهن لذلك، يجد لهن المجتمع تبريرات اجتماعية ودفاعية أيضاً مثل " ***حتعمل إيه بتعصم نفسها*** " أو " ***مش أحسن من المشي في الحرام*** "، أو " ***أصلها غلبانه وخافت معاشها ينقطع*** " أو " ***عشان ولادها كبار وعيب تتجوز*** " .. إلخ من التبريرات المختلفة.

- إعادة العذرية وأشكالها

مازال الحفاظ على القيمة البيولوجية مظهراً للتباهي والفخر على مستوى الأسر والجماعات القرابية، وجماعات الجيرة، ومازالت منزلة العذراء مرتفعة ورفيعة على خلاف غير العذراء. لذا يتكون لدى الأفراد ثقافة طبية خاصة (رسمية أو شعبية) متعلقة بقيمة العذرية، وبدائلها لاستمرارها حتى ولو شكلا في حالة فقدها. واستحداث طرق لمعالجة الانتهاك والفقد، وأخرى للإجهاض، وتتأرجح هذه البدائل بين الإجراءات الطبية الرسمية والأخرى الشعبية.

-البكارة مصطنعة الأثر

فكان الطب الشعبي قديماً يعتمد على وجود "***الداية***"ودورها في ليلة الزفاف وفض غشاء البكارة –الإثبات المادي الأوحد لشرف البنت وعائلتها– إذ كانت تقوم في غفلة من الزوج بإتيان دم حمام طازج على محرمة الشرف وتخدع الزوج خاصة في حالة "الدخلة البلدي"، أو أن تساعد العريس وتضع بين إصبعيها "***سن موس***" شفرة حادة صغيرة فتجرح الفتاة، وتقول إحدى الدايات المتقاعدات عن العمل والتي تبلغ الآن ٨١ عاماً. " ***ياما نزفت منى بنات وكنت بأكبس***

لها الجرح بين، وأقول لجوزها سيبها يومين لأحسن أنا قسيت عليها شوية عشان غشاءها كان مطاطي" . "وكنت بأحط دم الطيور على المحرمة وأحطها تحت طرحتي السودة، أو جوه محرمة تانيه أكبر .. وأغفل الراجل وأطلعها له وأقوله ياللا أفرح بمراتك .. أعمل إيه فهو ستر للبت برضة" واعتبرت أنها تؤدي شغلها، ولم تشعر في أي مرة أنها تقوم بخداع الزوج وإنما هي مشاركة في إعلاء قيمة الستر، كما تقول " ***طب كنت أعمل إيه يا بنتي .. أصلهم مش بنات*** -بمعنى غير محترفات الخطأ أو معتادات عليه- ***دول بنات ناس برضه وأهاليهم ملهمش ذنب في الفضيحة والعار، وبعدين يتبقى البت اغتصبها واحد من بره البلد حيجيبوه منين، ولو جابوه ومرضيش يتجوزها يبقى منبهمش غير الفضيحة والجرسة "، " لأ لأ يا بنتي الستر أحسن .. دا اللي يستر حد في الدنيا يستره ربه يوم الدين"*** وهنا يبرز مفهوم الستر-الديني- كميكانيزم ثقافي وآلية للتحايل على فقد القيمة.

أما في **الحضر**، فالوضع مختلف مع عدم وجود داية أو أشخاص فاعلين آخرين، لكن يلجأ البعض إلى شرب الخمور ليلة الزفاف، أو بعض المخدرات كالحشيش والأفيون بكثرة، حتى يدخل في مرحلة الثمالة، ليكون بين اليقظة العقلية والغفلة، فلا يشعر ولا يتذكر تفاصيل حدث الزفاف وفض غشاء البكارة، وبالتالي تمر الفتاة غير العذراء دون أن يفتضح أمرها، وعادة ما تحدث هذه الخدعة في المستويات المرتفعة حيث شرب الخمر والمخدرات مباح، وإن كان بتركيز وكثرة في هذه الليلة عما هو معتاد عليه، وأيضاً في بعض فئات المستويات الاجتماعية الاقتصادية الدنيا حيث تسمح طبيعة حياتهم بشرب الخمور والمكيفات والمخدرات في المناسبات وخاصة العرس نظراً للاعتقاد الخاطئ لديهم من ارتباط ازدياد القدرة الجنسية بشرب الخمور والمكيفات.

" أنا عرفت من واحدة صحبتي إن صحباتها كانوا بيشرّبوا إجوازتهم وسكى وبيرة وبيدّوهم حشيش كتيرعشان يسكرو وما يدروش وميعرفوش إنها مش بكسر" وتقرر بعض الحالات هذه الحيل والخدع لتغطية فقد العذرية. ***" أمال حيعملوا إيه .. أصل الزوج المصري ما يقدرش يغفر لمراته الموضوع ده أبداً وأهو كده أرحم من عمليات الترقيع.. "، " الرجل الشرقي بيحب يتخدع نعمله إيه "، " فهو واحد راجل زيه اللي عمل العملة دي، أهو يتخدع ويتحمل غلطة بني جنسه".***

-البكارة البيولوجية المصطنعة

شهد العصر الحديث تطوراً طبياً هائلاً في أساليب التشخيص والعلاج، وتكنولوجيا الأجهزة الطبية، وتطور أساليب ووسائل منع الحمل، وأيضاً علاج مشكلة فقد العذرية -فقد أو تمزق غشاء البكارة- والإجهاض، سواء أكان حملاً غير مرغوب فيه نتج عن علاقة خارج

نطاق الزواج، بمعنى حمل غير شرعي، أو حمل من زواج صحيح إلا أنه لأسباب طبية أو اجتماعية غير مرغوب في إنجابه.

ويوجد النسق الطبي الرسمي الحديث بعض الحلول التي تساعد على انتهاك القيمة، أو تسهل الفعل نظراً لوجود وسائل طبية تمنع امتداد الأثر وتحوله لوصمة مدى الحياة، فيقدم النسق الطبي وسائل منع الحمل خاصة "حبوب منع الحمل" ويسهل الحصول عليها، فنظراً للسياسة الإنجابية للدولة، ومحاولة تنظيم الأسرة والحد من النسل، جعلت جميع وسائل منع الحمل متاحة في الصيدليات وبلا أدنى شرط، فيمكن لأي فرد كان -حتى الأطفال- الحصول على أي كمية من حبوب منع الحمل، فسهولة الحصول عليها مع رخص ثمنها جداً لأنها مدعمة من الدولة بالإضافة لسهولة تناولها ومعرفة ذلك، وصغر حجمها حيث تستطيع الفتاة تخبئتها عن أسرتها بسهولة.

وحيث إن مشكلة هدر القيمة، أو فقد العذرية تمثل كارثة اجتماعية في جانبها المادي الظاهر في بعض المواقف الاجتماعية، فتخشى الأسر افتضاح أمر الفتاة وقت زفافها، أي وقت ظهور الجانب المادي للقيمة، بينما إذا حدث الفقد وأصبحت غير عذراء ولا يعلم الأهل، ولم تعرّض الفتاة بعد لموقف زواج، فلم يعلم الناس والجيران والنسق القرابي، فإن المشكلة تتضح إذا حملت الفتاة، لأن الأثر المادي سيبدو للعيان، والثقافة المصرية تهتم بالآخر ورأيه دائماً، فيهتم أهل الفتاة بإخفاء آثار الجريمة، وكل الاهتمام أو الانشغال ينصب على الأثر، متناسين بعض الشيء الفعل الأصلي وهدر القيمة، وكأن المجتمع دائما ما يتفق على كل ما يدور ويفعل ويتم في الخفاء وفي غفلة عن أعين الآخرين حتى وإن كان فعلاً غير مسموح به ثقافياً. فثقافة الخفاء إنما تسيطر على معظم الموضوعات ذات الحساسية الشديدة اجتماعياً. وتحكم تصرفاتنا عبارة "***الناس حتقول علينا إيه***". وخير دلالة على ذلك الحالة (غ)، حيث فقدت عذريتها خارج نطاق الزواج وحملت جنينها حتى تجاوزت الشهر الرابع له، وبعد الاتفاق مع الفاعل "***الحبيب***" على إتمام الزواج بشكل رسمي لإنهاء المشكلة ما كان من الأم إلا أن اصطحبت ابنتها لطبيب أمراض نساء وولادة وأجرت لها عملية إجهاض، محاولة محو الآثار المادية لفقد القيمة أمام الناظرين، فيما أن مشكلة الزواج قد وجد لها حل، فلن تسأل إذن عن عذريتها، ولكن المشكلة كيف تواجه الآخرين متناسيةً في ذلك ما ارتكبته من فعل محرم دينياً، " ***طبعاً كان لازم أجهضها .. كنت أعمل إيه في كلام الناس، أعيشها طول عمرها مكسورة، وأخوها كان حيشيل عارها، إنما كده ربنا سترها، وقدرني على سترها وسترنا وستر أبوها .. أنا ما أعتقدش إني غضبت ربنا أنا سترت على بنتي وحليت مشكلة***". هذا على الرغم من أن الأب كان معترفاً بنسب جنينه، إلا أن قوة القيم الثقافية كقيم معيارية أخلاقية أقوى في شكلها الظاهري، حتى وإن كان هذا الظاهر خداعاً وغشاً وكذباً، أو منافياً للحقيقة، فهو يحوز على القبول الاجتماعي ورضا الآخر، وهذا يكون أهم من مضمون الفعل ذاته، ومن فقد القيمة أو هدرها، فالأهم هو الشكل

الاجتماعي والقبول الاجتماعي، بل ربما أقوى من قوة الدين وتعاليمه ويدلل على هذه الفكرة قول إحدى حالات الدراسة فاقدة العذرية. *" أنا فضلت سنتين ونصف فاقدة العذرية، وعايشه مع حبيبي كأننا أزواج بالضبط ولكن من غير ما حد يعرف، على فكرة أنا محبوبة جداً جداً من كل اللي يعرفوني، وكلهم بيضربوا بيه المثل في الأخلاق والتقوى والصلاح والصلاة، وكل أم تتمنى تشوف بنتها زي .. أصل الناس ملهاش غير الظاهر بس، وعلى فكرة كمان أنا مختمرة زي ما أنت شايفة وبراعي حقوق ربنا، وكمان ختنوني وأنا صغيرة .. بس كل ده مش ممكن يمنعني أحب وأحس وأعيش وألبي رغباتي اللي ربنا نفسه خلقها في"*، وفي قول آخر لها *"أصل مجتمعنا دا ماشي بمبدأ الصيت ولا الغنى ... يعني اللي بره والفكرة اللي وخداها الناس عنك في العلن، إنما في الدرا، في الضلمة أعملي اللي أنت مقتنعة بيه وحتفضلي عفيفة وشريفة في نظر الناس، ودا المهم في مجتمعنا "*. وما سبق يؤكد فكرة مهمة وهي أن العذرية السلوكية الظاهرة في المجتمع المصري أهم من الحفاظ على العذرية البيولوجية شريطة أن لا تعرض لموقف مساءلة مجتمعية عن مظاهر الإثبات، كالزفاف وما يتبعه من فض غشاء البكارة، وهو الدليل المادي الأوحد على الحفاظ على قيمة العذرية وإن كان دليلاً أيضاً مشكوكاً في أمره، أو أن تسأل عن مظاهر حمل خارج نطاق الزواج، خلاف هذا، وما هو مستور، وغير معلوم فلا حساب أو جزاء، وكأن ثقافة المجتمع تبيح كل شيء وأي شيء مادام لم يتخطَ حيز الخفاء، وما يخرج للعلن فهو ممنوع، وفعل مشين لصاحبه.

ويتمثل الإسهام الطبي أيضاً في حالات فقد العذرية -بخلاف عمليات الإجهاض إذا حدث حمل- في استعادة غشاء البكارة، وهي عمليات ترقيع الغشاء، سواء في حالة فقده أو تهتكه فقط، ولا يسهم الطب الشعبي في ذلك، وإنما الطب الرسمي ممثلا في صورة طبيب أمراض النساء وقلة من أطباء الجراحة العامة. فهناك نوعان لعمليات إعادة غشاء البكارة، عملية إرجاع دائم للغشاء، وعملية إرجاع مؤقت له. وتسمى عملية الإرجاع المؤقت [كشكشة الغشاء] حيث يتم عمل خياطة الجزء المتبقي من الغشاء في حالة تمزقه، أو عمل "فيونكة" بوصل جانبي الغشاء معاً، أو عمل غرزتين كل واحدة منهما في أحد جانبي المهبل، ثم يتم عمل غرزة على شكل فيونكة بين الغرزتين السابقتين. وتتم هذه العملية ببنج موضعي، ولا يتطلب هذا الإجراء مستشفى، بل غالباً ما يتم في عيادة الطبيب، ومدة بقاء الغشاء الجديد يومان تقريباً فقط؛ لذا غالباً ما تجرى في اليوم الذي يسبق الزفاف مباشرة. أما النوع الثاني، وهو الإرجاع الدائم لغشاء البكارة، ويسمى [رفي أو ترقيع الغشاء]، ففيه يستأصل الطبيب جزءاً من أنسجة جدار المهبل الخلفية، ثم يعاد وضعه في الجزء الخارجي من المهبل وتتم خياطته في جدار المهبل بعدد من الغرز، وهنا يعاد للفتاة عذريتها تماماً، ويظل هذا لعدة سنوات إلى أن يتم تمزقه بالزفاف أو الدخول في علاقة جنسية بشكل عام، وتجرى هذه العملية ببنج كلي وغالباً ما تتطلب بقاء الفتاة وقتاً بالمستشفى، ولا تستطيع الفتاة الدخول في علاقة جنسية إلا بعد أسبوع على الأقل من ذوبان

خيوط العملية(*).

ويرفض معظم أطباء النساء والجراحة إجراء مثل هذه الجراحات في إعادة أو ترقيع غشاء بكارة الإناث، ليغلفها مرة ثانية بهذا الغشاء، لتبدو وكأنها استعمال أول، حيث يرون كم هو مهين هذا الفعل. غير أنه ربما يكون حلاً اجتماعياً، يحمل في طياته قيماً اجتماعياً أخرى إيجابية في الثقافة المجتمعية-كالستر- أو سلبية ليداوي هدر قيم اجتماعية أخرى، نظراً لما يحويه هذا الفعل من غش وخداع لزوج المرحلة القادمة، ولما يتنافى مع أخلاقيات مهنة الطب والقسم الطبي له.

وعلى الرغم من هذا فهناك قلة تقوم بإجراء مثل هذه العمليات، وتنقسم هذه الفئة إلى قسمين؛ قسم تخصص في إجراء مثل هذه الجراحات بهدف الربح المادي السريع،غير أن في الظاهر يعطون بعض التبريرات الآخري لا تتصل بالعامل المادي، فمثلاً لأنها عملية بسيطة جداً، لا تستلزم جهداً ولا وقتاً ولا خبرة تخصصية. حتى إنهم اشتهروا بذلك ويتعاملون مع الموقف على أنها حالة في احتياج لتدخل جراحي، وفي مقابلة مع أحد هؤلاء الأطباء عبر عن هذا قائلاً:

"أنا باتعامل مع الموضوع كأنه جرح في حاجة لخياطة، أو عملية زايدة حتنفجر بالضبط، دا يقى شئ انفجر وفي حاجة لخياطة .. إيه المشكلة دا موضوع شغل، وما تنسيش إني حلفت على عدم التخلي حين المساعدة .. وكمان المجتمع اللي أحنا عيشين فيه حيدفنها لو عرف .. يبقى أنا بأدرأ الضرر عن البنت وأحاول أحمي شرف العيلة"(**) .. على الرغم من كل ما قاله الطبيب إلا أن هدفه الأول وربما الوحيد هو الربح المادي؛ حيث يتعامل مع الموضوع دون سؤال الحالة عن أي شيء، أو عن ظروف الفقد، أو عن عدد مرات الممارسة، أو إذا كانت محترفة ذلك، أم غلطة، وما يؤكد ذلك أنه يغالِي في أتعابه المادية لمثل هذه الجراحات، كما في حالات الإجهاض أيضاً.

بينما القسم الآخر من الأطباء، فإنما يأتي هذا الفعل، ويقوم بإجراء عملية لإعادة غشاء البكارة المشابه والفطرة كميكانزم ثقافي وقائي، في محاولة لإيجاد حل يقلل من هذه المشكلات، بهدف إعمال قيمة الستر، أي التستر على خطأ الفتاة بهدف درء الشر الذي سيلحق بوالدها وأفراد أسرتها المتمثل في العار والوصمة. وفي هذا يقول أحد الأطباء: ***"طبعاً أنا أخلاقي وديني ضد الإجهاض، وضد الخداع والتدليس، الإجهاض مستحيل أجريه بدون سبب طبي يستلزمه***

(*) مقابلة ميدانية مع ا.د. أحمد أمين، طبيب نساء وتوليد. وأخرى مع ا.د.ماهر مهران. طبيب نساء وتوليد.

(**) حالة أ.د: ع. ف، وهو طبيب النساء والتوليد بإحدى مستشفيات الجامعات المصرية بالقاهرة، ومشهور عنه قيامه بهذه العملية، كما يقوم أيضاً بتجديد غشاء البكارة واستعادته كمظهر احتفالي ضمن احتفالات أعياد الزواج.

أما عملية الترقيع .. فأنا بأعملها أحياناً نادرة جداً من باب الستر فقط .. لدرجة أنــي مــا بأخدش عليها أي مقابل مادى شخصي، يعني بيدفعوا فلوس المستشفي والمساعدين فقط، إنما أتعابي أنا الشخصية لا يمكن أخذ ولا مليم منهم، أنا بأعملها لوجه الله، وعلى فكرة أنا بقــالي ٣٠ سنة أمارس المهنة دي، عملت فيها ٩ عمليات ترقيع غشاء البكارة فقط، لأنــي عشــان أعمل العملية دى برضة لازم لها شروط يعنى عملتها مرة في حالة زنــا محــارم، الأب كــان شارب خمور وأعتدى على بنته، دي ملهاش حل، وحالة اغتصاب وطبعاً لأسرة أنــا عــارف أخلاق بناتها كويس جداً، وحالة تانية كانت القصة إن البنت مخطوبة، وفقدت عــذريتها مــع خطيبها، وكان طيار وسافر حرب ١٩٧٣ واستشهد، إيه الحل .. لازم ميكانزم دفــاعي عــن الغلابة دول، مفيش مجتمعنا وثقافتنا ما يرحموش أنا عندى مثل وقيم وعشان كــدة بأعمــل الموضوع ده في أضيق الحدود وفي حالات المشاكل القصوى ومن "باب الستر" بس زي مــا قلتلك وربنا شاهد على ده، وطبعاً لازم أكون متأكد ١٠٠٠% مش ١٠٠% أنهــم ولاد نــاس وكانت غلطة مش بغايا أو محترفات والعياذ بالله" (*).

فهنا ليس الربح المادي هو الهدف، وإنما الهدف أسمى فهو من أجل إعلاء قيمة الســتر، والتستر على الفتاة وأهلها وعدم افتضاح أمرها أو وقوعها في مشكلات لا تحمد عقباها.

كما أن هناك فتيات فاقدات للعذرية يتحايلن على الأطباء باختلاق القصص الوهميــة بأنهــا فقدت عذريتها أثناء إجرائها لرياضات عنيفة، خاصة طلاب كلية التربية الرياضية، أو تعرضــها لحادث اعتداء، أو اغتصاب، أو حادثة اعتداء كالضرب، أو الوقوع من مكان مرتفع على بعــض الأشياء وهكذا.. غير أنه بالكشف الإكلينكي للطبيب سواء أكان طبيباً بشرياً تخصص نساء وولادة، أو –وهو المتخصص الأكثر في فصل القول– طبيباً شرعياً[٢]، إنما يكشف مزاعم الفتاة ويكشــف كذبها، والتي غالباً ما تكذب بهدف الوصول لوسيلة احتيالية على الحقيقة، كأن تأخذ شهادة طبيــة منه تبرر فقد القيمة، وتثبت الواقعة، ليكون دليل براءتها أمام من يتقدم للزواج بها.

وهناك من يتعاطف مع مثل هذه الحالات ويكتب لها شهادة طبية بالواقعة أيضاً من منطق الستر والتستر عليها، وهناك من لا يستجيب للفتاة ويرفض، ولكنه يساعدها بأن يحيلها لمن يمكن أن يفيدها ويجيبها في طلبها ويرشدها إليه، فيقوم بإعطائها اسم طبيب آخر، حيث أنهم مشهورون في عالم الطب بإجراء مثل هذه الأشياء. هذا على خلاف من يرفض الموضوع من أساسه وكلية ويرفض أي نوع من المساعدة.

(*) أ.د: أ. م. ح. أحد أساتذة طب النساء والولادة، بمستشفيات جامعة القاهرة.

(٢) مها محمد محمد حسين. الأنثروبولوجيا الطبية: دراسة في ميدان الطب الشرعي، رسالة ماجســتير غيــر منشورة، قسم اجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٥.

وربما تساعد مثل هذه الإجراءات[*] -وسهولة الحصول على أقراص منع الحمل- وسائل حماية من الحمل، وسهولة سبل وأساليب التحايل إلى سهولة هدر القيمة وفقدها، بل وربما سهولة أيضاً مجابهة المشكلة.

ومع أن مثل هذه الأفعال الطبية مجرمة قانوناً، وخاصة من يحترفون إجراء مثل هذه العمليات بغرض التكسب والربح المادي، فإنها مازالت تتم في الخفاء، وتستمر ولا تصل إليهم يد القانون إلا فيما ندر، أو حين يقع الطبيب في خطأ طبي. وربما زيادة أساليب وإجراءات التحايل تسهم في هدر القيمة، وعلى الرغم من تجريم المجتمع والقانون لمثل هذه الأفعال، وعلى الرغم من وجود أطباء مشهورين في المجتمع بإجراء مثل هذه العمليات بل ومحترفين أيضاً "***دول تخصص أغشية وإجهاض .. والله لما تروحي تسألك التمرجية أو السكرتيرة بنفس السؤال ده .. أغشية ولا إجهاض***". وربما يغض المجتمع عنهم الطرف كميكانزم علاجي مؤقت لأزمة مجتمعية معقدة ومتشابكة ولم يستطع المجتمع إيجاد حل لها في ظل ظروفه المتغيرة والمتعثرة أيضاً، من أزمة اقتصادية أو ارتفاع تكاليف الزواج، وبطالة، تضافرت مع غيرها من مشكلات المجتمع لتنتج لنا قضية ارتفاع سن الزواج، وارتفاع معدلات العنوسة أيضاً.

وقد عبرت عن هذا المعنى الحالة الثالثة (ن) والتي فقدت عذريتها مع حبيبها إلا أنهما فضلا إجراء عملية إعادة غشاء البكارة وأن يظلا أصدقاء دون زواج، نظراً لعدم مقدرتهما المادية على الزواج، حيث تنتمي الفتاة للطبقة الوسطى شريحة عليا، وينتمي الشاب إلى الشريحة الدنيا، ومازالا طالبين جامعيين. "***لما حصل اللي حصل دا .. بعد الصدمة اللي شلت تفكيرنا بس لوقت صغير، قررنا نروح لدكتور معروف جداً بإنه بيعمل العمليات دي من غير أي أسئلة ولا تعقيدات ولا تحقيقات، وعشان المجتمع المتخلف اللي أحنا عيشين فيه ده، رحت أنا وهو عملت العملية واقتنص مني مبلغ قد كده، في سبيل أنه ما يتكلمش ولا يسألش ولا بقى ينصحنا ولا يأنبنا ولا حاجة، كفاية ظلم بقى لينا***". ويدل هذا القول على مدى تفشي قيمة الاستهتار وعدم المسئولية لدى بعض الشباب، وانعدام التنشئة الدينية، بل وفساد التنشئة الاجتماعية.

"***هو أحنا عرفنا نتجوز ولا أتجوزناش، أولاً إحنا لسة في تانية جامعة ثانياً: مستواه المادى أقل مننا، وأنا مامى بتحب المظاهر أوى، وهو قدامه ولا عشرين سنة لغاية ما يكون نفسه، وإحنا شباب وعندنا أحاسيس ومشاعر، وبقينا بنعيش في ثقافة متحررة ومتقدمة، في مجتمع متخلف منغلق تقليدى وعلينا نحافظ على القيم القديمة في ظل الجديد إزاي بقى والنبي***".

---

[*] خاصة ما بدأ في الظهور الآن من مستشفيات صغرى مرخصة عملها الأساسي يقوم على مثل هذه العمليات، وقد قامت الباحثة بزيارة إحداها أثناء الدراسة الميدانية، في مقابلة أحد أطبائها.

وتعطي لنا هذه الحالة نظرة على الخلل القيمي والاضطراب بل والازدواجية الموجودة في المجتمع، فبرغم الضبط الذي يجرى على جسد الإناث بالمجتمع المصري من عمليات ختان، ولبس حجاب وحشمة، وإخفاء معالم الجسد، وتقييد حركة الجسد، وضوابط وآداب للجلوس والحديث والحركة، إلا أنه يسمح بغزو ثقافي هائل من ثقافات مخالفة تماماً وتحوي عادات سلوكية وتقاليد مخالفة للقيم المصرية، مما يدفع البعض لدوامة من عدم الاتساق القيمي والسلوكي وتنتج مثل هذه الأفعال والحالات التي بدأت في الازدياد المستمر، كما تزايدت أيضاً أساليب وميكانزمات التحايل على القيمة؛ حيث يدعم ذلك النسق الطبي الرسمي والثقافي للمجتمع من أجل إخفاء النتيجة وليس العمل على إخفاء الظاهرة أو الفعل نفسه.

إعادة غشاء البكارة كمظهر احتفالي:

لم تعد عملية إعادة غشاء البكارة أحد الحلول المطروحة لمواجهة فقد العذرية او انتهاكها، فمع التطور الثقافي والتقدم المجتمعي، استحدثت وظيفة أخرى لمثل هذه العمليات، وذلك من خلال إجراء بعض الزوجات لهذه العملية أثناء زواجهن، بمعنى عدم وجود ضرورة لإجرائها وإنما كابتداع مستحدث يتم القيام به يوم الاحتفال بعيد زواجهن كمظهر للاحتفال -نيولوك أو موضة-، وغالباً ما يكون ذلك الفعل بهدف استعادة حيّة لذكريات ليلة الزفاف، ورغبة من الزوجة في إسعاد زوجها وتجديد العلاقة الزوجية، بل إنه إعادة تأكيد أنثوي لذكورية الرجل.

وفي محاولة لمعرفة بعض الخصائص الاجتماعية الاقتصادية لهذه الحالات ولأزواجهن، وجدت الباحثة انتماءهن جميعا إلى الشريحة العليا وفقاً للمستوى الاجتماعي الاقتصادي لأزواجهن، فعن أعمالهم فرجال أعمال وأصحاب أعمال، فمنهم مخرج تليفزيوني، وطيار. وتعليمهم جامعي، عدا واحد فقط فتعليمه فوق جامعي. وتتراوح دخول أزواجهن الشهرية بين ٤٥٠٠ - ٩٠٠٠ جنيه، ولدى بعض منهم ممتلكات عقارية، وسندات بنكية.

أما عن الفتيات فتراوحت أعمارهن بين ٢٠ : ٢٨ سنة، خمس حالات منهن حاصلات على مؤهل جامعي، وحالتان إحداهما مؤهل متوسط والأخرى مؤهل فوق متوسط، وعن إنتماءاتهن الطبقية، فبعضهن ينتمي إلي الشريحة العليا، وبعضهن إلى الشريحة الوسطى، إلا واحدة تنتمي إلى الطبقة الدنيا(*)، وانتقلن جميعاً إلى الطبقة العليا بزواجهن. أما بالنسبة لبعض السمات الأخرى ذات الدلالة في دراستنا الراهنة كالختان، والحجاب، وإقامة علاقات مع الجنس الآخر، والمحافظة على العذرية، فكانت أربع فتيات منهن مختنات، وثلاث غير مختنات، وسبع حالات منهن محجبات، تراوح حجابهن بين حجاب موضة حديث (خمس حالات)، وحجاب

(*) كانت تعمل في شركة سكرتيرة لأحد رجال العمال، ثم تزوجها كزوجة ثانية.

معتدل (حالتان)، أما عن العلاقات مع الآخر فكل الحالات السبع كان لهن علاقة واحدة على الأقل قبل زواجهن –تدرجت من علاقة حب عذري وحتي علاقة جنسية كاملة– وكان من نتيجة هذه العلاقات حمل إحدى الحالات ومن ثم فقدها لعذريتها(*)، غير أن الحالات الست الأخرى لم تؤثر علاقاتهن على عذريتهن. ولم تستطع الباحثة تفسير إتيانهم لهذا الإجراء وفقاً لأي من المتغيرات السابقة، إلا أنه ربما يمكننا إرجاع ذلك لإحساسهن بالفراغ وفقد الاهتمامات المثمرة وضياع هويتهن، وغياب الهدف، بالإضافة لتوفر العامل المادي، وعدم ممانعة الأزواج في هذا الصدد، ويتضح ذلك من أقوالهن:

"تفكري حنعمل إيه لو مهتمناش بالحاجات الجديدة، وخصوصاً المفرقعة منها، يعني التقاليع الجديدة كلها ، أي موضة في اللبس، المكياج، أو حتي عمليات التجميل، وشفط الدهون، ولاحنقعد طول عمرنا عملين دايت(رجيم) وبنهد حيلنا في الجم "

" أهو بأدور على أي حاجة جديدة أعرفها أو أعملها عشان مابأش جاهلة في وسط صحابى " ، " أهي حاجة جديدة أنشغل فيها تضيع الملل اللىعيشاه، أو الملل اللي بيني وبين جوزي، أهو بأحاول أجدده " ، " وليه لأ أهو أعمل زيهم حد واخد منها حاجة " ، " طب تفتكري أعمل إيه، الولاد ومعاهم دادتهم، ومدرسين بيسعدوهم، وهو –زوجها– مشغول طول اليوم يإما مسافر شغل، وأنا مع صحابي طول اليوم بنحاول نضيع الوقت. نعمل حاجة جديدة، نروح حتة جديدة، نقول أي حاجة وأي كلام ، أهو نتقتل الوقت ونغير في الحياة المملة دي ".
" وليه لأ من باب التجربة، قلت أعمل زي صحابي وخلاص، بس لقيتها عملية سهلة جداً مابتحسيش بحاجة خالص متعبة، بس متعة بقي لما ترَجَعي أحلى أيام حياتك تاني، تبقي عشتي حياتك بالطول والعرض وعشتيها مرتين ". ونجد كيف أن حياتهن فارغة لا يشغلها غير المكوث في النوادي بلا هدف، والسهرات، ومتابعة الموضة.

وهناك بعض الأطباء المتخصصين في أمراض النساء والولادة والمعروف عنهم إجراؤهم لمثل هذه العمليات، كمظهر احتفالي في أعياد الزواج، حيث يعتبرها أحد موضوعات عمله، مثلها مثل عملية أخرى من عمليات تخصصه، كعمليات الولادة القيصرية، أوالإجهاض –وغالباً من يقوم بإجراء عمليات إعادة غشاء البكارة يقوم بعمليات الإجهاض أيضاً– أو استئصال الرحم أو المبيض. وقد أوضح أحد هؤلاء الأطباء الذين قاموا بهذا الإجراء لمريضاته قائلاً:

" ايه المشكلة دا شغل عملية زيها زي أي عملية تانية بأعملها، هي الكحت دي مش عملية، والطهاره، والولادة، و.......ده شغلي أنا بأدم خدمة من خبرتي ومهنتي ومجهودي، هي بتطلب ده برغبتها محدش بيجبرها علي حاجه، وأنا بأخذ أجري، ايه بقى فكده ".

(*) لم تشأ هذه الحالة الخوض في أي تفاصيل حول هذه الجزئية، مما جعل الباحثة لا تدرجها ضمن حالات فقد العذرية. إلا أنها لم تجرِ عملية إعادة غشاء البكارة قبل الزواج.

وترى الباحثة أن هذا الإجراء مازال في طور السلوكيات الفردية ولم يصل إلى حد الظاهرة، ولكن ترى ضرورة متابعته، إذا ما اختفى، أو ازداد، لمعرفة كافة تفصيلاته، وتفسيره في ضوء متغيرات *المجتمع*.

وأخيراً فإذا كانت ثقافة العذرية واستراتيجيتها بهدف عفة الفتاة وحسن أخلاقها وصيانة شرف عائلتها، فإن إحدى الآليات الثقافية للمحافظة على العذرية الختان، والذي يكمن الهدف من إجرائه تضبيط الجسد الأنثوي، ومن ثم ضبط الشهوة الجنسية للفتاة والحد من الانشغال والتفكير الجنسي. وهذا هدف ومنطق مغلوط، حيث أثبتت الدراسة الراهنة من خلال آراء الأطباء أولاً: أن الشهوة أو الرغبة الجنسية محلها المخ، وعضو الإحساس التناسلي المبتور ما هو إلا عضو من ضمن أعضاء الإحساس الأخرى، إنما ترسل إشارات للمخ بالإحساس ومن ثم الاستمتاع، هذا يتأتى بعد وجود الرغبة الجنسية منذ البداية، وما يبتر من الختان إنما هو عضو إحساس تناسلي، استئصاله يعمل على تعطيل الإحساس بالمتعة وربما منعه تماماً في هذا الجزء المستأصل، وليس على الرغبة الجنسية أو الممارسة الجنسية بشكل عام. وما يثبت ذلك ميدانياً، أن حالات فقد العذرية الثلاث كن مختتنات. ومع هذا انساقوا وراء الرغبة الجنسية وانفعالاتها، التي لم يؤثر فيها بتر أعضائهن وتشوهاتها، مما يجعل الختان آلية غير ضابطة لجسد المرأة بهدف الحفاظ على عذريتها.

نتائج الدراسة

أهم نتائج الدراسة

وهنا نعرض لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في جانبها الميداني مصنفيين النتائج الي مجموعتين، تشمل الأولي منها أهم النتائج التي تتعلق بثقافة العذرية وقيمها، وتضم الثانية أهم النتائج المتعلقة بالختان كألية من أليات ضبط العذرية.

أولا: النتائج المرتبطة بثقافة العذرية

خطاب العذرية:

- في محاولة لمعرفة المعنى الشعبي المتداول للعذرية وجدت الباحثة أن هناك خلط بين العذرية كحالة والعذرية كصفة للفتاة. وهناك تداخلات في التعريف بين المعنى ومواصفات الفتاه العذراء وسلوكياتها. غير أن القاسم المشترك بين الفئات الاجتماعية هو المعنى البيولوجي للعذرية، فهي تعنى غشاء البكارة.

المجال الدلالي للعذرية:

- جاء المجال الدلالي للعذرية يحمل ألفاظاً واصفة للفتاة العذراء- وهو امتداد للخلط بين العذرية كحالة والعذرية كصفة- وفي بعضها مواصفات دالة على العذرية البيولوجية، وأخرى دالة على الفتاه العذراء، وبحصرها وُجدت كالآتي: بنت بكر- بنت بنوت- بنت شريفة- بنت بشوكها- بنت مَقفُولَة، وهناك ألفاظ وعبارات دالة على العذرية في شكل صفات منها: بنت بريئة- بنت محترمة- بنت ملتزمة- بنت زي الملاك محدش لمسها- بنت خام- بنت خجولة حيية- بنت عفيفة- بنت مِقفِلَة.

وقد يتباين هذا المجال الدلالى وفقاً للشريحة الاجتماعية، فقد اتضح ذلك جلياً في مفردات الشريحة العليا، والتي كانت تتصف بألفاظ أكثر تهذيباً ومفردات أجنبية تتفق وسياقات الشريحة العليا.

الأمثال ولأغاني الشعبية:

- يزخر التراث الثقافي بالعديد من الأمثال الشعبية والأغاني التي تعمل على ترسيخ قيمة العذرية، فمنها ما يوضح أهمية وإعلاء القيمة ، ومنها ما يطمئن الحس الشعبي علـى عذرية الزوجة قبل يوم زواجها، ومنها ما يوضح بعض الحِكم المُحفزة للشباب علـى الزواج من البكر.
- تعتبر قيمة الشرف من أهم القيم الاجتماعية المتداخلة والمؤثرة، بل والمدعمة لقيمـة العذرية، إلا أنها قيمة قائمة في الثقافة المصرية على تصنيفات الذكورة والأنوثة. ففي الإناث يكون شرف العائلة ، والأسرة والأب ، وبعد الزواج يتحول لشـرف الـزوج، فالشرف شرف الزوج ولكنه لا يرتبط من قريب أو من بعيد بموضع العذرية.
- إن موقع الشرف هو موضع العذرية البيولوجية، المتمثلة في غشـاء البكـارة، لـذا فالشرف إنما يتأكد لدى الفتيات من خلال طقوس الزواج والأفراح.

تجليات العذرية:

- كشفت الدراسة عن وجود ثمة علاقة بين التصورات المختلفة المرتبطة بالعذرية وبين تجليات العذرية المتمثلة في الحديث والصوت، حيث أن الصوت الهادئ، والمنخفض الذي يتسم بالحياء غالباً ما يرتبط بالفتاة العذراء، كما أنه كلما كانت مفردات الحديث بعيدة عن الألفاظ الخارجة عما تقره ثقافة المجتمع، وتتصف بوضوح مخارج اللفظ دون ترقيقها وبعيدة عن التدلل كلما كان ذلك معبراً عن عذرية الفتاة، وترى الباحثة أنه يمكن أن يفسر ذلك في ضوء التنشئة الأسرية للفتاه أكثر منه معبر عن حالة العذرية البيولوجية ، إنما هو ارتباط بين العذرية السلوكية والتنشئة الاجتماعية . وغالباً ما يتضح ذلك في الشريحتين الدنيا- بدرجة أكثر شدة- والوسطى ، بينما هي قضية ارتباطية غير مطروحة على مستوى الشريحة العليا.

- كما كشفت الدراسة عن وضع الثقافة لبعض المحظورات الحوارية للفتيات العذراوات؛ فتَمنع الأمهات الفتيات من الحديث في أمور الجنس والحب وما يخص الزواج ، مـن خلال أساليب التنشئة الاجتماعية، إلا أن هذا لا يمنعهن من خلق عالم خاص بهن من خلال جماعة الرفاق والأصدقاء.
- كشفت الدراسة عن أن نمط الزي والزينة إنما تفرض عليه أيضاً بعض القيود بهـدف ضبط العذرية، وذلك لحمايتها من خلال نمط زيّها من التعرض إلـى مضـايقات أو

تحرشات، أو لأخذ صورة ذهنية قيمية عن الفتاة، فنجد في الشرائح الدنيا وبعض الوسطى، بعض القيود التي تفرض على الملبس تزداد بشدة في الشرائح الدنيا وتأخذ في تخفيف حدة الشدة كلما اتجهنا للشريحة الأعلي والتي تحاكي ثقافتها العليا في تحفيز الفتيات على ارتداء ما يتماشى مع الموضة أيما كانت.

- كشفت الدراسة عن أن الحضور الملائم ثقافياً للجسد أهم من تضبيط الجسد الداخلي. ويمكن مناقشة هذه النتيجة في ضوء ثقافة المجتمع المصري، والتي غالباً ما تهتم برأي الآخر وما يتكون لديه من صورة ذهنية عن الفتاة مُنطبعة غالباً من سلوكياتها الخارجية، بغض النظر عما هو غير منظور.فعلي الرغم من فقد إحدى الحالات عذريتها أثناء علاقة جسدية، إلا أن الصورة المنطبعة عنها أنها مثال يُحتذى به في الاستقامة والأدب والتدين، بسبب سلوكياتها المنظورة والتي تتفق والسلوك القويم.
- كما كشفت الدراسة عن أنه يجب دائماً للفتاة البُعد عن المدلول الرمزي الأنثوي للحركة والسكون، كدلالة عن عذريتها من عدمها.

التنشئة على العذرية:

- كشفت الدراسة عن دور التنشئة الاجتماعية خاصة ما يتصل باستراتيجية العذرية في الحفاظ على عذرية الفتيات من أهمية كبرى، تَجُب دور آليات الضبط الفيزيقية، على الرغم من قناعة حالات الدراسة بهذا إلا أنه لا يمنع معه إجراء الختان، نظراً لقوة العادة الاجتماعية والموروث الثقافى والتي ربما تجابه بل تتفوق على الموروث الديني والرأي الطبى.
- أن حضور الجسد الخارجي ونواتجه إنما يمثل العذرية السلوكية، والتي يتم التعبير عنها من خلال حركات الجسد وإيماءاته. وهو في ذات الوقت يمثل المحيط الخارجي للعذرية البيولوجية، فالجسد يعتبر دالا على سلامة العذرية البيولوجية ومرآة لها، كما يمكن أن يتحول لقناع يخفي انتهاكها أو فقدها .
- كشفت الدراسة من خلال رسم استراتيجية العذرية، وبدءاً من توجيه بعض النصائح إليها في هذا الشأن وانتهاءً بفرض آليات إجرائية متمثلة في الختان، وفي نتائج الدراسة حول الآليات الثقافية للمحافظة على العذرية نجد أنها كشفت عن أن المعتقد الشعبي الكامن خلف ممارسة الختان للبنات إنما يتمثل في كبح المشاعر الجنسية والتقليل من الرغبة الجنسية، حتي وإن تم الإجراء دون إعتراف صريح بالغرض منه.

- إن قيمة العذرية البيولوجية تنتهي بالزواج، بينما العذرية السلوكية والفكرية فتمتد إلى ما بعد الزواج ، حيث تتحول العذرية البيولوجية موضع الشرف من شرف العائلة وذكورها –الأب والإخوة والأعمام– إلى شرف الزوج.
- كما كشفت الدراسة على أن التوجيهات والنصائح التي توجه للفتيات في هذا الصدد يتضح فيها تأثير المرحلة العمرية للفتاة على درجة إلتزامها بها وعلى طبيعتها ونوعيتها كقيود تربوية أخلاقية سلوكية.
- أن هناك اختلاف أظهره البعد الجيلي حول معنى ومفهوم وثقافة العذرية.
- تشير كافة ممارسات التنشئة الاجتماعية إلى أهمية الحفاظ على كافة مظاهر العذرية السلوكية الظاهرة أولاً في الوصول إلى أحكام الآخرين مما يرونه على الفتيات، حيث يُعتبر حكماً مديناً أو مدعماً لأسرة الفتاة وأسلوب تنشئتها. لذا فغالباً ما تحتل العذرية السلوكية مساحة واسعة في استراتيجية العذرية خاصة في النصائح والتوجيهات التي توجه للفتيات على اعتبار أن الطريق إلى العذرية بمعناها البيولوجي يبدأ من أي من مظاهر انتهاك السلوك المعبر عن العذرية ، والذي قد يصل بالبعض إلى أن السلوك الظاهر له أهمية قصوى يتعين على الفتاه الإلتزام به حتى ولو انتهكت العذرية البيولوجية بالفعل. طالما تم ذلك سراً وبعيداً عن أعين وألسنة الآخرين.
- إن العامل الأساسي والحاسم في الحفاظ على العذرية إنما تَمثل في التنشئة الاجتماعية التي تحتوى على تربية دينية وثقافية قيمية وليست آليات ضبط فيزيقية كالختان.

ممارسات الحفاظ على العذرية:

- كشفت الدراسة أن أغلب الفتيات في مرحلة المراهقة إنما تستقين معلوماتهن حول العذرية والجنس من خلال بعض الكتب والمجلات غير المتخصصة، ومن خلال الكلام الشفاهي للصديقات. وينشأ الحوار مع الأم والقريبات قنوات للإتصال بينهن كلما ارتفع المستوى الاجتماعي الاقتصادي، كلما زادت توجيهات الأم ونصائحها ، وأغلقت مسارات الحوارات الشخصية فيما يخص العذرية في الحفاظ عليها أو فقدها.
- كما كشفت أيضاً أن هناك بعض الممارسات الثقافية التأمينية للحفاظ على العذرية تأخذ في الظهور بقوة ومن فهم حقيقي لما وراء السلوك في المستوى الاجتماعي الاقتصادي الأدنى، وتكاد تختفي تماماً كلما ارتفع المستوى الاجتماعي الاقتصادي، كمحظورات توضع على ممارسة الرياضة وبعض أساليب الثقافة الشخصية.

- أن التقسيم الطبقي للمجتمع لم يظهر فروقاً دالة في ثقافة العذرية والحفاظ عليهـــا، لا سيما بعض فئات الطبقة العليا والتي معها ظهر – وإن كان بشكل ضـــعيف وغيـــر مجاهر به– تيار فكري جديد لدى الشباب معاكساً لتيار التمسك بالعروس البكر.
- تراجعت قيم الحرام والعيب والمحظور مع ازدياد العلاقات الجسدية بين الفتيات والفتيان في مرحلة ما قبل الزواج، مما أصبحت معه ممارسة الشئون الجنسية بين الشباب قبل الزواج أمراً غير محظور، وربما يرجع ذلك لما يتعرض له الشباب من مؤثرات ومغريات غربية وافدة من ثقافات مغايرة. كما يشاركها أيضاً الظروف الاقتصادية المتعسرة والتي أدت للزواج المتأخر.فمع غياب دور الأسرة، وانتشار البطالة، وتغلغل ثقافات غربية وافدة، وارتفاع سن الزواج،ة وغياب التربية الدينية تختل منظومة القيم والمبادئ مما ينتج عنه ظواهر غير سوية لا تتفق وثقافة المجتمع الأم.

الفقد والانتهاك وأساليب المواجهة:

- إنه وعلى الرغم من تدعيم الثقافة للقيمة بتفضيل الذكور للزواج من البكـــر، كشـــفت الدراسة تراجعها في الظهور، حيث بدأ الشباب من الذكور في التخلي عـــن فكـــرة الزواج بالأنثى البكر بعض الشيئ، وبمن كانت لها علاقات حســـية خـــارج نطـــاق الزواج. إلا أننا لا نأخذ هذه النتيجة على علتها ، وإنما يجـــب تفســـيرها فـــي ظـــل التغيرات التي يمر بها المجتمع المصري خاصة الثقافية والاقتصادية منها، ويجب أن نتعامل مع هذه النتيجة بشيء من التحفظ، فلم يكن مقصوداً في ذاته دراســـة قضـــية تفضيل البكر، وإنما ظهرت كنتيجة عارضة ما زالت في حاجـــة لبحـــث وتمحـــيص ورصد لها.
- كشفت الدراسة أن هناك بعض مظاهر التخلي عن التمسك بقيمة العذرية كنتاج لبعض الظروف الاجتماعية، المتمثلة في ضعف العامل الاقتصادي، وارتفاع تكاليف الزواج، والذي قد يصيب القيمة ببعض المرونة ويزعزع رسوخها.
- كما كشفت الدراسة عن وجود تخلخل في رسوخ القيمة، فلم تعد هـــذه القيمـــة علـــى مستوى الفعل من جانب، ومستوى جيل الشباب من جانب آخر، هي العمود الفقـــري لنسق القيمة المجتمعية، كما لم تعد قيمة في ذاتها، لعدم توافقها والثقافـــة المســـتحدثة الوافدة والتي ربما تكون في طريقها لتكون المهيمنة إذا لم نعد صياغة بعـــض قيمنـــا لنعيد لها قوتها، خاصة مع طرح النسق الطبي حلولا لحالات الفقد.

- كما اتضح من الدراسة وفي حدود حالاتها أن هناك مستويات للفقد بدءاً بإتيان سلوك يهدر معه العذرية السلوكية والأخلاقية والتي تتخطى به الفتاه قواعد السلوك المقبول اجتماعياً مع احتفاظها بالقيمة البيولوجية العذرية، مروراً بهتك القيمة البيولوجية بعض الشيء مع احتفاظها بعذرية بيولوجية سليمة أو مهدرة غير مفقودة، انتهاءً بفقد العذرية البيولوجية ومن ثم السلوكية والأخلاقية. وفي هذه الحالات لا تعتبر البنت نفسها قد انتهكت عذريتها طالما لم تفقدها، وإنما تخلت عن مقتضيات القيمة، كالحياء والفضيلة والعفاف الخلقي غير الفيزيقي.
- إن ما مر بالمجتمع المصري من تغييرات ثقافية واقتصادية أثرت بدورها على قيمة العذرية وثقافتها، والذي يرجع إلى إحداث خلل في منظومة القيمة المصرية ، فأصبح مفهوم العذرية الأنثوية مفهوماً شديد التعقيد، فغشاء البكارة الذي كان يعتبر رمز العذرية أصبح الآن ومع بعض التغييرات الثقافية والسلوكية لا ينفي من وجود علاقات جنسية سطحية أو غير مكتملة ، إن وجوده لا ينفي ماضى من العلاقات الجنسية الكاملة ، ويرجع ذلك لسهولة إجراء عمليات إعادة غشاء البكارة أو رتقه.
- ينقسم الرأي الطبي في شأن قضية إعادة العذرية إلى فريقين، الأول يرفضها من منطق الحرام والغش والتدليس وإصلاح خطأ بخطأ. والثاني يقبلها حيث تمثل أحد الحلول المطروحة لموقف معقد في ظل ثقافة قاسية، كما يجريها من واقع الإيمان بمقولة الستر.
- ليس بالضرورة أن يرتبط الشرف بسلامة غشاء بكارة الفتيات، وذلك لإمكانية إجراء جراحة لإعادة الغشاء بعد فقده، كما أن هناك نسبة غير قليلة تولد بنوع "حلقي" من غشاء البكارة يسمح بإقامة علاقة جنسية دون تمزقه.

- أن فقد القيمة غالباً ما يكون قد مر بمراحل سابقة من الانتهاكات التي تمر بها الفتاه برغبتها وإرادتها، حيث تتجاوز الفتاه معايير القيم الأخلاقية وتتخطى الحدود المفروضة عليها في علاقتها بالرجل والتي يفرزها المجتمع.
- أن جماعة الأصدقاء والزملاء لهن دخل واضح في إقدام بعض الفتيات على الدخول في علاقات حسية مع الآخر "الرجل"، خاصة في بعض سياقات العمل والتي عبرت عنها حالات كن تعملن بائعات أو مضيفات والأخرى راقصة، فقد تضافرا معاً عاملان، زملاء العمل، بالإضافة للطبيعة النوعية للعمل والدافعة إلى ذلك.

- كما أن ردود أفعال الفتيات –في حدود العينة– تجاه حالة فقد العذرية إنما جاءت مخالفة للتوقع، حيث لم يكن رد فعل صادم أو عنيف وإنما جاء مخالفاً للتوقع الثقافي أيضاً.
- كشفت الدراسة عن الدور السلبي لوسائل الإعلام تجاه القيمة فجاءت من أهم الأسباب المؤدية لفقد القيمة بما تحدثه من صراع قيمي وأخلاقي، حيث تمثل من خلال ما تبثه من مضامين إعلامية وافدة، وأخرى مرتبطة بالفيديو كليب الغربي والمحلي خطراً أكيداً يهدد استقرار النسق القيمي للمجتمع المصري، خاصة فيما تعرضه من أساليب متحررة، تبعد عن قضايا ومضامين الثقافة المصرية .
- جاءت أساليب المواجهة لفقد العذرية تتأرجح بين اتخاذ أحد أشكال الزواج حلاً، إلى إعادة غشاء البكارة، والبكارة المصطنعة الأثر.
- إن الجسد الذي يحوى العذرية البيولوجية يجب الحفاظ عليه، وربما تقديسه فهو ملكية غير شخصية أو ذاتية. فإذا كان اتجاه ما بعد الحداثة ينادي بالجسد الحر –والذي يتفوه بمقولاته بعض الأفراد، نجد أن هذا الجسد الحر هو ملك مقيد ومشروط من قبل الثقافة.
- إن عدم نشر الثقافة الطبية والجنسية إنما تؤدي لظواهر مرضية في المجتمع، مثل الجهل الزواجي الجنسي، والختان، فقصر الثقافة الجنسية على الأحاديث الخفية، والثقافة غير الموجهة والتي تعمل على تحريك الغرائز دون تثقيف العقل إنما تؤدي في النهاية لمعتقدات خاطئة تؤثر على حياة الأفراد.

ثانيا: النتائج المرتبطة بالختان

- أن الختان لا يعتبر آلية من آليات ضبط العذرية، وإنما يمكن أن ينتج عنه ممارسات غير سوية في محاولة لإكمال الاستمتاع الجنسي أو لرفق ما مزقه هذا الاجراء في نفوس البنات في محاولة لتدارك ما فقدناه
- اتضح من نتائج الدراسة أن إجراء الختان عنصر غير صحيح أو فاعل في تضبيط شهوات الجسد (حيث اثبتت علم الطب أن الرغبة الجنسية قبل مصدرها العقل وأوامره بينما ما يقتطع من اجزاء تناسلية أثناء الختان لا تؤثر في مستوى الرغبة وإنما تؤثر في درجة الاحساس والامتاع.
- رغم وجود تشريع قانوني يعاقب بمقتضاه ممارس الختان، وولى أمر الصغيرة فهذا لا يمنع من وجود واستمرار هذه العادة الشعبية.

- إن الختان عادة شعبية ثقافية غير مرغوبة تستمد قوة استمرارها من قوة العادة في المجتمع والذى لا تناقش فيه وإنما تؤدى فقط.
- أن قوة العادة الاجتماعية تقف حائلا أمام التقدم البطيئ في القضاء على هذه العادة الشعبية الضارة في أغلب الاحيان.
- إن ختان الإناث لا علاقة له بالصحة أو بالتكاليف الدينية.
- إن الخطاب الرسمى الطبي والديني لا يقر عادة ختان اللاناث، بل إن النسق الطبي يحاول جاهداً القضاء على ممارسته نظرا لماله من اضرار طبية فسيولوجية ونفسية وثقافية، تعود بالضرر على الفتاه منذ صغرها وبعد نضجها وزواجها، وعلى زواجها، وعلى الرغم من ذلك إلا أن هناك حالات فسيولوجية يجب التدخل الطبى لإجراء الختان لها. لذا فهو قرار طبى في المقام الأول طالما أنه ليس تكليفا دينياً.
- اتفقت الدراسة مع ما توصلت اليه الدراسات الطبية بأن الختان يؤثر سلبياً على العلاقة الجنسية بين الزوجين.
- على الرغم من أن الأسرة تُعد المؤسسة الاجتماعية الأولى التي ترعى الأطفال عضوياً ونفسياً واجتماعياً وتوفر لهم الحماية ضد أضرار المجتمع الخارجي لمنع الضرر عنهم، خاصة الأم والتي تعتبر المحور الأساسي لأطفالها فإن هذه المؤسسة الاجتماعية ذاتها هي أول من ينظم استراتيجية الاعتداء الجسدي على بناتها وإيذائهن ليس في طفولتهن فقط بل يمتد الأثر خلال مراحل حياتهن الأنثوية.
- وقد أظهرت نتائج الدراسة أن القضاء على ختان الاناث إنما أمره في يد النساء، فعندما يتبع هذا الطلب في التغيير من النساء انفسهم. وعندما يصبح بوسعهن أن يرفضن السماح لبناتهن بالخضوع لعملية الختان فحينئذ سيكون هناك أمل في القضاء على هذه العادة الضارة.
- أن اختيار توقيت الختان قد لا يعبر عن اعتبارات بيولوجية بقدر ما يعبر عن اعتبارات ثقافية تتمثل في متطلبات التنشئة للفتيات على ثقافة العذرية، خاصة ما تخص الحفاظ على العذرية البيولوجية من إجراءات.
- كما اتضح من نتائج الدراسة أن الضبط الخارجي للجسد إنما يمارس بغرض الضبط الداخلي.

استخلاصات عامة

- واستناداً لما سبق، فإن القيود التي تفرضها الثقافة على سلوكيات وجسد البنت للحفاظ على العذرية لم تأت بثمارها -في حدود حالات الدراسة- فحالات فقد العذرية خارج نطاق الزواج كن مختنات، ولم يمنعهن ختانهن من الدخول في علاقات جنسية كاملة فقدن فيها عذريتهن، كما أن الحجاب كان آلية ثقافية غير دالة ، فحالات الفقد كانت بعضهن محجبات ، والأخرى غير محجبات.
- إن ما حدث من التراجع القيمي للعذرية، وإحلال المتغير الثقافي لها إنما نتج معه إتيان الشباب لسلوكيات لا تتفق وثقافة المجتمع المصري. كما أن ما حدث من خلل في التنشئة الاجتماعية، واقتصار دورها على نقل الموروث الثقافي والديني دون إعمال العقل أو مواكبة التغييرات الحديثة والسريعة بالمجتمع، أدى لتشوه قيميّ لدى الشباب، بفقدانهم لقيم مجتمعهم الأصلية، عدم اكتسابهم القيم الحديثة، والذي ربما يفسر لنا بعض القناعات الشخصية وترجمة ما لا يتفق معها سلوكياً.
- كشفت الدراسة أن هناك آليات ثقافية غير دالة في علاقتها بالختان دون التنشئة علي الأساس الدينى لها، حيث تفرض بعض الأسر ارتداء الحجاب على بناتها منذ الصغر ظناً منهم علي حماية الفتاة بمجرد الإرتداء فقط دون التوعية أو التنشئة الصحيحة، لذا فلم يمنعهن الحجاب من الدخول في علاقات مع الجنس الآخر، تدرجت من علاقات الحب العذري، والجنس غير الكاملة، مروراً بعلاقات الممارسة مع الاحتفاظ بعذريتهن، وانتهاءً بعلاقات كاملة مع فقد العذرية.
- لا توجد علاقة طردية ثابتة بين العفة والحجاب، وإنما في بعض الأحوال تكون علاقة عكسية ، وقد لا توجد علاقة بين العفة والفضيلة والختان، فأكثر من دخلن في علاقات جسدية وحسية كن مختنات. ومن فقدن عذريتهن قبل الزواج كن مختنات، فليس ثمة علاقة طردية بين الختان والعفة والعذرية-في حدود حالات الدراسة-.
- وتري الدراسة أنه من أهم العوامل المؤثر في الحفاظ علي العذرية هو التنشئة الإجتماعية، فهي التي تؤسس للحفاظ علي العذرية أو فقدانها منذ السنوات الأولي من عمر الفتاة بشكل غير مباشر، وعلي ذلك تري الدراسة ضرورة الاهتمام بمفهوم الثقافة الصحية والجنسية ونشره، وتحوله الي المستوي التطبيقي، بتدريسها والتوعية بها من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية ليس على مستوى الفتيات فحسب بل القائمين علي تنشئة هؤلاء الفتيات أيضاً من أمهات وأباء.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

١) إبراهيم أحمد شعلان.الشعب المصري في أمثاله العامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢.

٢) أبو بكر الرازي. مختار الصحاح، ترتيب: محمود خاطر، دار المعارف، القاهرة،١٩٧٣.

٣) أحمد أبو زيد: "القيم النسائية الإيجابية في الموروثات الثقافية"، المؤتمر الأول لقمة المرأة العربية، المجلس القومي للمرأة، ١٨-٢٠ نوفمبر ٢٠٠٠.

٤) أحمد النكلاوي. الإنسان والتحديث:قضايا فكرية ودراسات واقعية

٥) أحمد تيمور باشا . الأمثال العامية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٦.

٦) أحمد زايد. المداخل النظرية في دراسة القيم: نحو مدخل نظرى لدراسة قيم العمل في المجتمع القطرى، في: التحولات الاجتماعية وقيم العمل في المجتمع القطرى، اعتماد علام وآخرون، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، الدوحة، ١٩٩٥.

٧) أحمد زايد، خطاب الحياة اليومية في المجتمع المصري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣.

٨) أحمد عبد الإله عبد الجبار. عادات وتقاليد الزواج، جدة، ط١، ١٩٨٣.

٩) إلهام فراج. الانحرافات الأسرية في المجتمع المصري: دراسة ميدانية بالمؤسسات العقابية لظاهرة الخيانة الزوجية من قبل الزوجات، رسالة ماجستير،جامعة القاهرة،كلية الآداب،قسم الإجتماع، ١٩٩٥.

١٠) إلهام فرج عشماوي. الإنحرافت الأسرية في المجتمع المصري: دراسة ميدانية بالمؤسسات العقابية لظاهرة الخيانة الزوجية، أشراف/ سامية الخشاب، أطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الاجتماع، ١٩٩٥.

١١) أمال عبد الحميد محمد. القيم الأخلاقية للمرأة: دراسة متعمقة لقيمة العفة والشرف، في: المرأةو المجتمع وجهة نظر علم الاجتماع، علياء شكرى وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٨.

١٢) أمال عبد الحميد محمد، القيم الأخلاقية للمرأة. دراسة متعمقة لقيمة العفة والشرف، في: المرأة والمجتمع وجهة نظر علم الاجتماع، علياء شكري وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨ .

١٣) آمال عبد الحميد. القيم الأخلاقية للمرأة: دراسة متعمقة لقيمة العفة والشرف،في:المراة والمجتمع:وجهة نظر علم الاجتماع،الإسكندرية،دار المعرفة الجامعية،١٩٩٨.

١٤) آمال عبد الحميد. القيم الأخلاقية: دراسة متعمقة لقيمة العفة والشرف،في:المرأة والمجتمع"وجهة نظر علم --الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨.

١٥) آمال عبدالهادي، سهام عبدالسلام؛ "موقف الأطباء من ختان الإناث"، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، ١٩٩٨.

١٦) آمال عبدالهادى؛ "لا تراجع. كفاح قرية مصرية للقضاء على الختان"، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، هيئة التنمية والمعونة الكندية (سيدا)، القاهرة، ١٩٩٨.

١٧) أميرة بهى الدين. ختان الإناث بين التحريم القانونى وهيمنة العادات الاجتماعية، في: ندوة ختان الإناث، مركز النديم ومركز دراسات المرأة الجديدة، القاهرة، ١٩٩٤.

١٨) أوجز المسالك إلى موطأ مالك، ج١٤.

١٩) بولس سرور (الأب). الختان في المسيحية، ورقة بحثية، مقدمة إلي الكنيسة المصرية،-تمت الموافقة عليها ورُوجعت من قبل قداسة البابا شنودة الثالث، بابا الكنيسة المصرية-القاهرة، ٢٠٠٦ .

٢٠) تقارير منظمة الصحة العالمية: احصاء عام ١٩٩٨ .

٢١) تقارير وزارة الصحة، الختان في محافظات مصر، مطبوعات وزارة الصحة، القاهرة، ٢٠٠٠.

٢٢) محمد كريم ، الواقع الاحصائي لظاهرة ختان الإناث في مصر، جامعة عين شمس، ١٩٦٥ .

٢٣) ثريا إبراهيم علي. العروس تزيينها وتجميلها في التراث الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٩٥.

٢٤) جوردون مارشال: موسوعة علم الإجتماع، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلي للثقافة، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، مج٢، ط١، ٢٠٠١.

٢٥) حامد رشوان؛ "ختان الإناث: الجانب الأخلاقي"، في: المؤتمر الأول

(الضوابط والأخلاقيات في بحوث التكاثر البشري في العالم الإسلامي)، ١٠-١٣ ديسمبر، ١٩٩١.

٢٦) حامد عبدالسلام زهران، علم النفس الإجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٨٤.

٢٧) حنفي محمود إمام: "الدور الجنسي لدى الآباء وأثره على تقمص ونمو الدور الجنسي لدى الأبناء"، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، ع١، ١٩٨٥.

٢٨) خالد منتصر. شرف المرأة والخطاب الديني، في: جرائم الشرف:نظرة تحليلية ورؤى مستقبلية، مركز قضايا المرأة المصرية، القاهرة،٢٠٠٢.

٢٩) خالد منتصر؛ "الختان والعنف ضد المرأة"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.

٣٠) خالد منتصر؛ "الختان والعنف ضد المرأة"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، إصدارات مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٣.

٣١) دراسات منظمة الصحة العالمية، تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية ومخاطر كبيرة أثناء الولادة، في: http://www.who.int/mediacentre/news/releases/2006/pr30/ar/

٣٢) رمضان بسطاويسي محمد. فلسفة الجسد: إدراك م لا يمكن إدراكه، مجلة القاهرة،ع يناير١٩٩٥.

٣٣) الروض المربع للنجدي الحنبلي، ج١.

٣٤) سارة جامبل: "النسوية وما بعد النسوية"، ترجمة أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢.

٣٥) سامية الساعاتي. الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي، ط١، الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٢.

٣٦) سامية الساعاتي. الحياة اليومية لفقراء المدينة: دراسات اجتماعية واقعية، الأنجلو، القاهرة، ١٩٩٥.

٣٧) سامية حافظ حسن الختام: "دراسة كشفية لبعض جوانب البناء النفسي للمرأة المصرية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٢.

٣٨) سحر الطويل: "الاحتياجات والاهتمامات الإعلامية للنشء"، يونيسيف، د.ن، د.ت.

٣٩) سعاد الشرباصي حسنين، "غاية البيان في قضية الختان"، مركز آيات للطباعة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣.

٤٠) سعاد عثمان أحمد: "المرأة في الدراسات الأنثروبولوجية"، في: "علم اجتماع المرأة"، علياء شكري وآخرون، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١.

٤١) سعاد عثمان. ختان الإناث دراسة اجتماعية، في: المرأة والمجتمع: وجهة نظر علم الاجتماع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨.

٤٢) سوسن ناجي، المرآة المصرية والثورة. دراسات تطبيقية في أدب المرأة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢.

٤٣) السيد العباسي، "الختان خطوة على طريق الأمان"، دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٩٧.

٤٤) السيد عبد العاطي السيد: "المجتمع والثقافة الشخصية، دراسة في علم الاجتماع الثقافي"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٩.

٤٥) سيف الإسلام على نصر: "التغير الاجتماعي – دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية"، جـ٢، القاهرة، دار الوفاء للنشر، ١٩٨٨.

٤٦) شوقي عبد القوي حبيب، احتفالية الختان في مصر عبر التاريخ. العادة والمعتقد، مجلة الفنون الشعبية، ع٥٢، يوليو/ سبتمبر ١٩٩٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.

٤٧) صباح عبده هادى الخيشنى، مشروع الجندر: من الحرية والمساواة إلى التماثلية والشذوذ، في منشورات الأمم المتحدة، في: www.aleman.yaman.net/isdarat/paper.htm. 1/10/2003

٤٨) صلاح منتصر. مجرد رأي "خبرة ٤٠عاماً"، في:الأهرام اليومي، ١١/٣/١٩٩٤.

٤٩) طلعت لطفى؛ "مشكلة عدم المساواة بين الجنسين في مجال العمل. دراسة ميدانية لعينة من النساء العاملات في مدينة بني سويف"، في: "المرأة والمجتمع. وجهة نظر علم الاجتماع"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨.

٥٠) عادل عبد الحسين. صراع القيم الحضارية:دراسة أنثربولجية على سكان ضاحية الثورة، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٩٦٨.

٥١) عايدة سيف الدولة؛ قراءة تسوية في الصراع الدائر حول قضية الختان (ندوة ختان الإناث المنعقدة بالمشاركة بين مركز النديم لتأهيل ضحايا العنف ومركز دراسات المرأة الجديدة وجمعية التنمية الصحية والبيئية)، القاهرة،١٩٩٤.

٥٢) فارس عمران. الزواج العرفي وصور أخرى للزواج غير الرسمي، ط ١، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ٢٠٠١.

٥٣) فاروق محمد العادلي. الأنثروبولوجيا التربوية، ط١،دار الكتاب الجامعي، القاهرة،١٩٨١.

٥٤) فاطمة القليني، قيمة التنشئة الإجتماعية كما تعكسها قصص وحكايات الأطفال دراسة لعينة حضرية ريفيةباستخدام منهج تحليل المضمون، في الطفل والتنشئة الإجتماعية، محمد الجوهري وأخرون، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط١، ١٩٨٩.

٥٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، جزء ١٠.

٥٦) فتحي أبو العنين. الثقافة العالمية: ملاحظات حول آليات الهيمنة، في: المجتمع المصرى في ظل متغيرات النظام العالمى، الندوة السنوية، قسم الاجتماع، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٩٥.

٥٧) فرانسواز ايريتييه: ذكورة وأنوثة: فكرة الاختلاف/ ترجمة كاميليا صبحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠٠٣.

٥٨) قاسم أمين، "تحرير المرآة"، مكتبة الترقي، القاهرة، ١٨٩٩.

٥٩) القاموس المحيط، فصل الخاء – باب النون.

٦٠) القرآن الكريم.

٦١) قضايا النيابة العامة رقم ٣٥٠١، لسنة ١٩٩٣ شنا، جنايات قنا .

٦٢) قضايا النيابة العامة رقم ٥١٥٨، لسنة ١٩٩٧ ، جنايات قنا .

٦٣) قضايا النيابة العامة رقم٤٥٢١، لسنة ٢٠٠٠، جنايات قنا .

٦٤) قوانين وزارة الصحة المصرية. لعام ١٩٩٦ .

٦٥) كافيين رايلي: الغرب وعالم تاريخ الحضارات من خلال موضوعات، ترجمة: عبد الوهاب المسيري، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٨٥.

٦٦) الكتاب الإحصائي السنوي. الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، القاهرة، ١٩٩٧.

٦٧) كشاف القناع للبهوتي، ج١.

٦٨) كمال مرعي. الرجل والمرأة والجنس، ط٣،مطابع الأخبار،القاهرة،١٩٨٦.
٦٩)
٧٠) لوسي مير. مقدمة في الأنثربولوجيا الاجتماعية، ترجمة:شاكر مصطفى، ط٢، دار الشئون الثقافية، القاهرة، د.ت.

٧١) ليلى أبو لغد. مشاعر محجبة" دراسة حول الدور الحيوي للشعر وتحليل دور المرأة في مجتمع أولاد علي/ ترجمة أحمد جرادات، نور-دار المرأة العربية للنشر، القاهرة،١٩٩٥.

٧٢) ماهر مهران ، ختان المترددات علي عيادات النساء والتوليد، كلية طب بشري، جامعة عين شمس، ١٩٧٩

مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٥.

٧٣) محمد الجوهري. الأنثربولوجيا: أسس نظرية وتطبيقات عملية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧.

٧٤) محمد حسن القاضي، الممارسات الشعبية والمصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.

٧٥) محمد رضا أفندي. العفة والزواج، ط١، مطبعة اليقظة، القاهرة، ١٩٢٣.

٧٦) محمد عبدالحميد فرحات. دراسة مقارنة بين اتجاهات الأمهات المتعلمات وغير المتعلمات نحو ختان الإناث، رسالة ماجستير(غير منشورة)، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، ٢٠٠٠.

٧٧) محمد عوض خميس؛ "المرأة والتقدم للخلف. دراسة نفسية للعادات والتقاليد"، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٠.

٧٨) محمد فريد. أوقفوا ختان الإناث، مجلة الصحة والسكان،وزارة الصحة والسكان، القاهرة، ع١، د.ت.

٧٩) محمد فياض، "البتر التناسلي للإناث. ختان البنات"، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨.

٨٠) محيا زيتون: "أوضاع المرأة العاملة في القطاعين الرسمي وغير الرسمي في مصر – قضايا أساسية"، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة، المجلة الاجتماعية القومية، م٣٥، ع١، ١٩٩٨.

٨١) مصطفي عبد القادر عبد الله زيادة وآخرون. فصول في اجتماعيات التربية، ط٤، مكتبة الرشد، السعودية، ٢٠٠٥.

٨٢) مصطفي عوض إبراهيم؛ "الثقافة وختان الإناث. دراسة في أنثروبولوجيا الجسم"، في: "التنشئة الاجتماعية. دراسات أنثروبولوجية في الثقافة والشخصية"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥.

٨٣) معتز سيد عبد الله، جمعة سيد يوسف. الزواج العرفي واقعة وآثاره النفسية والاجتماعية، ط ١، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤.

٨٤) المعنى والشرح الكبير جـ١، ص١٠٩.

٨٥) فتاوى ابن تيمية جـ٢١.

٨٦) فتح البارى في شرح صحيح البخارى جـ١٠.

٨٧) مها محمد محمد حسين. الأنثروبولوجيا الطبية: دراسة في ميدان الطب الشرعي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٥.

٨٨) موسى الشيتوي: "الأدوار الجندرية في الكتب المدرسية للمرحلة الأساسية في الأردن، المركز الأردنى للبحوث الاجتماعية، اليونسكو، الأردن، ١٩٩٩.

٨٩) مي غصوب : المرأة العربية وذكورية الأصالة، دار الساقى، بيروت، ١٩٩١.

٩٠) ميجان حسين الرويلي، تحييد البعد الجنوسى في المعرفة/ رأب الفاصل الجنسي، في ألف مجلة البلاغة المقارنة، الجنوسة والمعرفة صياغة المعارف بين التأنيث والتذكير العدد التاسع عشر ١٩٩٩.

٩١) نبيل صبحي حنا. المجتمعات الصحراوية في الوطن العربي، الطبعة الأولي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤ .

٩٢) نص الرسالة التي بعث بها فضيلة المفتي "محمد سيد طنطاوى" إلى الدكتور "علي عبد الفتاح" وزير الصحة، ونشرت في صحيفة الأخبار ٢٨/١٠/١٩٩٤.

٩٣) نوال السعداوي: "أضواء على التنشئة الاجتماعية للمرأة العربية والعمل العام"، ورقة مقدمة إلى ندوة: "المرأة العربية والحياة العامة"، تحرير: حورية حسن مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، القاهرة، ١٩٩٥.

٩٤) نوال علي أحمد. زراعة الأعضاء البشرية من منظور اجتماعي: دراسة انثربولوجية في المجتمع المصري، أطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الاجتماع،٢٠٠٣.

٩٥) نيل الأوطار، ج١، ص١١٢.

٩٦) هدى بدران، فى: "العنف ضد المرأة: أبعاده وعواقبه"، التقرير الختامى للاجتماع التشاورى الإقليمى، رابطة المرأة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣.

٩٧) وحيد الدسوقى. تجربة مركز قضايا المرأة المصرية فى مناهضة ختان الإناث باستخدام النماذج الإيجابية. دراسة ميدانية ببولاق الدكرور، ورشة عمل لنشر الوعى عن طريق النماذج الإيجابية، **مركز قضايا المرأة المصرية**، في:

http://www.cewla.org/Feb.paper. 2003/ 26-3-

٩٨) وفاء الخناجري.الأمثال الشعبية في حياتنا اليومية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٦.

٩٩) وهدان محمد رشاد. القيم الأخلاقية في المجتمع المصري، دار النصر للتوزيع،١٩٩٥القاهرة.

١٠٠) يوسف أبو ليلى، "نشأة الخصائص الجسمانية للكائنات البشرية وتباينها – دراسة أنثروبولوجية في السلالات البشرية" المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المج ٧، عدد٢٧، الكويت، ١٩٨٧.

١٠١) اليونيسيف. وضع الطفولة والأمومة فى مصر. تحليل على أساس الحقوق، يونيسيف (منظمة الأمم المتحدة للأطفال)، مركز الأهرام للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٠٢) اليونيسيف.دراسة لقادة الرأى فى: ختان الإناث.. محاربة عادة القرون، منشورات اليونيسيف، ٢٠٠٢ .

١٠٣) يونيسيف، "الاحتياجات والاهتمامات الإعلامية للنشء"، تقرير من إعداد/ سحر الطويل. ٢٠٠٠.

ثانياً: المراجع الأجنبية

1) Abdel Latif ,Amany Farouk: "Determinants of Female Genital Cutting in Egypt", Cairo Demographic Center, Research Monograph Series, 31st Annual Conference on Population, Development and Youth Issues in Developing Countries, No.31, Dec.26-28, 2002.

2) Age, In: Current Sociology , Edited by Ulrike schuerkens , Social Transformations Between Global Forces And Local Life Worlds , Vol . 51 , No . ¾ , May / July 2003.

3) Badran, Hoda: "The road from beijing Egyptian women's journey", office of the resident coordinator, Egypt, 1997. http://www.questa.net/10/7/2003.

4) Balogun, Shyngle Kolawole: "Female circumcision, Its psychological effects on victims, family and the society", Journal Article, Vol.3, No.4, Oct., 2001.

5) Berger,David G. Morton G. Wenger. The Ideology of Virginity, in: Journal of Marriage and the Family, November 1973.

6) Bettinashell- Duncan and Yiva Hetnlund, "Female Circumcision in Africa: Dimensions of the Practice and Debates", In: "Circumcision in Africa, Bettinashell- Duncan (ed.),Lynne Rienner, London, 2000.

7) Bettinashell-, "Female circumcision in Africa: Dimensions of the practice and debates" in Bettinashell- Duncan (ed), "Circumcision" in Africa, Lynne Rienner, London, 2000.

8) Broude, Gwen J. and Greene, Sarh J. cross-cultural Codes on twenty Sexual Attitudes and Practices. In Cross-Cultural Samples and Codes. Herbert Barry III and Alice Schlegel, eds.pp.313-334.Pittsburgh: University of Pittsburgh Press 1980.

9) Brettell, Caroline B. Gender in Cross Cultural Perspective\ Carolyn F.Sargent, 2nd edition, New Jersey.1997.

10) Carter D. Bruce: Current conceptions of sex roles and sex typing, theory and research",Journal of research, 1987. http://www.ericae.net/ 10\16/2004

11) Dabbagh, Leila: "Female Genital Cutting, Applying the precede-proceed model to understand the incentives for the practice", **Health Education Monograph Series,** Vol.19, No.1, 2002.

12) Disch, Estelle. Gender Socialization, Reconstructing Gender a Multicultural Anthology, second edition, Mayfield Publishing Company, 2000.

13) Disch, Linda x: "Conceptualizing Gender in Marriage – the case of martial care", Journal of the marriage and family, vol. 5, No.3, Aug. 193.

14) Disch, Merry E.x – Hanks: "Gender History", New York, black well publishers, 2001.

15) Evetts, Julia: "Women and Career themes and issues in advanced industrual societies, long man sociology series, New York, long man Inc, 1994.

16) Faye R. Margolis: "Women and Achievement – the role of sex stereotypes in theory, reality, and psychic structure" ph.D, school city university, New York, 1987.

17) Fletcher, Alice and Francis LaFlesche. The Omaha Tribe, Annual Reports of the Bureau of American Ethnology, 1911.

18) From Language to Languag Dictionary http://www.langtolang.com, cited in15/3/2005

19) Gindy M. little: "Female Genital circumcision –Medical and cultural considerations", Journal of cultural diversity, 2003. http://www.ericaenet/25/12/2002.

20) Golden son, R.M & Anderson, k.N., sex: A to z, New york, world Almanac, 1989.

21) Goody,Jack, Bridewealth and Dowry in Africa and Eurasia. In: Social Anthropology, No. 7, Cambridge. 1973.

22) Grafram Allan: "The Sociology of the family", great rritain, balck well Inc, 1999.

23) Halliburton, Murphy, Rethinking Antheropological Studies of the Body: Manas and Bodaham in Kirala, American Anthropologist, Vol.104, No,4, American Anthropological Assosiation, December, 2002.

24) Hanna, Nabil Sobhy: "Dangerous practices: Female circumcision", American University.

25) Herold,E.S., & Goodwin,M.S.Adamant Virgins, potential nonvirgins and nonvirgins. The Journal of Sex Research, 1981.

26) Jacquelynne S. Eccles et al.: "Gender Role Stereotypes, Expectancy effects and parents socialization of gender differences", Journal of social issues, vol .46,1990.

27) Langman, Lauren, Culture , Identity and Hegemony : The Body In Global.

28) Lifeld, Claudia x: "Family structure, parental percepitons, and child labour in Kenya", Journal Article, vol. 78, No. 4, Jun 2000.

29) Lifeld, Ellen M. & Elizabeth Hanssen: "Gender Issues", Corrdinators, Notebook, international resource for early childhood development No. 20, 1997.
http://www.ericae.net, / 27/10/2003.

30) Lynne Zarbatany ET. al: Effects of friendship and Gender on peer group entry", child development, journal Article, Vol. 67, No. 5, Oct. 1996. PP 2287 – 2300.

31) Marge Koblinsky et al: "The health of women, A Global perspective", New York, west view press Inc, 1993.

32) Melanie Killen & Charez Stangor: "Children's social reasoning about inclusion and exclusion in gender and race peer group contexts", child development, Journal Article, Vol. 72, No.1, Jan – Feb 2001.

33) Obetmeyer, Carla Makhlouf, Female Oenital Surgeries: The Known, the Unknown, and the Unknowable, in: Medical Anthropology Quarterly 13 (1): 79-106, American Anthropological Association, 1999.

34) Packard, Vance, L'nomme remodele ,in: http://www.wikipedia.org/wiki, 18/4/2004.

35) Phoebe Grammar & Jody E. Skidd: "Correlates of self – worth in preschoolers – the Role Gender – Stereotyped. Styles of behavior", Journal of Research, vol. 26, No9-10 May 1992.

36) Robbinss, Stephan R., "Oragnizational Behavior, Concepts Controversies & Application", Perntic – hall International, U.S.A, 1989.

37) Rosine Jozef Perelberg & Ann C.Miller, "Gender and Power in families", New York, Routledge tavistock Inc, 1990.

38) SCHLEGEL, ALICE, Status,Property,and the Value on Virginity,in: American Ethnologist,Vol.18, No.4,November 1991.

39) Scott, Sue & Morgan,David Body Matters, Essays on the Sociology of the body, the Falmer press, London, 1993.

40) Speroff, Leon, Robert H.Glass. Clinical Gynecologic Endocrinology and Infertility,5TH edition,Wiliams& Wilkins,London,1994.

41) Sprecher, Susan & C Regan, Pamela .College Virgins: How Men and Women Perceive there sexual status, in, Journal Of Sex Research, Vol 33, issue 1, 1996.

42) Tierney, Helen: "Women's studies encyclopedia", New York, green wood press, 1999.

43) Trautner, Hanns Martin: "Parental concepts, Attitudes and Role Division Gender development in five to ten year – old boys and girls", paper presented at the biennial meeting of the international society for the study of behavioural development, Aug, 1996. http://www.ericae.net , 19/12/2003,

44) William M.Kephart & Davor Jedlicka: "The family, Soceity and the individual", sixth edition, New York, Hamper & Rowinc, 1988.

45) Xiao Zhou. Virginity And Premarital Sex in Contemporary China, Feminist Studies15,no.2,(summer 1989).

46) Yount , Kathryn M.: "Like mother, like daughter? Female Genital Cutting in Minia, Egypt", Journal of Health and social Behaviour, Vol.43, No.3, Sept., 2002. http://www.Ericae.net, 29/3/2004.

ملاحق الدراسة

ملاحق الدراسة

أولاً :دليل العمل الميداني

ثانياً: بطاقات تعريفية بالإخباريين

جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم اجتماع

دليل العمل الميدانى

فى موضوع

الثقافة والعذرية

دراسة فى أنثروبولوجيا الجسد

إعداد: مها محمد محمد حسين
المدرس المساعد بقسم الاجتماع

اسم الحالة (أو رمزها)	:	....					
الوضع الاجتماعى للحالة	:	مستوى أول	( )	ثانى	( )	ثالث	( )
نمط الحالة	:	ريف	( )	حضر	( )		
الحالة الزواجية	:	متزوجة	( )	لم يسبق لها الزواج	( )		
الحالة العملية	:	تعمل	( )	لا تعمل	( )		

اسم الباحثة:..

تاريخ استيفاء الدليل: ....

أولاً: الخصائص الاجتماعية:

أ- بيانات أساسية عامة خاصة بالمبحوثة:

١- الســـن:..............................

٢- الديانـــــة: مسلمة (   )   مسيحية (   )

٣- الحالة التعليمية:

أميـــــة (   )   تقــرأ وتكتــب (   )

مرحلة ابتدائية (   )   مرحلة إعدادية (   )

مرحلة ثانوية (أو متوسط) (   )   مرحلة جامعية (   )

فوق الجامعية (   )

٤- **الحالة الزواجية:** لم يسبق لها الزواج (   )   متزوجة (   )

أرملـــــة (   )   مطلقــة (   )

٥-**الحالة العملية:** تعمـــــل (   )   لا تعمل (   )

٦- **نوع العمل** (خارج المنزل): ....

٧- **إجمالى الدخل الشهرى للأسرة:** .... (سواء أسرة النشأة أو الأسرة الزواجية)

٨- **مصادر الدخل الشهرى:** (تكتب تفصيلاً)

- ....

- ....

- ....

- ....

(ب) بيانات مفصلة خاصة بالمبحوثة وأسرتها:

١- إجمالى عدد أعضاء أسرة النشأة.

٢- عدد الذكور من الأخـــوة.

٣- عدد الإناث من الأخوات.

٤- ترتيب المبحوثة بين الأخوة والأخوات، وأثر ذلك على طبيعة العلاقة بينهم.

٥- مكان النشأة والإقامة، وسبب الانتقال إن وجد.

٦- تجربة الخطوبة (تذكر عدد مرات الخطوبة وظروف كل منها والفترة الزمنية لكل منها).

٧- تجربة الزواج السابق (تذكر عدد المرات والمدة وظروف كل مرة إن وجد).

٨- تجربة الطلاق (تذكر عدد المرات والمدة وظروفه فى كل مرة إن وجد).

٩- تجربة الزواج الحالى:

(يطلب من المبحوثة أن تحكى قصتها مع الزواج الحالى متى بدأ وكيف تعرفت علـــى الزواج وفارق السن بين الزوجين وظروف وملابسات وصعوبات أحاطت بالـــزواج)

١٠- إجمالى عدد الأبناء من الذكور والإناث.

١١- مدى وجود أبناء أو بنات بالغين وعددهم.

١٢- مستوى تعليم الأبناء والبنات.

عمل المبحوثة:

١٣- العمل الحالى ومدى الاستمرارية فيه.

١٤- المدة الزمنية للعمل الحالى.

١٥- مدى التنقل من عمل لآخر.

١٦- طبيعة العلاقة الحالية بين الجنسين فى العمل.

١٧- تجربة السفر للعمل خارج مصر.

(أو لمرافقة الزوج مع ذكر البلد ونوع العمل الخاص بها إن وجـــد، مـــع ذكـــر طبيعـــة العلاقات فى محيط العمل، ونوع الزملاء به، ومدى القيود المفروضة على العلاقة بـــين الجنسين فى محيط العمل).

(ج) بيانات مفصلة خاصة بأسرة المبحوثة: (سواء كانت أسرة النشأة أو أسرة الزواج)

١ – التعليم:

الأسرة / التعليم	للزوج (إن وجد)	للأب	للأم
مستوى التعليم			
نوع التعليـم حكومى/ خاص			

٢ – العمل (التوصيف المهنى):

الأسرة / نوع العمل	للزوج (إن وجد)	للأب	للأم
نوع العمل			

٣ – بيانات خاصة بعمل الزوج:

- مدى الاستمرارية فى العمل.
- مكان العمل الحالى.
- تجربة السفر خارج مصر للعمل.
- نوع زملاء العمل.
- التحول فى العمل والتنقل Mobilization – وخاصة ما يتعلق بتغيير المهنة أو التخصص.
- العمل الإضافى.

(مدى الاستمرارية فيه/ مكانه/ مدته/ نوع الزملاء)

ثانياً: العذرية والجسد:

(أ) خطاب العذرية:

١- ما **معنى العذرية**؟

(يُسأل عن المعنى العام المتداول بين الناس لكلمة "**العذرية**". مع توضيح وجهة نظر المبحوثة في ذلك، ومدى وجود اختلاف أو تشابه فى المعنى وفقاً للاختلاف الطبقى بين الناس).

٢- ما **الألفاظ والعبارات** المختلفة **الدالة على كلمة "العذرية"** والمتداولة بين الناس مع توضيح المقصود من كل منها ومعانيها؟.

(يؤخذ بعين الاعتبار الألفاظ والعبارات التى تقال عن عذرية الأنثى سواء أن كانت عذراء أو غير عذراء، مع توضيح مدى ارتباط اللفظ أو العبارة بعذرية الجسد (العذرية البيولوجية الكامنة والمتمثلة فى وجود غشاء البكارة) أو بعذرية السلوك الظاهر والروح (المتمثلة فى السلوكيات المقبولة من المجتمع، والمعبرة عن بعض السمات الشخصية كالحياء والخجل والالتزام... إلخ). والألفاظ الأخرى التى تقال عن غير العذراء.

٣- إذا كان غالبية الناس يطلقون كلمة "عذرية" على المعنى البيولوجى فقط للكلمة فما هى **الألفاظ اللغوية** التى يطلقونها **للدلالة على العذرية فى السلوك الظاهر**؟.

(أى فى الاستقامة والالتزام فى التصرفات الظاهرة، بصرف النظر عن سلامة العذرية البيولوجية الكامنة).

٤- ما أهم **الأمثال الشعبية** التى تقال تعبيراً عن عذرية الأنثى، والأخرى غير العذراء، سواء أكان ذلك مدحاً أم ذماً؟.

٥- ما أهم الأغانى الشعبية المتداولة بين الناس فى بعض المناسبات والمواقف الاجتماعية المختلفة عن العذراء؟.

(تذكر نماذج التركيز على نوعية الأغانى المعبرة عن العذرية والتى تُغنى فى الأفراح وخصوصاً ليلة الدخلة).

٦- ما **معنى كلمة "الشرف"** من وجهة نظر المبحوثة؟

(مع ذكر وتوضيح الكلمات والعبارات الدالة عن الشرف، والمقصود بكل منها).

٧- ما هى **مواصفات البنت الشريفة**؟ (قبل الزواج).

٨- ما هى **مواصفات المرأة** (السيدة) الشريفة؟ (بعد الزواج).

٩- هل يرتبط **شرف البنت** بعذريتها الكامنة (بالمعنى البيولوجى) فقط، أم يمتد ليشمل عذريتها الظاهرة فى السلوك والتصرفات التى تصدر عنها؟ وكيف يكون ذلك؟

١٠- ما المقصود "**بشرف العائلة**" من وجهة نظر الناس؟

(تذكر الألفاظ والمعانى الدالة على شرف العائلة بصفة عامة والمتداولة بين الناس).

١١- هل يقع على إناث العائلة مسئولية الحفاظ على **شرف عائلاتهن**؟ متى يكون ذلك؟ وكيف يتم؟

(يراعى هنا الفرق بين شرف عائلة النشأة، وشرف أسرة الزواج، ودور الأنثى فى كل منهما).

١٢- هل حفاظ البنت على عذريتها بالمعنى البيولوجى يؤثر إيجابياً على مكانة وشرف عائلتها والعكس يكون صحيحاً؟

(بمعنى هل انتهاك أو فقد العذرية البيولوجية (المتمثلة فى غشاء البكارة) قبل الزواج يلحق الضرر بل ربما العار بسمعة وشرف العائلة. كيف يكون ذلك؟).

١٣- هل سمعة العائلة وشرفها يمكن أن يتأثر سلباً أكثر بسلوك بناتها وتصرفاتهن ربما غير الملتزمة بالعرف والتقاليد (فقد العذرية السلوكية الظاهرة) حتى وإن كن فقدن عذريتهن البيولوجية سراً ودون معرفة أحد من خارج نطاق الأسرة، أم لا؟ أرجو توضيح كيف يكون ذلك؟

(بمعنى متى تصبح التصرفات السلوكية الصادرة من البنت والتى لا تتفق مع التقاليد المقبولة من المجتمع ضارة بسمعة وشرف العائلة أكثر من الضرر الذى يلحق بالعائلة عند فقد إحداهن لعذريتها البيولوجية؟ وكيف؟).

١٤- فى حالة **انتهاك العذرية** – سواء بالمعنى البيولوجى الكامن أو بالمعنى السلوكى الظاهر – على من يقع الضرر الفعلى فى السمعة داخل العائلة؟

(بمعنى هل يمثل ذلك ضرراً بالغاً لشرف الأب، أم شرف الأخوة الذكور، أم الإناث، أم رجالة الأسرة ككل، أم لكل أفراد الأسرة؟ وإلى أى درجة قرابية يمتد هذا الضرر؟).

(ب) التنشئة على العذرية:

١٥- متى سمعت بكلمة **العذرية** (أو إحدى مشتقاتها) وأدركت معناها لأول مرة؟

(يراعى ذكر تفاصيل حول الموقف الذى تم فيه التعرف على كلمة العذرية ومعناها ودلالاتها وأهميتها بالنسبة للبنت، وإلى أى مدى أثرت تلك المعرفة فى تصرفات المبحوثة وسلوكياتها).

١٦- ما هى **النصائح والعبارات والتوجيهات** التى كانت تقال للبنت **للمحافظة** على عذريتها؟

(مع مراعاة ذكر أمثلة ونماذج من تلك النصائح والتوجيهات، وتوضيح طبيعة المواقف الاجتماعية التى قيلت فيها تلك النصائح) يراعى التمييز بين ما يقال للحفاظ على العذرية البيولوجية الجسدية الكامنة، والعذرية السلوكية الظاهرة فى التصرفات والأقوال.

١٧- من فى حياة الفتاة **يقوم بهذا الدور التوجيهى** ويقدم لها تلك النصائح والتوجيهات (سواء من داخل الأسرة أو خارجها) المرتبطة بالمحافظة على عذريتها؟ ومن كان يؤكد على هذا المعنى خلال حياة الفتاة؟

١٨- إلى أى مدى تحولت هذه النصائح والتوجيهات إلى **قواعد صارمة** يجب إتباعها والالتزام بها؟ وفى أى مرحلة عمرية حدث ذلك؟ وإلى أى مرحلة عمرية استمرت؟

١٩- ما **أشكال العقاب** التى تتعرض لها الفتاة فى حالة عدم التزامها بهذه القواعد الصارمة؟

(مع الأخذ فى الاعتبار التمييز بين أنماط وأشكال العقاب فى حالة انتهاك العذرية البيولوجية الكامنة (بأى من درجات الانتهاك وحتى الفقد) والأخرى المرتبطة بالخروج على عذرية السلوك الظاهر).

٢٠- هل اختلفت طبيعة **النصائح والتوجيهات** فى هذا الصدد باختلاف المراحل العمرية المختلفة للبنت؟

(يراعى إظهار الفروق فى النصائح والتوجيهات التى تقدم للفتاة فى كل مرحلة عمرية عن الأخرى).

(ج) تجليات العذرية:

٢١- ما هى المظاهر الدالة على **عذرية** الفتاة والتى يمكن ملاحظتها من خلال طبيعة **الأحاديث** التى تتكلم فيها؟ وأسلوب حوارها؟

(مع مراعاة بيان الألفاظ والموضوعات التى يتم تحاشيها فى الحديث حتى لا ينظر للفتاة من قبل الآخرين على أنها غير عذراء).

٢٢- "هناك موضوعات وألفاظ الخوض فيها يمكن أن يعطى صورة ربما مشوهة عن البنت، وقد يشكك ذلك فى سلامة عذريتها. ومع ذلك فقد تتحدث البنت فى تلك الموضوعات مع أشخاص بعينهم دون غيرهم".

- ما هى طبيعة تلك الموضوعات والألفاظ؟

- ومن هم الذين يتم تحاشى الحديث معهم – أو أمامهم – فى تلك الموضوعات؟

- ومن يسمح لهم فقط بالتحدث فى تلك الموضوعات معها؟

٢٣- هل هناك **حركات جسدية وإيماءات** مصاحبة لحديث الفتاة يمكن أن تعطى انطباعاً لدى الآخرين أنها غير عذراء؟ ما هى تلك الحركات تفصيلاً، ومدى ارتباطها بانتهاك أو فقد العذرية البيولوجية الكامنة أو العذرية السلوكية الظاهرة؟

(بمعنى هل يفرق الناس بين بعض الحركات المصاحبة لحديث الفتاة والتى تعبر عن فقد عذريتها البيولوجية عن تلك المعبرة عن التصرفات الظاهرة والتى يستهجنها الناس وتدل على أن البنت منتهكة فى سلوكها الظاهر).

٢٤- ما هى **أكثر الملامح والمظاهر** فى جسد البنت تعبيراً عن سلامة العذرية البيولوجية؟

(يراعى أيضاً تقديم بعض التفاصيل حول التغييرات التى يمكن أن تطرأ على مواضع بعينها فى جسد البنت بحيث تُعد هذه التغيرات دليلاً على انتهاكاً أو فقداً لعذريتها فى نظر الآخرين).

٢٥- هل هناك **حركات جسدية** عفوية أو مقصودة صادرة عن الفتاة يمكن أن تعطى انطبعاً لدى الآخرين أنها غير عذراء؟

(يراعى تقديم بعض التفاصيل الخاصة بحركات المشى، والجلوس... إلخ المستهجنة فى نظر الآخرين، وهل ينظر الناس إلى تلك الحركات بأنها تعبيراً عن فقد العذرية البيولوجية؟).

٢٦- هل يختلف سلوك **المرأة المتزوجة** عن سلوك الفتاة العذراء فى المواقف الحياتية المختلفة؟ كيف يكون ذلك؟. تذكر أمثلة من السلوك.

(ء) ممارسات الحفاظ على العذرية البيولوجية:

٢٧- هل تعرف الفتاة أموراً محددة عن **المتطلبات البيولوجية للعذرية** (كغشاء البكارة)؟

(ما هى حدود هذه المعرفة، ومِن مَن عرفتها، وكيف، وفى أى مرحلة عمرية تم ذلك؟).

٢٨- هل تميل الفتاة إلى التأكد بين الحين والآخر على وجود عذريتها البيولوجية (أنها مازالت عذراء)؟ كيف يتم ذلك؟ ولماذا؟ وفى أى المواقف؟

(يراعى ذكر تفاصيل حول محاولات التعرف الذاتى أو اللجوء إلى آخرين فى بعض المواقف، (ما هى وما طبيعتها) للتأكد من استمرار عذريتها).

٢٩- ما هى أهم **الممارسات** التى يمكن اللجوء إليها أو يجب الامتناع عنهـا **للحفـاظ علـى عذرية الفتاة**؟

٣٠- هل هناك **أطعمة** أو **مشروبات** محددة **تمنع الفتاة العذراء عن تناولهـا** للحفـاظ علـى عذريتها؟ ما هى طبيعتها؟ ولماذا؟

(تذكر هذه الأطعمة أو المشروبات تفصيلاً مع ذكر أسباب المنع ومدى اقتناع المبحوثـة بهذه الأسباب).

٣١- ما هى القيود التى توضع على **عملية النظافة الشخصية والعناية** بالأعضاء التناسـلية للفتاة والتى تحول دون فقد العذرية؟

(كيف عرفت الفتاة هذه القيود هل بالحديث فيها؟ أم أن مجرد التحدث فى مثل هذه الأمور ممنوع الخوض فيه مع الفتاة وبالتالى يعبر عن عدم المساس بنظافة الأعضاء التناسـلية تحاشياً لحدوث أى مكروه، تذكر التفاصيل فى هذا الصدد).

٣٢- ماذا لو حدثت أية **متاعب صحية** فى الأعضاء التناسلية - كالالتهابات المهبلية وما شابه - بالنسبة للفتاة العذراء؟ ما هى **الممارسات** التى تتم وإلى من تلجأ الفتاة؟ وما هى **القيود** التى تفرض على الفتاة فى هذا الصدد؟

(يراعى تقديم تفاصيل حول مواقف أو مشكلات من هذا النـوع حـدثت - للمبحوثـة أو لغيرها - وكيف تم التصرف حيالها؟ وإلى من لجأت أول الأمر؟ وهـل تمـت مشـورة الأطباء أو أشخاص متخصصين فى هذا الصدد أم لا؟ ولماذا؟... إلخ).

٣٣- ما هى أهم **مظاهر السلوك** والأفعال التى يجب تحاشيها لدى الفتاة العـذراء للمحافظـة على عذريتها؟ ولماذا؟

(تذكر تفاصيل وأشكال هذه السلوكيات والأفعال).

٣٤- هل يفضل ارتداء الفتاة لملابس معينة دون غيرها للحفاظ على عذريتها؟ ما هى؟ ولماذا؟

(بمعنى آخر هل تمنع الفتاة من ارتداء نوعية محددة من الملابس حفاظاً على عذريتها؟).

٣٥- هل يمكن **للحجاب** أن يخفى معالم الأنوثة أم يظهرها؟ وكيف؟

٣٦- ماذا تعنى كلمة "**حجاب على الموضة**"؟ وهل يظهر هذا النمط من الحجاب الأنوثة أكثر؟ أم لا؟ وما مدى ارتباطه بإظهار نوع من التميز الاجتماعى؟

٣٧- ما هى أكثر **عناصر الزينة** تعبيراً عن إظهار الأنوثة لدى الفتاة؟ ولماذا؟

(من أمثلة ذلك استخدام الماكياج، الحنة والوشم والرسم على الجسد وفرد الشعر بمثبتات، والحلى ونوع الحذاء وشكله... إلخ).

٣٨- هل تختلف **عناصر الزينة** باختلاف **طبيعة الملابس**؟ وما نوع **الزينة** التى يفرضها الحجاب؟ وفى أى المستويات الاجتماعية يتم ذلك؟

٣٩- هل **تمنع** الفتاة العذراء عن مشاهدة أى **مشاهد مثيرة لها** حفاظاً على عذريتها؟ ما هى هذه المشاهد وطبيعتها؟ وكيف؟

٤٠- هل يتم اللجوء إلى بعض **الممارسات الاعتقادية** للمحافظة على العذرية؟

(كالأعمال السحرية، والحمائل، والوصفات الشعبية، والرقى، والأدعية... إلخ). تذكر مواقف تفصيلية فى هذا الصدد.ـ ما **الممارسات الاعتقادية** التى يتم اتباعها **لزيادة الأنوثة والجمال** والجاذبية للفتاة فى نظر الآخرين؟

(تذكر كافة التفاصيل الخاصة بالممارسات الاعتقادية، كالأعمال السحرية، الرقى، الأحجبة... إلخ ومدى ارتباطها بمراحل عمرية محددة. آخذين فى الاعتبار طبيعة هذه الممارسات، ومتى – تتم وفى أى مرحلة عمرية للفتاة، ومن الذى يقوم بهذه الممارسة، الفتاة نفسها أم آخرون يجبرونها عليها، وما مواصفات من يقوم بها، وما الغرض من هذه الممارسات تفصيلاً).

٤١- هل فى مجتمعنا المصرى تكون فرص العذراء فى الزواج أكثر من فرص من سبق لها الزواج (الأرملة – المطلقة) قبل ذلك؟ كيف؟ ولماذا؟

(يراعى ذكر كافة التفاصيل، ومعرفة من الذى يؤكد على هذه الفكرة فى المجتمع).

(هـ) فقد العذرية أو انتهاكها:

٤٢- ما هى **الحالات** التى يمكن أن تفقد الفتاة فيها عذريتها خارج نطاق الزواج؟ وما هى الأسباب التى تؤدى لذلك؟

٤٣- هل هناك **مستويات لفقد العذرية**؟ ما هى؟ وكيف تتم؟ وما هى مسمياتها؟

٤٤- إذا فقدت الفتاة عذريتها لسبب ما **لمن تلجأ** فى البداية؟ ولماذا؟

٤٥- ما **الممارسات والإجراءات** التى تتخذ حيال ذلك؟ على يد من تتم؟ كيف ومتى؟

(يؤخذ بعين الاعتبار ذكر كافة الحلول والممارسات والإجراءات أو التحايلات المقترحة

لمواجهة هذا الموقف. وأسباب تفضيل بعضها دون الآخر).

٤٦- ما **الممارسات** أو **الإجراءات** التى تؤخذ بعين الاعتبار لمواجهة هذا الموقف ليلة الزفاف؟ فى حالة عدم اتخاذ أى إجراء لمواجهة الموقف بعد حدوثه:

(يراعى هنا تحديد صور المواجهة بكافة تفاصيلها سواء أكانت بالتحايل على الموقف أو بممارسات شعبية للتستر على فقد العذرية، أو بإجراء عمليات جراحية لترقيع غشاء البكارة، أو بالاكتفاء بمصارحة الزوج... إلى آخره من صور المواجهة).

٤٧- فى حالة اللجوء إلى **جراحات طبية**، ما مدى انتشارها فى الوقت الراهن بين الفتيات اللائى يتعرضن لفقد العذرية؟ وفى أى المستويات الاجتماعية تنتشر؟

٤٨- هل تمارس بعض **الممارسات السحرية** للحيلولة دون إظهار فقد الفتاة لعذريتها فى ليلة الدخلة؟ ما هى وكيف تتم تلك الممارسات؟ وعلى يد من؟ وهل يستلزم ذلك دفع أجر لسحرة وممارسين شعبيين، أو تقديم هدايا بعينها لهم؟

(تذكر كافة التفاصيل فى هذا الصدد).

٤٩- ما **موقف** أفراد **أسرة الفتاة** من مشكلة فقد العذرية؟ (الأم - الأب - الأخوة... إلخ) وهل يتطور الأمر لإخبار العائلة، أو بعض أفرادها دون غيرهم؟ لماذا؟ وما موقفهم؟

٥٠- ما **الهواجس والمخاوف** التى تنتاب الفتيات عامة فى ليلة الزفاف - خاصة ما يتصل بفض غشاء البكارة - ولماذا؟

(يراعى الانتباه لما ينتاب الفتيات بصفة عامة، ومن فقدن عذريتهن سابقاً بصفة خاصة).

٥١- ما طبيعة **المشاعر والأحاسيس** التى تنتاب المرأة بعد الزواج عقب فقد عذريتها؟ ولماذا؟

(بالطريق الشرعى داخل نطاق الزواج).

٥٢- هل يمكن أن تقضى الزوجة فترة زمنية مع زوجها دون أن تفقد عذريتها وتظل بكراً؟ لماذا؟ وكيف يكون التصرف؟

(يراعى ذكر كافة تفاصيل الموقف فى حالة معرفة المبحوثة بحالات من هذا النوع).

٥٣- هل تعرفى أية معلومات عن تجديد العذرية (إعادة غشاء البكارة جراحياً) كمظهر احتفالى فى أعياد الزواج - أو أى مناسبات أخرى - للمتزوجات؟ فى رأيك لماذا تأتى بعض الزوجات بهذا السلوك؟

(يراعى ذكر كافة التفاصيل فى حالة معرفة المبحوثة بإحدى الحالات).

ثالثاً: الختان والجسد

(أ) معنى الختان:

٥٤- ماذا يعنى **ختان الإناث** فى نظر الناس؟

٥٥- ما **الألفاظ والعبارات** الدالة على ختان الإناث والمتداولة بين الناس؟ وما المقصود بها؟

٥٦- ما **التصورات الشائعة** عن الفتاة المختتنة؟ وما التصورات المقابلة عن الفتاة غير المختتنة؟ وما العبارات التى توصف بها كل منهما؟

٥٧- هل هناك علاقة بين ختان الفتاة وطهارة جسدها من وجهة نظر الناس؟ كيف ولماذا؟

٥٨- هل هناك علاقة بين ختان الفتاة وأى تغيرات جسدية فى نظر الآخرين؟ كيف ولماذا؟

(مثال ذلك الاعتقاد فى أن النمو الجسمى ونضج بعض أعضاء الجسم مرتبط بشكل مباشر بالختان، أى أن الناس يفسرون هذا النمو بحدوث الختان؟ وأن عدم الختان وتأخره قد يؤدى إلى نقص فى النمو...).

٥٩- هل يربط بعض الناس بين ختان الفتاة ومستوى جمالها وأنوثتها؟ كيف ولماذا؟

(كأن يقال أن ارتفاع مستوى جمال البنت وجاذبيتها الأنثوية مرتبط بختانها).

٦٠- هل هناك علاقة بين ختان الفتاة والمستوى العام لصحة جسدها فى نظر الآخرين؟ كيف ولماذا؟

(مثال ذلك، عندما يفسر بعض الناس الجسد النحيل أو بعض أعراض المرض الجسمانى للفتاة بأسباب ترجع إلى عدم الختان أو تأخره، وأن تمتع الفتاة بالصحة الجيدة مرهون بختانها).

٦١- ما هو السن المناسب لختان البنت ولماذا؟

(يراعى ذكر سن المبحوثة وقت ختانها، وسبب ذلك).

٦٢- هل يمكن تأخير الختان إلى سن متقدم من عمر الفتاة؟ فى أى الحالات يحدث ذلك؟ ولماذا؟

٦٣- هل يؤثر تأخير الختان على **الزواج** مستقبلاً؟ كيف يكون ذلك؟ ولماذا؟

٦٤- هل هناك حالات حدث لها **مشكلات فى الزواج** من جراء عدم الختان؟ كيف كان ذلك؟ ولماذا؟

٦٥- هل الختان ضرورى من وجهة نظر المبحوثة؟ كيف؟ ولماذا؟

(تذكر تبريرات المبحوثة فى هذا الصدد، مع توضيح طبيعة ونوعيـة دواعـى إجرائـه، دواعى دينية، طبية، اجتماعية، عادة قديمة... إلخ).

٦٦- متى يصبح الختان غير ضرورى من وجهة نظر المبحوثة؟ ولماذا؟

٦٧- ما مدى انتشار ختان الإناث فى أسرتك عبر أجيالها؟

٦٨- لماذا تحرص الأسرة لديك على ختان بناتها؟

(تذكر التفسيرات المتداولة فى الأسرة، والتى تعبر عن الدوافع الحقيقية لالتـزام الأسـرة بإجراء عمليات الختان لبناتها).

(ب) الختان والتنشئة الاجتماعية:

٦٩- متى سمعت **كلمة الختان** أو إحدى الكلمات الدالة عليها وأدركت معناها لأول مرة؟ (يذكر الموقف الذى قيلت فيه هذه الكلمة تفصيلاً).

٧٠- من أىٍّ من **الأشخاص** أو **المصادر** تحصل البنت على معلومات عـن عمليـة الختـان وأهميتها فى حياة البنت؟ من أى المصادر حصلت أنت على هذه المعلومات؟ وكيف تم ذلك؟

٧١- كيف تبرر **الأسرة** لبناتها إجراء عملية الختان؟

٧٢- هل سبق لك فى مرحلة الصغر (قبل إجراء عملية الختان لك) أن شاهدت **حالات ختان**، أو حضرت أثناء إجرائها لبنات من الأسرة أو خارجها؟

- صفى لى الموقف وكيف كانت مشاعرك خلال هذا الإجراء؟
- وما التساؤلات التى وردت على ذهنك فى هذا الصدد آنذاك؟
- ولمن وجهتِ هذه الأسئلة؟ وما الإجابات التى تلقيتيها؟

٧٣- كيف واجهت **مخاوفك** من الختان؟ وكيف تغلبت على هذا الإحساس؟ ومن ساعدك على ذلك؟

(ج) خبرة المبحوثة بشأن الختان:

٧٤- هل تعتاد الأسرة على ارتباط عمليات ختان بناتها بمناسبات أو أحداث معينة؟ (كالأعياد أو الموالد أو مناسبات دينية أو اقتصادية، أو توقيتات محددة لها أهمية اعتقادية).

٧٥- هل يسود الاعتقاد داخل الأسرة بأن إجراء عملية الختان فى تاريخ ووقت محدد يؤثر على مستقبل البنت؟ كيف يكون ذلك؟ ولماذا؟

(كأن يجلب لها الحظ فى الزواج، أو الخصوبة... إلخ).

٧٦- من يتخذ قرار ختان الإناث داخل الأسرة؟ وإلى أى حد يكون قراره ملزم لأعضائها؟

٧٧- هل هناك أشخاص يعارضون إجراء هذه العملية داخل الأسرة؟ من هم؟ ولماذا؟

(يراعى ذكر تبريراتهم لعدم إجراء الختان، ومدى موافقة آخرين فى هذا الصدد).

٧٨- كيف تمت تهيئتك لعملية الختان قبل إجرائها؟ من الذى قام بهذه المهمة؟

(على سبيل المثال: كأن يتم اللجوء إلى تكرار عبارات مدح تصف البنت المختنة، وحكايات أخرى عن بنات تعرضن لبعض المخاطر فى حياتهن، أو لنبذ المجتمع المحيط بهم بسبب عدم ختانهن).

٧٩- هل كنت على علم تام بميعاد إجراء الختان؟ متى علمت ذلك؟ وما المدة الزمنية الفاصلة بين علمك بالموعد وبين الإجراء الفعلى للختان؟ ومن الذى أخبرك بذلك؟

(تذكر كافة التفاصيل فى هذا الصدد، خاصة حول شعور المبحوثة خلال هذه الفترة).

٨٠- أين تم إجراء عملية الختان لك؟ وما هى الترتيبات التى تمت قبل إجراء عملية الختان؟ وما هى الاستعدادات والترتيبات التى تم اتخاذها فى مكان إجراء الختان؟

٨١- هل تمت عملية الختان بصورة جماعية، أى لبنات أخريات معك من الأخوات أو القريبات أو الجيران مثلاً، أم تم ذلك بصورة فردية؟

- وهل حدثت فى نطاق الأسرة عمليات ختان جماعى لبعض بناتها معاً؟ تذكر كافة تفصيلات ذلك؟

٨٢- هل تم توجيه دعوة للأقارب والجيران والأصدقاء لحضور الختان؟ من هم؟ صفى الجو الاحتفالى الذى تم خلال هذه العملية؟

(يذكر فى هذا الصدد: نوعية الأطعمة والمشروبات التى حرصت الأسرة على تقديمها، نوعية الهدايا التى قدمت للبنت أو والدتها، ومن مقدمها؟ وإذا ما تم دعوة منشد دينى أو مقرئ أو ما شابه ذلك؟ وعمل ذبيحة محددة... إلخ. تذكر التفصيلات الاحتفالية الكاملة لعملية الختان متضمنة قبل وأثناء وبعد عملية الختان).

٨٣- من شهد إجراء عملية الختان من الأقارب والجيران؟ وهل كانت لهم أدواراً محددة فى إجراء العملية؟ وما دور الوالدين أثناء إجراء عملية الختان؟

٨٤- هل يعتقد فى ضرورة **تجنب بعض الأشخاص** لمشاهدة أو حضور عملية الختان؟ مـــن هم؟ ولماذا؟

(تذكر تفصيلات حول الحالات التى تمنع من حضور هذه العملية، والأسباب الاعتقاديـــة حول ضرورة عدم تواجدهم).

٨٥- من **القائم** بإجراء عملية الختان؟ وهل تعتاد الأسرة على شخص بعينه فى هذا الصـــدد؟ ولماذا؟

(يراعى ذكر الطبيعة المهنية له تفصيلاً، وإذا كان ممارس طبـــى أم شـــعبى، محتـــرف رسمى، أم شعبى، أم مجرد امرأة كبيرة السن، وعمله الأساسى إذا كان هذا العمل إضافى له، ووصف هيئته الجسدية وملبسه، وما تطلقه المبحوثة عليه من صـــفات ومواصـــفات، وما إذا كان قد أخذ أجراً مقابل هذا، وطبيعة هذا الأجر... إلخ).

٨٦- من يقوم **بمعاونة القائم** بإجراء الختان؟ وما الدور المنوط بهم فى إجراء الختان؟

(يذكر فى ذلك من يحضر مع القائم بالختان كمعاون أو مساعد له، ومـــا طبيعـــة الـــدور المحدد لهم، كما يذكر أيضاً من يقوم بمساعدته من الأقارب أو الأصدقاء ممن يحضرون إجراء الختان، وما الدور الذى يقومون به تحديداً).

٨٧- ما **الأدوات والمواد** (المخدرة، المهدئة، المطهرة...) الطبية أو الشعبية التى اســـتخدمها الممارس للختان فى إجراء عملية الختان؟

(تذكر المبحوثة ما تتذكره من استخدامه لأداة للقطع (كشفرة حلاقة، مشرط، مقص، قطعة معدن مدببة أو حادة... إلخ) ومواد لوقف الدم كالبن أو رماد الفرن أو غيره... إلخ).

٨٨- ماذا قيل لك بشأن الجزء الذى تم قطعه؟ وماذا تم بشأنه؟

(تذكر كافة التفصيلات فى هذا الصدد).

٨٩- هل حدثت لك مضاعفات عقب إجراء الختان؟ ما هى بالتفصيل؟ وكيف تم التعامل معها؟

- هل امتد أثر هذه المضاعفات إلى مراحل متقدمة من حياتك؟ كيف؟
- هل لها آثار سلبية على العلاقة الزوجية؟ كيف؟
- هل لها آثار سلبية على عملية الحمل والولادة؟ كيف؟
- ما موقف زوجك (المعلن أو غير المعلن) من ختانك؟ ولماذا؟

٩٠- هل أنت راضية – فى الوقت الحالى – عن إجرائهم الختان لك فى الصغر؟ ولماذا؟

٩١- هل أنت على استعداد ورضا تام لختان بناتك؟ ولماذا؟

٩٢- فى رأيك ما هى مزايا الختان للبنت؟ وما هى عيوب الختان للبنت؟ وما أثر ذلك على مراحل حياتها المستقبلية؟

٩٣- هل لديك أية معلومات عن حالات كان عدم ختانهن سبباً فى حدوث مشكلات مع أزواجهن – سواء عند الزواج أو بعده؟ ما طبيعة هذه المشكلة؟ وكيف تم التعامل معها؟

(تذكر كافة التفصيلات فى هذا الصدد).

٩٤- هل لديك أية معلومات عن حالات كان ختانهن سبباً فى حدوث مشكلات مع أزواجهن؟ ما طبيعة هذه المشكلة؟ وكيف تم التعامل معها؟

(تذكر كافة التفصيلات فى هذا الصدد).

بطاقات تعريفية
بالإخباريين

بطاقة (١)

الاسم أو(رمز الحالة) : أ.د. أحمد أمين مصطفى حسنين

العمر : ٥٧ سنة

العمل : أستاذ النساء والتوليد بكلية الطب جامعة القاهرة
المدير السابق لمستشفى النساء والتوليد بالقصر العيني.

بطاقة (٢)

الاسم أو(رمز الحالة) : ع . ف

السن : ٥٢ سنة

العمل : طبيب نساء وتوليد

مشهور عنه إجراء عمليات الإجهاض وإعادة غشاء البكارة لفاقديها خارج نطاق الزواج، كأحد موضوعات عمله.

بطاقة (٣)

الاسم أو (رمز الحالة) : الحاجة هدية

العمر : ٨٦ سنة

التعليم : غير متعلمة

الحالة الزواجية : أرملة

الأبناء : لديها ٦من الإناث ، و ٣ من الذكور

الأحفاد : لديها ٩ من الأناث، و ٧ من الذكور

العمل : داية ، تقوم بالتوليد ، وإجراء الختان ،والكشف على الفتيات في حالة شك أسرهن في الإحتفاظ بعذريتهن.
ولديها خبرة واسعة في موضوعات عملها، حيث تقوم بهذه الأعمال منذ أكثر من ٥٦ سنة.
وقد قامت بإجراء الختان لكل بناتها، وحفيداتها.

بطاقة (٤)

الاسم أو (رمز الحالة) : عم منعم

العمر : ٧٤ سنة

التعليم : ملم بالقراءة والكتابة

الحالة الزواجية : متزوج

الأبناء : لديه ٣ من الذكور
أحدهما ممرض ويقوم بإجراء الختان بشكل غير رسمي

الأحفاد : لديه ٣ من الإناث ، و٥ من الذكور

العمل : حلاق صحة
يقوم بإجراء الختان للفتيات لمدة ٣٤ سنة متواصلة كصاحب عمل، يعمل معه من يساعده، ومنذ أن صبي كان يعمل مساعداً لأبيه لذات المهنة، كما يقوم بأعمال الحلاقة للرجال، كعمل غير أساسي في بعض الأحيان ولأشخاص بعينهم. وقد قام بإجراء الختان لكل بناته وحفيداته.

بطاقة (٥)

الاسم أو (رمز الحالة) : (ط)

العمر : ٦٠ سنة

التعليم : غير متعلمة

الحالة الزواجية : أرملة

الأبناء : لديها إبنة واحده ، و٣ من الذكور

العمل : تعمل خادمة في المنازل ، ولديها خبرة واسعة بموضوعات الدراسة ، ذات أصول صعيدية ،لديها إبنة فقدت عذريتها ، أثناء علاقة حب .

بطاقة (٦)

(رمز الحالة) : (و)

العمر : ٥١ سنة

التعليم : فوق جامعي

الحالة الزواجية : متزوجة

الأبناء : لديها بنتان وولد

العمل : تعمل أستاذة جامعية

لديها خبرة واسعة ومتعددة بموضوعات الدراسة بشئون الفتيات ، سواء خبرات شخصية خبرتها مرت بها ، أو من خلال طبيعة عملها واتساع مجال علاقاتها.

بطاقة (٧)

رمز الحالة : (ح)

العمر : ٤٦ سنة

التعليم : جامعي

الحالة الزواجية :متزوجة

الأبناء : لديها ٣ من الإناث

العمل : مرشدة سياحية

لديها كم هائل من الخبرات الشخصية والمعلومات حول الأمور الحياتية المرتبطة ببعض موضوعات الدراسة.

بطاقة (٨)

رمز الحالة : (ي)

العمر : ٣٠ سنة

التعليم : متوسط

الحالة الزواجية : متزوجة

الأبناء : لديها بنتان

العمل : لا تعمل

لديها خبرة واسعة ببعض موضوعات الدراسة وحالاتها،خاصة في موضوع إعادة غشاء البكارة كمظهر إحتفالي في الإحتفال بأعياد الزواج.

مستخلص الرسالة باللغة العربية

الكلمات الدالــــة : العذرية – الشرف – الختان – ختان الإنـــاث – النـــوع الاجتمـــاعي – دراسات المرأة – دراسات الجسد – أنثروبولوجيا الجسد.

المستخلص

تسعى الدراسة الراهنة للكشف عن ثقافة العذرية وقيّمها، من خلال المعنـــى الاجتمـــاعي للجسد، وأعضائه، وحركاته، وإيماءاته خاصة جسد المرأة، كما تحاول كشف العلاقة بـــين هذا الجسد الأنثوي والواقع الاجتماعي الثقافي المعاش، من خلال عملية التنشئة الاجتماعيـــة التي تمارس ضغوطاً على هذا الجسد بغرض تقييده وتكبيله، وبفرض بعض آليـــات ثقافيـــة لضبطه، مستخدمة ما يؤيد فكرها وثقافتها من الخطاب الديني والطبي الرسمي، رافضة مـــا يعارضها منه.

كما تحاول الكشف عن أن الحضور الخارجي للجسد وشكله وضبطه، إنما يعتبر فـــي كثير من الأحيان أهم بكثير من الضبط الداخلي له. فى محاولة الوصول إلى وجود فصـــل شعبي بين السلوك والتصرف والاتجاهات والأفكار (العذرية الســـلوكية)، وبـــين العذريـــة البيولوجية، حيث لم يعد شرطاً اتساقهما معاً في اتجاه الحفاظ على العذرية أو عدمه، وإنمـــا في بعض الأحيان تكشف المواقف الاجتماعية عن وجود علاقة غير تلازمية، وأن وجـــود إحداهما ليس شرطاً مطلقاً لوجود الأخرى. بناءً على ذلك **تتحدد إشكالية البحث الحـــالي** في معرفة الآليات المختلفة التي تستخدمها الثقافة في ضبط هذا الجسد بالتركيز علـــى مفهـــوم العذرية من زاوية التصورات المختلفة المرتبطة بهذا المفهوم داخل الثقافة المصرية، وإذا ما كانت هذه التصورات تتباين وفقاً لتباين الشرائح الاجتماعية – الثقافية المختلفة، وكيف تفرز هذه الثقافة أشكالاً بعينها من الضبط والرقابة بل والسلوك أيضاً تمارس على جسد الأنثى من أجل المحافظة على العذرية، أو تفرز أساليب لمواجهة انتهاكاتها، كحلول لمّا ينـــتج عنهـــا. وكيف تتحول المفاهيم ذات الطابع البيولوجي مثل مفهوم الذكورة والأنوثة إلـــى مفهومـــات اجتماعية ذات صبغة ثقافية، تعكس طبيعة العلاقة بين الرجل والمـــرأة وطبيعـــة الضـــبط والتنشئة التي يخضع لها جسد الأنثى. وإلى أي حد يعد ذلك مؤشراً دالاً على تباين وضعية الذكر والأنثى داخل المجتمع والثقافة المصرية.

مناهج البحث وأدواتها: اعتمدت الدراسة الراهنة على منهجين أساسيين هما **المنهج الأنثروبولوجي، ومنهج دراسة الحالة**، ليتعاونا ويتكاملا معاً على سبر أغوار الظاهرة موضوع البحث ، وذلك من خلال أدواتهما المختلفة، منها **دليل العمل الميداني**: والذي اعتمدت عليه الدراسة كأداة أساسية بهدف الحصول على بيانات مفصلة ودقيقة حول ثقافة العذرية، والختان كآلية لضبط جسد المرأة، وخبرات الأنوثة وممارستها، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف احتوى الدليل على ثلاثة محاور رئيسية ضمت عدداً من الموضوعات والقضايا الفرعية، تمثل الأول منها في الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لحالات الدراسة، والثاني اختص بالعذرية والجسد، والأخير ضم الختان والجسد. و**الملاحظة**، و**المقابلة**، و**الإخباريين**، و**التسجيل الصوتي**، و**الاستكتاب الشخصي**.

وقد أجريت الدراسة علي٣١ دراسة حالة من الإناث، ٢٠ حالة منهن عذراوات، و٤ حالات فاقدات العذرية، و٧ حالات ممن يقمن بإجراء عملية إعادة غشاء البكارة كمظهر احتفالي في أعياد الزواج، تم اختيارهن جميعاً بشكل عمدي من ٩٥ حالة أجريت معهن مقابلات أولية، ومتعمقة، حيث روعي فيهن تطابقهن والشروط الموضوعة مسبقاً لهن؛ كتمثل الشرائح الاجتماعية الاقتصادية للمجتمع وتنوع الأصول الريفية والحضرية، وتمثل متغير التعليم بمستوياته المختلفة، ومتغير العمل؛ ممن تعملن ومن لا تعملن، كما روعي تمثل تنويعات العمل المختلفة، وتمثل الحالة الزواجية حيث انقسمت حالات الدراسة بين متزوجات ولم يتزوجن بعد، كما روعي في اختيار الحالات معيار الحجاب وأنماطه المختلفة،هذا بالإضافة لتمثل متغير الختان.

وجاءت الدراسة في ثمانية فصول وخاتمة تضم أهم نتائج الدراسة الميدانية، والتي صنفت وفقاً لعلاقتها بقضيتي العذرية، والختان،بالإضافة إلي قائمة بالمراجع والمصادر العربية والأجنبية للدراسة، وأخيراً ملاحق الدراسة، والتي ضمت دليل العمل الميداني، وبطاقات تعريفية بإخباري الدراسة.

مستخلص الرسالة باللغة الانجليزية

Key Words: Virginity, Circumcision, Female Circumcision, Female Genital Mutilation (FGM), Gender, Body Anthropology, Studies of women, Studies of Body.

Abstract

This study aims to throw the light on the culture of virginity and its values throughout the social comprehensive of the human body, specially the female body, its members, its movements and gesture.

It aims also to clarify the relationship between the female body and the actual culture of the society. That was based on the socialization which controls the body trough certain social actions. This breeding used all the means to support its ideology and culture from the official religious and medical discourse, and refusing what would disagree with its ideas.

The study aims also to prove that external existence of the body, its form and its control is considered was usually more important than its internal control. This was done in order to arrive to a comprehensive knowledge of the ways used by the Egyptian culture to control the female body specially that is related to conserve the virginity. Besides, the creation of the society for such culture and official means to face the losing of the virginity and the role of the socialization which support the differences between male and female in the same class or different social classes.

Methodology and Tools:

The present study depended on tow methods: anthropology method and case study. As for the tools, they could be summarized in a guide of the field study, observation, interviewing, reporters, audio recording, and personal attestation.

The study was applied on 31 female cases, 20 of them were virgin, 4 cases lost their virginity before marriage, and the last 7 cases were of those who had operation to re-hymen in such anniversary ceremony. The above mention 31 cases were chosen from a total of 95 women according to very profound interviews.

The study is divided into 8 chapters, and the conclusion at the end which concluded the most important result of the field study. And of course a list of bibliography of both Arabic and foreign reference and resources. This thesis also includes an appendix of the guides of the field study and identifications fiches of the reporters.